

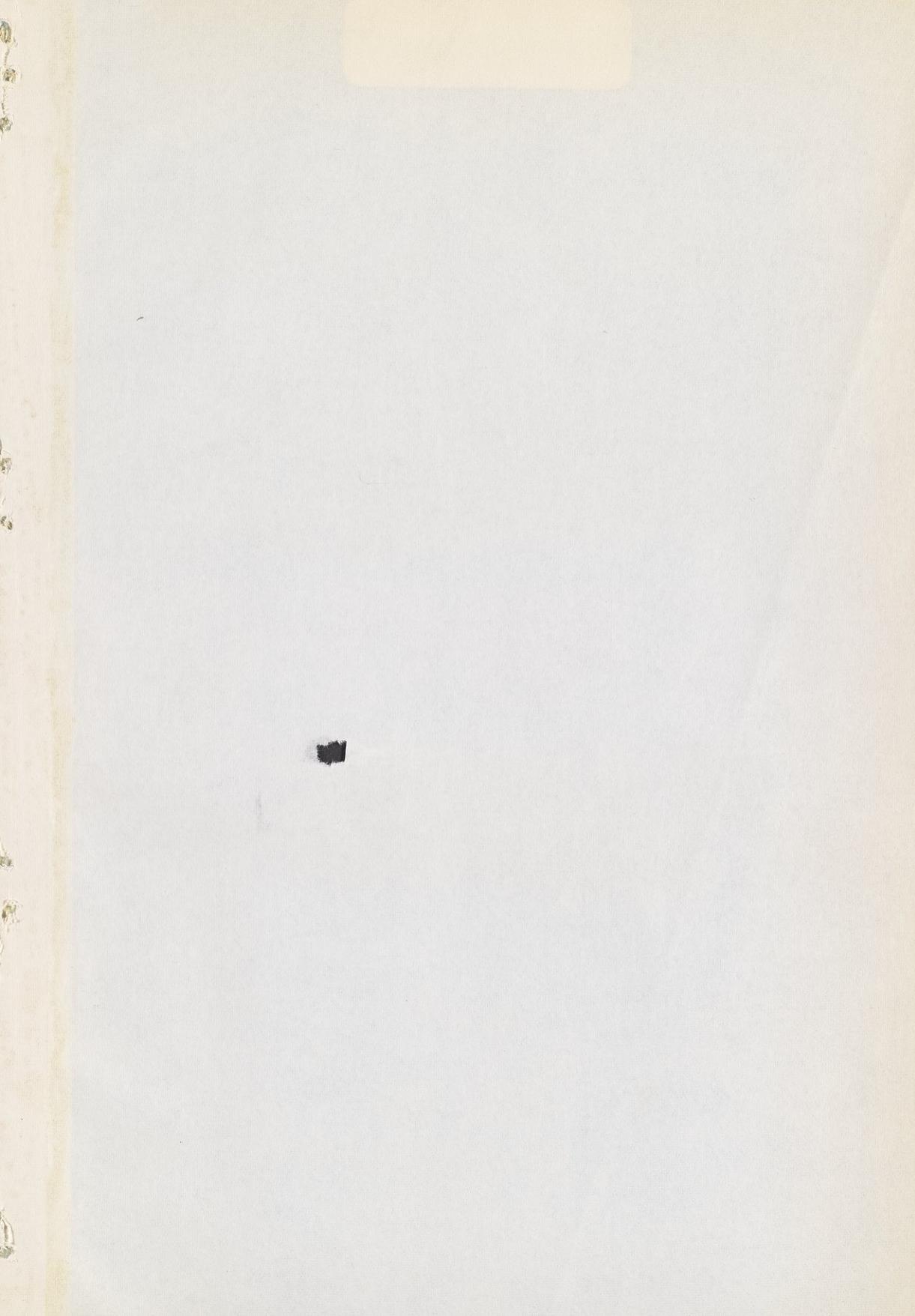
2264
11234
389
1961
v.3-4

2264.11234.389.1961 v.3-4
Amin al-Takamul fi al-Islam

Princeton University Library



32101 073838342



الكامل في الإسلام

من أراد أن يقلع ما في نفسه من شكوك ويلم
أن الدين الإسلامي يطابق آخر ما توصل إليه
العلم الحديث فليطالع هذا الكتاب

الجزء الثالث

بقلم:

أحمد أبن

(خريج جامعة إسطنبول : الرياضيات العالمية والفيزياء الرياضية العالمية)

«الطبعة الأولى»

مطبعة المعارف - بغداد

[لصاحبها الحاج عبد السكيم الحاج فرودي]

١٣٨١

Amin, Ahmad

al-Takāmūl

التكامل في الإسلام

المكتبة

من أراد أن يقلع ما في نفسه من شكوك وأن يعلم
أن الدين الإسلامي يطابق آخر ما توصل إليه
العلم الحديث فليطالع هذا الكتاب

الجزء الثالث

لم

أحمد أمين

«الطبعة الأولى»

مطبعة المعارف - بغداد

١٣٨١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله العلي عن شبه المخلوقين^(١) ، الغالب لمقال الواصفين ، الظاهر
بعجائب تدبره للظواهر . والباطن بجلال عزته عن فكر المتشوّهين ، العالم
بلا اكتساب ولا ازيداد ، ولا علم مستفاد . المقدر بجميع الأمور بلا
روية ولا ضمير ، الذي لا تغشاه الظلم ولا يستضيء بالأنوار ولا يرهقه^(٢)
ليل ولا يجرى عليه نهار . ليس إدراكه بالإبصار ، ولا علمه بالإخبار .

(١) من كلام لعلي أمير المؤمنين عليه أفضن الصلاة والسلام .

(٢) يرهقه : يغشاه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

أحمد الله تبارك وتعالى أن من "علي" بتقديم الجزء الثالث من هذا الكتاب : (التكامل في الاسلام) ، وعلى هذا الإقبال الذي ألفيته من القراء السكرام والتشجيع الذي لمسته منهم مع مزيد الاعتزاز بهم وبتأييدهم . وقد قرظ الكتاب ، نظماً ونثراً ، لغيف من المؤمنين الأفضل الذين كنت عند حسن ظنهم ، فاني إذ أقدم جزيل شكرى لهم ، اعتذر عن تدوين ما تفضلوا على "بما لا تستحقه" ، دفعاً لنزكية النفس واعترافاً بالواقع وما أنا فيه من قصور وقصصير .

إن الله تبارك وتعالى قد أودع في هذا الإنسان غريزة بها يتوجه العبد بصورة فطرية إلى ربه ، متذكرًا في ملائكت السموات والأرض ، فيعز ويعز بصورة طبيعية هذا النظام الرائع : النظام الكوني الدقيق إلى الله العلي القدير . وهو القائل : « وهديناه النجدين » أي : طريق الخير والشر . وفي آية أخرى : « فأقم وجهك للدين حنيفًا^(١) ، فطراة الله التي فطر الناس عليها . لا تبدل خلق الله ذلك الدين الفيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون^(٢) ، « ويৎفسرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا ، سبحانك فقنا عذاب النار^(٣) ». وفي الحديث : « لو لا أن الشياطين يحومون إلى قلوب بنى آدم لنظر و إلى ملائكت السموات والأرض » .

(١) حنيفًا : أي مائلًا عن المقاديد الزائفة .

(٢) سورة التوبه : ٣٧

(٣) سبحانك : أي تنتربها لك ، سبح الله أي تنتربه وقدسه . آل عمران : ١٩١

إلا أن الإنسان يلوث نفسه بنفسه ، فيخمد بيده هذه الغريزة الثمينة ، غريزة التوجّه إلى الخالق المتعال ، وتقديسه وتعظيمه ، حتى تتحجر النفس من جراء شتى المعاصي والآثام ، فتسود وتحجب عن رؤية الحق^(١) والواقع ، فتتوارد عليه شكوك وأفكار مادية حالكة ، واتجاهات سلبية ، فيتراءى له : أنه قد بلغ شأواً قاصياً من الفساد ، وأنه كان خرافياً ، فأمسى متجرراً عمما يشين العقل البشري أو يعوقه عن سيره التقدمي ، فيعد نفسه تقدماً وغيره رجعاً .

لقد أجمع علماء النفس أن الدين أمر فطري عند البشر ، وأن المفاهيم البشرية كالمادية وغيرها من نزعات ، قد تعيش برهة من الزمن نتيجة لطغيان هذه النفس الثالثة الأمارة بالسوء ، إلا أنها سرعان ما تموت وترجع الفطرة إلى فعاليتها الطبيعية وتدبرها وراء الطبيعة بدرجة تكاملها وقطعها مراحل في عوالم تطهير النفس وتزكيتها . فأنه تعالى يقول : « إن في اختلاف الليل والنellar وما خلق الله في السماوات والأرض آيات لقوم يتقوون »^(٢) . فلا بد من تقوى واجتناب للمحرمات حتى يعتبر الإنسان بما أودع الله من عظيم الصنع في هذا الكون الرحيب !

فالظلم والإعتداء هما اللذان يمحيان الفرد عن رؤية الحق وهو غافل عما ينتهي إليه من جرائم بغيه وطيشه على حد قوله تعالى « كذلك نطبع على قلوب المعذبين »^(٣) . وفي آية أخرى : « وما يمحى بآياتنا إلا الظالمون »^(٤) . فلا ينبغي أن يقنط المؤمن إذا ما رأى أمواجاً وقتيلاً تناهض الدين وتقاومه ، فإنها أمواج ترشحت من نقوص معدودة استولى عليها شيطانها

(١) عن النبي (ص) : « شر الممى عمى القلب » .

(٢) سورة يونس : ٦

(٣) سورة يونس : ٧٤

(٤) سورة العنكبوت : ٤٩

نتيجة لآثامها ، فضغطت على حريات غيرها من نفوس كثيرة جداً لا توافقها في الرأى وهي تؤمن في أعمق نفوسها بخالق أزلٍ "أبدى" ، منظم هذا الكون أبدع تنظيم .

وقد أمل بعض هذه النفوس على الآخرين أفكاراً لا تواافق الواقع في شيء . منها : «أن هناك تنافيًا بين الدين ومعطيات العلم الحديث التي تسند لها التجارب ، وتحددتها المعادلات ، فلا ينبغي الالتفات إلى ما يميل علينا الدين» . إن صح هذا بالنسبة إلى بعض الأديان السماوية التي مستها اليد البشرية المحرفة . فلا يصح بالنسبة إلى الدين الإسلامي ، لقوله تعالى : «إنا نحن نزلنا الذكر وإنما له حافظون» .

ففي هذا الجزء يجد القارئ آيات كثيرة مما جاء في كتاب «لابيته الباطل من بين يديه ولا من خلفه» سبقت العلم الحديث في اعطائها عصارة ما توصل إليه العلم المادي ، حيث لا تلسكوب ولا ميكروскоп : (مرقب وبمحرر) . فلا تكاد تجد في الإسلام ما كان في عوالم الكنيسة في القرون الوسطى . فقد سلمت الكنيسة (جوردا نوبرونو) إلى غرفة التعذيب وأذيق أمر أنواع العذاب ثم أوثق إلى قاعدة خشبية وأحرق حياً عام ١٦١٠ م تصريحاته العلمية .

ونشر (جمع الكرادلة المقدس) قرار الجرم المن يقول بدوران الأرض واعتبار القائل كافراً زنديقاً .

وان غاليليو^(١) قد وعد السكاردينال بالطاعة المطلقة ، مسلماً بأن ما قاله عن دوران الأرض باطل ، كما أقسم بالأناجيل المقدسة سنة ١٦٣٣ م : أن الأرض لا تدور حول الشمس !

(١) هو ابن أحد بناء (فلورنسا) وأحد رواد العلم المظاهري . وهو الذي وفق إلى إعداد مرقب الرصد الذي أرأتنا به عوالم السموات ، وقد كان يسر في تطبيق التحليل الرياضي على المعضلات الطبيعية ، وهو في عمله على نواميس الحركة قد عبد الطريق له (نيوتون) .

قد جعل الاسلام (المنطق) حاكماً عند عرض تعاليمه من واجبات ومستحبات ومحرمات ومكر وها ومباحات بقوله : « أفلأ يتدبرون القرآن ، أم على قلوب أقفالها ». وبقوله : « إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » ، « كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون » ، « لعلمهم يتفكرون ». وبقوله : « إنه فكر وقدر ، فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر » .

دين الاسلام يخاطب العقول ، تلك العقول التي لم تتحجب عن رؤية الحق والواقع بالآنام والفسوق ، انه يدعو الى المنطق الصحيح ولا يفرض شيئاً دون أن يرافقه برهان ودليل وذلك بقوله : « ولقد ذرنا (١) بهم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفتقرون بها ولهم أعين لا يبصرن بها ولهم آذان لا يسمعون بها . اوئك كالأنعام بل هم أضل ، اوئك هم الغافلون » (٢) . فما من فرد إلا وأودع الله فيه عقلاً يعرف به اصول المعارف الإلهية ، « العقل ما عبد به الرحمان واكتسب به الجنان » ، لكن الانسان لسوء اختياره وفسقه ونجوره يسدل ستاراً على ذلك العقل الفطري . فيكون إذا ذلك كمن لا عقل له ، فلا يعمل بالنصوص الدينية ، فيكون كمن لا دين له ، فيكون مصداق هذا الحديث : « لا دين لمن لا عقل له » على حد قوله تعالى : « وإذا ناديت إلى الصلاة اخذوها هزوأ أو لعما ، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » (٣) . فالعقل نبيّ باطنى لمن لم تبلغه الرسالة . فيحاسب حسبما يعلى عليه عقله الفطري غير الملوث بالذنوب والاثام . فمن كان في (آلاسكا) مثلاً ولم تبلغه الرسالة ، محاسب يوم القيمة وفق ما أودع الله في عقله من معارف أولية . فان ظهور آثار الدين في المرء إنما هو ظهور آثار العقل فيه . إذن . فلا يعتبر بآيات الله إلا من صلح عمله وطابت سيرته وظهرت

(١) ذرنا : خلقنا .

(٢) سورة الأعراف : ١٧٨

(٣) سورة المائدة : ٦١

إلى حدمها نفسه . إن نفساً كهذه تتجذب إلى آيات الله وإلى ما وراء الطبيعة بصورة فطرية ، وتزداد فرحاً وسروراً عند قراءة ما يؤيد عظمة الله تعالى في هذا العالم الواسع الأرجاء : إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خرُوا ^(١) ساجداً وسُبُّحُوا ^(٢) بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ . تتجافى ^(٣) جنوبهم عن المضاجع ^(٤) يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومارزقناهم ينفقون ^(٥) . فلا تكفي لتكامل هذه النفس العبادة والتهجد فحسب ما لم ينفق الفرد مارزقه الله تعالى .

فالإسلام دين يحقق للناس سعادة الدارين وفي الوقت الذي يأمر بالتسبيح والعبادة يأمر في الوقت نفسه بأن يعطي الغنى من فضول ماله لتزكي نفسه ، ولئلا يبقى على وجه البسيطة فقير .

فقد قال الصادق سلام الله عليه : « ارْتَدِ اللَّهُ فِرْضَهُ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ مَا يَسْعُهُمْ ، وَلَوْلَا عِلْمُ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَسْعُهُمْ لِزُوْدِهِمْ » .

وفي البخار عن الصادق (ع) : « الْمَالُ مَا اللَّهُ جَعَلَهُ وَدِيْعَةٌ عِنْدَ خَلْقِهِ ، وَأَمْرَهُمْ أَنْ يَأْكُوا مِنْهُ قَصْدًا ^(٦) ، وَيُلْبِسُوا مِنْهُ قَصْدًا ، وَيُنْكِحُوا مِنْهُ قَصْدًا ، وَيُرْكِبُوا مِنْهُ قَصْدًا ، وَيَعْوِدُوا بِمَا سُوِّيَ ذَلِكَ عَلَى فَقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ . فَهُنْ تَعْدِيَ ذَلِكَ كَانَ أَكَاهُ حِرَاماً ، وَمَا لَبِسَ مِنْهُ حِرَاماً ، وَمَا نَكَحَ مِنْهُ حِرَاماً ، وَمَا رَكَبَ مِنْهُ حِرَاماً ، يَتَقْلِبُ فِي حِرَامٍ . وَبَئْسُ الْعَبْدُ عَبْدٌ يَعْلِشُ فِيهَا حِرَامٌ اللَّهُ عَلَيْهِ ، يَصْبِحُ وَيَمْسِي وَالْرَّبُّ سَاخْطٌ عَلَيْهِ . هَذَا حَالُهُ فِي الدُّنْيَا . وَأَمَا آخِرَتُهُ :

(١) خروا : سقطوا

(٢) سبّحوا : أي نزهوا ربهم عن النقص حامدين له نعمه .

(٣) تجاف جنوبهم : ترقم وتانحي .

(٤) المضاجع : الفرش ومواضع الاضطجاج .

(٥) سورة السجدة : ١٦

(٦) قصداً : في حدود الاعتدال ، قصد يقصد قصداً : أي استقام واعتدل .

ومنه الانتقاد أي الاعتدال والتوسط .

خرج من قبره ويفكون من الذين يأتمهم النداء من الله : « أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ، فاليوم تجزون عذاب المحن بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون » .

إنه تعالى يقول : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا أن الله يحب الحسنين » (١) .

ويقول الصادق (ع) أيضاً : « ولو أن الناس أدوا زكاة أموالهم ما بقي مسلم فقيرًا محتاجاً ولا يستغني بما فرضه الله له ، وإن الناس ما افترقوا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا إلا بذنب الأغنياء » .

فلو كان المسلمين مؤمنين حقاً مطبقين أحكام الإسلام دونما تبعيض وتفريق لما رأيت من يشكو الفقر والمرض والجهل . ولرأيت الأرض جنة عدن . ذلك لأن الإسلام لم يدع أمراً فيه حياة الناس وسعادتهم إلا وقد أمر به ، ولم يدع أمراً فيه هلاك الناس وانحطاطهم وتسافلهم إلا وقد نهى عنه .

فدين الإسلام دين السكال الانساني . وما جاء فيه من دساتير أخلاقية وعبادية وقضائية وادارية واقتصادية واجتماعية كاها ترمى إلى تكميل النفس الإنسانية وابلاغها أسمى مراتب السكال .

فما علينا الآن إلا أن نقوم بتطبيق قواعد الإسلام و تعاليمه الرفيعة على أنفسنا أولاً ثم نعمل مجاهدين مخلصين لأجل نشر هذه التعاليم في أرجاء الأرض وإفهام الناس حقائق الإسلام : دين الفطرة ، بأساليب عصرية لا تخالف روح الإسلام ودساتيره المشروعة في شيء .

فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : « فَمَنْ يَعْمَلُ مِن الصَّالَحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، فَلَا كُفَّارًا
السَّعِيَهُ وَإِنَّا لَهُ لَكَاتِبُون »^(١) .

« وَمَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَيْتِهِ مَهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يَدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ
أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا »^(٢) .

« أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ لِئِنْ يَرْجُونَ
رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ »^(٣) .

وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهِيِّ
عَنِ الْمُنْكَرِ سَبِيلُ الْأَنْبِيَاءِ وَمِنْهَاجُ الصَّالِحِينَ وَفِرِيْضَةٌ عَظِيمَةٌ بِهَا تَقَامُ الْفَرَائِضُ
وَتَوْمَنُ الْمَذَاهِبُ وَتَخْلُّلُ الْمَكَاسِبُ وَتَرْدُ الْمَظَالِمُ وَتَعْمَرُ الْأَرْضُ وَيَنْتَصِفُ مِنْ
الْأَعْدَاءِ وَيَسْتَقِيمُ أَمْرُ النَّاسِ » .

(١) سورة الأنبياء : ٩٤

(٢) سورة النساء : ٩٩

(٣) سورة البقرة : ٢١٨

العلم والادعاء

قال علي (ع) : « بالعلم يُعرف الله ويوحد ». فالعلم خير وسيلة لمعرفة الخالق جل جلاله والتعرف على ما أودع الله تعالى من دقائق الصنع وخصوصياته بعضاً بعض ارتباطاً وثيقاً لإيجاد عوالم من الجماد والنبات والحيوان ولتسخير هذه الأفلاك بهذا النظام الرائع البديع . نظام يجعل عيني الفلسكي الذي لم يفوس قلبه بالموبقات ، تقضيzan بالدموع خشوعاً وتقديساً لله تعالى لما يرى هنالك من دقيق المعادلات وبديع القوانين . نظام يجعل (هانري بركسون : Henri Bergson) مؤمناً بوحدانية الله تعالى ممعظماً إياه حين يتبع نظام الذرة وما فيها من معادلات وقوانين تهر العقول . هذه الذرة التي قد بلغت من الصغر بحيث لو وضعت (١٠٠٠٠٠٠) منها ، على شرط الكروية ، بعضها جنب بعض لكان طولها ميليتراً واحداً . نظام يجعل الطبيب الذي لم يلوث باطنه بسكر أو فسق يركع أمام عظمته تعالى حين يرى أنه تعالى قدرتب في المخ البشري (٢٠٠٠٠٠) عصب موضوعة بعضها جنب بعض بحساب دقيق بحيث لو جس أحد هذه الأعصاب لحدثت عوارض تخص هذا العصب المحسوس دون غيره .

نظام يخشى تجاهله العالم باليكانيك السماوي والفينياء ، حين يرى : كيف رتب الله تعالى الأبعاد بين الأجرام السماوية ومنها بعد أرضنا عن الشمس وبعد القمر عن الأرض وهو القائل : « فلا أنسجم بموضع النجوم . وإنه لقسم لو تعلمون عظيم »^(١) .

فلو كان بعد الأرض عن الشمس ضعف ما عليه الآن لنقصت الحرارة

التي تأتنا من الشمس الى (ربيع) ما عليه الآن^(١) ولقللت سرعة حركة الأرض حول مدارها الى النصف^(٢) ولطال فصل الشتاء الى ضعف ما عليه الآن ولا يحمد نتيجة لذلك جميع ما على الأرض من كائنات حية واستحالت الحياة عليها.

ولو كان بعد الأرض عن الشمس نصف ما عليه الآن لأصبحت حرارة الأرض أربعة أمثال ما عليه الآن بنفس السبب ولتضاعفت سرعة الحركة حول المدار ولنقص طول مدة كل فصل من الفصول الأربع : (الربيع ، الصيف ، الخريف ، الشتاء) الى النصف^(٣) ، ولتبخر ما على الأرض من مياه ولما أمكن السكيني عليها من شدة الحرارة وذلك لقربها من الشمس .
ولولا ان الله تعالى قد أحاط أرضنا بغلاف غازى (جوى) لخنه (٨٠ كم) لحفظها بما توجه نحوها من أحجار سماوية : (٢٠) حجارة في كل ثانية ، بسرعة ٥٠ كم ، ثانية^(٤) لما عاش على سطحها كائن حي واستحالت الحياة على وجه البسيطة . على أن لهذا الغلاف الغازى أو الدرع الحصينة أثراً هاماً في إيصال حرارة الشمس الى الأرض بدرجة من الاعتدال

(١) حسب قانون فيزياوي : شدة الحرارة على سطح ما تتناسب تناوباً عكسياً مع معرفة المسافة عن مصدر الحرارة .

(٢) ذلك لأن بتناسب محيط الدائرة تناوباً طردياً مع نصف القطر :

$$م = 2 \pi ط$$

وان حاصل ضرب السرعة الزاوية في المسافة عن المركز مقدار ثابت :

$$\text{لا} \times \text{و} = \text{ث}$$

(٣) ان كان بالأمكان حصول تغيير فصلي اذ ذاك .

(٤) أي تقطم هذه الأحجار السماوية مسافة قدرها خمسون كيلومتراً في الثانية ، أي ان سرعتها في الساعة (١٨٠٠٠٠) كيلومتر .

وقد دلت دراسة المعلومات التي ترسلاها الأقمار والصواريبح على أن حوالي عشرة آلاف طن من مواد الشطب والنيلاذك تقاسطنحو الأرض كل يوم .

والتالسي كي يمكن أن تعيش على سطحها النباتات والحيوانات والانسان .
وكذلك في نقل المياه وبحار الماء من المحيطات (البحر المحيط) إلى القارات .
فلا لا هذا الغلاف الجوي لتحول القارات إلى أرض قاحلة .

ولو كانت الأرض بقدر القمر وكان قطرها ربع ما عليه الأرض ، لما
كانت قوة الجذب عليها (أى سطح الأرض) تكفي لجذب المياه والهواء ،
ولما استقر الماء على سطحها . لأن قوة الجذب تكون إذ ذاك سدس قوة
جاذبية الأرض اليوم^(١) . ولارتفاع درجة الحرارة إلى حد يؤدى إلى
إبادة الحياة عليها .

ولو كان قطر الأرض ضعف ما عليه الآن ، لكان سطح الأرض أربعة
أمثال ما عليه الآن^(٢) وكانت قوة الجذب ضعف قوة جذب الأرض الحالية ،
ولقل ارتفاع الجو إلى حد مخطر ولارتفاع الضغط الجوي من كيلوغرام واحد
على كل سانتيمتر مربع إلى كيلوغرامين ولا شكلت الحياة على وجه الأرض .
ولو كانت الأرض من حيث الكبر بقدر الشمس لامست قوة الجذب
عليها (١٥٠) مرة أكثر ما عليه الآن حسب قانون (نيوتون) ولنقص ارتفاع
الجو حوالي (٤٠) كيلومترات ولما أمكن تبخّر المياه ولكان الضغط الجوي
على كل سانتيمتر مربع من السطح أى على (١ سم^٢) = ١٥٠ كيلوغراماً .
أى لكان وزن حيوان يزن الآن كيلوغراماً واحداً = ١٥٠ كيلوغراماً ،
ولكان طول الإنسان بطول السنحاب (في الوقت الحاضر) ولاستحالـت
الحياة العقلية لمثل هذه الموجودات .

وهكذا نرى أن الله تعالى قد جعل أرضنا هذه من حيث الكبر والبعد

(١) قوة الجذب : $Q = \pi \times \frac{R^2}{2} m$ ، ولا بد من ملاحظة نصف القطر .

(٢) إن سطح الكرة يتناسب طردياً مع مربع نصف القطر :
 $\text{Surface of the sphere} = 4 \pi r^2$

عن الشمس والقمر وسائر الأنجام ون حيث الكتلة وقوه الجذب بدرجة تتيسر معها الحياة على سطحها ، فان زل أحد هذه الأشياء أو غيرها مما نعلم أنه لا نعلم لاستحالات الحياة عليها .

«إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا . ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده ، انه كان حلينا غفورا»^(١) .

★ ★ *

الپروتين (Protéine) جزء هام من مادة البروتوبلازم (Protoplasme)^(٢) ، وهى المادة التي منها تتكون جمیع الخلايا وكل الأحياء . فالپروتين هو المادة الابتدائية الأولى التي تشكل ، مع الجزء الأصلى ، الخلايا الحية . وهذه مؤلفة من عناصر خمسة : الكاربون والإيدروجين والنیتروجين والأوكسیجين والكبريت . وعلم انه يوجد في الجزيئ^(٣) التفیل منها : ٤٠٠٠ ذرة (Atome) .

فإن ادعى مدع أن في الطبيعة ٩٨ عنصراً قد وزعت أو وجدت دونما نظام وترتيب ، بل وجدت ورتبت بالصدفة ، فللعلوم الرياضية أن تتحقق إمكان حدوث هذه الصدفة ! وأن تحسب مرتبة الاحتمال أو درجة الصدفة التي يمكن أن تحدث لإمكان انتظام عناصر خمسة : (الكاربون والإيدروجين والنیتروجين والأوكسیجين والكبريت)^(٤) لإيجاد ذرات المادة الأولى : البروتين (Protéine) ، وأن تحسب مقدار المادة التي يجب أن تكون موجودة قبلها وفي حالة خلط ومنزج دائم ، وأن تحسب المادة التي يجب أن

(١) سورة قاطر : ٤١ ، إن أمسكهما : أي : ما أمسكهما .

(٢) كان يعرف : البروتوبلازم : أنه المادةزلالية الحية التي تتكون منها خلية الاجسام البدائية والحيوانية فهو مصدر كل حياة .

Molécule (٣)

(٤) على أن للانسان أن يسأل : كيف وجدت هذه العناصر الخمسة ابتداءً وما هو الأساس وهل المادة العميماء أن ترتقب وتنظم وتنظر إلى المستقبل ؟

فقط يحصل هذا التركيب أى لاجتماع هذه العناصر الخمسة . فالعالم السويسرى : (شارل أوژن گوى) تمكן من حساب مرتبة الاحتمال لحدوث ما في البروتين (Protéine) من تركيب . فقال : إن مرتبة الاحتمال لحدوث هذا التركيب للعناصر الخمسة فقط هي :

يحصل تركيب يشبه تركيب المادة الأولى : اليروتين .

وإذا قلنا انه يوجد في الكون مثل هذا التركيب وأعتقد منه تراكيب لا تنتهي ، وذلك لحصول هذا النظام البديع في عوالم الجحاد والنبات والحيوان ، لأنها أصبحت إذن مرتبة الاحتمال $\frac{1}{\infty}$ (أي : واحداً منسوباً إلى الالهيارية) ومآل ذلك : الصفر . إذن فلا صدفة وانما كل احتمال .

三

وقد حسب أيضا العالم السويسري (شارل) أن المقادير الالازمة من المواد المذكورة التي يجب أن تقع بالصدفة بعضها جنب بعض لتشكيل (البروتين)؛ وذلك بعد تبدلات وتحولات كثيرة جداً، هي ملايين مرّة أكثر من جميع ما في هذا الكون المادي من مواد.

كما علم أنه لا بد وأن ينقضى ١٠٤٣ [عشرة مرفوعة إلى قوة ٢٤٣] ، أو
متبوعة بـ ٢٤٢ صفرًا [من السفين لحدوث تركيب البروتين المؤلف من
عناصر خمسة فقط ، فكيف بالمدة الالزامية لحدوث عناصر أخرى ، لا تعد
ولا تُحصى .

إن البروتينات مكونة من مواد متسلسلة تسمى بالحمومض الأمينة (Amino Acides). ويختار الإنسان إذا ما رأى أن يستقصى هذه المواد المتسلسلة وكيف ترتيب و تسلسل ذرات هذه المواد . فان الذرات ، لو كانت

قد اتصلت وانضمت بعضها ببعض بصورة خاطئة لشكّلت مواد سامة مهلكة . وقد حسب البروفسور (ج . ب . ليث) انه : تتشكل سلسلة بروتين بسيط بـ (٤٠) شكلاً مختلفاً . ويقول انه لا يمكن أن ينتمي جزء من البروتين الحالى بالصدفة مع ضآلة هذا الاحتمال .

على أن البروتين (Protéine) مادة كيميائية فاقدة الحياة . وان الحياة أو الحيوية أمر هام خطير جداً تأتىها من الخارج . وان الله تعالى هو الذى نفخ فيها الروح وجعلها حية بعد أن كانت مادة ميتة لا حياة فيها ولا حيوية ، لاسيما مع تلك الدرجات العالية من الحرارة حين تشكل الأرض ، عندما كانت سديماً^(١) ، على ما ثبت في علم طبقات الأرض : « ثم استوى إلى السماء وهي دخان . فقال لها والأرض أتيها طوعاً أو كرها . قالت أتينا طائعين »^(٢) . فما أعظم قول الله بالنسبة إلى ولوج الحياة في الخلية الميتة (Cellule) حين يقول :

« يا أيها الناس ضرب مثلٌ فاستمعوا له ، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب »^(٣) .

* * *

إن العلم بأحوال الكون يجعل الفرد المؤمن يركع لله تعالى خشوعاً ، ويسجد له تواعداً وخنوعاً وتفقيراً عيناه بالدموع حباً وتسبيحاً وحضوراً ، لو كان قد بلغ مرتبة من اليقين لأعمال كان يقوم بها صالحة مع تهجد وتزكية وتحليلة وتطهير وهو القائل : « وفي الأرض آيات لله وقرين وفي أنفسكم أفلأ تبصرون » . حقاً ، لا يستفيد في مجالات تكامل النفس العالمون ببعض

(١) السديم : الضباب ، ويراد به هنا : غاز عالق به مواد صلبة .

(٢) سورة نحل : ١١

(٣) سورة الحج : ٧٣

ما أودع الله من دساتير و خواص و دقائق الصنع في هذا الكون إلا الموقين
منهم . ولا يقين إلا بعد تزكية و تطهير و ترك للموبقات والإجرام ، عند
ذلك يوقن من وفق إلى التزكية بهذه الآية المنيفة حين يقول تعالى : « أَفَغَيْرِ
دِينِ اللَّهِ يَعْبُدُونَ ، وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ
يَرْجِعُونَ » .

وقد أتم الله الحجة على عباده بقوله : « كَمَا أَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ
مِّنْكُمْ يَتَوَلَّهُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيهِمْ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيَعْلَمُهُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا
تَعْلَمُونَ » .

• • •

نقى الصفرة بنو ضبيح آخر :

لو أرادت الصدفة (دون مد بر عاقل) أن ترتيب حروف هاتين الكلمدين :
(انسان يقطنان) المؤلف من ١٠ حروف وكان عدد العلب (أو الخافتات)
الظاهرة في المطبعة لهذا العمل ١٠٠ علبة^(١) ، فدرجة الاحتمال لظهور حرف
(ا) (أولاً) من بين ١٠٠ علبة تكون : $\frac{1}{100}$ (واحداً من مائة) .
ولأجل أن يظهر حرف (ن) من كلمة : انسان ، بعد حرف (ا)
مباشرة تكون درجة الاحتمال لهذا الظهور = $\frac{1}{100}$ (واحداً من
عشرة آلاف) .

ذلك لأننا مع كل سجدة من السجدة الأولى لظهور حرف : ا (أولاً) ،
يمتحمل أن نسحب ١٠٠ مرة كي يظهر حرف (ن) بعد (ا) مباشرة . وبما أنه
يمتحمل أن نسحب ١٠٠ مرة لظهور حرف (ا) أولاً ومع كل سجدة يتحمل
أن نسحب أيضاً ١٠٠ سجدة لظهور حرف (ن) ، إذن درجة احتمال ظهور

(١) باعتبار الحرف الاول والحرف الوسط والحرف الاخير والحرف المفرد .

حرف (ن) بعد (ا) مباشرة تكون واحداً من عشرة آلاف ، اي واحداً

$$\frac{1}{1\cdot} = \frac{1}{1\cdot\cdot\cdot} = 100 \times 100 \text{ من}$$

ولأجل ظهور أو بحث حرف (س) بعد حرف (ن) مباشرة (من لفظ: انسان) تكون درجة الاحتمال واحداً من مليون أي :

$$\frac{1}{1 \cdot 1 \cdot \dots} = \frac{1}{1 \cdot \infty \times 1 \cdot \infty \times 1 \cdot \infty}$$

ودرجة الاحتمال لأجل ظهور أو مجيء حرف (ا) بعد حرف (س)

من لفظ : انسان ، مباشرة ، تكون :

ودرجة الاحتمال لأجل ظهور حرف (ن) بعد (ا) من الكلمة (انسان)

مباشرة ، تكون : $\frac{1}{10}$

و درجة الاحتمال لترتيب حروف : (انسان يقطzan) بالصدفة (دون أن يكون للعقل أو الحافظة دخل في الموضوع) تكون واحداً من مائة مليون مليون

مليون ، = $\frac{1}{100000000000}$ أي تحتاج الى ...

• ८८

وإذا كان عدد حروف صفحة من كتاب رتبت حروفها بالصفة
العربية ٣٠٠ حرف، فستكون درجة الاحتمال :

$$\frac{1}{\cdot \dots \cdot} = \frac{1}{\tau \dots \times \tau}$$

وإذا فرضنا أن كتاباً يحتوي على ٠٠٠ صفحة، فإن الصدقة العميمه هي التي

نظمت ورتبت حروف هذا الكتاب . فتكون درجة احتمال وقوع هذه

$$\text{الصدفة} = \frac{1}{160000000}$$

و بما أن المقام صار يقترب من اللانهاية ∞ ، فإن درجة احتمال ترتب حروف مكتبة تضم مائة الف مجلد أو أكثر تساوى واحداً منصوباً إلى

$$\text{اللانهاية} : أى \frac{1}{\infty} = 0$$

ثم ، ألا ينبغي للسائل بالصدفة أن يسأل نفسه : كيف وجدت هذه الحروف : (الحرف الأول بشكله الخاص) والحرف الوسط بشكله الخاص ... الخ) بهذا النحت الجميل عن تدبير وهندسة خاصة في بادي الأمر حتى يأتي دور الصدفة وترتب اللفظين : (انسان يقطن) بالصدفة العمياء دون ارادة وعلم !

فالتتنظيم ضارب أطنابه ابتداءً واستمراراً وأبداً في هذا الكون ، فلا بد من موجود ومنظم ابتداءً واستمراراً وأبداً وهو الله جلت عظمته ، ووسعت رحمته .

فلنأت بعد ذلك إلى هذا الكون الرحيب وما فيه من ذرات وجزئيات وعناصر ومركبات لا تنتهي في السماوات وفي الأرضين ، سواء في عالم الجناد أو النبات أو الحيوان وفي عالم آخر لا يعلمه إلا الله تعالى ، لزري انعدام الاحتمال بطريق الصدفة لحدوث هذا النظام الرائع في ما لا ينتهي من أجزاء مترتبة بعضها إثر بعض عن حكمه وتدبير . فدرجة الاحتمال في هذه

$$\text{الحالة} = \frac{1}{\infty} = 0 \text{ ، تساوى الصفر لا محالة ودون أى ريب .}$$

فلا بد إذن من مدبر منظم حكيم عارف بقوانين الميكانيك والتفاعلات

الكيميائية والرياضيات العالية والطبيعيات الى ما هنالك ، وهو الله تعالى :
«أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْلَّطِيفُ الْخَبِيرُ» .

على أن للسائل أن يسأل : كيف وجدت هذه الأجزاء ابتداءً ، وكيف تسلسلت متكاملة بعضها عن بعض ثم استمرت وهي متكاملة . ومن الموجد لها أولاً قبل أن تقرب ؟ وما هو أساس الوجود المادي ؟ وما هو أساس الوجود الروحي ؟ وكيف جامت هذه الحيوية وما حقيقتها ؟

الكون الرحيم بهذا الترتيب البديع وهو الله تعالى واجب الوجود .
 «سبحانه^(١) اسْمُ رَبِّكَ الْأَعْلَى ، الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ، وَالَّذِي قَدَرَ
 هُدًى^(٢) ، وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ، بِفَعْلَةِ غَيْثَاءَ^(٣) أَحْوَى^(٤) .

«أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحَكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالْأَنْجَانِ أَحْسَنُ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» (سورة النحل: ١٢٥).

• • •

جاء في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من سلك طريقنا يطلب فيه علينا سلك الله به طريقنا إلى الجنة ». « وإن الملائكة تتضمن أجنبيتها طالب العلم رضاً به وأنه يستغفر لطالب العلم من في السماء ومن في الأرض حتى الحوت في البحر . وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة القدر » . و « إن العلماء ورثة الأنبياء » .

(٢) قدر غهدی : أي قدر كل ما خلقه تقدیراً مناسباً لاحکمة و موئدباً الاشراض التي خلقه من أجلها على احسن حال .

(٣) غناء: ما ياتيه السيل من ورق بال وزبد.

(٤) أُحْوَى : مَا بِهِ حَوَّةٌ ، وَالْحَوَّةُ سَوَادٌ إِلَى خَضْرَةٍ .

ما هو هذا العلم الذي تضع الملائكة أحجنتها لطالبه رضا به ؟ هل هو
 هذا العلم المادى الذى يقطع العالم به علاقته بواضعه ومو جده وخالقه ؟ هل
 هو العلم بأحوال الكون وقوانينه دون عزو ذلك الى مرتبها وواضعها ،
 بل صار يكفر العالم بها بن أوجدها ونظمها غاية التنظيم ؟ هل هو هذا العلم
 الذى يعتبره المنحرفون والمنجرفون معبوداً جديداً وإلهآ قهاراً ، حلاًّ لـ
 للمشكلات ، يدفع المعضلات ويقهر كل شيء ويسير العالم حسب أهواء
 الضالين المضللين ؟ فلا حاكم ولا قاهر خارج حدود هذا العالم إلا العلم ؟
 ولا مسيطر ولا مدبب في الكون كاه دونه ! (أى دون العلم ؟ !) ... أهذا
 هو ذلك العلم الذى يقول عنه على عليه السلام : « أَيُّهَا النَّاسُ إِلَمْ يَعْلَمُوا : أَنَّ
 كَلَّ الْدِينِ طَلَبُ الْعِلْمِ وَالْعَمَلُ بِهِ » . فأى كمال رأينا في نفوس بعض العلماء
 الماديين وبعض الفلاسفة الماركسيين ! فهم أعداء الله في أرضه ولا غنى لهم
 عن رزقه . فلو سلط الله تعالى على من أحدهم جر ثومة ضئيلة لا ترى بالعين
 المجردة لأمسوا بجانين ولعلموا ما هم عليه من فلسفة زافقة ضالة هدامة !
 على أن العلم لا يستطيع أبداً أن يكون بديلاً عن الإيمان بالله في حياة
 الإنسان ، يعلى على الإنسان سن الكمال . ذلك لأن هذا العلم إنما خرج من
 نفوس لم تترك ولم تنتظر . فلا يزال عليه طابعها : ذلك الطابع المادى الحالك .
 ولأن هذا العلم متغير ومتتطور من لحظة إلى أخرى وأن نتائجه التي توكلد اليوم
 من قبل العلماء تتقبض غداً بفعل الاختبارات والتجارب في كثير من ميادين
 العلم . وهكذا سيظل (العلم) له خاصية التغير والتبدل ويخضع لعامل التطور ،
 إلا ما كان مجرد بحثاً كاريئريات البحثة وذلك في حدود معينة محدودة .
 أهذا العلم الذى يقول به المادى دون أن يتجاوز بفكرة حدود الأرض
 والجسد ، هو ذلك العلم الذى يقول عنه رسول الله (ص) : « طلب العلم
 فريضة على كل مسلم ومسلمة » ، « ألا إن الله يحب بغاة العلم » . أترى أن الله
 يحب العلماء المفسدين في الأرض ، وهو القائل : « ألم يجعل الذين آمنوا

و عملوا الصالحات كالمسدسين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار »^(١) .
انظروا إلى هذا الحديث ، لتعلموا ماذا يراد بالعلم في لسان الشرع وماذا
يراد بالفضل ؟

فعن أبي الحسن موسى عليه السلام : قال دخل رسول الله ، صلى الله
عليه وآله ، المسجد . فإذا جماعة قد أطافوا برجل فقال ما هذا ؟ فقيل
علامة .. فقال : « ما العلامة ؟ » فقالوا له « أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها
وأيام الجاهلية والأشعار والعربية » . قال : فقال النبي (ص) : « ذاك علم
لا يضر من جهله ولا ينفع من علمه » . ثم قال النبي (ص) : « إنما العلم ثلاثة :
آية حكمة ، أو فريضة عادلة ، أو سنة قامة وما خلاهن فهو فضل » .

فترون أن المراد في لسان الشرع من (العلم) هو ذلك العلم الذي يوحده به
الله تعالى في أرضه وسمائه فيعبد ويقدس . هو ذلك العلم الذي يأخذ بالنفس
الإنسانية إلى ساحات القدس بعد تزكيتها وتطهيرها من الدنس والرجس بما
يقدم للبشر من تعاليم إلهية ودساتير ربانية ، وكذلك العلوم الطبيعية
والفيزيائية والكيميائية والفلكلورية ، وكل علم ظهر لعظمة الله في أرضه
وسمائه ، إذا كان هذا العلم لا ينفك عن عزو جميع المكتشفات إلى
الله المبدع العظيم .

لذلك يقول (اسحق نيوتن) وهو أعظم علماء القرن الثامن عشر قوله
الفضل الأكبر في تقديم العلوم المادية في القرن العشرين إلى هذه المرتبة ،
أنه يقول : « لا شك في الخالق . فإن هذا التنوع في الكائنات وما فيها من
ترتيب أجزاءها ومقوماتها وتناسبها مع غيرها ومع الأزمنة والأمكنة لا يعقل
أن تصدر إلا من حكيم عليم » ..

وهو القائل أيضاً : « لا أدرى كيف يُنظر إلى العالم . ولكن أتراءى
لنفسك كـ لو كنت غلاماً يلهو على شاطئ البحر وأسلى نفسى بين الحين

وآخر بالغور على حصة أكثر ملاسة ، أو صدفة أجمل من المعتمد .
 بينما محيط الحقيقة العظيم يمتد أمامي دون كشف .

ويقول أيضاً في محل آخر : « ما من شك أن خالق العالم هو محيط بأسرار
علم الميكانيك احاطة تامة كاملة » .

(پاستور) كان يذكر إله الكنيسة . إلا أنه كان مؤمناً بالخالق المعبود ،
إله العالمين ، خالق الجراثيم ... على حد تعبيره .

في القرآن الكريم (٧٥٠) آية كونية تشرح بيايجاز : عصارة ما أودع
الله تعالى من كمال في العالم المادى من سماء وأرض وفي عالم النبات والحيوان ،
وآيات أخرى تذكر شيئاً عن عوالم النقوس والأرواح . كل ذلك ، ليوقن
هذا الإنسان ، لو نال قسطاً من طهارة النفس ، أن هذه القوانين والنظم
التي لم يتوصل الإنسان إلا إلى جزء ضئيل منها ، إنما هي خير دليل على
وجود صانعها ومبدعها العليّ القدير وخير مرشد إلى مدبر ومسير أوجد
جميعها بقدرته ، بقاوتها بإرادته ، زوالها بأمره . فليس (للعلم) ، هذا
العلم الذي يعتز به المادى وهو من صنع الله ، أن يدير العالم ، لو تخلف
هذا العالم عن ارادة الله تعالى ومشيئته طرفة عين . « إن الله يمسك السموات
والأرض أن تزولا . ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده » .

لذلك يقول أبو جعفر (ع) : « السكال كل السكال : التفقه في الدين
والصبر على النائبة وتقدير المعيشة » .

وفي حديث آخر : « اذا أراد الله بعده خيراً فقهه في الدين » .

وفي حديث آخر : « عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين الف عابد » .

وعن أبي عبد الله عليه السلام : « يغدو الناس ثلاثة أصناف : عالم
ومتعلم وغثاء ، فتحن العلماء وشيعتنا المتعلمون وسائر الناس غثاء » (١) .

(١) الغثاء : الزبد والبالي من ورق الشجر .

وقال أبو عبدالله (ع) : « من تعلم العلم وعمل به وعلم الله دُعى في ملَكوت السَّمَاوَاتِ عَظِيمًا . فَقَبِيلٌ : تَعْلَمَ اللَّهَ وَعَمِلَ اللَّهَ وَعَلِمَ اللَّهَ » . وقد جاء في تفسير « إِنَّمَا يَخْشِيُ اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » : من صدق فعله قوله . ومن لم يصدق فعله قوله فليس بعالم .

فالمادي الذي قد تعلم شيئاً من قوانين الطبيعة وخصوصها ، أو وفقه الله تعالى إلى كشفها ولم يتأثر بما أودع الله من دساتير رياضية لا تتحقق في هذا الكون ومن دقيق الصنع ولم يخشع قلبه ولم يخش الله في حركاته وسكناته ، ولم يكن لنفسه نصيب من الخضوع لله « الذي خلقه ، فسوّاه فعدله . في أي صورة ما شاء ركبته » ، ليس ذلك العالم الذي عنده الله في الآية المقدمة . فقد قال أبو عبدالله (ع) : « اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَتَزَيَّنُوا مَعَهُ بِالْحَلْمِ وَالْوَقَارِ وَتَوَاضَعُوا مَنْ تَعْلَمُوهُ الْعِلْمَ ، وَتَوَاضَعُوا مَنْ طَلَبْتُمْ مِنْهُ الْعِلْمَ ، وَلَا تَكُونُوا عُلَمَاءَ جَبَارِينَ فَيُذَهِّبُ بِأَطْلَالِكُمْ بِحَقِّكُمْ » .

ما أعظم هذا الدستور انه أدب التعليم الرفيع . لو عمل به لما بقي على وجه البسيطة من يشك في وجود الله جل جلاله ، أو ينحرف عن الصراط السوي .

وقال عيسى (ع) : « بِالتَّوَاضُعِ تَعْمَرُ الْحَكَمَةُ لَا بِالْتَّكَبْرِ » .. وقد قال الحواريون عيسى (ع) ، على ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يَا رَوْحَ اللَّهِ ، مَنْ نَجَّا سَنِّي ؟ » . قال : « مَنْ يَذْكُرُكُمْ اللَّهُ رَوْفِيْتُهُ وَيَزِيدُ فِي عَلِيِّكُمْ مَنْطَقَهُ وَيَرْغِبُكُمْ فِي الْآخِرَةِ عَمَلَهُ » .

وإن قوله تعالى : « يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ » يدل دلالة صريحة أن الذي أوثق قسطاً من العلم ولم يكن مؤمناً لا ترفع له درجة بل بنص هذه الآية هو من الخاسرين : « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامَ دِينَنَا فَلَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ »^(١) . « إِنَّ الَّذِينَ عَنِ الدِّينِ إِلَّا إِسْلَامٌ »^(٢) .

وإن قوله : « شهد الله انه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قاتما بالقسط ، يدل دلالة واضحة على أن أولى العلم في هذه الشهادة العظيمة إنما هم من العلماء الذين بلغ بهم علمهم وتقواهم معاً إلى توحيد الله والاعتراف بعدهاته . وما أعظم هذا الحديث القدس وما أجمل معناه : « يا موسى عظم الحكمة فإني لا أجعل الحكمة في قلب إلا وأردت أن أغفر له ، فتعلّمها ثم اعمل بها ثم ابذرها ، كي تناول كرامتي في الدنيا والآخرة » .

فلا يستفيد العالم بأحوال الكون ودستيره من عليه ما لم يكن قد جعل التقوى لنفسه شعاراً والأخلاق الفاضلة دثاراً . لذلك جاء في الحديث عن الرسول (ص) : « قطع ظهرى رجلان : عالم متبتك . يصد الناس عن علمه بفسقه ، وجاهل متنسك يدعو الناس إلى جهله بنسكه » . وقال على عليه السلام : « قصم ظهرى رجلان : عالم متبتك وجاهل متنسك » . وقد جاء في حديث آخر : « كونوا دعاة للناس بغير أسلحتكم . ليروا منكم الاجتماد والصدق والورع » .

ومن جملة صفات العلماء على ما ورد في أصول الكافي : « لا حقد ولا حسود ولا وثاب ولا سباب ولا عياب ولا مغتاب ، يكره الرفعية ويشنأ السمعة ، سهل الخلقة ، لين العريكة ، هشاش بشاش ، لا بعباس ولا بحساس ، كظام ، بسام » .

فطوبى لأولئك العلماء الذين يدعون إلى الله بعمل صالح ويرفعون لواء الإسلام عالياً بجهادهم المتواصل : « ومن أحسن قوله لا من دعا إلى الله وعمل صالحاً و قال إبني من المسلمين »^(١) .

إن الله تبارك وتعالى أكد في آيات جمه أن تتبع الكون وما أودع فيه

من نظم وقوانين تربط أجزاء الكون بعضها ببعض ، كن زداد معرفة به تعالى . فتشتت له وذلك بتقديسه وتسويقه والعمل بما أمر به ، فزداد بصيرة وذلك غاية الغايات . فقد جاء في الحديث : « أعلمكم بالله أخوكم له » شريطة أن لا يتجرد هذا العلم (أى العلم بأحوال الكون) عن طاعة الله تعالى ، وأن لا يكون آلة هدم وتخريب . فقد قال عليه (ع) : « كثرة العلم في غير طاعة الله مادة الذنب » .

إنه تعالى يقول : « قل انظروا ماذا في السماوات والأرض ، وما تعنى الآيات والذر عن قوم لا يؤمنون »^(١) . فإنه تعالى يصرح : أن التعرف على ما أودع الله من قوانين ومعادلات في الكون المادي^(٢) وما أودع فيها من قوى وطاقات ، وما يربط هذه الطاقات أو المواد بعضها ببعض من قوانين خواص لا تفيد الذين تخلو عن طاعة الله ولا تؤثر في تكملة نقوسهم : هؤلاء الذين لازمو الشهوات والنزوات وحضر والمراقص والملاهي و مجالس الفسق والفحور وأفسدوا في الأرض بأنواع البغي وضروب الظلم . وهذا ما نشاهده اليوم . ويشهد لنا التاريخ في الأمم الغابرة . « سنة الله في الذين خلوا من قبل »^(٣) .

نرى اليوم من ينكر وجود الخالق جل جلاله أو يستهزئ^{*} برسالة الأنبياء (ع) وقد درس شيئاً من قوانين الفيزياء أو الكيمياء ، أو درس شيئاً من علم الحيوان والنبات إلى ما هنالك ، مع اعترافه ببعض ما أودع الله من خواص ودساتير في هذا الكون . وإن البعض من هؤلاء ، مع جهلهم المثير بالعلوم الحقيقة كالرياضيات العالية والفيزياء الرياضية العالية وحقائق

(١) سورة يونس : ١٠١

(٢) يوجد في الكون مثل ثمنتنا مائة ألف مليون شمس . وإن كل من هذه الشموس الضئيلة لابد وأن تجمع حولها كواكب أخرى ذات أقارب تفريغ ساعية وقطم أخرى .

(٣) سورة الأحزاب : ٣٨ ، (خلوا : مضاوا)

الكيمياء وما ثبت هناك من دساتير ، يبنون فلسفة مادية ، فلسفة تجعل المادة الصماء كل شيء في هذا الكون . وتعتبر الاقتصاد محوراً أساسياً لكل الفضائل والمحركات والمعتقدات والمثل العليا ، حين أن الفلسفة لا تبني على جهل . ففلسفة تبني على جهل بحقائق الكون ، فلسفة فاشلة ، واهية مضلة ، إنها فلسفة الشهوات ، والتفكير من قيود يتحقق بها شرف الإنسان وكماله . إنها فلسفة اباحية همجية ترجع بهذا الإنسان المسكين إلى جاهلية جهلاء ، إنها فلسفة هدم وتخريب ! « فإن لم يستجيبوا لك ، فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضلُّ من اتبع هواه بغير هدى من الله ، إن الله لا يهدى القوم الظالمين »^(١) .

يقول (پوانكارة) وهو من أعلام الرياضيين : « نحن الرياضيين إنما نعمل للفيزياء والفلسفة ». ومعنى ذلك أن الفلسفة يجب أن تبني على آخر ما توصل إليه العلم الحديث ، لا على مفتريات وأكاذيب لا تدعمها المكتشفات الحديثة . وما ثبت من أحوال الأمم الماضية .

فالتجربة ليست كل شيء في نمو الإنسان الرياضي ، خلافاً لما يقوله الماديون . ففي الإنسان مملكة التعليل والتسلیب ، وملكة التعليم والتجريده ، دون أن يكون للتجربة دخل فيها . لذلك يقول (البرت آينشتاين) : « كيف يمكن للرياضيات أن تكون أدلة مناسبة بشكل يستحق الإعجاب . الواقع الأشياء مع أنها ثمار التفكير الإنساني مستقلة عن التجربة » .

وقول (فيتاغورث) : « العدد يحكم العالم » دليل على وجود عالم مبدع ربط أجزاء هذا العالم بحكمة فائقة تحت حساب دقيق يمكن أن يعبر عنها بمعادلات وأعداد وقوانين :

« وترى الجبال تحسّبها جامدة وهي تمرُّ مرء السحاب . صنع الله الذي

أَتَقْنَ كُلَّ شَيْءٍ، إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ^(١) « قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا^(٢) ».

• • •

إن الله تعالى يقول : « فَلَيَنْظُرِ الْإِنْسَانَ مِمَّ خَلَقَ »^(٣) . وهو يختبر على تعلم علم الأحياء (Biologie) وعلم الحيوان (Zoologie) وعلم وظائف الأعضاء (Physiologie) . ففي جسم الإنسان أكثر من ٢٠٠ عظم ولكل واحد منها شكل خاص ، ولو لا هذا الشكل الخاص لما تمكن الإنسان من الحركة . وفي جسم الإنسان ٥٠٠ عضلة : كل منها ، تتغذى بمئات الأوردة والعروق ، تديرها أعصاب كثيرة . والقلب ، وهو بين هذه العضلات ، ينبض في السنة (٣٠) مليون مرة .

وأما طبقات العين ، فهي الطبقة القرنية والعدسية ، ثم طبقة مائة زجاجية تنتهي في الشبكية . وان الطبقة الشبكية لا تزيد عن مخن الورقة ، وهي تتألف من تسعة طبقات ، وبعدها تتألف من (٣) ملايين اسطوانة و (٣) ملايين مخروط .

وقد حسب أحد علماء الفسلجة أنه توجد في المادة السنجابية التي هي في تلافيف الدماغ : ستة ملايين خلية وأن كل خلية تتألف من ألف دقائق الظاهرة وأن كل دقيقة تتألف من ملايين الجواهر . إله تعالى يقول : « قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ، فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقُ »^(٤) ثم يذكرنا الله بالآخرة لنسعد لها لأنها هي الحياة الحقيقية التي تستحق أن يطلق عليها :

(١) سورة الحج : ٩٠

(٢) سورة الطارق : ٥

(٣) سورة الطلاق : ٣

(٤) سورة العنكبوت : ٢٠

كلة الحياة ، وذلك بقوله في بقية الآية : « شَمَّ اللَّهُ يَنْشِئُ النَّشَأَةَ الْآخِرَةَ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »^(١) .

لقد سبق القرآن العلم الحديث في التكلم عن بداية الخلق وهي (الخلية الحية) . فهي جوهر الحياة . وذلك لأن كل مشكلة تتعلق بالحياة . تبحث في النهاية في الخلية وان كل كائن حي ما هو إلا خلية .

يقول الدكتور (كلارسن كوك لتييل) : « إننا قد نفهم النشاط العظيم المتتنوع في مدينة كبيرة ، ولكننا قد لا نصدق أنه من الممكن أن تقوم أجسامنا بعملية أكثر تعقيداً وأشد غرابة في هدوء ودأب لا يعرف الكلل ، عملية فيها صناعة تخزين واصلاح ومواصلات ونقل وأعمال بوليسية وتخلص من نفايات وإدارة انتاج للغذاء وضبط للحرارة . وان هذا هو ما يحدث حقاً في الخلية الواحدة » . فما أعظم ما أودع الله بحكمة فائقة من أعمال شتى متنوعة في غاية الدقة . أعمال ميكانيكية مختلفة ، في هذه الخلية التي تبلغ من الصغر ما لا يمكن للعين المجردة مشاهدتها .

يقول (راتكليف) : « في اللحظة التي يتم فيها الإخضاب ، تقرر الخلية الصغيرة بدقة تامة نوع المخلوق البشري الذي يجري انتاجه ، حتى لون عينيه وتموجات شعره ، وان العلم ما زال قاصراً عن ادراك الأسباب والدافع التي تدفع بالبوصلة الى أن تتخلص من نصف مادتها بعد أن تبلغ درجة النضج وتصل الى الرحم . وأن يتخلص الحيوان المنوى كذلك من نصف ما به ، حتى اذا اتحد النصفان كونا خلية واحدة صغيرة بالغة من الصغر جداً كبيراً . إذ يبلغ وزنها ١٥ جزءاً من عشرة ملايين جزء من الغرام . وتصل يوم الميلاد الى حوالي ثلاثة كيلوغرامات وذلك بانقسام هذه الخلية الواحدة الى عدد من الخلايا تبلغ حوالي (٢٠٠) مليون خلية » . فالخلية على الرغم من صغرها كيان عضوي معقد أشد التعقيد . في الخلية

خصائص ظاهرة وخصائص خفية كثيرة وكثيرة جداً ، لم يظفر بها العلم الحديث ، تعمل في التغييرات الطبيعية الكيميائية في الوسط الإنساني لتواجه الحالات الجديدة الطارئة في حالات الصحة والمرض تبعاً لما تستلزمها حالة الجسم.

ويقول الدكتور (روسكوبنسن) : « ليس في الطبيعة شيء أعجب من الحكمة التي تقسم بها الخليقة نفسها إلى جماعات شتى ، لكل جماعة وظيفة تؤديها ، وكل جماعة منها تختلف لهذا الغرض عن الأخرى قواماً وتركيباً ، ولكنها كالماء أصلها واحد وإن الله تعالى قد زود الخلايا بقوى عجيبة وبخصائص مدهشة كل ذلك لتشييد الكيان العضوي الحي » . « أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءاً فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ، ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ، إلهكم مع الله ، بل هم قوم يعدلون »^(١) . (أي ميلون عنه) .

★ ★ *

وقد أمر الله تعالى بدراسة النباتات كي يعتبر الإنسان بهذه الحيوية التي أوجدها الله في خلايا النبات وهذا النمو الذي نشاهده فيه ، إنه (أي النمو) لأمر عجيب ، إنه نمو بأمر الله ومشيئته ، إذ العطالة أو القصور الذاتي : (Inertie) شيء لا ينفك عن أي جسم أو أية مادة في هذا العالم المادي على ما ثبت في علم الفيزياء . فلا بد من يد عجيبة تعمل بحكمة في ترتيب هذا النمو تحت آلاف بل ملايين من عوامل وخصوصيات وتأثيرات متربطة بعضها بإثر بعض بحكمة فائقة وبشكل بدائع وجمالي رائع ، إنه تعالى يوضح لنا ذلك بقوله جل من قائل : « فلينظر الإنسان إلى طعامه ، أنا صبينا الماء صبأ . ثم شققنا الأرض شقاً . فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً^(٢) وزيتوناً ونخلا

(١) سورة الحل : ٦٧

(٢) قضباً : كل شجرة طال واسرتلت أغصانها .

وَحَدَّاقِ غَلْبَاً^(١) وَفَاكِهَةَ أَبَا^(٢) ، مَتَاعاً لَكُمْ وَلَا نَعِمْكُ^(٣) .
إِنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ فِي سُورَةِ أُخْرَى : « فَأَيْنَ تَذَهَّبُونَ »^(٤) . إِلَى أين
يَذَهِبُ هَذَا الْإِنْسَانُ وَهُوَ تَحْتَ هِيمَنَتِهِ تَعَالَى وَبَيْنَ يَدِيْ جَبَرُوتِهِ سَبَحَانَهُ :
فَهُنَّ الْغُفَلَةُ أَنَّ لَا يُطِيعُ الْإِنْسَانُ رَبَّهُ وَلَا يُؤْمِنُ بِرِسَالَةِ رَسُولِهِ^(ع) ، حَسْبُ
الْتَّسْلِيسِ ، وَأَنَّ يَقِنُ جَاهِدًا لِرِسَالَةِ خَاتَمِهِ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ وَإِمامَةُ الْأَوْصِيَاءِ مِنْ بَعْدِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . حَقًا إِنَّ الْآيَةَ الْمُتَقْدِمَةَ « فَأَيْنَ
تَذَهَّبُونَ » : « لَذِكْرِي لَمْ كَانْ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ »^(٥) .
فَإِلَى أين يَفْرُ وَإِلَى أين يَتَوَجَّهُ هـذَا الْخَلُوقُ الْمُضَعِّفُ بَيْنَ يَدِيْ رَبِّهِ ،
الْمَغْرُورُ بِمَا مِنْ عَلَيْهِ خَالِقُهُ مِنْ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ ، فَلَا مُلْجَأٌ إِلَّا إِلَيْهِ . عَلَى حَدِّ
قَوْلِهِ تَعَالَى : « فَفَرَوْا إِلَى اللَّهِ أَنِّي لَكُمْ مِنْ نَذِيرٍ مُبِينٍ »^(٦) ، فَطَوَبَ لِمَنْ أَفْلَعَ
عَنْ طِيشَهُ وَغَرْوَرَهُ وَفَكَرَ فِي عَقْبَاهُ وَمَصِيرَهُ ، فَشَهَرَ عَنْ سَاعِدِ الْجَدِ لِإِصْلَاحِ
نَفْسِهِ وَالْمَشْوِلِ بَيْنَ يَدِيْ رَبِّهِ وَاسْتَعْدَدَ لِيَوْمٍ « لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ
يُوْمَنُ لِلَّهِ »^(٧) . « لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ، يَوْمٍ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ »^(٨) .

* * *

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ حَثَ عَلَى تَعْلِمِ عِلْمِ الْفَلَكِ بِقَوْلِهِ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ : « فَلَا أَقْسَمُ
بِمَوْاقِعِ النَّجُومِ وَإِنَّهُ أَقْسَمُ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمًا »^(٩) . فَمَا أَعْظَمُهَا مِنْ آيَةٍ . إِنَّهُ تَعَالَى
يَعْظِمُ مَوْاقِعَ النَّجُومِ وَالْأَبْعَادَ الْمُقْدَرَةَ بَيْنَهَا بِحِكْمَتِهِ ، فَانْهَا مِنَ الدِّقَّةِ بِمَكَانٍ ،

(١) حَدَّاقِ غَلْبَاً : بِسَاتِينِ ذَاتِ أَشْجَارِ غَلَيْظَةِ .

(٢) أَبَا : تَبَّا ، أَوْ الشَّبَّ رَطْبَهُ وَيَابِسَهُ ، سَرْعَى .

(٣) سُورَةُ عَبْسٍ : ٢٤ — ٣٢ .

(٤) سُورَةُ التَّكَوْرِ : ٢٦ .

(٥) سُورَةُ قٍ : ٣٧ .

(٦) سُورَةُ الْأَذْرَافِ : ٥١ .

(٧) سُورَةُ الْأَنْفَطَارِ : ١٩ .

(٨) سُورَةُ الْمَطْفَفِينِ : ٦٦٥ .

(٩) سُورَةُ الْوَاثِقَةِ : ٧٥ — ٧٦٦ .

حيث لو تغير بعضها عن مواضعها شيئاً يسيراً بالنسبة إلى الفضاء الالهائي ، لاختل نظام السماء لما هنالك من تجاذب من جميع الجهات حسب الدستور الآتي :

$$ق = i \times \frac{k}{m}$$

أى تجاذب الكتلتان في القضاء بنسبة حاصل ضرب الكتلتين : (k ، k) مقسوماً على مربع المسافة بينهما (m) بعد ضرب الناتج في نسبة ثابتة معلومة

$$= \frac{1}{15 \dots \dots \dots} \text{ من ثقل الغرام}^{(1)}.$$

اكتشف (ليفرييه Leverier) استناداً إلى القانون المذكور وقوانين الحركة الكوكب المسمى بـ (نيتون Neptune) وعین مو صعه قبل أن يراه ، فخر الراصدون تسلكوا بهم إلى هذا الموضع المزعوم . فرأوه رأى العين بعد أن كان (ليفرييه) رأى الفلكي ورأى العلم والحساب ، ثم رأى الفلكيون أيضاً أن هناك أيضاً اختلافاً يسيراً في مدار الكوكب (اورانوس) . زعموا من أجله أن كوكباً أبعد من (نيتون) ما زال مختبئاً في السماء فاكتشفوه وأسموه (پلوتو) سنة ١٩٣٠ ميلادية . وهذا يقيناً العلم والدعاية عن أشياء لا ترى بالعين ، فتكشف لتبرهن مرة أخرى على ما أودع الله من نظام رياضي متقن في سير الكواكب والأجرام : مداراتها وحركاتها .

* * *

حقاً ان في مثل جزيرة العرب التي لا تربط حواضرها بعضها بعض

$$(1) i = 1567 \times 10^{-1} \text{ من ثقل الغرام} = \frac{1}{1500000} \text{ من الدين .}$$

إلا أراضٍ واسعة جرداء غير ذات زرع ، ما كان يمكن أن ينمو العلم وإن تكون فيها حياة علمية . فللاسلام فضل كبير في إيجاد وسائل الحضارة في البلاد العربية ، ومن ثم وجود علماء في شتى العلوم والفنون ومكتشفات جمة كانت أساساً للمكتشفات الحديثة .

لم يكن للعرب في الجاهلية أثر للعلوم ولم يكن هناك أى مظاهر من مظاهر الحياة العقلية . ومنذ بزوغ فجر الاسلام لم يكن في قريش إلا (١٧) رجال يكتبون ويقرأن . ولذلك كان يلقب من يجيد الكتابة والرعي بـ (الكامل !) .

فالقرآن هو أول كتاب دعا الأعراب إلى التفكير في أحوال السموات والأرض والجhad والحيوان والنبات بقوله تعالى : « أفلأي نظرون إلى الإبل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت ». .

إن العلم الحديث كان يجهل حقيقة قوله تعالى : « والشمس تجري لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم »^(١) ، أى قبل ٥٠ سنة تقريباً . حتى تقدم الميكانيك الرياضي وأسسست مرصاد كبيرة واحتبرت مراقبة جسمية ، فعلم أن ما كان يعتقده الفلاسفة كيون من ثبوت الشمس في محلها خطأ فاحش ، وأن للقرآن القول الفصل في شرح حقائق السماء والميكانيك السماوي كعصارة للعلوم . كما ثبت أخيراً أن لكل كوكب أو نجمة فلكاً خاصاً لا يتعداه ، وإن الجاذبية التي أودعها الله بين الكواكب لا تدع مجالاً لبسيل ، بعضها عن مكانها وما رسم لها من أفلاك ومدارات وحركات قيد شعرة . « لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في ذلك يسبحون »^(٢) .

* * *

(١) سورة يس : ٣٩

(٢) سورة يس : ٤١

دعا رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، المسلمين الى تعلم **الكتابة** والقراءة وأمرهم بكتابه القرآن وتعلمه ونشره . حتى أنه جعل ، في غزوة بدر ، فداء بعض الأسرى : أن يعلموا صبيان المدينة القراءة والكتابة ، على أن يعلم كل واحد من الأسرى عشرة من المسلمين .

كما انه أمر رسول الله (ص) بعض المسلمين بتعلم لغات أخرى . فقد أمر زيد بن ثابت أن يتعلم السريانية . وهكذا أمر بعضهم بتعلم لغات أجنبية ، وذلك لبث الدعوة في الأقطار النائية وارسال كتب الى بعض الملوك .

ويابنها لو أست جامعه دينيه كبيرى ، تدرس فيها شق العلوم الدينية مع شيء من العلوم الحديثة ، لاسيما الرياضيات والطبيعيات والفلسفة الحديثة على ضوء الفلسفة الاسلامية الحقة ورد نواحي الضعف فيها (وما اكثروا !) بالحجج الدامغة المنطقية على ضوء العلم الحديث . وتدرس فيها لغات شتى . يتعلم كل عشرين طالباً مثلاً حسب رغباتهم لغة أجنبية خاصة بصورة متقدمة ، حتى يتمكنوا من الكتابة والخطابة فيها . ثم يوفدون ويوزعون على بعض مدن العالم لبث الدعوة الاسلامية الحقة وذلك بعدأخذهم شهادة عاليه ، شهادة التخرج من هذه الجامعة الدينية الكبيرة . فينيروا الأرض بجهودهم المشكوره عند الله تعالى كما فعل آباءهم من قبل .

وقد حث الرسول (ص) على التعلم والتزود من العلوم الموجودة في كل وقت حتى قال : « اطلبوا العلم ولو في الصين » . فهو أول من دعا ، بقوله هذا ، إلى الهجرة إلى البلاد النائية طلباً للعلم وأول من أسس مشروع البعثات . ولكن هذا النوع من البعثة لا يشبه ما نحن فيه من البعثات في الحال الحاضرة الحال . لأن المسلم عندما كان يهاجر من بلده إلى الخارج لتحصيل بعض العلوم ، إنما كان يهاجر وهو مملوء إيماناً بالله وتهوى وورعاً وخوفاً من الله تعالى . لا يدفعه ولا يزيغه عن طريقته الحاد المحددين وتشكيك الضالين

ودسائس المستعمرين باسم الثقافة والتقدم ! بل كان مجرزاً بعقيدة راسخة عن براهين قطعية وتعاليم إسلامية رائعة . حافظاً للقرآن ، عاملها به ، مؤتمراً بما أمر الله من صلاة وصوم وزكاة وواجبات أخرى . متناهياً عنها نهى الله عنه من رقص وسكر وبغور !

ولكن شبابنا اليوم بعيد عن روح الإسلام وحقيقة وتعاليمه ، فالبعض منهم يمقت الإسلام ويظنه ضرراً من الرجعية والخرافية نتيجة سفوم بشنا المستحمر ونأعداء الإسلام .

وقد يصل بعض هؤلاء الشبان خوفاً من أوليائهم أو إرضاءاً لآباءهم وأمهاتهم إن كانوا مصلين يحبون أولادهم على أداء الصلاة . إنهم يصلون ما داموا مراهقين ، ولكنهم يتزورونها عند رفع هذه المراقبة . يفرح الآباء عندما يرى أن ولده يطيعه فيصلون ، لأنه يعلم علم اليقين أن مآل ولده النار إن ترك صلاته . وقد فاته أن السموم المبثوثة هاهنا وهاهنا قد أثرت فيه . وعلى رأسها ما يتقوم به ولده من أعمال غير مشروعة . فصار لا يأنس بمناجاة ربه والمثول بين يديه خاشعاً تائباً من ذنبه .

وقد حث رسول الله (ص) المسلمين على الحضور في مجالس علماء الدين بصورة خاصة ليتعلموا معالم دينهم ويتأذبوا بآدابهم . وكانت المساجد مacula للعبادة والدراسة معاً حتى القرن الرابع الهجري . فأسست دور خاصة بالتدريس في فاس . يقول (دلغان) : إن جامعة (القرطبة) هي أول جامعة في الدنيا ، وقد تخرج في هذه الجامعة عشرات من الطلاب الأجانب من غير المسلمين ومنهم الراحل (جربرت) الذي أدخل الأعداد العربية إلى أوروبا . وقد ترجم كل ما دونه المسلمون من علوم .

وقد تعلم (سبتاي بن ابراهام) اليهودي الذي قد أسر من قبل المسلمين في النصف الأول من القرن العاشر اللغة العربية في بغداد وبقى فيها يدرس الطب ، ثم عاد إلى أوروبا وقاد هناك حركة علمية مرموقه .

وهكذا (قسطنطين) الذي كان يعيش في (قرطاجنة) أتقن اللغة العربية وذهب إلى إيطاليا حيث ترجم كثيراً من كتب المسلمين في علوم شتى .

وان المسلمين هم الذين أنشأوا أول كاتمة طبية في (سايلين) في إيطاليا ، وأسسوا أول مرصد فلكي في (أشبيلية) . وهكذا كان للمسلمين اليد الطولى في الهندسة المعمارية والنحو والزخرفة . وإن (كنيسة نوتردام دو بارى) إنما بنيت من قبل مهندسين مسلمين .

وكذلك المسلمون هم الذين اخترعوا طريقة الكتابة بالحروف البارزة لتعليم العميان القراءة .

لذلك يقول : (أرنست رنان) : « إن الآثار والأسفار المحتوية على شتى العلوم والفنون التي أضفهاها علماء الإسلام على الكون ونقلتها الحالات الصليبية إلى جميع بلاد الغرب وما سبق ذلك من احتكاك بين العرب وأوروبا عن طريق الأندلس ، أدى كل ذلك إلى افعم المكتبات الأوروبية الخاوية الفقيرة بكلموز لا تفني من العلم الذي أنتجه قرائح العرب . وكان من نتائجها انتشار الثقافة والتزروع العلمي في البيئة الأوروبية بأسرها ، كارفع مستوى شعوبها إلى أفق التمدن الذي نشاهدده عليها اليوم » .

ويقول (هـ. جـ. ويلز) : « قد سبق العالم الإسلامي الغرب بقرن أو ما يقاربـه . فقد أسسـتـ في البصرة والكوفة وبغداد والقاهرة وقرطبة سلسلة من الجامعات العظيمة ، فأضاءـ نورـهـاتهـ الجامعاتـ خارـجـ العالمـ الإسلاميـ إلىـ مـسـافـاتـ بـعيـدةـ وـاجـتـذـبـ إـلـيـهاـ الطـلـابـ منـ الشـرقـ وـالـغـربـ » .

ويقول (نهرو) رئيس وزراء الهند الحالى وهو هندوكي العقيدة : « كان محمد واثقاً بنفسه ورسالته . وقد هيأ بهذه الثقة وهذا الإيمان لأمته أسباب القوة والعزّة والمنعة . . . إلى أن يقول : إن قصة انتشار العرب في آسيا وأوروبا وأفريقيا والحضارة الراقية والمدنية الظاهرة التي قدموها للعالم هي

أعجوبة من أعجبات التاريخ . لقد امتازوا بالروح العلمية الاستطلاعية
ما يجعلهم يدعون بجدارة آباء العلم الحديث .
فهل يحق لأحد بعد قراءة هذه الفقرات أن يقول : إن الدين أسطoir
وتقالييد تقف في سبيل الحياة !

فالإسلام يناصر العقل والعلم ويرحب بالأفكار والنظريات العلمية
الصحيحة والمكتشفات العلمية التي تخدم البشرية في مجالات تكميل النفوس
البشرية ويحارب الجهل والخرافة وكل ما يخالف العقل .

فالمسلمون بتسلّكهم بدینهم أصبحوا مكتشفين ومنقذين قسماً من العالم
من الجهل والخرافة بعكس أوروبا التي لم تظهر الحضارة الحاضرة فيها إلا بعد
أن تغلب العلم الحديث على الكنيسة ورجال الدين فيها !

* * *

يقول المستشرق الإيطالي : (ليبرتيي) في كتابه : (الإسلام في
أمجاده)^(١) : « إنني أكاد أعتبر أقطاب الأندلس وجزيرة العرب - عندما
أضاء سناء الحضارة العربية بفضل جهادهم والعلم المنتشر في ربوعهم - أكبر
أعداء العالم . لأنهم لم يكتشفوا بإففاء بعضهم بعضاً ، بل تعدوا ذلك إلى وأد
المع حضارة أو جدها إنسان على وجه الأرض . وكانت لم تزل تتعرّع في
أحضان النهضة الإسلامية الخارقة . فلو أتاح لها أربابها والعاملون على
إشعال قبسها الوضاء الباهر أن تمشي في سبيلها إلى التكامل لما يبقى على وجه
الأرض إلا كل عرب أو مستعرب . ولما كان غير الإسلام دوناً للمجموعة
البشرية . فاكتفى الناس شر الفتن والخروب والانقسام إلى دول ونحل
وملل لا يحصيه قلم أو تجمعها جامعة منها سنت بجزروتها ومتين انسجامها » .

★ ★ ★

(١) المسلمين والمسلم الحديث : للأستاذ عبد الرزاق نوبل .

يقول (نيتزه Nitza) : « إن القسيسين عوضاً من أن يفتحوا أبواب أوروبا لل المسلمين والبشر في الدين الإسلامي وأن يخضعوا وينحنوا لهم تعظيمياً وأجلالاً شهروا سيفهم في وجوههم ، فأمسى الدين في عرفهم عبارة عن مجموعة خرافات فحسب » .

وقد بدأت ترجمة معظم كتب المسلمين في الفلسفة والطب والفالك والرياضيات إلى اللغة اللاتينية منذ النصف الأول من القرن الثاني عشر ، وفي مقدمة هولاء (رaimond) رئيس أساقفة (توليدو) وحاكم مدينة (كاستيل) : (١١٣٠ - ١١٥٠ م) الذي شكل هيئة من المترجمين تولى رئاستها وأسماؤها : (Dominican Gondeslavi) .

وأما المسيحيون فقد جهوا طوال العصور الوسطى محمدآ (ص)نبي الرحمة ، وظلوا قروناً يعتقدون أن محمدآ هو (الله) المسلمين . فكانوا يقولون بوجود وثن ذهي يسمى محمدآ (Mohom) وانه يمثل رسول الله . وإن كتاب العصور الوسطى قد نعتوا محمدآ (ص) بنعوت كاذبة عجيبة ، فقالوا : « ليس محمد نبياً كاذباً وشاياً ماجنا فحسب بل رجل مخادع مخرب ، قادر نفوساً ضعيفة بعيداً عن جادة الصواب ، بعد أن مناهم بكثير من المتع ، معظمها متعمق شهوانية » !

وإن معظم هذه الاتهامات ترجع إلى اليزنطيين الذين هو جموداً من قبل المسلمين ، فعمدوا إلى تشويه سمعة الإسلام باتهامات ما انزل الله بها من سلطان .

وما يشير الدليل أن قساً إسبانياً يُدعى (Eulogius of Cordova) رغم وجوده مدة طويلة بين المسلمين وتعريفه على كثير من حقائق الإسلام ، يذكر فيما كتب : « إن محمدآ قد أخبر أن الملائكة ترفعه إلى السماء بعد وفاته أيام ثلاثة ورغم ذلك فقد التهمت الكلاب جثمانه العفن ! » (١) .

(١) المضاراة الإسلامية : تأليف : خدابخش ، المؤرخ الهندي ، وترجمة الدكتور علي سفي أخربوطلي مدرس التاريخ الإسلامي بجامعة عين شمس .

إن هذه الاتهامات قد شوهدت سمعة الإسلام في الغرب ، فأحدثت انطباعات سيئة أبعدت الغربيين عن الميل إلى الإسلام واستقصاء ما فيه إلا من ساقه حب البحث والاطلاع كـ(كاريل) وـ(تولستوي) وـ(كوستاولوبون) وـ(برفاردشون) وغيرهم . فكتبا شهادات حقيقية عن الإسلام وبعض حقائقه .

فالواعظ (نيكلوس) الذي عاش في أواخر القرن الثالث عشر ومطلع القرن الرابع عشر طلب من إخوانه المسيحيين أن يتذروا من الإسلام وصفات المسلمين مثلاً عليهم وكان معجباً بدراسة القرآن في مدارس بغداد وأثنى كثيراً على نظام الزكاة والوقف لاغراض الخير ، وشفقة المسلمين على الطيور والحيوانات وفكرة التوحيد الناصح في الإسلام وكتابه المسلمين (بسم الله الرحمن الرحيم) في أعلى الرسائل وخلصهم الأحذية قبل دخول المساجد وكرمههم وحسن ضيافتهم .

ولا ننسى كتاب (الإسلام على حقيقته) تأليف (شارل فوستر) سنة ١٨٢٩ وما كتبه (كوسان) وـ(ويل) وـ(فون كير) وـ(وليام ميور) وغيرهم مما أزاح كثيراً من الاتهامات .

ولنذكر دليلاً على عدالة المسلمين هاتين الشهادتين :

نقل (توماس أرنولد) طرفاً مما روت له كتب الفتح في كتابه الدعوة إلى الإسلام :

(١) أنه لما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن وعسكر أبو عبيدة في (خل) كتب الأهل المسيحيون في هذه البلاد إلى العرب يقولون : « يا معاشر المسلمين ، أنتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا ، أنتم أوفي لنا ، وأرأف بنا ، وأكف عن ظلمنا ، وأحسن ولاية علينا ، ولكنكم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا » .

ومن ذلك أيضاً :

(٢) ان أهل حصن أغلقوا أبواب مدinetهم دون جيش هرقل ، وأبلغوا المسلمين : أن ولايتم وعدهم أحب اليهم من ظلم الإغريق وتعسفهم وإن كانوا على دينهم .

ولولا الكتب التي نشرت في أوروبا في القرن الحادى عشر للبيлад ، وهى مليئة بالاتهامات والشتائم واقتراحات غريبة وما قام به القواليون فى الطرق والشوارع ، ل كانت نظرة أوروبا الى الإسلام غير ما نراه اليوم . فواجب الشباب المسلم اليوم واجب خطير جداً . عليه أن يقوم بإزاحة ما ترسب من أكاذيب ومفتوحات عن الإسلام في الغرب وعرض الإسلام كما هو بيان واضح وبلغات مختلفة وبذل النفس والنفيس في هذا المضمار . فلا شيء يقرب العبد الى الله كهداية عباد الله وانقادهم من الضلال . وما يبشر بمستقبل زاهر أن قد تأسس في (جنيف Génève) مركز إسلامي : (Islamic Centre 333) لنشر حقائق الإسلام في الغرب وكذلك تأسست جمعيات إسلامية في (اليابان) : (زاپن) تدعى الناس إلى الإسلام .

• • •

وما هو دليل على تقدم المسلمين في الهندسة الى حد بعيد هو : أن أعظم جسر أقيم على نهر (التييمس) كان من صنع مهندسي العرب . وأن قباب معظم الكنائس الشهيرة في (بافاريا) كانت من صنع العرب . وأن الاسطول البحري الهولندي الذي تهر الأساطيل الانكليزية في معركة (ليز بونة) عام ١٥١٢ م كان من صنع العرب . وأن الورق العبادي الذي كانت تستخدمه البلاد الاوروبية لتأليف الكتب ونسخ^(١) المنشير الرسمية كان من صنع العرب . وأن علم الجبر والفلك والجغرافية والمثلثات والشرح والكميات كانت من وضع المسلمين . وأن أول خريطة وضعت للكرة الأرضية

ويقول العلامة (دوسن) : « إن المدينة الأوروبية بل المدينة الغربية كأها مدونة للمسلمين . ومن المدهش أن يصبحوا - و كانوا أول أمرهم على الفطرة - عنصراً فاتحاً ، ويعتبروا سادة لنصف العالم في مائة عام . ومن أشد العجب حماستهم العظيمة وسرعتهم البالغة في تحصيل العلوم و تشكّون الثقافة اللازمـة لعظمتهم . حتى وصلوا إلى مستوى عالٍ في مائة سنة . بينما نرى الجرمانيين ، لما فتحوا الأمبراطورية الرومانية . قضوا ألف عام قبل أن يقضوا على التوحش وينهضوا بـ الإحياء العلوم . »

وفي مكتبات أوروبا اليوم آلاف الكتب التي ألفها المسلمون في شتى العلوم . مما يدل على أن الإسلام دين يرافق العلم ويحيط على العلم ولا تناقضه وينتهي ببيان العلم أبداً .

فالمسلمون قد نبغوا في شتى العلوم . فهم الذين قد أبدعوا في علم الكيمياء والطب وأجدوا القوانين والدساتير التي هي أساس العلم الحديث . وبنوا المراسد واكتشفوا قواعد علم الفلك ونظموا الخرائط الجغرافية . وكان الأدب والشعر يلعب دوراً هاماً في التعبير عن المكتشفات . فهم كانوا يعبرون أحاسيساً عن دستور رياضي أو قاعدة نحوية أو قانون هندسي إلى غير ذلك

(١) منيْب : أي راجم الى ربه .

بالنظم ، عدا النثر . وقد قرأت قبل أكثر من ثلاثة سنين قطعة شعرية ، هي دستور حل المعادلات الجبرية من الدرجة الثانية في كتاب ألفه استاذ الفيزياء الرياضية بجامعة استانبول : صالح زكي في اربعة مجلدات أسماءه : (الآثار الباقية) .

وال المسلمين هم الذين أوجدوا (علم الجبر) . ولا يزال يعبر عن هذا العلم في الغرب بنفس ما اصطلاح عليه المسلمون : (Algèbre ، Algebra) . كما أن أسماء كثيرة من النجوم في علم الفلك لا تزال باقية في كتب الأفرنج على ما اصطلاح عليه المسلمون . وال المسلمين هم أول من عرفوا اصول الرسم على سطح الكرة و قالوا بدوران الأرض على محورها و ضبطوا حركة أوج الشمس و تداخل أفلامها في أفلاك أخرى . وهم أول من عملوا الأسطر لابات و بنوا مراصد كثيرة . و لهم اكتشافات هامة في المساحات والحجم و تقسيم الزاوية . وهو اضعوا الهندسة التحليلية . وقد أدخلوا التحسينات جمة على حساب المثلثات الكروية وأضافوا عليها وألفوا في البصريات وحسبوا زاوية الخسوف . وكانوا قد تعرفوا إلى استعمال التخدير في العمليات الجراحية . حين أن الكنيسة كانت تحرم إذ ذاك ممارسة الطب انتظاراً منها لإتمام الشفاء على يد المناسب الدينية التي يقوم بها القساوسة تاركين ما خلق الله من أنواع العقاقير والأدوية لدفع ما يصيب الإنسان من أمراض . وقد صنعوا الورق وأبدعوا في صناعة المنسوجات وصنعوا السكر من القصب ونبغوا في طرق الرى والزراعة العلمية .

يحدثنا العلامة : (هولميارد) استاذ الكيمياء بكلية (ايتون) والذي يعتبر أعظم الأساتذة في الكيمياء في أوائل القرن التاسع عشر فيقول : إن سبب نبوغه في الكيمياء هو تعلمه اللغة العربية و تضلعه منها و دراسته ما اخترعه المسلمين في علم الكيمياء .

وهذا : (جابر بن حيان) أمل عليه الإمام الصادق (جعفر بن محمد) عليهما السلام ، خمسة رسالة في ألف ورقه عن الخواص الكيميائية والطبيعية وكان الكيميائيون من قبله كخالد المتوفى سنة ٨٥ هـ يروون عن على عليه السلام موازين الصناعة .

إن جابر بن حيان يُعد من أساطين علم الكيمياء وحججه فيه بلا نزاع .. وقد نسخ في علوم أخرى أيضاً كالطب والفلسفة وقد ألف (٢٠٠) كتاب ، (٨٠) منها في علم الكيمياء . وقد جاء بنظريات هامة في علم الكيمياء تحققت صحتها من قبل علماء الغرب عندما بدأوا في توسيع علم الكيمياء . وقد علمه الإمام الصادق عليه السلام طريقة تحضير (مداد مضيء) ، يستخدم في كتابة الخطوطات الثمينة ، لإمكان قراءتها في الظلام . وعلمه أيضاً طريقة صنع صنف من الورق غير قابل للاحتراق .

وهكذا (عز الدين الجلدي) قد جاء بقوابين هامة في علم الكيمياء منها قانون النسب الثابتة في الاتحاد الكيميائي ومن كتبه : (نهاية الطلب) ، (التقريب في أسرار التركيب) ، وبلغ كل منها نحواً من ألف صفحة . وهكذا قاد (أبو القاسم المجريطي) أكبر حركة كيميائية في الأندلس . فهل كان كل ذلك ، لأن الدين يعارض العلم ولا يوافقه في شيء ! .. تلك هي سلعة غريبة ، جامت من معارضة الكنيسة للعلم وإعدامها كثيراً من العلماء فسرت إلى الشرق وإلى شبابنا المثقف ، فتأثروا بها وتغيرت وجهة نظرهم إلى دينهم القوم ، دون أن يتحملوا أعباء البحث والتنقيب !

* * *

وقد نسخ المسلمون في علم الطب ، حتى ترى أن (وليم أوسلر) يقول في كتابه : (تطور الطب) : « إن المسلمين أشعلوا سراجهم من القناديل اليونانية . وبلغت منهـــ الطب عندهـــ أثناء القرن الثامن إلى الحادى عشر للبيـــلاد من المكانـــ والأهمـــ ما لا تـــكـــاد تـــجد له مـــثـــلاً في التـــاريـــخ » .

ولا يأس بذكر ما جاء في التاريخ العام للأفيس ورامبو :
 إن إنكلترا ، كانت في القرن السابع الميلادي إلى ما بعد العاشر فقيرة
 في أرضها ، منقطعة الصلات بغيرها ، تعترض الأمراض والأوبئة المتكررة
 المواشي والسماء . وكانت أوروبا غاصة بالغابات الكثيفة . وتنبعث من
 المستنقعات الكثيرة في المدن رائحة قتالة ، لم يعرف أهلها النظافة ، .
 ويقول (درابر) : « وكان من أثر ذلك أن عمّت الجحالة أوروبا وساورتها
 الأوهام . فانحصر التداوى في زيارة الاماكن المقدسة^(١) ومات الطب

(١) إن لشفاعة أنبياء الله (ع) والأئمة (ع) والصلحاء من عباد الله (رض) وفي التوسل بهم إلى الله تعالى أثراً بالغاً في دفع المكروه وقضاء المروء . مع العلم أنهم « لا يشفعون إلا لمن ارتضى لهم من خشيته مشفقوه » . (سورة الأنبياء : ٢٨) . لذلِك أبواب الله والوسيلة إليه يأذنه تعالى . . إنهم : « عباد مكرمون ، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره . يعملون » .

وقد كتبت الجرائد معجزة الإمام علي بن موسى الرضا (ع) قبل سنتين :
 وذلك أن امرأة أصليت بداء السرطان ، وقد أثبت ذلك معهد الأشعة السينية (R. X) وينس الأطباء من شفائها وقالوا أنها تموت قريباً لا حالة ، فنذرَت الله وتوسلت إلى الله تعالى بالإمام الرضا (ع) . فرأى ، ذات ليلة في ما يرى النائم : يقال لها : قد شفيت وما بك من داء . قامت من فراشها فرحة مستبشرة ، وعرضت نفسها على الأشعة والاطباء ، فلم يروا أثراً للسرطان ، فتعجبوا من ذلك وقالوا : « إن ما حدث ليس بحادث طبيعي وليس للطب العادي أن يفسر ذلك » .

ليس المراد من الاستفهام أو التوسل إلى الله تعالى بالأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، أن ترك ما خلق الله من أدوية للأمراض فضلاً منه وما علم البشر =

وحيث أحابيل الدجالين . وكلما دهم البلاد وباء فرع رجال الدين الى الصلة
واغفلوا أمر النظافة ، وكانت الاوبئة تفتت بهم فتكاً ذريعاً .

المسلمون هم أول من مارسو العمليات الجراحية . مع العلم ، أن أوروبا
كانت ترى ، في القرن الثاني عشر الميلادي ، أنه لا يجوز للإنسان أن يغير
ما خلق الله وأن يتصدى إلى عملية جراحية ! حين أن المسلمين قاموا في ذلك
الحين بتأليفات جمة في علم الجراحة وشرعوا الآلات التي كانوا يستعملونها
في كتبهم وهي تزيد على مائة آلة عدا تأسيسهم مستشفيات ، بعضها للرجال
وبعضها للنساء ، مقسمين المستشفى إلى أقسام متعددة حسب نوع المرض ،
وأقاموا معازل لعزل المرضى المصابين بأمراض معدية .

والمسلوون هم أول من أسسووا المستشفى السيار . فكان ينتقل هذا
المستشفى من بلد إلى بلد ، مجهزاً بالأدوات والأدوية والاطعمة والاشربة
وملابس وصيدلية كاملة مع أطباء ، لاسيما حين حدوث وباء أو مرض

من عمليات جراحية . فقد جعل الله تعالى لكل شيء سبباً . والشفاعة أو
التوسل عند تعسر الأمور وغلق الأبواب العادية سبب من الأسباب ، إن
أذن الله بذلك . والحديث القائل : داورووا مرضناكم بالدعاء والصلوات ، ليس
معناه أن نترك الطرق العادية التي هيأها الله لنا وألهمنا ثلة من عباده ، ولكن
ندعو ونتصدق مع المعالجة من طرقها والإلتزام بالنظافة والتعقيم إلى حد
بعيد ، كي لا يحدث خطأ في المعالجة ولا يحدث اشتباه في تشخيص المرض
ومقدار الدواء وتسمم حين اجراء عملية جراحية واشتباه غير متظر إلى ما
هناك . فالدعاء والتصدق والتوكيل والمعالجة والتعقيم والنظافة كلها أسباب
هيأها الله تعالى لقضاء الحاجة والشفاء ففضلاً منه ورحمة .. إنه تعالى يقول :
« واستعينوا بالصبر والصلة ، وإنها لكبيرة إلا على الخاسعين الذين يظنون
أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون » . (سورة البقرة : ٤٦) .

معد . والملائكة هم أول من اكتشفوا وسائل التخدير واستعملوها في العمليات الجراحية .

* * *

وإن أجمل بناء من أبنية جامعة (برنسون) الأمريكية يحمل اسم طبيب مسلم هو : محمد بن زكريا الرازى . وانه أول من أسس الطب التجربى ، وذلك بإجراء تجارب الطبية العلاجية على الحيوان قبل تجربتها على الإنسان . وقد وضع (٢٢٩) كتاباً في الطب ترجمت إلى معظم اللغات العالمية ، وتقرر تدريسه في كليات الطب ، كما انه اشتغل في الكيمياء وألف فيها كتاباً عده . كان الرازى رجلاً متديناً ، يعالج الفقراء مجاناً ويشتري لهم الدواء من ماله . ولذا مات فقيراً رغم شهرته الواسعة .

نعم ، إن رجال العلم في الإسلام ما كانوا ليفكروا عن دينهم ، بل كان تعلقهم بدينهم تعلقاً شديداً . يتبعدون في أوقات معينة ويستعينون بالله في حل مشاكلهم العلمية ، بصلة يصلونها ، أو بدعاء أو صدقات .

* * *

وهكذا ابن سينا^(١) ، كان كلما أشئت عليه مسألة ، توجه إلى القبلة ، صلى ركعتين ودعا الله تعالى ، متضرعاً ، فيلهمه الله تعالى ما يزيل مشكلته . كان قلبه متعلقاً بالمسجد ، وقد يعترض فيه إذا أعمته مشكلة أو عسرت عليه مسألة .

وابن سينا هو أول من قال : إن الإضطرابات النفسية تسبب اضطرابات معدية ، وقد تسبب فرحة المعدة . وهو الذي اكتشف الدورة الدموية في الإنسان قبل (وليم هارفي) بـ (٦٠٠) سنة . وقال في معالجة السرطان ما توصل إليه العلم الحديث . وكتابه : القانون ، هو من

(١) هو : أبو علي بن عبد الله بن سينا المعروف بالرئيسي .

أكبر الموسوعات الطبية . وكان يدرس في مختلف كليات الطب . وكان أهتم مرجع طبي لكل من أراد التخصص في علم الطب .

وضع ابن سينا نظريات في تكوين الصخور والجبال اتخذت أساساً لعلم طبقات الأرض (Géologie) في الوقت الحاضر .

ويقال عنه ، انه قال عند دنوه - أجله : « إن الذي كان يمدني بقوه ، قد أمسك عني » . فاغتسل غسل التوبه وأنفق ما كان لديه واعتق مواليه وعيده . وصار يختم القرآن في كل ثلاثة أيام ، حتى وافته منيته .

* * *

إن المسلمين اشتغلوا في العلوم الطبيعية وتمكنوا من حساب الوزن النوعي للعناصر . ووجدوا أن الوزن النوعي للرصاص ١١٣٣ . ويقرر العلم الحديث أنه ١١٣٥ . فالاختلاف يسير جداً .

كأنهم اختبروا بندول الساعة والآلات الدقيقة . واستعملوا (البوصلة) ، ووضعوا قوانين الصوت والضوء ، ونظريات في كل الموضوعين لا زالت تدرس حتى الآن . ويقال ان الغربيين اندهشوا عندما شاهدوا (ساعة) أهديت الى (شارلمان) ملك فرنسا . وقالوا : ان فيها جنباً يحركها . وقد ألف ابن الهيثم (٤٧) كتاباً في الرياضيات والطبيعتات و (٥٨) كتاباً في الهندسة . وكتباً أخرى في مواضع شتى وهي مما مهد الطريق للمسكتشفات الحديثة .

* * *

وان كمال الدين الفارسي الذي عاش في أواخر القرن السادس الهجري يعتبر حجة في علم الضوء بلا منازع .

وقد وضع أبو الريحان البيروني في كتابه : (الآثار الباقيه) والذي يبحث عن (الإيدروستاتيكا) مثل صعود مياه الفوارات والعيون الى الأعلى

و عن تجمع مياه الآبار بالرشح الجانبي إلى غير ذلك . ولا مجال لذكر ما وضعت من كتب في مباحث علم الفيزياء .

و قد نبغ المسلمون في الزراعة و عمل النبات وأعمال الرى و زراعة الدواجن ، و وضعوا فيها كتاباً مفيدة . ومن أساطين هذا العلم : عبد اللطيف البغدادي ، و ضياء الدين البيطار ، و رشيد الدين الصوري .

والمسلمون عند دخولهم إلى بلد جديد كانوا يهتمون بأمر بن في وقت واحد : (١) تنظيم الحدائق ، (٢) بناء المساجد .

★ ★ *

ولا مرأء أن : محمد بن موسى الخوارزمي ، يُعد واضع علم الجبر وقد ترجم كتابه في الجبر إلى لغات عده .

والمهم أن العلماء المسلمين ما كانوا لينفكوا عن ذكر الله تعالى في عملهم العلمي وتجاربهم العلمية . سواء حسين التدريسي أو الكتابة أو العمل في المختبر . لذلك يقول الخوارزمي في أول صفحه من كتابه : « يقول الخوارزمي بعد حمد الله : هادينا و حامينا » . ويقول في مقام آخر : « وبالله توفيق في هذه وغيره ، عليه توكل وهو رب العرش العظيم » .

وأما خواجه نصير الدين الطوسي . فهو معروف في أوساط الغرب . إنه نابغة من نوابغ الرياضيات . يعتبر الطوسي كما قال بعض العلماء متوفياً في الهندسة لا على معاصريه فحسب ، بل وعلى علماء الهندسة في العصر الحاضر .

وأما (ثابت بن قرة) فقد أخذ يستعمل الهندسة في حل المعادلات من الدرجة الثالثة . وقد أخذ العالم الإيطالي : (جيرو لا موكارдан) في القرن السادس عشر عن (ثابت) طريقته هذه في حل المعادلات من الدرجة الثالثة .

و (ثابت بن قرة) هو أول من وضع حساب التكامل والتفاصل وأوجد حجم الجسم المتولد من دوران القطع المكافئ حول محوره . ولعمر الخيام حول قيمة في الهندسة ترجمت إلى لغات أجنبية . والمسلمون هم وأضعوا علم الفلك بأسلوب على صحيح مستعملين في ذلك الهندسة والجبر وحساب المثلثات . وقد أسسوا مراصد عددة وكان في (مراغة) مرصد كبير ، اشتهر بآلاته الدقيقة وأجهزته المتعددة .

• • •

وأما التاريخ والجغرافيا ، فقد نبغ المسلمون ودونوا فيما كتبوا مفصلة وموسوعات مشهورة وهم وأضعوا علم الاجتماع .

يقول المؤرخ (كوتبيه) عن الشريفي الادريسي : « إن الشريفي الادريسي الجغرافي كان أستاذ الجغرافيا وهو الذى علم أوروبا هذا العلم وبقى معلما لها ثلاثة قرون . ولم يكن لأوروبا مصور للعالم إلا ما رسمه الادريسي » . ولو أردنا أن نستقصى علماء الجغرافيا والتاريخ من المسلمين وما ألفوا من مؤلفات وما قاموا به من اكتشافات لاحتاجنا إلى وضع كتب متعددة في هذا المقام .

وأبو عبد الله القزويني اشتهر بأنه من علماء العلوم الطبيعية ومع ذلك فهو يعد من أساطين علمي التاريخ والجغرافيا وله مؤلفات في الفلك والعلوم الرياضية مما يجعله في القمة .

كان أبو عبد الله القزويني رجلا متدينا ، وهو القائل : « ليس المراد من النظر تقليب الحدقه ، فإن الحيوان يشارك الانسان في ذلك . ومن لم يرَ من السماء إلا زرقتها ومن الأرض إلا غبرتها فهو مشارك للحيوان . وأدنى حالا وأشد غفلة ، بل المراد من النظر التفكير في المعقولات والنظر في المحسوسات والبحث عن حكمتها وتصاريفها لظهور حقائقها » .

وكم من رجال العلم قاموا برحلات موفقة واستكشافات ناجحة ومخوا
 بحياتهم بغية العثور على ما في الأرض من بقاع مجهولة .

* * *

وما يدل أن المسلمين كفأة مرموقة في الاختراع والاكتشاف حتى في العصر الحاضر نبوغ بعض علماء المسلمين في بعض المواضيع الحديثة . ومنهم المرحوم الدكتور على مصطفى مشرفه المصري . فقد وضع رسالة علمية أثبت فيها خطأ وقع فيه (أينشتين) وصحح فيها خطأه . ولذلك ، قد اختاره (أينشتين) ليساعده في أبحاثه . وهو الوحيد الذي زامل هذا العالم في أبحاث المادة والذرة ^(١) .

كان الدكتور على مصطفى مشرفه على جانب عظيم من التقوى وحب الله تعالى وتقديسه . وهو القائل : « إن الجد لا يبني على القوة ، حتى ، ولا على العلم ، إنما يبني على شيء آخر ، وهو ذلك القبس المقدس الذي نشعر جميعاً بأنه يميز الإنسان على سائر الحيوان ، تلك القوة الروحية التي تحرك فينا حب الحق وحب الخير وحب الجمال . وعلى قدر استجابة البشر لذلك الداعي تأتي عظمتهم ورفعة شأنهم . وعندي أن ما وصل إليه الإنسان من العلم وما ترتب على ذلك من قدرة واختراع إنما جاء على قدر طلبه للحقيقة وشغفه بالحق كما أن حب الحق وحب الخير إنما يتفرعان من حب الجمال . فالحق والخير جمیلان . ولذلك من أحب الجمال أحبهما جميعاً . ووددت لو استطعت أن أصور للقارئ فيض ذلك الجمال الذي يدركه طالب الحقيقة العلمية : ذلك التناسق البديع بين أجزاء الكون ! » .

وهو القائل : « اليوم ، وقد اهتز العالم بحياة الأمم والأفراد صار لزاماً على رجال العلم أن يبتعدوا عن الفلسفة المادية في جميع صورها وأشكالها . كما صار لزاماً على الشعوب أن يتقبلوا رسالة العلم وأن يستعينوا

(١) المسلمين والعلم الحديث : الاستاذ عبد الرزاق نوفل .

بها على محاربة الشر ، وقد بينت أن الأرض لا تزال رحمة تتسع للناس جميعا وأن القوى الموجودة على سطحها قوى عظيمة ، فإذا استuhan بها الناس على قضاء حوانجهم وسخروا لها خيراً لهم ورفاهيتهم مستعينين بالعلم والروح العلمية ، كان لنا أن ننضر للبشر مستقبلاً يكفل طماً في نعمتهم وسعادةتهم وسموهم » .

إسمعوا ماذا يقول (أيلشتاين) نابغة القرن العشرين في الفيزياء وعلم الذرة عن التوجه الديني وأثره في الاكتشافات . إنه يقول : « إن بصيرتنا الدينية هي المنبع وهي الموجهة لبصيرتنا العلمية ». لذلك كان كلما حاضر محاضرة في النظرية النسبية يتطلب إلى المسؤولين أن يكون الناس أحرازاً في القيام بطبقو سهم الدينية وتطبيقها .

يكفي في تأييد الإسلام النواحي العلمية أن قد ورد في القرآن الكريم لفظ العلم في أكثر من (٥٠) موضعًا مما يدل على الحفاوة البالغة في الدين الإسلامي بمفهوم العلم ومشتقات لفظ العلم . ولكن القرآن لا يدع مفهوم العلم مفهوماً مجرداً من التعامل والتوصيل إلى النتيجة العقلية الختامية التي يجب أن تؤخذ من العلم بأسرار هذا الكون : ألا وهو الوصول إلى (واضح العلم) وخلقه ومبدعه وهو الله جلت قدرته . أي يريد القرآن أن لا ينظر الفرد نظرة مادية إلى ما أودع الله من دقيق الصنع والقوانين في هذا الكون دون ارجاع هذا الصنع إلى صانع حكيم قادر .

إن أول آية نزلت من القرآن الكريم هي : « إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علقة ، إقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم »^(١) . فالله تعالى هو الذي علم الإنسان بما أعطاه من مواهب وقابليات أن يكتب بالقلم وأن يُعرِّف إلى أشياء كثيرة من قوانين أودعها الله في هذا الكون الواسع الأرجاء .

لذلك يقول (ريفورت) : « يجب أن نعترف أن العلوم الطبيعية والفالك والفلسفة والرياضيات التي أنشئت أوروبا في القرن العاشر مقتبسة من القرآن » .

* * *

وما يؤيد اهتمام الاسلام بالعلم الى حد بعيد ، حلّ على سلام الله عليه كثيراً من المسائل الرياضية والفيزيائية ، ذكرنا البعض منها في نهاية الجزء الثاني من هذا الكتاب ، ووضعه أساس علم النحو . وقوله لـ كمـيل (رض) : « يا كـمـيل ، لو شئت أن أصـير من هـذا الـماء نوراً لـ فعلـت » . يقول على (ع) هذا القول في وقت لم تعرف الكـهـرـيـة وكـيفـيـة استـخدـام الشـلـالـات فـ تحـريـك (الـدـيـنـامـو) وـ اـيجـادـ التـيـارـ الـكـهـرـيـائـيـ وـ منـ ثـمـ تـأـسـيسـ المـصـابـحـ الـكـهـرـيـةـ . وـ لمـ تـعـلمـ الـقـوـىـ الـنوـوـيـةـ وـ تـحـطـيمـ الـذـرـةـ وـ تـحـرـرـ طـافـاتـ هـائـةـ : حـسـبـ دـسـتـورـ أـوجـدهـ (أـينـشتـاـينـ) : طـ = كـ × سـ² .. أـىـ أـنـ الطـافـةـ الـمـتـحـرـرـةـ مـنـ تـحـطـيمـ ذـرـةـ مـاـ تـساـوىـ مـرـبـعـ سـرـعـةـ الضـوءـ مـضـرـوبـ بـأـنـ الـكتـلةـ .

لذلك يخاطب رسول الله عليه السلام قائلاً : « ليهـنـكـ الـعـلـمـ يـاـ أـبـاـ الـحـسـنـ ، لـقـدـ شـرـبـ الـعـلـمـ شـرـبـاـ وـ هـنـلـهـ نـهـلاـ » .

وقول على عليه السلام : « لو شئت أو قرت سبعين بغير آمن سورة الفاتحة » . دليل على أن الاسلام يرافق العلم ويحفظه .

* * *

وقد كان للمسلمين الفضل الأـكـبرـ في اـيجـادـ الـطـرـيقـ التـجـريـيـ فـيـ الاـكـشـافـ العـلـىـ . لذلك يقول : (كـوـسـتاـوـ لـوـبـونـ) أحد فلاـسـفـةـ اوـرـوـباـ : « إنـ القـاعـدةـ عـنـدـ الـعـربـ هـىـ : جـرـبـ وـ شـاهـدـ وـ لـاحـظـ تـكـنـ عـارـقاـ ، حـينـ أـنـ القـاعـدةـ كـانـتـ عـنـدـ الـأـوـرـوبـىـ إـلـىـ ماـ بـعـدـ الـقـرـنـ الـعاـشـرـ مـسـيـحـىـ . إـقـرـأـ فـيـ الـكـتـبـ وـ كـرـرـ مـاـ يـقـولـهـ أـسـاتـذـةـ تـكـنـ عـالـماـ ! » .

ويقول (غوستاو لوبيون) في كتابه حضارة العرب : « إن العرب لم يظلو طويلاً معتمدين على كتب اليونان التي نقلت لهم . فقد أدركوا بعد لأى أن التجربة والترصد والمشاهدة خير من أفضل الكتب . ولذلك سبقوا أوروبا إلى هذه الحقيقة التي تُعزى إلى (بيكون) أنه أول من أقام التجربة والاختبار اللذين هما ركنا المناهج العلمية الحديثة . فالمسلمون هم أسبق إلى نظام التجربة في العلوم » .

لذلك يقول (غوستاو لوبيون) : « إن المسلمين العرب وحدهم كانوا أستاذة الأمم المسيحية عدة قرون . ونحن الغربيين لم يُفتح لنا الإطلاع على التراث اليوناني والروماني إلا بفضل العرب ولم يستغفَن التعليم في جامعاتنا عمما نقل إلى لغاتنا من كتب العرب إلا في أزمان متأخرة » .

والحق أن ما يعرف اليوم باسم الطريقة (البيكونية) التي قوامها كما يقول (بيكون) : « إننا لا نستطيع أن نخضع الأشياء ما لم نخضع لها أولاً » ، أي لا نتمكن من الاستفادة منها ما لم نكتشف قوانينها ، ترجع أصولها إلى المسلمين المكتشفين الطريقة التجريبية . فتأثيرها (بيكون) وغير (بيكون) . لذلك يقول (سيديو) : الفرنسي في كتابه عن تاريخ العرب : « إن ما يميز مدرسة بغداد هو الروح العلمية الحقة التي تسيطر على أعمالها . فالمضى من المعلوم إلى المجهول ، وملاحظة الظواهر ملاحظة دقيقة من أجل الصعود بعد ذلك من النتائج إلى الأسباب ، ورفض كل شيء لم يؤيد بتجربة ، تلك هي المبادئ التي سادت والتي أشاعها كبار معلمي تلك المدرسة » .

ويقول (جيوب) في كتابه عن : (الاتجاهات الحديثة في الإسلام) : « إن انصراف الفكر إلى الحوادث الجزئية ، هيأ للعلماء العرب أن يذهبوا

(١) باكون (Bacon) : راهب فرنسيسكاني إنكليزي ، من كبار علماء القرون الوسطى ، ومطبق الطريقة ال EXPERIMENTAL (التجريبية) .

بالطريقة التجريبية الى أبعد بكثير مما فعله سابقوهم من يونان ورومان ، وانهم الأصل في دخول الطريقة التجريبية الى اوروبا » . ويقول (هومبولت : Humbolt) : « من الواجب أن يعد العرب المؤسسين الحقيقيين للعلوم الفيزيائية » .

يقول المؤرخ (جييون) : ان ولاة الأقاليم والوزراء (يعني في البلاد الإسلامية) . كانوا ينافسون الخلفاء في إلاء مقام العلم والعلماء وبسط اليد في الإنفاق على اقامة بيوت العلم ومساعدة الفقراء على طلب العلم . وكانت نتيجة ذلك : أن ذوق العلم ووجود اللذة في تحصيله قد انتشر في نفوس الناس من (سمرقند) و(بخارا) الى (فاس) و(قرطبة) . فقد أنفق وزير واحد لأحد السلاطين - هو نظام الملك - مائة ألف دينار على بناء مدرسة في بغداد . وجعل لها من الريع ليصرف في شؤونها ما يعادل : خمسة عشر ألف دينار في السنة . وكان عدد الذين يغذون بالمعارف فيها (٦٠٠٠) تلميذ . فيهم ابن أعظم العظام في المملكة وابن أفق الناس فيها . غير أن القويز يُنفق عليه من الريع المخصص للمدرسة . وابن الغنى يكتفى بمال أبيه . وكان المعلمون ينقدون رواتب وافرة » .

وان الفيلسوف الامريكي (درايدن) يعجب من وجود آراء علمية في كتب العرب كان الغربيون يعتقدون أنها لم تولد إلا في عصرنا الحديث .
وان علماء اوروبا يقدرون ما للمسلمين من خدمات جمة في الفلسفة ، لذلك يقول (رينان) : « إن (آلبرت الكبير) مدين له (ابن سينا) في كل شيء وان (سان توما الأكويني) مدين في فلسفته له (ابن رشد)^(١) . وفي الوقت الذي نرى أن المسلمين يعملون في توسيعة العلم الإنساني نرى بمزيد الأسف

(١) على أنا لا نوافق (ابن رشد) في نظرياته الفلسفية كلها . وفيها نقاط ضعف لا توافق النصوص القرآنية وفلسفة الإسلام الحقة في شيء ، لا مجال إلى ذكرها ورددها هنا .

أن (الكارديفال : أكزيمنيس) يأمر بإحرق مئتين ألف مخطوطه عربية في الأماكن العامة بغرناطة».

وها هو المستشرق النساوى المسلم (ليوبولد فايس) يقول : - وما أصدقه - : « إن أوروبا لتعرف هذه الحقيقة حق المعرفة : أن ثقافتها مدينة للإسلام بتلك النهضة على الأقل بعد قرون من الظلام الدامس ، ولم يقف الإسلام يوماً مسدّاً في وجه التقدم العلمي . انه يقدر الجهد الفكري في الإنسان الى درجة يرفعه فيها فوق الملائكة . وما من دين ذهب بعد من الإسلام في تأكيد غلبة العقل وبالتالي غلبة العلم على جميع مظاهر الحياة ».

* * *

يظهر من كل ما ذكر بشأن علماء المسلمين ومكتشفيهم وما كانوا عليه من تمسك بالدين وتعبد وتهجد : أن العلم لا يعارض الدين في شيء . بل ، إن الدين وتعلق الفرد بربه واستمداده من علم الله الذي لا يفتأتي ، وطلب المعونة منه تعالى لكشف بعض أسرار الكون ، يفتح على المتبع أبواب المعرفة . ثم ان الله تعالى يحيى له بطشه مصادفاتٍ واتفاقات غير متوقعة ، وعجبية جداً ، يظفر بسببيها العالم المتبع بحقائق جديدة وخواص مجهولة قبلًا ، لم تكن بالحسبان . كل ذلك لتوجهه الى الله تعالى ومكافأة له ازاً . تعبه وتضحيته .

وأى تنافٍ بين دستور يجده المتبع في ربط العناصر بعضها ببعض أو ربط أجزاء العالم بعضها ببعض وبين عبادة الله في أرضه والقيام بتزكية النفس وما أمر الله به من صلاة وصوم ورثابة وحج وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر واتفاق وأعمال صالحة وما أكثراها ... الخ .

بل هناك علاقة متنية بين ما يجده العالم من دساتير وبين واضح هذه الدساتير في هذا الكون الرحيب . ثم الخشوع والخضوع ، بصلاة وتسبيح تجاه عظمة من وضع هذه الدساتير بهذا الاتقان المثير للعقل وهو

الله جلت عظمته . إذ أن ارجاع المخلول إلى العلة أمر فطري في البشر ما لم تتلوث هذه الفطرة بخمور ونجور وبغي وظلم . أى ما لم تتلوث هذه النفس التي هي أعز الأنفس علينا بما يبعدها عن ساحات القدس . فقد جاء في الحديث : « اذا أذنب العبد كانت نكبة سوداء على قلبه . فإن هو تاب وأفلح واستغفر صفا قلبه . وإن هو لم يتوب ولم يستغفر كان الذنب على الذنب والسوداء على السوداء حتى يغمى القلب » .

فما على هذا الإنسان إلا أن يقلع عن ذنبه حالا ، كي لا تتراءكم ذنوبه ، فيرسود قلبه ، فلا يبصر الواقع والحق وتتغلب إزدراك عليه المادية الحالكة ، فيتيمسك - لا سمح الله - بالمادية العميماء ، وهو لا يعلم عن حقيقة المادة شيئا ! لذلك يستحب أن يستغفر العبد ربها . عندما يأخذ مضجعه ليلا قائلا ثلاث مرات . « استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه » . كما يستحب له أن يستغفر الله بصوت خافت بعد التسبيحات الأربع في الركعة الثالثة والرابعة من صلاة الظهر والعصر والعشاء .

وهكذا الفلسفة التي يتبناها الفيلسوف وغير الفيلسوف هي رشحات نفسه ، فإن كانت نفسه نفسها ظاهرة زكية بعيدة عن الفسوق والعصيان مؤمنة بالله والبعث كانت فلسفتها فلسفة تناسب نفسه ، فلسفة فريدة إلى الواقع وإن كانت نفسه نفاسا لئيمة ، خبيثة ، مكارة ، غدارة ، قاسية ، متحجرة ، ففلستها تكون فلسفة هدامه ، سفاكة ، مخربة . لا ينبع فيها شيء من محسن الأخلاق ، شيء من العطف والحنان . ففلسفة كل إنسان مرآة نفسه .

وقد أخطأ (تمن : Tenne mann) في قوله « إن جملة عوائق وقفـت تـقدم المسلمين في الفلسفة ، وهذه العـوائق تـرجع إلى كتابـهم المقدس الذي يـتعارض وـنظر العـقل الحر » . وذلك لأن القرآن الكريم يـدعـو الناسـ

إلى التفكير الحر وينهى عن التقليد الأعمى بقوله : « أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا »^(١) . « إِنْ فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ »^(٢) . وبقوله : « إِنْ فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقُلُونَ »^(٣) . و « لِآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقُلُونَ »^(٤) . « إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِنَّاتِ لِآيَاتٍ لَأُولَئِكَ الْأَلْيَابِ »^(٥) . « أَفَلَا يَعْقُلُونَ »^(٦) ، « وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ »^(٧) . وبقوله : « إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا » .

وقد ذم الله تبارك وتعالى أولئك الذين لا يعقلون بقوله : « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَتَبْعَدُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ . قَالُوا إِنَّا بَلْ نَتَبَعُ مَا أَفْيَانَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ، أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقُلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ »^(٨) . وبقوله : « إِنَّ شَرَ الدُّوَابِ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبَكُّمُ الَّذِينَ لَا يَعْقُلُونَ »^(٩) . وبقوله : « يُؤْتَى الْحِكْمَةُ مِنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتَى خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَكِّرُ إِلَّا أُولَئِكَ الْأَلْيَابِ »^(١٠) . الإسلام يريد منها أن لا تتقبل شيئاً دون تحريص وتمييز وذلك بقوله : « فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَبَعُونَ أَحْسَنَهُ » . أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب »^(١١) .

وقد عظم أمر العقل والتفكير إلى حد بعيد بقوله : « وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا »^(١٢) .

وقد جاء في حديث : « إِنَّمَا يُدَاقِّ اللَّهُ الْعِبَادَ فِي الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَدْرِ مَا آتَاهُمْ مِنَ الْعُقُولِ فِي الدُّنْيَا » .

- | | |
|---|-------------------------|
| (١) سورة محمد (ص) : ٤٣ | (٢) سورة العنكبوت : ٢٤ |
| (٢) سورة الرعد : ٣ | (٣) سورة البقرة : ٦٥ |
| (٣) سورة الحج : ١٢ ، وسورة الروم : ١٣ | (٤) سورة الإنتقال : ٣٢ |
| (٤) سورة البقرة : ١٦٣ | (٥) سورة آل عمران : ١٩٠ |
| (٥) سورة آل عمران : ٣٢ ، وسورة القصص : ٦٠ | (٦) سورة آل عمران : ١٩١ |
| | (٧) سورة الزمر : ١٨ |

وإذا أردت أن تعرف من هو ذلك العاقل الذي يبني فلسفه حقه لا تزيفه به الأهواء ، فيميل إلى هاهنا وهاهنا من مسالك ضالة مضلة . فانظر إلى ما يقوله الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حين يعرفنا (العاقل) . انه يقول مخاطباً هشاماً أحد أصحابه : « يا هشام ، إن العاقل هو الذي لا يشغل الحالُ شكره ولا يغب الحرامُ صبره » . فمن كان مصداق هذا الحديث فإنه يزيف كل فلسفه بشرية ، ولا ترتاح نفسه إلا إلى فلسفه الإسلام الحقه .

وإن كانت التجربة سند العلم الحاضر ، فليجرّب من كان يشك في صحة هذا المقال ، ايرى كيف يخرجه الله تعالى من الظلمات إلى النور منه . « الله ولِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يَخْرُجُوهُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكُمْ هُمُ الظَّاغُونُ يَخْرُجُوهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ » .

القرآن وما فيه من فلسفه حقه لم يدع مجالاً لظهور فلسفه في الشرق بالمعنى الذي يريد (تمنان) ، إلا إذا انحرف هذا الفيلسوف عن النصوص القرآنية وجاء بنظريات هو جاء تعبير عن هوئ نفسه ! ذلك ، لأن حقيقة الوجود وما أودع الله فيه من كمال ووظيفة الإنسان وما سخر له من عوالم شتى من جماد ونبات وحيوان وربط العالم المختلفة بعضها ببعض كل ذلك مسطور في كتاب الله الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » ^(١) - بتعبير واضح . « وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ » ^(٢) . « مَا فِرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ » ^(٣) .

إلا أن هذه الفلسفه الحقيقية التي يضمها القرآن الكريم ، هذه الفلسفه الإلهية التي من الله بها على عباده من عالم الغيب أى من عالم غابت عننا حقيقته

(١) سورة السجدة : ٤٢

(٢) سورة التحليل : ٨٩

(٣) سورة الأنعام : ٣٨

وليس لنا أن نصل إلى كنهه ، لا يصل إلى تفهم عمقها وأثرها في تكامل البشر فيلسوف لم يخرج بعد عن ماديتها الضيقة وهو ينظر إلى الوجود نظراً سخيفاً متأثراً بيئته ، فيلسوف ظن أن الاصطلاحات والظنون والمزاعم الباطلة ، أو تلقيق وجهات نظر فلاسفة متعددين (أو متفلسفين) تؤلف فلسفة حديثة أو تقدم معطيات جديدة في عالم الفلسفة والعلم .

إن فلسفة هؤلاء ، هذه الفلسفة التي طابعها المادية ، هي وليدة نفوس متحجرة ، بعيدة كل البعد عن فلسفة الإسلام الحقة ، إن هذا البعد نفسه يجعل الفيلسوف الغربي ومنهم (تمنان) يزعم أن ليس في القرآن فلسفة أو أن القرآن يتعارض ونظر العقل الحر ، انه يريد اصطلاحات وتلقيقات ليس من ورائها الوصول إلى صلب الحقيقة والواقع وإنما هي ظنون وأهواء !! « إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم المهدى » .

إذا كان موضوع الفلسفة البحث عما وراء الطبيعة وكان ما هو وراء المادة أو الطبيعة مجهولاً لهذا الإنسان لعدم وجود مقياس مشترك بين هذين العالمين ، فمن العيب أن يزعم أو يوقن هذا الإنسان أن ما تميله عليه نفسه (هذه النفس التي تتحول معطياتها من وقت إلى وقت) هو الواقع الصحيح . أما الفكر البشري ، فيعمل لأجل البحث عن خواص المادة والقوانين التي تحكم فيها وليس له أن يقيس ما وراء الطبيعة على ما هو في الطبيعة ، فيعمم ما يجده من قوانين ومعادلات في الطبيعة على ما وراء الطبيعة ، وأن قول الله تعالى : « ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمرربٍ وما أُوتّيتم من العلم إلا قليلاً » هو غاية ما يمكن أن يقال عن الروح مع ما تحن فيه من جهل مسير .

فَا تَقُولُهُ الْفَلَاسِفَةُ عَنِ الْوِجُودِ ، وَعَنِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَعَمَّا وَرَاهُ الطَّبِيعَةُ
 لَا يَخْلُوُ عَنْ مَقْتَرَحَاتِ تَسْمُّعٍ عَنْ مَرْتَبَةِ نَفُوسِ أَصْحَابِهَا فِي سَاحَاتِ الْكَمالِ أَوْ
 أُودِيَّةِ التَّسَافَلِ وَهُوَ لَيْسُ مِنَ الْوَاقِعِ الْحَقِيقِيِّ فِي شَيْءٍ . ذَلِكَ لَأَنَّ الْعُقْلَ
 الْفَطَرِيَّ يَنْحِجُ عَنْ فَعَالِيَّتِهِ وَاعْطَاءِ الْحُكْمِ الصَّحِيحِ عِنْدَ تَلُوتِ النَّفْسِ .
 « وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ ذِكْرِ بَآيَاتِ رَبِّهِ ، فَأَعْرُضْ عَنْهَا وَنَسِيْ مَا قَدَّمْتُ يَدَاهُ ،
 إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قَلُوبِهِمْ أَكْنَةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ، وَإِنْ تَدْعُهُمْ
 إِلَى الْهُدَىٰ : فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذْنَ أَبْدًا »^(١) . « كَذَلِكَ نَسْلَكَهُ فِي قُلُوبِ
 الْجَرْمِينَ »^(٢) ، لَا يَوْمَنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سَنَةُ الْأَوَّلِينَ » . فَهُنَاكَ رَابِطَةٌ
 وَثِيقَةٌ بَيْنَ مَعْطِيَّاتِ الْعُقْلِ عَنِ الْفَلَاسِفَةِ الْحَقِيقَةِ وَدَرْجَةِ تِكَامُلِ النَّفْسِ وَتِسَافَلِهَا .
 وَأَمَّا فَلَسْفَفَةُ الْقُرْآنِ أَوِ الْحَقَائِقِ الَّتِي أَوْحَاهَا اللَّهُ تَعَالَى إِلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَهِيَ الْحَقُّ الْصَّرِيحُ الَّذِي لَا غَيْرَ عَلَيْهِ وَلَا رَيْبُ فِيهِ ، بَعْدَ اثْبَاتِ
 نَبِيَّ مُحَمَّدَ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ بِالْعُقْلِ وَالْمَنْطَقِ . ذَلِكَ لَأَنَّ هَذِهِ الْحَقَائِقَ إِنَّمَا جَاءَتْ
 مِنْ مَنْبَعِ صَافٍ فَيَاضٍ . جَاءَتْ بِوَحْيٍ مِنْهُ تَعَالَى : « أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ
 وَهُوَ الْلَّطِيفُ الْخَبِيرُ »^(٣) . « وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ
 مَبِينٍ »^(٤) .

★ ★ ★

وَقَدْ أَضَرَتْ فَلَسْفَفَةُ الْيُونَانِ وَفَلَسْفَفَاتُ الْأَخْرَى بِالْإِسْلَامِ ضَرَرًا بِالْغَالِبَأَ . عَلَى
 أَنَّهُ قَدْ نَبَغَ فِي الْمُسْلِمِينَ مِنْ تَفْهِمِ الْفَلَاسِفَةِ الْيُونَانِيَّةِ وَصَحِحَّهَا عَلَى ضَوْءِ فَلَسْفَفَةِ
 الْإِسْلَامِ الْحَقَّةِ ، وَمَعَ ذَلِكَ كَمَا لَمْ يَنْجُ هُؤُلَاءِ الْفَلَاسِفَةِ مِنِ الزَّلَلِ فِي القَوْلِ
 وَالْابْتِعَادِ عَنْ صَرِيحِ الْقُرْآنِ . فَالْإِسْلَامُ فِي غَنِيَّةٍ عَنِ اسْتِجَادَاءِ فَلَسْفَفَةِ بَشَرِيَّةِ
 حَالَكَةٍ . فَقَدْ جَاءَ فِي (أَصْوَلُ الْكَافِ) ، عَنْ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

(١) سورة الكهف : ٥٨

(٤) سورة الحجر : ١٢

(٣) سورة الملك : ١٤

(٥) سورة المزمل : ٧٥

ـ قال رسول الله (ص) . القرآن هدى من الضلاله ونبیان من العمى ، واستقالة من العثرة ونور من الظلمة وضياء من الأحداث وعصمة من الهملة ورشد من الغواية وبيان من الفتن وبلغ من الدنيا إلى الآخرة . فيه كمال دینكم . وما عدل أحد عن القرآن الا إلى النار » .

ولا يعلم صحة ما قاله رسول الله (ص) الا من سلك مسالك الصلاحاء . ونهج مناهج الأنقياء ، عند ذلك يعلم أن لا فلسفة تطابق الواقع والمنطق الا فلسفة القرآن الحقة .

★ ★ *

وكم المنصفين من الغربيين من شهادات تنص على عظمة القرآن واته كتاب الله المنزل « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد » .

فقد قال : « أدموند يورك » الخطيب السياسي الانكليزي : « القانون الحمدى : (القرآن) قانون ضابط للجميع من الملك الى أقل رعایا ، وهو قانون نسج بأحكام نظام قضائى وأعظم قضاء علىى ، تشريع لامع ما وجد فقط مثله في هذا العالم من قبل » .

وقد قال الكاتب (مرأشى) : « من يتأمل آى انقرآن يجد أن أساس الإسلام التوحيد وقطبيه التآخى وتحسين شؤون العالم تدرجياً بواسطة العلم . فهذه هي الأسباب الحقيقة لظهور الإسلام » .

وقال (المستر بيكتول) : « القرآن هو الذى دفع العرب الى فتح العالم ومكّنهم من إنشاء امبراطورية فاقت امبراطوريات اسكندر الكبير ، والامبراطورية الرومانية . سعة وقوة وعمراناً وحضارة ودولاماً » .

وقال (گوستاو لوبيون) : « إن القرآن لم ينشر الا بالإقناع لا بالقوة ، فاستطاع بذلك أن يجذب إليه الشعوب وتدین به تلك الشعوب » .

وقال (ريتو نبورث) : « يجب أن نعترف أن العلوم الطبيعية والفلك والفلسفة مقتبسة من القرآن ، فجميع العلماء مدینون له ». .

ويقول أحد الغربيين الذين اعتنقوا الدين الإسلامي : « هل يتأتى تجسيع فلاسفة العالم أن يثبتوا اغلاطة واحدة في القرآن ، ولو ارتكبنا على كل ما في أيديهم من العلوم العصرية ، لا يتأتى لهم ذلك . ولو وجدوا فيه خطأ صغيراً ما كانوا إلا مظيريه . ولكن أني لهم ذلك !؟ والعلوم كل يوم في تبدل وتغيير . وفي كل لحظة تظهر معانٍ باهرة لآيات قرآنية ، ما كنا لنفهم معناها إلا بعد تقدم العلوم ». .

« لأضرب لكم مثلاً : كان الفلكيون يدعون أولاً أن الأرض ثابتة والشمس متحركة^(١) ، ثم قالوا : بل الأرض متحركة والشمس ثابتة ، ثم جاءوا اليوم يقولون : علمنا الآن أن كلاً في فلك يسبحون ، وإن الشمس تجري لمستقر لها . فمن هنا علمنا أن العلوم تتغير وترتفق والقرآن ثابت لا يتغير بالحوادث ». .

« فإن وجد في الكتاب الحكيم شيء لا نفهمه ، وجب علينا أن ننتظر رقي العلوم ، ولا نشك لحظة في صحة القرآن ». .

ثم يقول : « قصدت في سياحاتي مدينة (بو تارليه) لمقابلة الدكتور (جرينه) المسلم الفرنسي الشهير ، الذي كان عضواً في مجلس النواب ، للسؤال عن سبب دخوله في الإسلام ، فعند الوصول والسؤال منه ، قال لي : « تتبع كل الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبيعية والصحية والطبية التي درستها من صغرى وفهمتها جيداً فوجدتها منطبقة كل الانطباق مع معارفنا الحديثة ، فأسلحت ، لأنني تيقنت أن محمدآ (ص) أتي بالحق الصراح ،

(١) أقد قال فيتا غورث قبل الميلاد : إن الأرض تدور حول الشمس ، أي أن الشمس ثابتة والارض متحركة . وقد فات الساكت أن يضيف ذلك . . . وقد بينا حركة الشمس في الجزء الاول من شيء من التفصيل

من قبل ألف سنة ، من غير أن يكون له مدرس من البشر . ولو أن صاحب كل فن من الفنون أو علم من العلوم ، قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما يعلمه جيداً ، كما قارنت أنا ، لأسلم . دون ريب ، إن كان عاقلاً ، خالياً عن الأغراض^(١) .

* * *

يقول المؤرخ الكبير : (لوثرب ستودارد) في كتابه (حاضر العلم الإسلامي) :

« قد سارت الممالك الإسلامية في القرون الثلاثة الأولى من تاريخها (٦٥٠ - ١٠٠٠ م) أحسن سير . فكانت أكثر أصقاع العالم حضارة ورقياً وتقدماً وعمراناً ، مرصعة بجوهر المدن الظاهرة والحاواضر العاصرة والمساجد الفخمة والجامعات العلمية المنظمة ، وفيها بمجموع حكمه القديمة ومخزن علومهم يشعان اشعاعاً باهراً ، وما انفك الشرق الإسلامي خلال هذه القرون الثلاثة يرسل إلى الغرب نوراً » .

ويقول : (گولدزير) تحت عنوان (الدين والروعة) : « إن الإسلام رسم للحياة مثلاً أعلى غير مثل أعلى للحياة في الجاهلية . وهذا المثلان لا يشايران وكثيراً ما يتناقضان ، فالشجاعة الشخصية والشهامة التي لا حد لها والكرم إلى حد الإسراف ، والإخلاص التام للقبيلة ، والقسوة في الاتقام ، والأخذ بالثار من اعتدى عليه أو على قريب له أو على قبيلته يقول أو فعل ، هذه هي أصول الفضائل عند العرب الوثنين في الجاهلية ، أما في الإسلام : فالخضوع لله والانقياد لأمره ، والصبر وأخضاع منافع الشخص ومنافع قبيلته لأوامر الدين ، والقناعة ، وعدم التفاخر ، وتجنب الكبر والعظمة هي المثل الأعلى للإنسان في الحياة » .

(١) من مقال للإسماز السيد أحمد الحسيني في مجلة « صوت المليدين » الذي تصدر بكريلاه .

ويقول : (ليودوروش) « إن الإسلام دين انسانى طبيعى اقتصادى أدبى ، ولم أذكر شيئاً من قوانيننا الوضعية إلا وجدته مسروعاً فيه ، بل إنني عدت الى الشريعة التي يسمى بها (جول سيمون) : (الشريعة الطبيعية) ، ووجدتها كلها أخذت عن الإسلام ، ثم بحثت عن تأثير هذا الدين في نفوس المسلمين ، فوجدته قد ملأها شجاعة وشهامة ووداعة وجمالاً وكرمًا ، بل وجدت هذه النفوس على مثال ما يحلم به الفلاسفة من حب الخير والرحمة والمعروف في عالم لا يعرف الشر والهوى والكذب » .

ويقول (ماسينيون) : « يمتاز الإسلام بأنه يمثل فكرة مساواة صحيحة بمساهمة كل فرد من أفراد الشعب بالعشر من موارد الجماعة ، والإسلام ينفي التبادل غير المقيد ، كما يساوى الأموال المصرفية في حين أنه شديد التمسك بحقوق الولد والزوجة والملوكية ورؤوس الأموال التجارية . فهو بذلك يقف موقفاً وسطاً بين البورجوازية الرأسمالية والشيوعية البلاشفية . وللإسلام ماضٍ بدائع من تعاون الشعوب وتفاهمها ، وليس من مجتمع آخر له مثل ما للإسلام ماضٍ كله التوفيق في جمع كلية مثل هذه الشعوب الكثيرة المتباينة على بساط المساواة في الحقوق والواجبات ، ولقد برهنت الطوائف الإسلامية الكبرى في إفريقيا والمهد والهند الشرقيـة وإنجـارات الصغـيرة منهاـمـ في الصين واليابـانـ علىـ أنـ الإـسـلامـ يـسـطـيعـ أـنـ يـوـقـعـ بـيـنـ العـنـاـصـرـ الـتـيـ لـاـ سـبـيلـ إـلـىـ التـوـفـيقـ بـيـنـهـاـ .

* * *

ولكي نعرف الإسلام أنه دين الفطرة والنساج ، لا بأس بذكر شهادة (سيرت . و . أرنولد) في كتابه : (الدعوة إلى الإسلام) : « ومن هذه الأمثلة التي قدمناها آنفاً عن ذلك النساج الذي بسطه المسلمون الظافرون على العرب المسيحيين في القرن الأول من الهجرة ، واستمر في الأجيال

المتعافية ، نستطيع أن نستخلص بحق أن هذه القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام إنما فعلت ذلك عن اختيار وارادة حرة . وإن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على هذا النساج » .

حق الله على أيدي العاملين المجاهدين : أن يدين العالم أجمع بدين الفطرة : دين الإسلام ، دين العقل والمنطق ، فيقول كل فرد من أبناء العالم : « ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم ، فامنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوتنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار » (١) .

* * *

وهكذا نرى (الإسلام) دين العلم والعمل الصالح ، قد حق على أيدي المسلمين كثيراً من المكتشفات في شئ الحقول حتى عدوا مؤسسى النهضة العلمية الحديثة في أوروبا ، ولم يكتف الإسلام بالحدث على العلم فحسب ، بل أراد للبشر الاستمرار في البحث والاسترادة من العلم دوماً وذلك بقوله تعالى لرسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « وقل رب زدني علما » .
 غاية ما هنالك : يريف (الإسلام) أن يرافق الورع والتقوى العلم والمكتشفات ، كي يتزوج منها (٢) اليقين بالله وكتبه ورسله وبعوالم القدس وحياة لا ظلم فيها ولا فساد . وذلك بقوله جل من قائل : « أَمْنٌ هُوَ قَانِتٌ آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربها ، قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولو الأناب » (٣) .

(١) سورة آل عمران : ١٩٣

(٢) التقوى والعلم .

(٣) سورة الزمر : ٩ ، قانت : طائع ، مواطن على الطاعة .

من مقاييس القرآن

« والسماءَ بنيناها بأيديِّ وانا لمْ يسعونَ »

في القرآن الكريم (٧٥٠) آية كونية، هي عصارة ما توصل إليه العلم الحديث، لاسيما في القرن الأخير . وإنها معجزة خالدة ما بعدها معجزة . كل ذلك ، لكي يعتبر هذا الإنسان بهذا الكتاب الساوى ويعلم أنه منزل من ربه لحمايته ، ويعلم أنه لم يخلق عبشاً وإنما خلق لغاية سامية تتناسب وعظمته خالقه : « وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين ، ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثراهم لا يعلمون » . (سورة الدخان : ٣٨ - ٣٩) . إنه تعالى يقول نحن بنينا السماء بقوتنا وقدرتنا ونحن نوسع السماء ونوسعنها حيث لا يعلم مدى هذا التوسيع والإمتداد إلا الله تعالى .

كان (أينشتاين) يريد أن يحسب وزن العالم : (الكتلة) أي وزن ما في الكون من كواكب وأنجوم وأجرام ، ثم عدل عن هذا الرأي لما رأى أن نجوماً تتشكل حديثاً ونجوماً أخذت تقطع مراحل الكهولة وقد أوشكت أن تبيد .

وقد ثبت أخيراً أن الأجزاء النائية من الكون تندفع في الفضاء بسرعة مخيفة ، وأن الكون أخذ بالتتوسيع بسرعة فائقة .

يقول علماء الفلك : إن بمحو عتنا النجمية تشمل مائة مليون من النجوم أو أكثر . وإن ما بين النجوم يمتليء بالغازات ومواد مختلفة ، خلاف ما كان يتصوره بعض الناس قبل ذلك . وإن التحليل الطيفي للنجوم البعيدة جداً قد دل بصورة قطعية على وجود الغاز الكوني بين النجوم وال مجرات بحالة تخلخل شديد جداً ، إذ قدرت كثافته بنحو ميليون واحد في كل مليون

ميل مكعب من الفضاء . وهذا العاز مكون كله تقريباً من غازى الأيدروجين والهليوم ومن دقائق ترابية .

قد ثبت أن النجوم كلها متحركة « كل يجري لأجل مسمى » وأن مواضعها بالنسبة لبعضها البعض قد تغيرت . ولكن لكونها بعيدة عنا جداً أى بعيدة عننا ملايين السنين من السنين الضوئية لا نشعر بحركتها ، فلا تبدل خارطة السماء إلا في بعض مئات من آلاف السنين . وأما السنة الضوئية فهي ما يقطعه الضوء بسرعة الكبيرة خلال سنة واحدة من أميال أو كيلومترات . وبما أن الضوء يقطع في الثانية (١٨٦٠٠٠) ميل أو (٣٠٠٠٠٠) كيلومتر تقريباً . وإن السنة تعادل (٣١٥٣٦٠٠٠) ثانية . إذن : $60 \times 60 \times 24 \times 365 \times 186000 = 586569600000$ ميل وهو ما يقطعه الضوء من أميال خلال سنة واحدة . أى ٦ مليون مليون من الأميال على وجه التقرير . أو ١٠ مليون مليون كيلومتر تقريباً .

وقد علم أن متوسط سرعة النجوم في حركتها إلى جهات شتى هو (٢٠) كيلومتراً في الثانية . فالشمس مع سياراتها (عطارد ، الزهرة ، الأرض ، المريخ ، المشترى ، زحل ، أورانس ، نبتون ، بلوتو) وتباعها من أقمار تتحرك بسرعة تبلغ (١٩٥) كيلومتراً في الثانية الواحدة بالنسبة للنجوم القريبة حولها أى أن الشمس مع سياراتها وتباعها تتحرك بهذه السرعة الهائلة : (سبعين ألف كيلومتر في الساعة تقريباً) على شكل لوبي نحو نجمة في السماء تسمى بالنصر الواقع . وتتحرك بسرعة أخرى في فلك حول مركز المجرة .

وال مجرة هي منطقة طويلة من النجوم تمتد فوق رؤوسنا كالقوس ويمتد من أفق إلى أفق وقد تركزت فيها النجوم أكثر تركيزاً وتمكنت فيها ببعضها فوق بعض أكبر تكثيف ، أو هي كالطريق في السماء ازدحم بسائلكيه

ازدحاماً وما سالكوه إلا النجوم . على أن في السماء مثل هذه المجرة التي فوق رؤوسنا مجرات متعددة لا تعد ولا تحصى .

وقد دلت الأبحاث على أن نجوم كل مجموعة في المجرة فضلاً عن دورانها في أفلاك بعضها حول بعض ، فإنها جميعاً تتحرك بحركة مشتركة حول المحور الأصلي العمودي على الدائرة الإستوائية للمجرة .

فالأجرام تدور في مجموعة بأفلاك ثابتة بالنسبة لبعضها البعض وفي الوقت ذاته تدور كل مجموعة بأجرامها المتلازمة حول المحور الأصلي للمجرة في فلك خاص .

وقد دلت البحوث الدقيقة من التحليل الطيفي للمجرات الخارجية على أنها تبتعد عنا ، أي يتبعها بعضها عن بعض باستمرار وسرعات عظيمة جداً تقدر بآلاف الأميال في الثانية الواحدة . فعلم أن الفضاء يتمدد بين المجرات ويتسع باستمرار . وإن هذا التمدد يقدر بمائة وخمسة أميال في الثانية الواحدة لكل بعد قدره مليون سنة ضوئية . وعلم أن حجم الفضاء العالمي الآن يبلغ نحو عشرة أمثال حجمه منذ بداية تمدده . أي أن كل بعد من أبعاده الثلاثة قد زاد قليلاً على ضعف ما كان عليه أولاً . وعلم أيضاً أن هناك من النجوم حجومها ملايين المرات قدر حجم الشمس .

ولقد أمكن باستعمال أجهزة خاصة التعرف إلى نجوم قد أرسلت ضوءها منذ ملايين السنين ولكنها لم يصل إلينا حتى الآن . فعلينا أن نتصور سعة الكون الذي خلقه الله تعالى وهو يتسع يوماً بعد يوم بأمره تعالى كما اتسع بأمره حتى بلغ ما عليه اليوم .

وعلم أيضاً بعد مشاهدات دقيقة أن هناك ملايين من مجرات خارجية منتشرة في الفضاء كما بینا وأن كل مجرة مؤلفة من بلايين النجوم .

يقول (سير جينز) : إن أكثر هذه المجرات منتشرة انتشاراً منظماً في طبقات متتالية يبلغ متوسط البعد بين بعضها والبعض الآخر نحو مليون

ونصف من السينين الضوئية مع العلم ان الضوء يقطع ٦ مليون مليون من الأميال (تقريبا) في سنة واحدة .

يقول الأستاذ (كامو) : إن (هيل) مدير مرصد (مونت ولسن) الذي له أبحاث هامة عن المجرات الخارجية : قد سبر أغوار الفضاء بمرقب مرصدہ الكبير وتوغل فيها فتمكن من النظر إلى مسافات سحرية تقدر نحو خمسة مليون سنة ضوئية . وقد أحصى من المجرات الخارجية نحو مائة مليون مجرة وأنه يحتمل وجود مجرات أخرى على مسافات أعظم من هذه التي شاهدها (هيل) .

ويقول : إن أبعاد هذه المجرات الخارجية تتضاءل بجانبها أبعاد مجراتنا التي يبلغ قطرها نحو مائة ألف سنة ضوئية وسمكها نحو عشرة آلاف سنة ضوئية .

وقد دل الحساب الرياضي من المشاهدات الدقيقة : على أن أبعاد المجرات الخارجية عن مجرتنا مذهلة . إذ وجدوا أن أقربها منا ، ويدعى سديم : (أندرو ميدا العظيم) يبعد بنيحو ستة وثمانين ألف سنة ضوئية . ثم تزيد أبعاد المجرات بعد ذلك إلى ملايين ، ثم عشرات الملايين ، ومئات الملايين من السينين الضوئية . فما أوسع فضاء هذا الكون وما أعظم ما خلق الله العلي القدير .

إذا كانت نجسنا هذه تبعد عن أقرب نجمة إليها ٢٦ مليون ميل ، فإن الصاروخ يجب أن يسير بسرعة الضوء أى بسرعة (١٨٦٠٠٠) ميل في الثانية ، مدة أربع سنوات وأربعة أشهر تقريباً كي يصل إلى أقرب نجمةلينا . وأنى للصاروخ أن يسير بهذه السرعة العظيمة وأن يقطع في الثانية الواحدة (١٨٦٠٠٠) ميل أو (٣٠٠٠٠٠) كيلو متر . مع العلم أن أسرع ما وجد من الأجسام المادية السريعة (عدا الأرواح طبعاً) هو الضوء . وكل ما كان اكتشاف من الضوء كانت سرعته أقل . ويقال إن سرعة الأمواج

الهertzية هي بقدر سرعة الضوء تقريراً وهي طاقة كهربائية . فلا يمكن أن توجد واسطة مادية سرعتها بقدر سرعة الضوء على ما ثبت في الفيزياء . وعلى فرض الإمكان فنحتاج من العمر مئات الملايين من السنين كى نصل إلى بعض النجوم التي نشاهدها بالآلات الحاضرة ، شريطة أن نسير بسرعة الضوء . وما لا شك فيه أنه مع تقدم العلم سوف يمكن (باذن الله) كشف آلات أدق وأمن ، غيرى إذ ذاك من النجوم والجموعات النجمية والجرات ما لا يمكن رؤيته في الوقت الحاضر .

إن الله تعالى يقول : « تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » ^(١) : فيقصد الملك أو جبرائيل في ما خلق الله من أ��وان في يوم مقداره خمسون الف سنة ، وبما أنه لا يمكن قطع ما خلق الله تعالى من مسافات شاسعة وأڪوان متعددة بسرعة الضوء وإن استمر السير ملايين ملايين من السنين ، إذن وجب أن نقول أن سرعة سير الملك أضعف أضعف سرعة سير الضوء .

وقد عُلم أخيراً أن في الفضاء منظومات شمسية تعداداً بالملايين تشبه نظامنا الشمسي ، أي أن كلا منها له سيارات فتقـت منه وتدور حوله وتوابع وأقمار فتقـت من سياراتها وتلتف حولها وأنه بسبب أبعاد النجوم الساحقة وضـلة الضوء المنعكس من السيارات وضعـف قوة المراقب : (Telescopes) الحالية لا يمكن اثبات وجود هذه الأنظمة (المنظومات الشمسية) بالمشاهدة الفعلية .

فانظر كيف تتحقق الآية الكريمة : « والسماء بنيناها بأيدينا وإنما لموسعون » وقد نزلت في وقت لم تكن هناك مراقب (تلسكوبات) ، ولم يكن يعلم أحد أن هذه السماء تتسع يوماً بعد يوم بنظام خاص أو دعوه الله فيها وطاقات

هائلة جهزها الله بها . فقد حدث انفجار في الشمس سنة ١٩٥٦ م قدرت الطاقة المتحررة ، فكانت تعادل طاقة ١٠٠ مليون قنبلة هيروجينية مع العلم أن طاقة قنبلة هيروجينية تعادل طاقة ألف قنبلة ذرية . والقنبلة الذرية لا تبقى ولا تذر ! فسبحان الذي خلق هذه الطاقات الهائلة بإرادته وشكلها كما يشاء بحكمته ، وأودع فيها من النظم والقوانين والمعادلات كما أراد بتديره . وهو القائل : « ما أشهدتم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم »^(١) . إن الإنسان ليندش حين يرى أن علياً عليه السلام يجيب عندما يسأل عن المسافة بين السماء والأرض . بقوله : « دعاء مستجاب ». ذلك لأنه ليس هناك عدد يمكن أن يعبر به عن هذه المسافة التي لا يعلم مداها إلا الله سبحانه وتعالى . إلا أن يقال : « دعاء مستجاب ». فإن الله تعالى لا يخلو منه مكان وهو القائل : « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد »^(٢) . « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ، ثم ينبع لهم بما عملوا يوم القيمة . إن الله بكل شيء عليم »^(٣) .

فهل يجدر بهذا الإنسان أن يركب الغرور ، فيترك عبادة ربه ، هذه العبادة التي تأخذ بمجامع قلبه وتجعله سائراً في عالم الملائكة ، سائراً في ساحات القدس ، حيث لا دنس ولا رجس . سائراً في عالم من الاطمئنان والحبور ما لا يمكن أن يقاس بأفراح هذا العالم المادي وما يترشح من المادة الصهباء ، منغمساً في موسيقى العالم اللاهانى تاركاً العالم المادي الضيق الحالك وراء ظهره .

فطوبى لنفوس عرفت لماذا خلقت ، فازدادت معرفة بالله تعالى وحققت

(١) سورة الكهف : ٥٤

(٢) سورة ق : ١٦

(٣) سورة المجادلة : ٧

الغاية الرفيعة التي خلقت لأجلها . وهو القائل كما جاء في حديث قدسي مخاطباً ابن آدم : « خلقت الأشياء لأجلك و خلقتك لأجلِي ». « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتن » (١) .

أيجدر بهذا الإنسان أن يعشوا فساداً في الأرض والله تعالى يقول : « كوا واشربوا ولا تعشو في الأرض مفسدين ». كل ذلك : لأنَّه جاء بصاروخ أدواته من خلق الله ، وتركيبه بعقل أوجده الله . مع علمه أنَّ هذا الصاروخ مركب من (٣٠٠٠٠٠) قطعة مرتبة ترتيباً هندسياً دقيقاً لو تخلفت أحدي القطع عن الترتيب الهندسي لفشل الصاروخ ووقف عن الإنطلاق » فكيف لا يعظم ولا يتقدس حالقه الذي جهز منه بـ (٢٠٠٠٠٠) عصب لكل واحد منها وظيفته ، فلو نجسَ أحدُها حدثت عوارض تختلف عملاً و جس غيره . ولو حسبنا بحساب رياضي (حساب الاحتمالات) نرى أنَّ ليس هناك أية صدفة تجعل عشرين مليون عصب تترتب بهذا الترتيب الدقيق حتى تتوارد عليها الإحساسات فتشعر الروح بواسطتها بما حدث . فهي دونما تشبيه كآلة الراديو . فكما أن الراديو ليس هو الصوت والمتكلم هكذا هذه الأعصاب الكثيرة في المخ الإنساني ليست هي الروح والانسان وإنما واسطة لتحسس الروح أو النفس . وحسب ما هو مقرر في حساب الاحتمالات : إن الاحتمال الذي يجعل عشرين مليون عصب تترتب ترتيباً هندسياً فيؤدي إلى انتاج مطلوب هو واحد من ١٠ متبوعة بعشرين مليون صفر إلسا صفر واحداً ، أي : واحد من ١٠ مرفوعة إلى قوة عشرين مليون . ومعلوم ان

$$\text{مال نسبة : } \frac{1}{2^{20} \times 10} \text{ أو : } \frac{1}{10}$$

ولما كان ما خلق الله من عوالم مختلفة من جماد ونبات وحيوان وما رتب
كل منها ترتيباً دقيقاً لا يُعد ولا يحصى إذن تصبح النسبة :

$$\frac{1}{\infty} = \frac{1}{\infty}$$

على أن المفكرة أن يقول : ومن أين جاءت هذه الأجزاء التي كل منها
بدورها مشكل من جزيئات أخرى بصورة دقيقة وهندسية وهكذا دواليك
حتى ينتهي بنا إلى جهل الواقع .

«فانها لا تعمي الابصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور»^(١) .
كيف لا يفكرة هذا الانسان أن من يأتى بتركيب هذا الانسان العجيب
لا يخلق عبشاً ولا يوجد لاهياً ، وان وراء هذا الخلق غاية رفيعة سامية .
ألا وهي معرفة الله تعالى وهو القائل كما جاء في حديث قدسي : «كنت كنزآ
مخفيآ فأحببت أن أعرف ، نقلت الخلق لكي أعرف» . فلا بد من أنبياء
ولا بد من دساتير تقرب النقوس الى الله تعالى . وهو القائل : «لو أردنا
أن نتخذ لهم أداة لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين»^(٢) .

ولكنها الذنوب والفحود والخنور ، تراكمت دون توبه واستغفار على قلب
هذا الانسان فجبرته عن رؤية الحق والواقع وأعمته : «إن أعمى العمى عني
القلب» فصار لا يؤمن إلا بالمادة العمياء ، وسول له شيطانه من اعده وصار
يتصدق ويعزو كل شيء حتى الأخلاق الى المادة والوضع الاقتصادي وكأنه
جاء بفلسفه ! وفهم سر الحياة متمناً غيره بالرجعيه والخرافة ! «ومن يعش
عن ذكر الرحمن فقيض له شيطاناً فهو له قرين . وإنهم ليصدونهم عن السبيل
ويحبسون أنفسهم مهتدون . حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين
فيهس القرين»^(٣) .

(١) سورة الحج : ٤٦

(٢) سورة الانبياء : ١٧

(٣) سورة الزخرف : ٣٦ — ٣٨

ما اعظم هذا الحديث ، حيث يشرح تأثير الذنوب في النفس ؛ « اذا اذنب العبد كانت نكبة سوداء على قلبه ، فإن هو تاب وأفلح واستغفر صفا قلبه . وإن هو لم يتب ولم يستغفر كان الذنب على الذنب والسوداء على السوداء حتى يغمى القلب ». لذلك يستحب أن يستغفر كل منا عندما يأخذ مصحجه ليلاً قائلاً : ثلاثة مرات : « استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ». كي لا تترافق ذنب به بعضها على بعض فيسود قلبه ، فيأتي دور الإنكار والمحود : بل هو آيات بينات في صدور الذين أتوا العلم ، وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون »^(١) . « ويجادل الذين كفروا بالباطل ليحضروا ، به الحق ، واتخذوا آياتي وأذروا هزوا »^(٢) .

ولكن منها يكن من شيء فان الغبة للمؤمنين في هذا العالم على قلمتهم . ذلك لأن الله تعالى يقول : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنما لحافظون »^(٣) . فلا بد من تضحية ، لا بد من جهاد . وهو القائل : « والذين جاهدوا فينا لنهدى بهم سبلنا وإن الله لمع الحسنين »^(٤) .

(١) سورة المنكوبات : ٤٩

(٢) سورة الحكيم : ٥٧

(٣) سورة الحجر : ٩

(٤) سورة المنكوبات : ٦٩

فَرَأَ أُقْسِمْ بِمَا تَبْصِرُونَهُ وَمَا لَا تَبْصِرُونَهُ

- ١ -

إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعِلاً يُقْسِمُ بِمَا نَرَاهُ وَبِمَا لَا نَرَاهُ مَا خَلَقَ مِنْ عَوَالَمِ شَتِيٍّ :
عَالَمُ الْجَمَادِ وَعَالَمُ النَّبَاتِ وَعَالَمُ الْحَيْوَانِ وَعَالَمُ الْإِنْسَانِ وَعَالَمُ الْأَرْوَاحِ وَعَالَمُ الْجَنِّ
وَمَا فِي السَّمَاوَاتِ مِنْ عَوَالَمٍ لَا تُرَى حَتَّى بِأَدْقِ الْآلاتِ .

وَالْقُسْمُ بِمَا خَلَقَ قُسْمٌ بِعَظَمَتِهِ تَعَالَى وَبِالْدَقَّةِ الْمُتَنَاهِيَّةِ الَّتِي أَوْدَعَهَا فِي
خَلْقَاتِهِ ، وَارْتِبَاطُ هَذِهِ الْخَلْقَاتِ بِعَضِهَا بِعِصْمٍ ارْتِبَاطًا وَثِيقًا يُحِيرُ الْأَلْبَابَ :
« مَا تُرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَانِ مِنْ تَفَاقُوتٍ . فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تُرَى مِنْ فَطُورٍ .
ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَتَيْنِ ، يَنْقُلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ » . ذَلِكَ
لَانَّ إِنْسَانَ كَلِمَا تَقْدِيمَ فِي تَحْقِيقَاتِهِ وَتَجَارِبِهِ ، كَلِمَا ظَفَرَ بِدَسَاطِيرِ جَدِيدَةِ
كَانَتْ تَخْفِي عَلَيْهِ ، وَخَوَاصِ عَجِيَّبَةِ وَسِعَةِ لَا تَتَنَاهِي وَدَقَّةَ لَا تَسْتَقْصِي ،
أَوْدَعَهَا اللَّهُ فِي أَرْجَاءِ هَذَا الْكَوْنِ الرَّحِيبِ .

فَيُحِقُّ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُقْسِمَ بِعَظَمَتِهِ الَّتِي - لَا تَتَنَاهِي - هَذِهِ الْعَظَمَةُ الَّتِي تَتَجَلِّي
فِي مَا نَبْصُرُهُ وَمَا لَا نَبْصُرُهُ .

إِنْ قَابِيلَيْهِ الْإِنْسَانُ فِي الْإِبْصَارِ قَابِيلَيْهِ مُحَدُودَةٌ ، لَذَلِكَ يَسْتَعِينُ بِآلاتِ شَتِيٍّ :
(الْمَجْهُرُ : Microscope) كَيْ يُبَصِّرَ الدَّقِيقَ مِنَ الْأَشْيَاءِ ، كَالْمِيكْرُوبَاتِ
وَالْجَرَاثِيمِ الَّتِي يَحِبُّ أَنْ تَكْبِرَ آلَافَ الْمَرَاتِ بِلَعْشَرَاتِ الْآلَافِ ، كَيْ يَمْكُنَ
رَؤْيَتِهَا ، أَوْ يَسْتَعِينُ بِالْمَرْقُبِ : (Telescope) لَسِيرِيَّ فِي مَسَافَاتِ
شَاسِعَةٍ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ كَوَاكِبِ وَأَنْجَمٍ وَشَمُوسٍ وَمَجَرَاتٍ وَمَا أَوْدَعَ اللَّهُ فِي
الْفَضَاءِ مِنْ مَادَةٍ غَازِيَّةٍ قَلِيلَةَ الْكَثَافَةِ جَدًّا .

• • •

قدَ بَلَغَ بَعْضُ الْأَفْرَادِ فِي أُورُوبا التَّسَافَلَ فِي النَّفْسِ حَتَّى صَارُوا يُحَمِّدونَ

الروح والنفس والملائكة ، يجحدون الخالق جل جلاله وكل ما لا يرى بالعين ويؤمنون بكل ما يرى بالعين .

حين أن العين ذات قابلية محدودة . فهناك كثير من الأشياء كان ينكرها المادى سابقاً لعدم وجود آلات يتصورها بها ، ثم اعترف بها بعد اكتشاف آلات تساعد على الرؤية . وكذلك اليوم ، هناك كثير من الأشياء لا ترى حتى بأدق الآلات ولكنها سوف ترى في مستقبل قريب عندما تكتشف آلات جديدة ودقيقة جداً .

لذلك تقسم الموجودات إلى : منظور وغير منظور . وكل ما يراه الإنسان بعيته المجردة أو بالمجاهر أو بالمراقب أو الأجهزة المقربة وكل ما في السماء وما تحت الأرض وما في قاع المحيطات وما في السحب : كل ذلك من العالم المنظور . وأما العالم غير المنظور فهو ما لا يمكن رؤيته بالآلات أو بالعين المجردة ولكن موجود ، يحكم العقل بوجوده أكثر مما يحكم بوجود المنظور كالخشبة .

فهناك أشعة لا ترى بالعين ولا بالآلة : أشعة غير منظورة . أى أن هناك أشعة مرئية وأشعة غير مرئية . وإن الأشعة المرئية هي جزء صغير من الصورة الكلية للضوء . والأشعة غير المرئية أكثر تفرعاً وتأثيراً من الأشعة المرئية . لذلك أخذ يقول علماء الضوء : إن كلية (ضوء) أو (حزمة ضوئية) أو (إشعاع) قد لا تدل على حقيقة الضوء ، والأولى أن يقال : (الطاقة المشعة) ، لتدل على جميع أنواع الإشعاع : المرئي منها وغير المرئي .

على أن العلم الحديث لم يصل إلى حقيقة الضوء كما لم يصل إلى حقيقة القوى أو كل شيء قواني (منسوب إلى القوة) ، لم يصل إلى حقيقة القوة الجاذبة وحقيقة الكهرباء . وإنما تفرض فروض فيفسر بها بعض الظواهر ، ثم تحمد تلك الفروض بعد برهنة من الزمن ويعوض عنها بفرض أو فرضيات

() أخرى يمكن تفسير الظواهر القديمة والجديدة بها معاً وهكذا دواليك ..

فالعلم الحديث لا يتيسر له اللوچ الى اعمق الأشياء والوصول الى حقائقها التي لا حقيقة بعدها . وهو يعمل دوماً الوقوف على أسرار الأشياء واذا به يقف أمام او دية جديدة من المجاهيل تدهش الألباب .

فمن تلك الأشعة غير المرئية : الأشعة السينية (X Rays) ، أو اشعة (رونتگن) . هذه الأشعة تخترق الأجسام التي لا يمكن أن يخترقها الضوء العادي ! وقد اكتشفت بالصدفة . إنها قوية جداً ذات موجة قصيرة . فإن طول موجتها (١٠٠٠) مرة اقصر من طول موجة (الضوء المنظور) . ومن الأشعة التي لا ترى بالعين (ولو بالآلة) الأشعة الجيمية (أشعة كاماً) . وهي ذات موجة قصيرة ايضاً ، اقصر من طول موجة الأشعة السينية .

ومن الأشعة التي لا ترى : الأشعة (فوق البنفسجية Ultra - Violet) فان طول موجتها اطول من طول موجة الأشعة السينية واقصر من طول موجة الضوء المرئي .

ومن الأشعة غير المرئية : الأشعة (دون الحمراء) في شعاع الشمس . وهي موجات حرارية نحسّ بها ولا زراها وهي تصل الى الاعصاب والعضلات ، ولا يحس فيها الفيلم العادي للتصوير .

وقد استخدم الإنسان الانواع المذكورة من الاشعة في الكشف عن أمراضه ومعالجتها كثثير منها وقد استخدماها أيضاً في الغذاء والدواء .

وقد علم أن الاشعة (فوق البنفسجية) هي في شعاع الشمس ، تقتل كثيراً من الجراثيم المضرة . وقد جاء في الشرع الحمدى (ص) : أن أحد المطهرات هو الشمس . فظهور الأرض النجسة أو الابواب أو الجدران أو الاشجار أو المثار التي عليها (من غير المنقل) والمحصران والبوارى (من

المقول) بعد زوال العين : بإشراق الشمس عليها حتى تحف ، وإن كان ما ذكر جافاً فيصب عليه الماء حتى تجففه الشمس بالإشراق عليه . وهكذا موجات الراديو ، وموجات الرادار الذي يكتشف وجود الأشياء في الفضاء ويحدد مكانها بالضبط من النوع غير المنظور .

* * *

وقد تكون بعض الأجسام المادية ، في وقت ، من نوع غير المنظور ، لعدم وجود آلات تكشف عنها . وبعد اكتشاف آلات جديدة ودقيقة وتقديم الفيزياء والرياضيات العالمية ، تصبح من النوع المنظور .

مثال ذلك : ما كان يعلم قبل (١٠٠) سنة أن في كل مجرة عدداً كبيراً جداً من النجوم تكاد تعدد بالملايين تسودها أنظمة كالنظام الشمسي . أى أن كل منها شمس في حد ذاتها وقد فتقت منها سيارات وفتقت من السيارات هذه توابع وأقارب تدور حول الأم وتدور في الوقت نفسه حول نفسها . فإذا تقدمت الآلات الفلكية ، سيأتي اليوم الذي يُتلافى فيه ضالة الضوء المنعكس من الأنجام التي تقع في مسافات لانهائية وسوف نشاهد أنجاماً وعوالم كانت سابقاً من نوع غير المنظور .

لذلك يقسم الله تعظيمها لشأن ما خلق من عوالم لا تناهى ، عوالم لا ترى بالعين المجردة ولا بالآلات بقوله : « فلا أقسام بما تبصرون وما لا تبصرون » . كما أنه كان يعد سابقاً الغاز الموجود في الفضاء بين النجوم والذى يكتشفه أخيراً العلم الحديث من غير المنظور ، وقد أسمى منظوراً أو ملحوظاً محسوساً . ذلك لأن كثافة هذا الغاز تساوى ميليون ميل واحداً في كل مليون ميل مكعب من الفضاء .

* * *

فِرْ أَقْسَمْ بِمَا تَبْصُرُونَهُ وَمَا لَا تَبْصُرُونَهُ

- ٢ -

وَمَا لَا يَمْكُنْ إِبْصَارَهُ : الذَّرَّةُ ، فَإِنَّهَا مِنَ الصَّغَرِ بِحِيثُ لَا يَمْكُنْ لِلْإِنْسَانِ
أَنْ يَبْصُرَهَا حَتَّى بِأَدْقِ الْآلاتِ . وَقَدْ اصْبَحَ الْيَوْمُ التَّعْرِفُ إِلَى (الذَّرَّةِ)
وَمَا أَوْدَعَ اللَّهُ فِيهَا مِنْ تَرْكِيبٍ وَقَوَافِينَ وَمَعَادِلَاتٍ مِنْ أَهْمَّ الْعِلُومِ الْخَدِيثَةِ
وَأَدْقَهَا وَاصْبَبَهَا . وَاصْبَحَ عِلْمُ الذَّرَّةِ عَلَيْهَا هَامَّا يُتَخَصَّصُ فِيهِ بَعْدَ دَرَاسَةِ
الْفَيْزِيَاءِ الْعَالِيَّةِ عَلَى ضَوْءِ الرِّيَاضِيَّاتِ الْعَالِيَّةِ . لِذَلِكَ يَجُدُّ بَنَا أَنْ نَتَكَلَّمُ عَلَى
الذَّرَّةِ - وَهِيَ مِنْ النَّوْعِ (غَيْرِ الْمَنْظُورِ) مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى - بَشَّيْهِ
مِنَ التَّفْصِيلِ .

كَانَ يَقُولُ : (دِيمُوقْرَاطِيُّسُ Démocrite) الْفِيلِيسُوفُ الْيُونَانِيُّ مِنْذُ
زَمْنٍ بَعِيدٍ^(١) : إِنَّهُ لَوْ قَسَّمَتْ قطْعَةً مِنَ الْحَدِيدِ مَثَلًا إِلَى جَزَئَيْنِ ، ثُمَّ قَسَّمَ
أَحَدَ الْجَزَئَيْنِ إِلَى جَزَئَيْنِ آخَرَيْنِ أَيْضًا وَكَرِرَتْ هَذِهِ الْعَمَلِيَّةَ مَرَاتٍ مُتَعَدِّدةٍ
جَدًا ، فَإِنَّا سَنَصْلُ إِلَى مَرْحَلَةٍ لَا نَتَمْكِنُ فِيهَا تَقْسِيمًا لِلْجَزْءِ الْآخِيرِ إِلَى جَزَئَيْنِ
آخَرَيْنِ مَعَ الاحْتِفَاظِ بِخَواصِ الْحَدِيدِ ، أَيْ أَنَّهُ لَوْ قَسَّمَ الْجَزْءَ الْآخِيرَ أَيْضًا
لَا نَحْصُلُ عَلَى الْحَدِيدِ بَلْ يَكُونُ شَيْئًا غَيْرَ الْحَدِيدِ ، فَصَارَ يُسَمَّى الْجَزْءَ الْآخِيرَ
الَّذِي لَا يَمْكُنْ تَبْرُزُّتَهُ بِـ (جَزْءٌ لَا يَتَجَرَّأُ) . وَهَذَا مَا يُسَمَّى الْيَوْمُ بِالذَّرَّةِ :
(آتُومٌ : Atome) وَمَعْنَاهَا فِي الْيُونَانِيَّةِ غَيْرُ الْمَنْظُورِ .

إِنَّ الْبَحْثَ الْآخِيرَةَ فِي عِلْمِ الْفَيْزِيَاءِ أَيْدَتْ هَذِهِ النَّظَرِيَّةِ وَبَرَهَتْ عَلَى
صَحَّتِهَا . وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ عَنْصَرٍ كَالْحَدِيدِ أَوِ الْذَّهَبِ يَمْكُنْ تَبْرُزُّتَهُ إِلَى اِجْزَاءٍ
مُتَعَدِّدَةٍ إِلَى مَرْحَلَةٍ يَقْفَ أَمْكَانَ التَّجَزِّيَّةِ فِيهَا مَعَ الاحْتِفَاظِ بِخَاصِيَّةِ ذَلِكِ
الْعَنْصَرِ ، حَتَّى نَبْلُغَ إِلَى جَزْءٍ لَا يَتَجَرَّأُ أَيْ جَزْءٌ لَا يَمْكُنْ تَقْسِيمَهُ وَتَبْرُزُّتَهُ

(١) قَبْلَ الْمِيلَادِ بِخَمْسَةِ قَرْوَنَ .

مع الاحتفاظ بخاصية ذلك العنصر ، أى لا يكون بعد ذلك جزءاً الحديد
حديداً أو جزءاً من الذهب ذهباً . والذرة هي هذا الجزء الذي لا يتجزأ .
إن العالم المادي مكون من عناصر مختلفة : كالحديد والذهب والفضة
والكربون وغاز الهيدروجين (أو الأيدروجين) وغاز الأوكسجين . الخ .
وأصبح عدد هذه العناصر التي اكتشفها العلم الحديث : (١٠٠) عنصر
لحد اليوم .

وقد أعلن في عام ١٨٩٧ (السير تمسون) وغيره أنهم تمكنوا من أن
يفصلوا من جميع أنواع الذرات التي هي في حالة تعادل جسيمات متساوية
في الوزن وذات شحنات كهربائية متساوية ، اطلقوا عليها اسم
(الإلكترونات) بالنسبة لشحنتها السالبة ، وإن ذلك يدل على أن
(الذرة) المتعدلة ، لابد أن تكون مكونة من جزيئين أحدهما: موجب
التكهرب والأخر: سالب التكهرب ، ومن شحنتين كل منها متساوية
ومضادة للأخر . وكان ذلك أول اكتشاف على عن امكان تجزئة
الذرة . ولكن وقفت الإكتشافات العلمية في هذه الناحية مدة من الزمن
حتى كشفت المواد المشعة ودرست أحوال انحلالها الذاتي .

ويقال عن (مادام كوري) مدرسة الفيزياء في جامعة (صوربون) : إنها
قد وضعت في جيب ثوبها بالقرب من الصدر قطعة من الراديوم قد نسيتها
وبعد مدة شعرت بخدشة في صدرها وكانت تعلم وزن تلك القطعة قبلاً ، فلما
فتشت عن سبب تلك الخدشة علمت أن الراديوم هو الذي اثر في صدرها
 بإشعاعاته ووزنت القطعة من جديد ، فوجدت نقصاً فيها وعلمت أن قسماً
 من المادة قد تحولت إلى طاقة : (إشعاعات) .

كان (بيكريل) العالم الفرنسي كشف في آخر القرن التاسع عشر بمحض
الصدفة ! ودون ترتيب سابق إشعاعاً غريباً غير مرئي ينبعث من أحد
مركبات عنصر (اليورانيوم) - اثقل العناصر المعروفة - ، ورأى أن هذا

الإشعاع الغريب يوثر في مادة اللوح الفوتغرافي كأشعة الشمس ، وعلاوة على ذلك : ينفذ هذا الإشعاع خلال الأجسام غير الشفافة .

فعلم بعد هذا الاكتشاف ان كل ما في الكون من مظاهر مادية وبجميع ما هالك من عناصر : (كالحديد والراديوم) وجدت من شيء واحد هو الطاقة : (Energie) ، وإن هذه الطاقة هي القوة الكهربائية السالبة التي تتجلّى في الألكترونات (Electrons) وفي القوة الكهربائية الموجبة التي تتجلّى في (الپروتونات) (Protons) وكهربائية متعادلة : موجة سالبة وتتجّلى في النيوترونات (Neutrons) . وعلم أن العالم المادي هي قوى كهربائية : موجة سالبة أو طاقات هائلة تكثّفت فكانت ذرات وأجساما ، فليس هناك مادة بالمعنى الذي يفهمه المادي . وإنما هي قوى وطاقات خلقها الله بقدرته وأرادته ، ورتبتها ترتيبا بدليعا ، خاضعا لمشيّنته تعالى ، فكانت هذه الذرات وهذه العناصر وهذه الأجسام والمواد .

وخلاله ما قلنا : إن الذرة مكونة من :

- ١ - پروتونات موجية .
- ٢ - السكترونات سالبة ، شختها مساوية ومضادة لشحنة الپروتونات .
- ٣ - ومن نيوترونات ، كل منها مكون من اتحاد بروتون موجب والسكترون سالب .

فككون الذرة في مجموعها مكونة من جزئين ، أحدهما موجب التكهرب : (كهربائية موجية) والآخر : سالب التكهرب : (كهربائية سالبة) . وشختها متساويةتان ومتضادتان .

وهذا مما يجعلنا أن نتصور العالم مكونا من جسيمات مكهربة . لذلك كان يقول (أينشتاين) : إن العالم مجموع قوى كهربائية ومتناطيسية أو (كهربطيسية) . فأين المادة التي يتshedق بها المادي . ضاربًا يده على منضدته قائلا : هذه هي المادة ! .

تصوروا دائرة كبيرة (أو بالأحرى كرة كبيرة) نصف قطرها طويلاً جداً فهذه هي الذرة . توجد في مركز هذه الذرة دقائق صغيرة متجمعة تسمى بنواة الذرة وفيها البروتونات وهي الكهرباءية الموجبة أي شحنتها موجبة ، وان وزن الذرة أو وزن المادة هو وزن هذه النواة أي البروتونات (أو الكهرباءية الموجبة) تقريباً .

إن عدد البروتونات في ذرة كل عنصر مختلف عن الآخر . فشلاً عدد البروتونات في نواة ذرة الحديد لا يساوى عدد البروتونات في نواة ذرة الأورانيوم (بورانيوم) . ففي نواة كل ذرة من كل عنصر عدد معين من البروتونات .

وفي محيط الدائرة (أو الكرة التي تصورناها) عدد معين من الألكترونات (كهرباءية سالبة) بمجموع شحنته مساو لشحنة النواة وفي حالة تعادل معها وتتحرك بسرعة عظيمة حول النواة تبلغ مئات الأميال في الثانية لكن تمنع سقوطها عليها تحت تأثير التجاذب بينها . وان كتلة النواة تبلغ بضعة آلاف المرات قدر كتلة بمجموع (الألكترونات) . ويفصل بينها أي بين النواة والألكترونات الدائرة حولها فراغ هائل . وان حجم كل منها ضئيل جداً بالنسبة لحجم الذرة الذي كله فراغ تقريباً . وقد صور (رذفورد) تكوين الذرة بصورة المجموعة الشمسية وقد ادخل عليها بعض التعديلات . وهذا دليل على عدم تناهى ما أودع الله من خواص وقوانين في دقائق هذا الكون !! ..

قينا إن الألكترونات وهي عديمة الوزن تقريباً تدور بسرعة هائلة حول مركز الذرة (البروتونات) وهي تقع عن المركز بفوائل معينة كما في النظام الشمسي . وإن الأبعاد بين الألكترونات الدائرة ونواة الذرة هي تقريباً تساوى الأبعاد بين الشمس والكوكب السيارة حولها مع حفظ النسبة . فإذاً كل ذرة هي مجموعة شمسية .

وقد ذكر الفيلسوف العربي : فريد الدين العطار : أن ذرات العالم في عمل مستمر وأنه توجد في كل ذرة شميس ظاهرة وروح باطنية .

وقال : هاتف الاصبهانى الذى توفي سنة ١١٩٨ هجرية :

دل هر ذره راکه بشکاف آفتایش درمیان بینی

أى اذا كشفت عن باطن كل ذرة لافتیت شمساً في وسطها .

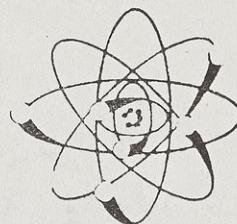
فهو قد توصل الى كشف هذه الحقيقة بامام ربانى ونور قذفه الله تعالى في قلبه . فقد جاء في الحديث وما أعظمه : « العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء » .

وكم قذف الله من أنوار في قلوب المخترعين والمكتشفين وكم هيأ لهم صدفاً تمكناها من العثور على حقائق جديدة . وكم كان شكرهم وخصوصهم قليلاً ! تجاه نعم الله التي لا تعد ولا تحصى . . .

وكذلك ، فالإلكترونات وهى شحنات كهربيائة سابلة يختلف عددها في كل ذرة باختلاف العناصر . كالحديد والفضة والذهب مثلاً . وعدد هذه الإلكترونات التي تدور بسرعة هائلة في محيط الذرة يساوى دائماً عدد البروتونات التي هي وسط الذرة . وان حركات الإلكترونات وسيرها في أفلاكها الخاصة بسرعة فائقة آثارها العجيبة لا مجال الى ذكرها . وان حركة الإلكترونات هي من الانتظام والدقة مما يجعل أن يعترف الفيلسوف الفرنسي (هانرى بركسون) : (Henri Bergson) بمخالقه وأن يقول : « إن مبدأ غيبيته تعمل في تنظيم هذه الحركات المنظمة لإيجاد أو حدوث تيار كهربائي وأمواج كهربائية مختلفة وتفاعلات كيميائية الى غير ذلك مما سيكتشفه العلم الحديث » .

تصوروا الذرة عادة على أنها كرة غلافها الخارجي سحابة زغبية من الإلكترونات تكون من معظم حجم الكرة تقريباً ، وبالرغم من ذلك فإنها

لا تكاد تكون شيئاً من وزن الذرة . ويحدد عدد الألكترونات في هذه السجابة خواص الذرة الطبيعية والكموية .



الذرة : هي أصغر جزء من المادة وتقرب
من نواة بها بروتونات ونيوترونات
ويحيط بها الكترونات

شكل (١) القدرة

• • •

فلنا إن الذرة تبلغ من الصغر بحيث لا يمكن رؤيتها بأدق الآلات وهي
 من «ما لا تبصرون»، أي من نوع غير المنظور. ذلك، لأنه لو وضعت
 عشرة ملايين ذرة بعضها جنب بعض على شرط الكروية يكون طول ذلك
 كله ميليمتراً واحداً. ومعنى ذلك أن معدل قطر الذرة هو
 من الميليمتر. وإن قطر (نواة الذرة) يساوى واحداً من مائة الف جزء من
 الذرة أي يساوى من الذرة. إذن قطر نواة الذرة يساوى
 أى واحداً من تريليون جزء من الميليمتر
 أو مم. وإذا جمعنا من نوى الذرة مليار نواة فلا يمكن رؤيتها
 مع أقوى المجاهر : (Microscope) ، ومع ذلك فقد عبأ الله تعالى في
 هذه النواة طاقة (قوة) عجيبة خارقة تدعى : (بطاقة النواة). وإن الطاقات
 (القوى) المدمرة عند انفلاق القنبلة الذرية إنما هي نتيجة تحرر هذه القوى
 الخارقة من نواة الذرة الضئيلة. فان كيلوغراماً واحداً من الأورانيوم : ٢٣٥
 يطلق حين تحطيمه طاقة بقدر ما يطلق ٢٥٠٠ كيلوغرام من الفحم !

فسبحان الذى أودع هذه القوة الخارقة فى نواة (الذرة) وأجرى
الألكترونات التى لا يمكن أن ترى بأية آلة حولها ، وهذا مما يقسم الله
تعالى به بقوله : « فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون » . لما هنالك من
عظمة خارقة وإتقان في الخلق ما بعده اتقان .

قلنا إن نواة الذرة مؤلفة أو مكونة من نوعين من الدوائر :

١ - الپروتونات وفيها شحنة كهربائية موجبة . والپروتون جسيم صغير
٢٤- ثقيل نسبياً ، يبلغ وزنه 1.673×10^{-1} من الغرام (وهو محمل بشحنة
كهربائية موجبة) .

٢ - نيوترونات . وهى متعادلة من حيث الكهربائية أى تتعادل فيها
٢٤- الشحنة الموجبة مع الشحنة السالبة . وزن النيوترون = 1.674×10^{-1}
من الغرام .

وأما الألكترونات فتدور حول النواة بسرعة هائلة تبلغ (٣٦٠ ٠٠٠)

٢٨- ميل في الساعة وهى ذات شحنة سالبة وزنها 9×10^{-9} من الغرام .
وهنالك فضاء واسع أو فراغ رحيب بين النواة (نواة الذرة) وبين
الألكترونات التي تدور حولها .

يختلف عدد الپروتونات في نوى ذرات العناصر المختلفة وكذلك عدد
الألكترونات التي تدور حول النواة ، مع العلم أن عدد الألكترونات
في ذرة كل عنصر يساوى دائماً عدد الپروتونات في ذرة نفس العنصر .
فيعتبر عدد الپروتونات الموجودة في نواة كل ذرة عدداً دالاً على عددها
الذري أو رقم ترتيبها في الجدول الدوري . أى أن العدد الذري يساوى
عدد الپروتونات الموجودة بها .

وفي مركز الذرة ، كما قلنا ، توجد الپروتونات والنيوترونات مكدسة
بعضها مع بعض في وسط الذرة ، إذ أن حجمها عبارة عن جزء من

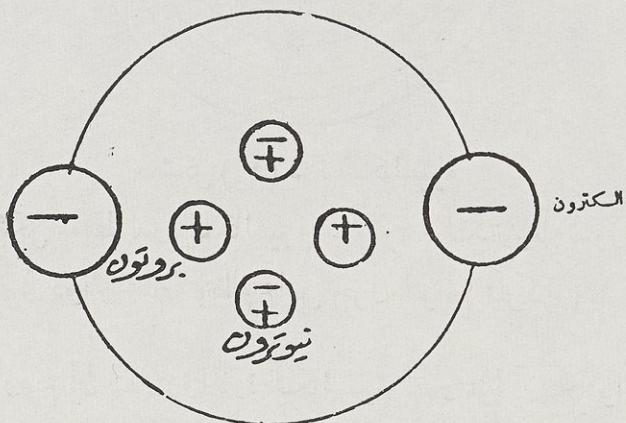
..... ٢ من حجم الذرة كلها . فإذا كان حجم الذرة في حجم منزل كان حجم هذه المجموعة لا يتجاوز حجم رأس دبوس . ولبيان مدى تكثس هذه الجسيمات ، فإن حجماً منها يزن ٤٨٠ مرة قدر وزن نفس الحجم من الماء .

تصوروا دائرة كبيرة وضعوا بروتونا واحداً في مركزها وضعوا : الكترونا واحداً على محيط الدائرة . فهذه تمثل لنا ذرة الإيدروجين (وهو غاز فيه قابلية الاحتراق) واحد عنصر الماء .

في ذرة الإيدروجين وهو أخف العناصر يوجد : بروتون واحد في الوسط والكترون واحد في المحيط يدور حول البروتون بسرعة هائلة وبينهما فضاء أو فراغ واسع رحيب .

ويليه من حيث الوزن : (الهليوم) وهو غاز غير محترق يملأ به المناطيد (بالون) .

في ذرة (الهليوم) يوجد (بروتونان) في الوسط و (نيوترونان) في الوسط أيضاً ويوجد في مدارها الخارجي الكترونان . شكل : ٢

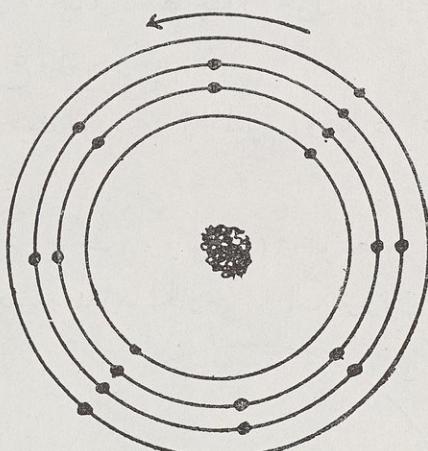


شكل (٢) ذرة الهليوم

الكترونان يدوران حول بروتونين
وفي النواة أيضاً يوجد نيوترونان

وأما العنصر الثالث من حيث الوزن فهو : (ليثيوم) . يوجد في نواة ذرة الليثيوم ٣ بروتونات ومعها ٤ نيوترونات ، وتدور في الأطراف حول النواة ٣ إلكترونات : إلكترون واحد على المحيط تماماً واثنان منها على محيط دائرة أخرى من الداخل بالقرب من المحيط الأصلي .

وهناك عنصر آخر يسمى بـ (ثيون) . فان في ذرته (١٠) إلكترونات ، يدور إثنان منها على محيط دائرة قريبة من المحيط الأصلي وتدور (٨) إلكترونات على المحيط الأصلي تماماً . وأن الدائرتين متقاربتان . ومتحدلتا المركز .



شكل (٣) ذرة الكالسيوم

شكل مبسط لذرة الكالسيوم ، (٢٠) إلكتروناً تدور في دوائر مختلفة بنظام خاص حول النواة (المركز) .

وإذا أردتم أن تتصوروا ذرة الكالسيوم . فارسموا أربع دوائر متحددة المركز . وضعوا : إلكترونين في نقطتين متقابلتين على الدائرة الأولى من الداخل وضعوا على كل من الدائرتين الثانية والثالثة (من الداخل إلى الخارج) ٨ إلكترونات في نقاط متقابلة أى (طرف القطر) ، وضعوا في

الدائرة الرابعة و (هي محيط النرة الخارجي) الـكـتـرـوـنـين في نقطتين متقابلتين، وهذه الـأـلـكـسـتـرـونـات تدور حول الـپـرـتوـنـات بسرعـهـائـلةـ وـنـظـامـ بـدـيـعـ كـاـمـرـهـ اللهـ تـعـالـى : « أـلـاـ لـهـ الـخـلـقـ وـالـأـمـرـ » .

وأما ذرة : (الأورانيوم) أو (يورانيوم) فيوجد في نواتها : (٩٢) بروتونا ومن (١٣٦) إلى (١٤٧) نيوتروناً تصاحب البروتونات فيها . ويوجد (ذرية) : ١٢ نوعاً من الأورانيوم يُشبه بعضها البعض ، ولهما تقريرياً نفس الخاصية . وفي نواة كل من هذه الأنواع (وهي ١٢ نوعاً) يوجد ٩٢ بروتوناً ولكنها تختلف من حيث عدد النيوترونات . وتسمى هذه الأنواع من العناصر المتشابهة : (النظائر Isotope) أو (المأكولات) .

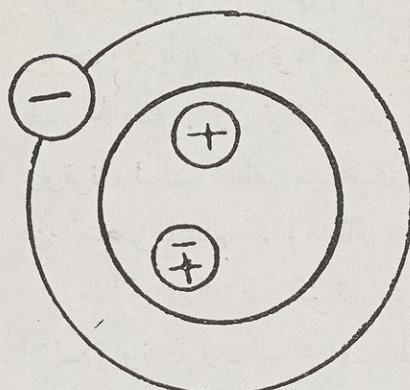
والنظائر هي العناصر التي تتساوى ذراتها من حيث عدد الپروتونات وعدد الالكترونات ولكنها تختلف قليلا في عدد النيوترونات التي في نواها . وفي الحقيقة هي عنصر واحد . وهذا الاختلاف في عدد النيوترونات لعنصر واحد يؤدي الى اختلاف في اوزانها الذرية .

وإذا جمعنا عدد النيوترونات مع البروتونات فالمجموع يعطينا العدد الكتلي (Mass Number) أو الوزن الذري . كما أن الفرق بين الوزن الذري والعدد الذري يساوى عدد النيوترونات .

وأن النظائر أو التوائم أو المتشابهات الخاصة بعنصر معين لها جميعاً نفس التفاعلات والخواص الكيميائية . وبما أنه ما يحد هذه الخواص الكيميائية هو عدد الألكترونات الخارجية وبالتالي عدد البروتونات التي في النواة ، وعلى ذلك ، فالنظائر الخاصة بعنصر ما لها عدد ذري واحد وإنما تختلف في أوزانها الذرية أي تختلف بإختلاف عدد النيوترونات فيها . والوزن الذري = عدد البروتونات + عدد النيوترونات .. إذن فالنظائر لعنصر ما كالأيروجين مثلاً هي ذرات نفس العنصر تختلف بعضها عن بعض بسبب اختلاف عدد النيوترونات الداخلة في نواة كل ذرة أو نواة

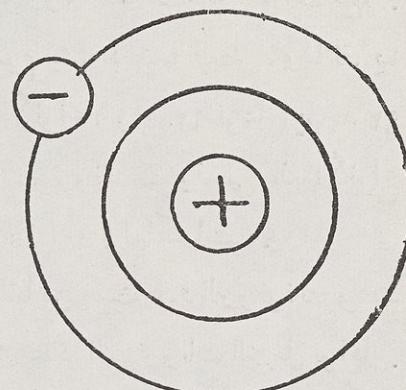
أو نظير من النظائر المختلفة الخاصة بذلك العنصر .

وقد علم أنه يوجد ۳ نظائر للأيدروجين . و ۳ نظائر للفوسفور و ۵ نظائر للكبريت و ۶ نظائر للكالسيوم ويمكن توضيح النظائر الثلاثة الخاصة بالإيدروجين بالأشكال (۴ ، ۵ ، ۶) :



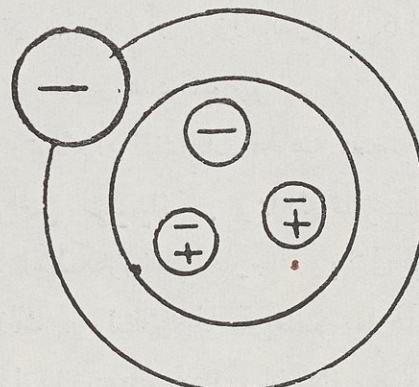
شكل (٥)

الأيدروجين الثقيل Deuterium



شكل (٤)

الأيدروجين Hydrogen



شكل (٦)

الأيدروجين الثلاثي Tritium

إن هذه النظائر الثلاثة تشتراك جميعاً في شيء واحد وهو : أن فيها جميعاً

الكترون واحداً في مدارها الخارجي ، وكذا بروتون واحداً في نواتها ، أي أنها جمعاً لها عدد ذري واحد . بينما نرى أنها تحتوى على عدد مختلف من النيوترونات في النواة .

فاليدروجين العادي لا يحتوى على نيوترونات إطلاقاً ، بينما يحتوى الإيدروجين الثقيل (Deuterium) على نيوترون واحد إلى جانب بروتون . ويحتوى الإيدروجين الثلاثي (Tritium) على نيوترونين . وهكذا نرى أن هذه النظائر الثلاثة لها عدد ذري واحد هو الواحد الصحيح . بينما نرى أن لها ثلاثة أوزان ذرية مختلفة . فاليدروجين العادي وزنه الذري ١ والإيدروجين الثقيل وزنه الذري = ٢ ، وعند اتحاد الإيدروجين الثقيل بالأوكسجينين نحصل على ما يعرف الآن باسم الماء الثقيل . وعند اكتشاف الإيدروجين الثلاثي (Tritium) وجد أنه أُنتقل فعلاً من كل من الإيدروجين العادي والثقيل لأن وزنه الذري = ٣ . تلك هي النظائر العادية .

وأما النظائر المشعة هي تلك النظائر الخاصة بالعنصر الواحد ، والتي لها نشاط إشعاعي ، وهنا نسأل ما هو النشاط الإشعاعي ؟

يعرف النشاط الإشعاعي بأنه نشاط ينتج عن اضطراب نواة الذرة نتيجة اختلال نسبة ما فيها من (النيوترونات) إلى (البروتونات) عنـ (النسبة اللازمة) لاستقرار نواة الذرة . وذلك لأن تواجه النواة بدخول بعض البروتونات أو النيوترونات إليها . وبديهي أن مثل هذا العمل يؤدى إلى اختلال (نسبة النيوترونات إلى البروتونات) عن الحد اللازم لاستقرار النواة ، ولهذا السبب تضطر النواة إلى محاولة إصدار نوع أو آخر من الإشعاعات المختلفة حتى تصل إلى حالة الاستقرار .

وقد وُجد في الهواء الجوى أن غاز (النيتروجين) مكون معظمـه من ذرات وزنـها الذري ١٤ مخلوطـه بقدر ٣ في الألـف من ذرات وزنـها الذري ١٥ .

والأكسجين في الجو كذلك معظمـه مـكون من ذرات وزنـها ١٦ مخلوطـة بـذرات بـقدر ٣ فـي كل ١٠٠٠ منها وزنـها الـذرـى ١٧ .

وان الجدول الآتـى يوضح لنا تـركـيب ذـرات بـعـضـ العـناـصـر :
ترـكـب ذـرة الـهـليـمـومـ من :

(٢) پـروـتونـ مـوجـبةـ + ٢ نـيـوـتروـنـ مـتعـادـلـةـ + ٢ الـكـتـرونـ سـالـبـةـ .

ترـكـب ذـرة الـلـيـثـيـومـ من :

(٣) پـروـتونـ مـوجـبةـ + ٤ نـيـوـتروـنـ مـتعـادـلـةـ + ٣ الـكـتـرونـ سـالـبـةـ .

ترـكـب ذـرة الـكـارـبـونـ من :

(٤) پـروـتونـ مـوجـبةـ + ٦ نـيـوـتروـنـ مـتعـادـلـةـ + ٦ الـكـتـرونـ سـالـبـةـ .

ترـكـب ذـرة الـنـتـروـجـينـ من :

(٥) پـروـتونـ مـوجـبةـ + ٧ نـيـوـتروـنـ مـتعـادـلـةـ + ٧ الـكـتـرونـ سـالـبـةـ .

ترـكـب ذـرة الـأـكـسـيـجـينـ من :

(٦) پـروـتونـ مـوجـبةـ + ٨ نـيـوـتروـنـ مـتعـادـلـةـ + ٨ الـكـتـرونـ سـالـبـةـ .

ترـكـب ذـرة الـيـورـانـيـومـ من :

(٧) ٩٢ پـروـتونـ مـوجـبةـ + ١٤٦ نـيـوـتروـنـ مـتعـادـلـةـ + ٩٢ الـكـتـرونـ سـالـبـةـ .

وقد دلت التـقـدـيرـاتـ الـعـمـلـيـةـ عـلـىـ أـنـ وزـنـ الذـرـةـ يـسـاـوـيـ تقـرـيـباـ وزـنـ نـواـهـاـ (١) .

وان القـنـبـلـةـ الـذـرـيـةـ هـىـ تـيـجـةـ انـفـجـارـ نـوـاءـ نوعـ وـاحـدـ منـ ذـرـةـ (اليـورـانـيـومـ) تـدـعـىـ : (يـورـانـيـومـ ٢٣٥) . فـيـ نـواـهـاـ يـوـجـدـ : ٩٢ پـروـتونـاـ وـ ١٤٣ نـيـوـتروـنـاـ .

فـلاـ تـصـنـعـ مـنـ بـقـيـةـ أـنـوـاعـ اليـورـانـيـومـ القـنـبـلـةـ الـذـرـيـةـ فـيـكـوـنـ الـوزـنـ الـذـرـىـ :

$$92 + 143 = 225$$

فتحـطـيمـ الذـرـةـ (أـوـ التـفـاعـلـاتـ النـوـويـةـ) هوـ عـبـارـةـ عـنـ تـفـاعـلـاتـ بـيـنـ جـسيـمـاتـ نـواـهـاـ ، وـتـغـيـيرـ فـيـ أـوـضـاعـ الـأـلـكـتـرونـاتـ حـولـهـاـ تـنـشـأـ عـنـهـاـ نـوـيـ .

(١) فـيـ نـهاـيـةـ السـكـتـابـ جـدـولـ بـيـنـ أـمـاـءـ العـنـاصـرـ المـكـتـشـفـةـ مـمـ أـوـزـانـهـاـ الـذـرـيـةـ .

ذات عناصر جديدة يحيط بكل منها العدد اللازم من الألكترونات . ومن الواضح أن التفاعلات العادية بين العناصر كالأكسجين والإيدروجين في تكوين الماء مثلاً تحدث بين ذرات كاملة من الأكسجين وذرات كاملة من الإيدروجين (مثلاً) في حالة تعادل دون حدوث تغيير في نواها . أى لا يحدث حين تكون الماء من الغازين (الأكسجين والإيدروجين) أى تغيير في نواة ذرة الأكسجين وذرة الإيدروجين . ذلك لأن تفاعل ذرات الأكسجين والإيدروجين المتعادلة لتكوين الماء عبارة عن اتحاد ذرة كاملة من الأول بذرتيں كاملتين من الثاني . ويعزون مثل هذه التفاعلات إلى حدوث انتقال بعض الألكترونات في المحيط الخارجي لذرات العناصر المتفاعلة من بعضها إلى بعض ، فُيصبح بهذا الانتقال بعضها موجب التكهرب وبعضها سالب التكهرب فيحدث الاتحاد بينهما تحت تأثير التجاذب الكهربائي . وإن الطاقة التي تنتج من مثل هذه التفاعلات العادية تكون غالباً على صورة حرارة : تكافؤ الفرق بين طاقة تماسك الألكترونات بالنوى في الذرات قبل التفاعل وبعد التفاعل .

إلا أن التفاعلات النووية في الإخلال الذاتي أو بين نوى الذرات في أعمال التحطيم (وهو موضوعنا الذي نبحث عنه) ، فيحدث عنها تغيير في (تكوين النوى) من الجسيمات التي تتركب منها وهي : (البروتونات والنيوترونات) علاوة على التغير في توزيع أوضاع الألكترونات المحيطة بها . ولذلك تكون الطاقة المتبعة من (التفاعلات النووية) أعظم بكثير من التفاعلات العادية عند تركيب العناصر في الكيمياء وتبلغ مئات الآلاف من المرات قدر الطاقة التي تنبعث من التفاعلات العادية بين الذرات والجزيئات الكلامية . ويصدر معظم هذه الطاقة من باطن الذرات على صورة إشعاع وطاقة حركية وتكون جزءاً من الطاقة المخزنة فيها والتي تربط جسيماتها بعضها بعض .

وقد قال (أينشتاين) : «إن في الذرة طاقة كبيرة يمكن تسخيرها وإلا إفادة منها . وإن المادة صورة من صور الطاقة . وإن الغرام الواحد من المادة يتحول إلى ألف مليون مليون وحدة من وحدات الطاقة : (ارجع : Erg) . أو إلى ٢٥ مليون كيلووات ساعة ، أي ما ت منه نحو ٥٥٠ ألف دينار .

• • •

كانت أمنية أهل القرون الوسطى تحويل المعادن الخيسة إلى معادن فقيسة كالفضة والذهب بطريق كيماوى . لكنهم أخفقوا في ذلك ولم يوفقا رغم ما بذلوا من مساعي جمة . فاستحال عليهم تحقيق ما أرادوا . فنبذوا الفكرة في القرن الثامن عشر واستبدلوا بها بفكرة ثانية في القرن التاسع عشر وهي : عدم إمكان تحويل العناصر بعضها إلى بعض .

ولكن قد حدث في عام ١٩١٩ تحطيم ذرات (النيتروجين) وتحويلها إلى ذرات الأكسجين والإيدروجين . وهكذا توالت بعد ذلك تجارب تفتت الذرة باستخدام قذائف من جسيمات (ألفا) أي نوى الهليوم ومن جسيمات أخف ولكن أكبر أثراً منها . وهي (الپروتونات) أي (نوى الإيدروجين) بعد اعطائهما سرعة عظيمة . فتمكنوا بذلك من تحطيم وتحويل ذرات عدد من العناصر بعضها إلى بعض : مثل تحويل عنصر (الإيدروجين) إلى عنصر (هليوم) وتحويل (الصوديوم) إلى (مغنيسيوم) و (الليثيوم والبورون) إلى (هليوم) . فتحقق فعلاً أمر تحويل العناصر بعضها إلى بعض .

وما لا ريب فيه أن البشر لا يخلق شيئاً ، فلا يتمكن من خلق ذرة جديدة غير موجودة في الطبيعة . أي غير مخلوقة بيد الله تعالى (وأعني بقدرتة تعالى) . والبشر لا يقوى على إيجاد بروتون أو نيوترون من العدم دون أن يستعين من عناصر بسيطة أخرى (أى من ذراتها) .

وإن أبسط الأفكار ليعرف أن العناصر وما في ذراتها من ترتيب دقيق وتوزيع الپروتونات والنيوترونات وحركة الالكترونات الدقيقة

الهائلة حولها لم توجَد من تلقاء نفسها ، ذلك لأنَّه بنيان شامخ قد روعى فيه
تمام الحكمة وكمال التدبير^(١) .

كما أنَّ العلم ليعرف أنَّ الحيوية في السكائفات الحية لم تكن نتيجة ترتيب
مادي بين الموارد وإنما جاءتها من الخارج بأمر من الله تعالى.

فليس للبشر أن يخلق بروتونا أو الـكـتروـنـا ، إلا أنه يستعيرهما من بعض
العناصر ويدخلهما في عنصر آخر لتحويل بعض العناصر إلى عناصر أخرى
موجودة قبلاً في الطبيعة (الـكـونـ) . وهذا ما يسمونه بتحول العناصر :
(Transmutation) .

وزيادة في التوضيح نقول إذا رمنا بعدد من الـپـرـوـتـوـنـاتـ في نواة ذرة
الرصاص مثلاً بـ (بـ) ورمنا بعدد من الـنـيـوـتـرـوـنـاتـ في تلك الذرة أى
ذرة ذلك العنصر بحرف (دـ) ، فسيكون دستور النواة :

ب + د

فإذا أردنا أن نزيد في عدد الـپـرـوـتـوـنـاتـ من (بـ) إلى (بـ + ١) ، شريطة
أنْ يبقى عدد الـالـکـتروـنـاتـ ثابتاً ، لزم أنْ ندخل نواة الإيدروجين في نواة
الرصاص . ولتحقيق هذه الغاية يجب أنْ نوجه بروتونات سريعة السير جداً
نحو نواة الرصاص كي يدخل بروتون واحد (بطريق الصدفة) في نواة
الرصاص ، وعند ذلك يكون عدد بروتونات ذرة الرصاص (بـ + ١) .
وبهذه الطريقة نتمكن من أن نصنع من الرصاص ذهباً . وأن نصنع من
الذهب ذهباً . ذلك لأنَّ هذين العنصرين : (الرصاص والذهب) قريبيان من
عنصر الذهب من حيث عدد الـپـرـوـتـوـنـاتـ . ولكن يجب أن لا ننسى أن
 علينا أن نصرف ١٠٠٠ غرام من الذهب للحصول على غرام واحد من الذهب

(١) قد علم أخيراً أنَّ مسرعة الـسـكـاءـنـاتـ في ذرة الهيدروجين قد بلغت أافي كيلو متر
في الثانية . وهذا في ما يُعرفه العلم والماء أقصى سرعة أمكن أو يمكن معرفتها على
وجه الأرض .

بطريقة تحويل العناصر . وهذا ما لا يجوزه الاقتصاد .
فعلم مما سبق أن الذرة ليست بجزء لا يتجزأ على ما كان يعتقد البعض ، لأنها تتحلل إلى قسمات أخرى فقوى وهي عالم برأسها لها قوانينها وخصائصها ، وهي ليست بمادة كما يزعم المادى . وبذلك قد فندت نظرية (الذلتون) . وكم من نظريات مادية سخيفة فُندت بعد كشف بعض حقائق الذرة . إلا أن المادى (الشيوعى) مع الأسف يتحكم على العلم والعلماء بدكتاتوريته . فيقتل العلماء ويبيدهم إن لم يوافقوه في هذianne في عصر حرية الأفكار وفي عصر الإنطلاق الفكري .

وكذلك فُندت نظرية (تومسون : Thomson) التي كانت تقول : إن الذرة ملوعة مصممة وإن الألكترونات موضوعة على البروتونات ملتصقة بها كذباب على ظهر فيل ، فعلم أخيراً أن الذرة خالية فارغة وفيها فضاء واسع رحب .

وعلم أن أصل الموجودات على وجه الأرض شيء واحد . إنما هو البروتونات التي تشكل نواة الذرة . والبروتونات هذه هي عينها من حيث الخواص والماهية في ذرات جميع العناصر ، وليس هناك أى اختلاف بين بروتون ذرة عنصر وبروتون ذرة عنصر آخر . خلافاً لما يقتوله الماديون من نظرية التبدل والتغيير .

وإن عملية تبديل العناصر وتحويل بعضها إلى بعض (Transmutation) ثبتت لنا هذه الحقيقة . كأنه لا فرق بين السكترون ذرة راديوم والسكترون ذرة الحديد منذ ملايين السنين ولم يحدث أى تغير وأى تبدل خلافاً لما يزدوجه المادى الخيالى بعيد عن العلم الصحيح . وهل هناك وثام بين الديكتاتورية والعلم ؟ !

فلو كان هذا (التغير) الذى يقول به المادى صحيحاً لوجب أن تبدل ذرات الأيدروجين كائناً إلى (هليوم) وأن تبدل ذرات (الهليوم) إلى

(ليثيوم) وهكذا حتى تصل النوبة الى (اليورانيوم) ، فلا نرى في عالمنا اليوم عنصراً عدا عنصر (اليورانيوم) مثلاً ! ولكننا نرى أن العناصر كلها موجودة إلى يومنا هذا . وهي من الاتظام والدقة والترتيب بحيث يمكن العلم من إيجاد عناصر بمحولة إستناداً إلى النظام الذي أودعه الله في سلسلة العناصر . كما أن الأميماً (الكائن الحي ذا الخلية الواحدة) لا يزال موجوداً على وجه الأرض مع وجود حشرات وحيوانات وانسان لها من الأعضاء والتشكييلات الداخلية وقوانين دقة ومعادلات ما لم يصل إليه العلم الحديث إلا قليلاً : « ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أجر ما نفدت كليات الله ، إن الله عزيز حكيم » .

قلنا إن النظام الذى أودعه الله فى تسلسل ذرات العناصر المختلفة كان سبباً لكشف عناصر مجهولة ، كأن دستور (نيوتون) في الجاذبية بين الأجسام كان سبباً لكشف كوكبين مجهولين (نبتون) و (بلوتو) . ذلك لأننا نتمكن من أن نحسب حسب هذا الدستور :

$$Q = \frac{K}{M} \times T$$

قوه الجذب بين الأجرام ومواضع هذه الأجرام ومداراتها ، ولا بأس بتوضيح هذا الدستور :

كـ تشير الى مقدار كتلة نجمة في الفضاء (غرام - كتلة)
 كـ « . . . نجمة أخرى في الفضاء (غرام - كتلة)
 مـ « . المسافة بين النجمتين (بالسالنجمنات)

ط النسبة الثابتة وهي = $\frac{1}{150000}$ من ثقل الغرام تقريريا

إذن ، قوة الجاذب بين نجومتين في الفضاء أو كتلتين ، تساوى حاصل

ضرب كتلتيهما في النسبة الثابتة مقسوماً على مربع المسافة بينهما .

★ ★ *

و واضح أن دفائق النواة في الذرة (أى البروتونات) التي شخنتها موجبة يجب أن تبتعد بعضها عن بعض لـأعاد نوع الكهربائية ، ذلك لأن شخنتها موجبة ، مع ذلك ، فإن الله تعالى قد جهزها بطاقة فائقة تعجل على الخاصية الكهربائية المودعة في الطبيعة بإذن الله : وهى (تباعد كهر بائتين من نوع واحد بعضها عن بعض) . وان هذه الطاقة التي جهزت بها نواة الذرة لا يمكن أن تعزى إلى الطبيعة ، لأن من شأن الطبيعة أن تبتعد بين كهر بائتين من نوع واحد ، أى بين البروتونات لأن شخنتها موجبة . فالله هو الذى قد أودع في النواة هذه الطاقة الماءلة لتقويب البروتونات وجعلها كتلة واحدة ، وهي إذا تحررت بواسائل شتى (بتحطيم الذرة) هدمت ما حولها فلا تبقى ولا تذر .

قد وفق «آينشتاين» لحساب هذه الطاقة الماءلة في بنية النواة في الذرة وعلم أنها تساوى : مربع سرعة الضوء مضروباً في كتلة المادة . فإذا فرضنا الطاقة = ط ، وكتلة اليورانيوم مثلاً = ك ، وسرعة الضوء س . فالطاقة المتحركة أو المودعة في كتلة ك تساوى

$$\text{ط} = \text{ك} \times \text{س}^2 .$$

إذن في نواة الذرة يدّعى غيبة تعاكس متطلبات الطبيعة وتتفند ما يتخيّله المادى الجاهل من نظرية (التغير المستمر) ، حيث (على ما يعتقد) لا نظام ولا ترتيب .

ومن جملة ما لا يرى بالعين من (ما لا تبصرون) المارد الذرى الذى كان يرهب العلماء منذ ٢٥ سنة ، فقد أعلنت الجهات العلمية في ٢٠ تشرين الأول ١٩٥٥ ، أن الدكتور (إيرنست لورنس) قد توصل إلى اكتشاف المارد

الذرى ، هذا المارد الذى كانوا يحسون بوجوده ولا يرونـه ، وهو جزءٌ ذرى يسمى (الپروتون السالب) . ويستطيع إفشاء المادة من جميع أشكالها إفشاءً تاماً . خلافاً لما كان يقوله (لاوازيه) : إن المادة لا تقنى ! وكم من نظريات كان يُنظر إليها كحقائق ثابتة لا تقبل النقاش ولا التبدل ، فذهبـت أدراج الرياح . فهل بعد هذا يجوز أن يجعل العلم معبوداً يعبد ويستغنى الفرد في سيره التكامل عن رسالة السماء ؟ .. ليست القضية قضية علم ونظريات . إنـها قضية نفوس . فإنـ النفوس لو تردد وتسافلت ومرضـت لا تذعن إلا بما تحقق شهوـتها فتبرر موقفـها متدرـعة بالعلم ! هذا العلم الذى تقـنـد مـعـطـيـاته من وقتـ إلى وقتـ ويعـوضـ عنها بـمعـطـيـاتـ وـنظـريـاتـ آخرـىـ وهـكـذاـ دـوـالـيكـ !

نعم ، لقد وقفـ العلمـ الحديثـ علىـ إفـشاءـ المـادةـ إـفـشاءـ تـاماـ باـالـپـروـتـونـ

الـسـالـبـ . وـهـوـ مـوـجـودـ فـيـ طـبـقـاتـ الجـوـ العـلـيـاـ . وـاـنـ عـمـرـهـ لـقـصـيرـ جـداـ ،

فـلاـ يـزيدـ عـلـىـ $\frac{1}{10000000}$ مـنـ الثـانـيـةـ (١)ـ .

فـتـسـلـيـطـ الـپـروـتـونـ السـالـبـ عـلـىـ الذـرـةـ يـفـنـيـ الـپـروـتـونـ الـمـوـجـبـ وـاـنـ هـذـهـ

الـعـلـمـيـةـ (عـلـمـيـةـ إـلـفـاءـ)ـ تـحرـرـ $\frac{99}{100}$ مـنـ الطـاـقةـ الـمـوـجـوـدـةـ فـيـ الذـرـةـ .

وـقـدـ عـلـمـ أـنـ (الـپـروـتـونـ السـالـبـ)ـ . مـنـطـلـقـ فـيـ الفـضـاءـ حـولـ الـكـرـةـ

الـأـرـضـيـةـ ، وـمـنـ شـائـهـ إـفـشاءـ جـمـيعـ أـنـوـاعـ المـادـةـ الـتـىـ تـصـطـدـمـ بـهـاـ . وـمـنـ الصـعـوبـةـ

الـسـيـطـرـةـ عـلـىـ هـذـاـ الـپـروـتـونـ السـالـبـ . فـاـذـاـ تـمـكـنـ الـعـلـمـ مـنـ ذـلـكـ ، فـيـكـونـ

إـذـ ذـلـكـ بـإـمـكـانـ : توـليـدـ طـاـقةـ مـنـ رـطـلـ وـاـحـدـ مـنـ أـيـةـ مـادـةـ ذـرـيـةـ باـصـطـدـامـهـاـ

باـالـپـروـتـونـ السـالـبـ تـسـاوـيـ الطـاـقةـ المـتـولـدةـ مـنـ مـلـيـونـ وـنـصـفـ مـلـيـونـ طـنـ مـنـ

الـفـحـمـ . فـيـمـكـنـ إـذـ ذـلـكـ إـفـشاءـ الـعـالـمـ بـقـنـبـلـةـ زـتـهـاـ عـشـرـةـ أـرـطـالـ فـقـطـ .

(١) واحدـ مـنـ الـفـ مـلـيـونـ جـزـءـ مـنـ الثـانـيـةـ .

فَاللَّهُ تَبارَكَ وَتَعَالَى حَفْظُ الْكُرْبَةِ الْأَرْضِيَّةِ مِنْ أَنْ تَصْطَدِمْ بِالْمَارِدِ الْذَّرِيِّ
 (الپروتون السالب) المُنْتَشِرُ فِي الْفَضَاءِ ، وَذَلِكَ بِجَعْلِهِ : « السَّمَاءُ سَقْفًا
 مَحْفُوظًا » بِقَدْرِ تَهْوِيهِ . وَهُوَ الْقَائِلُ : « وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْهَا
 آيَاتِهَا مَعْرُضُونَ » . « وَكَأَيْنِ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ يَرَوْنَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا
 مَعْرُضُونَ »^(١) .

إِنَّ (الپروتون السالب) أَوِ الْمَارِدِ الْذَّرِيِّ هُوَ (الپروتون) الْمَضَادُ
 لِلپروتون الَّذِي نَعْرَفُهُ فِي أَرْضِنَا هَذِهِ وَالَّتِي تَسْكُنُ مِنْهَا الْذَرَاتُ ، فَالْعَنَاصِرُ ،
 فِي الْأَجْسَامِ . كَمَا أَنَّهُ اكْتُشِفَ أَخْرِيًّا (الإِلْكْتَرُونُ الْمُوجَّبُ) وَهُوَ
 الإِلْكْتَرُونُ الْمَضَادُ لِلإِلْكْتَرُونِ الَّذِي نَعْرَفُهُ وَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَنْهُ فِي بَحْثٍ
 الْذَرَةِ . فِي الْوِجُودِ نُوعٌ مُخْتَلِفٌ مِنَ الْمَادَةِ تَبْنِي مِنْهَا النَّجُومُ وَالشَّمَوْسُ
 وَالْكَوَاكِبُ وَسَائِرُ الْأَجْسَامِ . وَإِذَا حَدَثَ أَنْ التَّقِيَّةُ نُوعٌ مِنْهَا بِالآخِرِ أَوْ
 تَصادُمٌ مَعَهُ تَحْدُثُ عَمَلِيَّاتٌ افْنَاءُ ذَرِيَّةٍ تَخْتَفِي مَعَهَا مَعَالِمُ الْمَادَةِ مِنَ الْوِجُودِ ، بَيْنَمَا
 تَنْطَلِقُ طَاقَاتٌ هَائِلَةٌ مِنْهَا : تَلْكَ الَّتِي اسْتَخْدَمْتُ فِي الْأَصْلِ فِي رِبْطِ جَسَيْمَاتِ
 نُوبِيَّاتِ وَذَرَاتِ تَلْكَ الْمَوَادِ^(٢) .

وَلِنَرْمِنَ لِلنَّوْعِ الْأَوَّلِ مِنَ الْمَادَةِ ذَاتِ الپروتوناتِ الْمُوجَّبَةِ وَالإِلْكْتَرُونَاتِ
 السَّالِبَةِ بِالْحُرْفِ (م) مَثَلًا ، وَلِنَرْمِنَ لِلنَّوْعِ الثَّانِي مِنَ الْمَادَةِ الْمَضَادَةِ لِلْأَوَّلِيِّ :
 أَيِّ ذَاتِ الپروتوناتِ السَّالِبَةِ وَالإِلْكْتَرُونَاتِ الْمُوجَّبَةِ بِالْحُرْفِ (س) .
 فَعِنْدَمَا يَتَصَادِمُ (پروتون موجَّب) مَعَ (پروتون سالب) ، أَوْعِنْدَمَا يَتَصَادِمُ
 (إِلْكْتَرُون سالب) مَعَ (إِلْكْتَرُون موجَّب) يَعْدُمُ أَحَدُهُمَا الْآخِرَ مِنْ

(١) سورة يوسف : ١٠٥

(٢) يُؤْدِي نَحْطِيمُ بَعْضَ الذَّرَاتِ إِلَى تَحْرِيرِ نِيُوتُونَاتِ ذَاتِ سَرْعَةٍ كَبِيرَةٍ وَإِنَّ النِّيُوتُونَاتِ
 الْمُتَحَرَّرةِ حِينَ التَّحْطِيمِ النَّوْيِيِّ تَسْتَطِعُ نَحْطِيمُ ذَرَاتٍ أُخْرَى . فَيَنْتَجُ مِنْ هَذَا تَقَاعُ—نَزَلٌ
 مَتَسَلِّلٌ مَسْتَمِرٌ .

علم الوجود ، بينما تطلق الطاقة الكلية حسب الدستور الآتي :
 الطاقة المنطلقة = الكتلة المادية المخفية × مربع سرعة الضوء .
 وهكذا نرى أنه عندما تدخل ذرة من نوع المادة (م) إلى عالم المادة (س)
 أو بالعكس تفني الألكترونات أولاً ، ثم تفني الپروتونات .

ويظهر مما ذكر أن الزوجية متصلة بأمر الله تعالى في أصغر موجود في
 هذا الكون وهو الذرة ، ففيها ألكترون (كهربائية سابقة) وپروتون
 (كهربائية موجبة) . حتى أن المادة نفسها على نوعين أى أن الزوجية
 متصلة فيها : فالبعض منها ألكترونها سالب وپروتونها موجب ، كما في
 العناصر المكتشفة لحد الآن وعددها : (١٠٢) ، تبدأ بالإيدروجين وتنتهي
 بـ (نوبليوم) . والبعض الآخر ألكترونها موجب ، وپروتونها سالب .

ثم إن الزوجية متصلة في النبات ، (ففي الزهرة عضو التأثير وعضو
 التذكير) « وأرسلنا الرياح لواقع » ^(١) . وتشاهد الزوجية في الحيوان وفي
 الإنسان ، حتى في النجوم ! فإن بعضها تدور حول البعض الآخر بعلقة
 الجاذبية ، كأنجذاب الذكر للآثرى أو بالعكس . وهكذا نرى أن الآية :
 « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » ^(٢) تتجلّى بعد ١٤ قرناً
 تقريباً ، وكذلك قوله تعالى : « سبحان الذي خلق الأزواج كلهم ما تنبت
 الأرض ومن أنفسكم وما لا تعلمون » ^(٣) .

وقوله تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكعوا
 إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » ^(٤) .
 حتى أنه تعالى جعل عدد تردد صوت المرأة (٢٢٠) في الثانية وعدد تردد

(١) سورة الحجر : ٢٢

(٢) سورة الذاريات : ٤٩

(٣) سورة يس : ٣٦

(٤) سورة الروم : ٢١

صوت الرجل (١١٠) في الثانية ، ليكون صوت المرأة أرفع وأجمل من صوت الرجل حصولاً للانجذاب الزوجي ، وتحقيقاً للزوجية في هذا الكون ، لتكون الوحدانية له تعالى لا يشاركها فيها شيء من مخلوقاته حتى ابتداد : « فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير » (١) .
 وها نحن نسأل المادي ، هل وجود (الإلكترون) قبل خلق نفسه بروتوفا أم بالعكس . وأين انعقد مؤتمر تنظيم العناصر والقانون الدورى . والمعادلات التي تربط جسيمات الذرة بعضها البعض وتحكم فيها ؟
 « فإنها لا تعمي الأ بصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور » (٢) .

• • •

ويُرى أن العالم ، مع هذا التقدم العلمي في عوالم المادة والذرة والطاقة . ومطابقة ذلك مع ما جاء في كلام الله الحميد قبل أربعة عشر قرناً ، يتقارب يوماً بعد يوم من الإسلام . ويأتي قريباً ذلك اليوم الذي يسود فيه الإسلام في العالم كله كما تنبأ (برناردشوا) قبل بضع سنين ، لو تخلى عن بغيه وطيشه وجحونه ، رغم جهود عناصر الغي والضلال في الشرق والغرب لاسيما الصهيونية الكافرة ! « الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً » (٣) . لذلك يقول : (تشارلس ستانيمتز) وهو من أعظم العلماء ، حين يسأل عن نوع البحث الذي سيحظى بأعظم تقدم في النهاية : أنه يقول : « سيحدث أعظم الاكتشافات في الواحى الروحية . فسوف يأتي اليوم الذي يعلم فيه الناس أن الأشياء المادية لا تجلب السعادة وإنما قليلة النفع في جعل الرجال والنساء أقوىاء قادرين على الإبداع . وعندئذ سوف

(١) سورة الشورى : ١١ (يذرؤكم) : أي يكتنركم .

(٢) سورة الحج : ٤٦

(٣) سورة الكهف : ١٠٥

يجوّل علماء الدنيا معاملتهم إلى دراسة الله والصلوة . وعندما يأتي هذا اليوم يشاهد العالم في جيل واحد من التقدم أكثر مما شاهده في الأجيال الاربعة السابقة » .

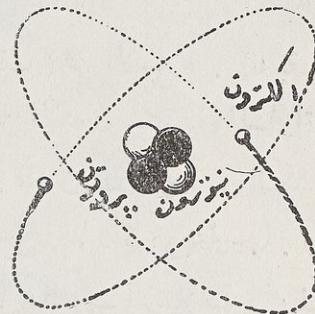
انظروا ماذا يقول الكاتب (هراس ايف) عن الاسلام . إنه يقول :

« ما كان شيء في العالم ليقنعني بأن أى دين من الأديان يدعو إلى المساواة بين الناس ، ولو أن بعضها يتظاهر بهذه الدعوة . فقد زرت كثيراً من الكنائس والمعابد ، فرأيت التفريق بين الطبقات داخل المعابد كما هو خارجها . وكان اعتقادي بالطبع أن الأمر لا بد كذلك داخل المساجد الإسلامية . ولكن ما كان أشد دهشتي حينما رأيت الشعور بالمساواة على أتمه بين المسلمين في عيد الفطر في مسجد (ووكنج) بلندن . وهناك وجدت أجنساً مختلفين على اختلافهم في المراتب احتلاطاً لك أن تسميه بحق أخوياً . ولم أكن شاهدت مثل ذلك . ترى في المسجد (نوبياً) من بلاد (عماساً) يصافح عظيمها من رجال الأعمال في مصر أو سياسياً من بلاد العرب ، وقد ارتفعت الكلفة بين الجميع . فلا يأنف أحد هم مهما عظم قدره من أن يجاوره في الصلاة أقل الناس شأنًا . وإنك لا تجد أقل محاولة لتخفي الصفوف إلى مكان ممتاز بالمسجد . لأنه ليس هناك أى مكان ممتاز . فالكل عند الله سواء . لا فضل لأحد على سواء . وعندما صرحت إمام المسجد بأن المسلمين يعتقدون رسالة جميع الأنبياء ويؤمنون بما أنزل إليهم كدت لا أصدق أذني . وكان هذا جديداً استفادته عن الإسلام . لذلك لم أعد أشك في أن هذا الدين يصلح لأن يكون ديناً عالماً » .

فلا بد للMuslimين من تضحيه مخلصة ولا بد للدعاة من التجهيز بأسلحة القرن العشرين من أساليب الدعوة والإرشاد ومن معطيات العلم الحديث والتزود بالقوى إلى أبعد حد . والتجرد عن كل نزعات عدا الإسلام . فان فقد الشيء لا يعطيه ، إنه تعالى يقول :

« وَتَزُودُوا فَإِنْ خَيْرُ الْزَادِ التَّقْوَى ، وَاتَّقُونِ يَا أَوَّلَ الْأَبْابِ »^(١) .

* * *



شكل (٧)

قلنا إن من جملة ما لا يمكن إبصاره حتى بالآلات الدقيقة هو (الذرة)^(٢). ومع ذلك كله ، فإن العلم الحديث قد استخدم ما كان يعرفه من : قوانين الكتلة والطاقة في استنباط صفاتها وتركيبها وخصائصها مع كونها غير منظورة . ولقد أيدت القنبلة الذرية الأولى ما كشف من قوانين ونظريات حول تركيب الذرة غير المنظورة ووظائفها .

إن العلم الحديث قد استدل على تلك الظواهر التي تتعلق بالذرة بآثارها وهي من « ما لا تبصرون » معتمداً في ذلك على الاستدلال المنطقي الصرف وعلى ما كان معلوماً من حقائق أولية بسيطة تتعلق بهذه الظواهر والأشياء . فحرى بالمادى الذى يعترف بالذرة ويستخدمها في حقول شتى ويستدل بالآثار على وجودها وجود الألكترونات فيها وهو لم ير شيئاً منها حتى بالآلات ، أن يقبح نفس الطريقـة في الاستدلال على وجود الله .

(١) سورة البقرة : ١٩٧

(٢) حجم الذرة بالنسبة إلى تقاحـة كحجم التقاحـة بالنسبة إلى الأرض . وحجم كل من البروتون أو النيوتون أو الألكترون بالنسبة إلى الذرة كلها كحجم حبة من العدس بالنسبة إلى المـرمـيـ الكبير .

تبارك وتعالى وأن لا يقول : لا سبيل إلى الاعتقاد بغير المنظور ... مع العلم أن غير المنظور في هذا الكون المادي أشد تأثيراً وفعالية من المنظور : كالكهرباء والمغناطيسية وأمواج (هرتز) إلى ما هنالك . فالعالم المادي كله قوى كهربائية ومتناطيسية وجاذبية ، وكل أوئلها من النوع غير المنظور . وما أعظم قول الله تعالى حين يقول : « فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور »^(١) .

ويقول تعالى : وفي الأرض آيات للموقفين . وفي أنفسكم أفلات بتصرون . فلا يستفيد من هذه الآيات التي أودعها الله أرضه وسماءه إلا من كان له شيء من الإيمان . فإن حب الله ومعرفة الله أعلى وأسمى من أن يحل نفوساً مدحمة ، ظلماء بذنوبها وآثامها ومحاجتها وبغيتها .

وهكذا يقول جل من قائل : « قل انظروا ماذا في السماوات والأرض ، وما تُغنى الآيات والتنذر عن قوم لا يؤمّنون »^(٢) . فلابد من إيمان (ولو كان هذا الإيمان ضعيفاً جداً) ، كي يعتبر الفرد بما أودع الله من نظم وقوانين في أرضه وسمائه . ولكن المادي ، لظلمات في نفسه ، لا يؤمّن إلا بما تمليه عليه نفسه المتساقفة المريضة ، ومهما سمي ذلك فلسفة ! أو نظرية علية دياlectيكية فهو مرض ولوث ورجس ، بعد تفنيد العلم الصحيح كل ذلك . « وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وما توا وهم كافرون »^(٣) .

فلا دينَ على وجه الأرض منذ خلق الله تعالى الأحياء عليها ، إلا الإسلام . بحكم العقل وبحكم العلم الصحيح وبنصوص من الكتاب . لا الظنون والأهواء ونظريات تجرح بعد زمن يسير . لذلك يقول تعالى :

(١) سورة الحج : ٤٦

(٢) سورة يونس : ١٠١

(٣) سورة التوبة : ١٢٦

« أَفَغَيْرُ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ؟ وَلَهُ أَسْلَمَ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طُوعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ». وَمِنْ مَعْنَى الْإِسْلَامِ هُنَا: أَنَّ لَيْسَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْءٌ غَيْرُ مُحْتَاجٍ فِي وُجُودِهِ وَبِقَائِمَهِ وَفَنَائِهِ إِلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَإِلَى قُولِ اللَّهِ تَعَالَى: (كَنْ) وَإِلَى مَشِيلَةِ اللَّهِ وَارَادَةِ اللَّهِ: « تَسْبِيحُ لِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ »، وَإِنْ مَنْ شَيْءٌ إِلَّا يَسْبِحُ بِحَمْدِهِ، وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ، إِنَّهُ كَانَ رَحِيمًا غَفُورًا^(١).

فَمَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْكَوْنِ إِلَّا وَهُوَ يَنْادِي، لَمَّا فِيهِ مِنْ نَظَامٍ وَجَمَالٍ وَكَلَّ، بِعَظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، يَسْبِحُهُ وَيُقَدِّسُهُ. أَلَيْسَتْ هَذِهِ الْقُوَّةُ: قُوَّةُ الْجَنْبِ بَيْنَ الْكَرَاتِ. هَذِهِ الْقُوَّةُ الَّتِي يَجْهَلُ حَقِيقَتَهَا الْعِلْمُ الْحَدِيثُ، تَدْلِي عَلَى أَنَّ الْكَوْنَ يُسَيِّرُ بِإِرَادَةِ اللَّهِ تَبَارِكُ وَتَعَالَى وَمَشِيلَتِهِ؟ « إِنَّ اللَّهَ يَمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسِكُهُمَا^(٢) مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا^(٣) ».

وَمَا أَعْظَمُ مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ عَلِيهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ^(ع) كَمِيلًا حِينَ يَقُولُ: « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ... (إِلَى أَنْ يَقُولُ) وَبِعَظَمَتِكَ الَّتِي مَلَأَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَبِسُلْطَانِكَ الَّذِي عَلَا كُلَّ شَيْءٍ، وَبِوْجُوهِكَ الْبَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِأَسْمَائِكَ الَّتِي مَلَأَتْ أَرْكَانَ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِعِلْمِكَ الَّذِي أَحْاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَبِنُورِ وِجْهِكَ الَّذِي أَضَاءَ لَهُ كُلَّ شَيْءٍ، يَا نُورًا، يَا قَدُوسًا، يَا أَوَّلِ الْأَوْلَى وَيَا آخِرِ الْآخِرَى ».

حَقًا: إِنَّ مَنْ يَتَبَعُ الْعِلُومَ الْحَاضِرَةَ وَمَا أَكْتَشَفَ مِنْ حَقَّاَتِ وَعَوْلَمَ وَنَظَمَ وَدَسَاطِيرَ وَخَوَاصَ لَا تَعْدَ، يَعْلَمُ أَنَّ مَا جَاءَ فِي الدُّعَاءِ الْمُتَقْدِمِ يَفْسُرُ تَمَامًا حَالَةَ الْأَجْسَامِ اعْتِبَارًا مِنَ النَّدْرَةِ إِلَى السَّمَاوَاتِ الْعُلَى، فَكُلُّ شَيْءٍ

(١) سورة الامراء: ٤٤

(٢) انْ أَمْسِكُهُمَا: أَيْ مَا أَمْسِكُهُمَا

(٣) سورة فاطر: ٤١

(لو حل حللاً نهائياً) يضيء بنور الله ويقدس الله تعالى وينزهه من كل نقص ، وينادي بصوت رفيع : أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَلِيُّ الْقَدِيرُ : خالق الطاقات ومرتبها ترتيباً حكيمًا حتى كانت هذه الذرات وتلك العناصر بهذا النظام الخارق الدقيق : « وكل شيء عنده بمقدار ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال »^(١) ، وهكذا السماوات ، فالمجرات ، فالأرضون ، فالنباتات ، فالحيوانات ، فالإنسان .. وأما كيفية خلق الله تعالى الملائكة والإنسان والسماء والأرض ، فذلك ما نجهله . إذ يبدو التطلع على ذلك مستحيلاً على حد قوله تعالى : « ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم »^(٢) .

* * *

تدبروا هذا الدعاء وهو دعاء لطلب العافية ، علمه النبي (ص) عليهما السلام ^(ع) ، لترووا كيف أن كل ما في الكون يسبح الله وينزهه عن كل نقص :

« اللهم انى أسألك بأنك سبوح ، قدوس ، يسبحك سواد الليل وضوء النهار وشعاع الشمس ودوى الماء وخفيف الشجر ونجوم السماء وثرى الأرض وأمواج البحار وصنور الجبال ودواب البحر .

أسألك يا رب ، يا أحد يا فرد يا صمد . في السماء ميعادك وفي الأرض قضاوتك وعلى العرش استواوك ، وفي الجنة رحمتك وفي النار عذابك ، والملائكة جنودك ، يسبحونك ويقدسونك ويملونك الليل والنهر لا يفترون . لا إله إلا أنت الملك الجبار الحنان المنان الديان الرحمن ، بدائع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام .

أسألك بأسمائك الحسنى وأمثالك العليا وبرهانك العظيم وحجتك البالغة أن تصرف عنى شر ما أجد من الداء وشر ما أخاف وأحذر .

* * *

(١) سورة الرعد : ٩

(٢) سورة المكاف : ٥٢

بعد أن عرفنا شيئاً عن تركيب الذرة (Atome) ، هذا التركيب الذي يحير العقول وهو أساس تجميع ما في هذا الكون المادي من عناصر ومركبات ، يجدر بنا أن نتساءل حامل الفكرة المادية الديالكتيكية (المادية العلمية النظرية !) كيف يوفق بين حقائق الذرة وبين نظريته الموجة .

يقول (ستالين) ، وهو الذي لم يدرس شيئاً عن علم الذرة وحقائقها وإن ذكراه المحدود كان أقل من أن يمكنه من أن يتخصص في الفيزياء الرياضية العالمية أو الميكانيك الرياضي أو الميكانيك السماوي (Mécanique Céleste) إنه يقول^(١) : « إن الديالكتيك معناه دراسة التضاد في ماهية الأشياء . وان النمو إما هو نتيجة صراع بين الأضداد » ؟ !

ما هو هذا التضاد الذي نشاهده في الذرة وما هو هذا الصراع ؟ . إنما نحن نرى أن هناك التبايناً وتألفاً وتوافقاً و (تفاهمها ! ؟) بين الألكترونات والبروتونات ، تحت نظام بدائع وان الألكترونات تدور حول البروتونات بنظام وهي جذوبة إليها كما في المنظومة الشمسية^(٢) ، لا اختيار لها ولا ارادة . وان ارادة خارجية وهي ارادة الله ، جلت عظمته ، جعلت هذه الألكترونات تدور حول النواة وأن تتوزع على مدارات معينة بفواصل معينة ، تحت حكم قاعدة ، بحيث لو اختل النظام المودع فيها ، لما كانت في الوجود : ذرة (هليوم) أو (ليثيوم) أو حديد أو (كاسيوم) ... إلى ما هنالك .

حقاً ان (لينين) و(ستالين) لو كانوا من حيث الدراسة في مستوى عالٍ ، (وكيف يكون السفاك محققاً وعالماً ؟) لما جاء بهذه النظريات التافهة الواهية رغبة في القضاء على من لم ينتسب إلى مذهبهم الرجعي ، المذهب الجنوبي . هذا

(١) نقل عن مذكرات لينين الفلسفية !.

(٢) « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت »

المذهب الذى لا يقره ولا يعترف به (لو كان حراً) من له أدنى المام بالعلوم الحاضرة ، إلا إذا كان من تلوثت نفسه بما كسبت يداه من جرائم وآثام .
لذلك يقول (لورد كيلفن) وهو الفيزيائى البارع : « إذا فكرت تفكيراً عميقاً ، فإن العلوم سوف تضطرك إلى الاعتقاد بوجود الله »^(١) .
فأنت لا ترى في حركة الألكترونات حول البروتونات حركة عشواء
أو سلوكاً جنوبياً (سلوك المادى) دون قصد وغاية .

وقد وجد (مانداليف)^(٢) بلطاف من الله تعالى منذ ١٠٠ سنة قانوناً في ترتيب العناصر ، وذلك لأن العناصر الكيمياوية (كالإيدروجين والهيدروجين والراديوم ... الخ) قد رتبها الله تعالى تبعاً ل揆ايد أوزانها الذرية ترتيباً دورياً .
وان العناصر التي تقع في قسم واحد تتألف فصيلة واحدة وتكون لها خواص مشابهة . ولذلك تمكّن العلماء بفضل هذا الترتيب أن يتبنّوا بوجود عناصر لم يكن قد علم بها قبلاً . حتى أن العلم قد تنبأ بفضل هذا الترتيب بخواص هذه العناصر الججهولة واجت صفاتها مطابقة تماماً للصفات التي توقعوها مستفيدين من القانون الذي وجدوه . وهل يمكن أن يسمى ما اكتشفه (مانداليف)
بالمصادفة الدورية ؟ أو يحق لنا أن نسميه بـ (القانون الدوري) .

وكم من قوانين ومعادلات وما أجري عليها من أعمال رياضية قد أثبتت عن حقائق جديدة وسببت مكتشفات حديثة ، يعلم ذلك من درس الفيزياء الرياضية العالية ، وما يستعمل هنالك من معادلات تفاضلية دقيقة . فهل

(١) وهو القائل : « إن كل حادثة فيزيائية لا يمكن أن تيغى عنها بحسب دستور رياضي ليس بمصادفة معروفة فيزيائياً ». وهذا خير دليل على وجود الله تعالى وعظمته سبحانه .

(٢) وقد أعلن سنة ١٩٥٥م كشف العنصر ١٠١ (أي الرقم الذري : ١٠١) وهي تقدير أول (مانداليف) : وأضم أسم التصنيف الدوري للعناصر : مانداليوم Mendelvium M_{v}^{256}
أي أن في هذا العنصر ١٠١ بروتون و ١٥٥ نيوترون فيكون الوزن الذري

لـلطبيـعـة العمـيـاء أـن تـسـنـنَ آـلـاف القـوـانـين وـأـن تـنـظـمـها تـنـظـيمـا يـحـيرـ الـأـلـابـ ،
حتـى يـكـونـ هـذـاـ العـالـمـ الـذـيـ نـشـاهـدـهـ وـنـرـاهـ .

« أـمـنـ خـلـقـ السـمـاءـ وـالـأـرـضـ وـأـنـزلـ لـكـمـ مـنـ السـمـاءـ مـاـءـ فـأـنـبـتـنـاـ بـهـ
حـدـائـقـ ذـاتـ بـهـجـةـ ،ـ مـاـ كـانـ لـكـمـ أـنـ تـبـنـيـواـ شـجـرـهـاـ ،ـ أـلـهـ مـعـ اللـهـ ،ـ بـلـ هـمـ
قـومـ يـعـدـلـونـ (١)ـ .ـ أـمـنـ جـعـلـ الـأـرـضـ قـرـارـاـ وـجـعـلـ خـلـالـهـاـ أـنـهـارـاـ وـجـعـلـ هـاـ
رـوـاسـيـ وـجـعـلـ بـيـنـ الـبـحـرـيـنـ حـاجـزاـ ،ـ أـلـهـ مـعـ اللـهـ ،ـ بـلـ أـكـثـرـهـمـ
لـاـ يـعـلـمـونـ (٢)ـ .ـ

إـذـاـ كـانـ كـاـيـقـوـلـ :ـ (ـ كـارـلـ مـارـكـسـ)ـ :ـ اـنـ الـأـشـيـاءـ اـنـهـاـ وـجـدـتـ نـتـيـجـةـ
الـتـكـامـلـ فـيـ الـأـضـادـ !ـ فـلـيـوـضـحـ لـنـاـ كـيـفـ أـنـ الشـيـءـ أـوـجـدـ ضـدـهـ ،ـ وـكـيـفـ أـنـ
الـرـجـلـ أـوـجـدـ لـنـفـسـهـ أـنـثـىـ .ـ لـذـلـكـ يـقـوـلـ (ـ مـوـتـنـيـ)ـ وـهـوـ أـحـدـ فـلـاسـفـهـ فـرـنـسـاـ :ـ
«ـ مـهـمـاـ يـكـنـ هـنـ شـيـءـ ،ـ فـلـيـسـ لـلـرـجـلـ أـنـ يـخـلـقـ لـنـفـسـهـ اـمـرـأـ هـاـ عـضـوـ التـنـاسـلـ
اـبـقـاءـ لـلـجـنـسـ الـبـشـرـىـ ،ـ فـالـلـهـ تـعـالـىـ هـوـ الـذـيـ خـلـقـ الـمـرـأـةـ كـاـ خـلـقـ الرـجـلـ وـهـكـذـاـ
بـقـيـةـ الـحـيـوانـاتـ وـالـحـشـرـاتـ وـالـنبـاتـاتـ .ـ»ـ

«ـ وـمـنـ آـيـاتـهـ أـنـ خـلـقـ لـكـمـ مـنـ أـنـفـسـكـمـ أـزـوـاجـاـ لـتـسـكـنـوـاـ إـلـيـهـاـ وـجـعـلـ بـيـنـكـمـ
مـوـدـةـ وـرـحـمـةـ ،ـ اـنـ فـيـ ذـلـكـ لـآـيـاتـ لـقـوـمـ يـتـفـكـرـوـنـ (٣)ـ .ـ

أـنـىـ لـلـكـهـرـ بـائـيـهـ السـالـيـهـ :ـ (ـ الـأـلـكـتـرـوـنـ)ـ أـنـ تـوـجـدـ لـنـفـسـهـاـ كـهـرـ بـائـيـهـ
مـوـجـةـ ،ـ ثـمـ تـقـرـتـ بـتـرتـيبـاـ بـدـيـعـاـ لـاـ تـحـيـدـ عـنـهـ وـلـاـ تـتـغـيـرـ ،ـ مـنـذـ خـلـقـ اللـهـ الـذـرـةـ ،ـ
خـلـافـاـ لـمـاـ يـقـولـهـ المـادـيـ مـنـ (ـ نـظـرـيـةـ التـغـيـرـ)ـ الـتـيـ لـاـ يـعـقـبـهـاـ الـعـلـمـ الـحـاضـرـ .ـ اـنـ هـيـ
اـلـاـ نـظـرـيـةـ عـشـوـاءـ كـوـاـضـعـهـاـ .ـ «ـ وـمـنـ يـعـشـ عـنـ ذـكـرـ الرـحـمـانـ نـقـيـضـ لـهـ شـيـطـانـاـ

(١) يـعـدـلـونـ :ـ أـيـ يـعـدـلـونـ بـالـلـهـ غـيـرـهـ ،ـ أـوـ يـعـدـلـونـ عـنـ الـحـقـ .ـ

(٢) وـرـةـ الـخـلـ :ـ ٦٠ـ — ٦١ـ

(٣) سـوـرـةـ الـرـوـمـ :ـ ٢١ـ

فهو له قرين . وإنهم ليصدُّونَهُم عن السبيل ويحسِّبونَ أنَّهُم مهتدونَ^(١) .
[يعشُّو : يتعَامِي] ، [نقِيقٌ ضَّنْهُ نَحْنُ] .

نَحْنُ لَا نَرِى أَىٰ تضادٍ فِي الذرَّةِ ، فَهُلْ الْمَرْأَةُ ضَدُّ الرَّجُلِ ، بَلْ نَرِى فِي الذرَّةِ
وَفِي كُلِّ زَوْجَيْنِ خَلْقَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى تَكَامِلاً وَتَوَافِقاً . فَلَا تَسْمَعُ الْحَيَاةَ وَلَا تَسْتَقِرُ
وَلَا تَسْتَمِرُ إِلَّا بِذَكْرِ وَأُثْنَيْ . وَلَا تَسْمَعُ الذرَّةَ وَلَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا بِالْأَلْكَتْرُونِ
وَالپِروْتُونِ . فَهَذِهِ هِيَ الْزَوْجِيَّةُ الَّتِي أَوْدَعَهَا اللَّهُ فِي جَمِيعِ مَا خَلَقَ حَتَّىٰ فِي
الْجَمَادَاتِ لِتَسْقِي الْوَحْدَانِيَّةَ لَهُ تَعَالَى . « وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لِعِلْمِكُمْ
تَذَكَّرُونَ »^(٢) . وَلَذِكْرِكَ يَقُولُ الدَّكْتُورُ (جُورْجُ اِبْرُلْ دَافِيزْ) رَئِيسُ الْبِحُوثِ
الذَّرِّيَّةِ : « إِنْ كُلَّ ذَرَّةٍ مِّنْ ذَرَّاتِ هَذَا السَّكُونِ تَشَهِّدُ بِوْجُودِ اللَّهِ . وَإِنَّهَا تَدْلِي
عَلَى وْجُودِ اللَّهِ حَتَّىٰ دُونَ حَاجَةِ إِلَى الْإِسْتِدَالَالِ : بِأَنَّ الْأَشْيَاءِ الْمَادِيَّةِ تَعِزِّزُ
عَنْ خَلْقِ نَفْسِهَا » .

وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ ذَرَّةً (الْأَيْدِرُوْجِينِ) مَرْكَبَةٌ مِّنْ أَلْكَتْرُونِ وَاحِدٍ يَدُورُ
حَوْلَ پِروْتُونٍ وَاحِدٍ . فَكَيْفَ يَفْسُرُ لَنَا الْمَادِيُّ حَدْوُثُ الْهَلِيُومُ : الْمُشَتَّمُ
عَلَى أَلْكَتْرُونِيَّنِ يَدُورُانِ حَوْلَ (پِروْتُونِيَّنِ) مِنْ ذَرَّةِ الْأَيْدِرُوْجِينِ حَسْبَ
قَانُونِ التَّغْيِيرِ ! أَوْ نَظَرِيَّةِ التَّضادِ ! ؟ . فَكَانَ يَجِبُ أَذْنَنَ أَنْ تَتَحَوَّلَ جَمِيعُ مَا فِي
السَّكُونِ مِنْ أَيْدِرُوْجِينِ إِلَى هَلِيُومٍ وَأَنْ لَا نَرِى فِي الْعَالَمِ فِي وَقْتٍ مِّنَ الْأَوْقَاتِ
إِلَّا (الْهَلِيُومُ) . فَلَا يَقِعُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ (أَيْدِرُوْجِينُ) . فَتَنْجُفُ الْبَحَارُ
وَتَبْيَسُ الْأَشْبَارُ . لَأَنَّ جَمِيعَهَا مَرْكَبَةٌ مِّنْ أَيْدِرُوْجِينِ وَعَنَاصِرٍ أُخْرَى . ثُمَّ أَيْنَ
الْتَّحَوُّلُ الَّذِي يَقُولُ بِهِ الْمَادِيُّ وَهُوَ : « أَنَّ التَّغْيِيرَاتِ السَّكَمِيَّةِ تَتَحَوَّلُ إِلَى تَغْيِيرَاتِ
كَيْفِيَّةِ ! » . وَهُلْ لِلْمَادِيَ الصَّمَاءُ أَنْ تَغْيِيرَ نَفْسِهَا حَتَّىٰ يَحْدُثَ نَتْيَاجَةً لِذَلِكَ عَالَمِ
كُلِّهِ نَظَامٌ وَاتِّقَاظٌ وَقُوانِينٌ ثَابِتَةٌ وَمَعَادِلَاتٌ لَا يَصْلُ إِلَى كُنْهِهَا الْعُقْلُ الْبَشَرِيُّ
مَهِيَا أَوْتَىٰ مِنْ قُوَّةِ وَكَالٍ .

(١) سورة الزخرف : ٣٦ — ٣٧

(٢) سورة الذاريات : ٤٩

ليس العلم بهذه الدرجة من الصفة حتى يتغير حسب أهواء الفلاسفة الماديين المتطفلين على العلم . وليس العلم مجرد مقتراحات تكشف عن نفس مقنعة ، رائدها المهم والتخريب !

ألا يفكر هذا المادى انه حسب نظريته المادية الميالكتيكية السخيفة يجب أن لا يكون اليوم في الكون إلا عنصر واحد وهو (أورانيوم) مثلاً، ذلك لأن حسب (هواه) قد تكاملت العناصر كلها وفق قانون الأضداد والتغير الذي يقول به وتحولت إلى عناصر أخرى . فإذاً يجب أن لا يبقى إلا عنصر واحد وهو (الأورانيوم) !

وهكذا القول في الأحياء ، حسب هذه النظرية السخيفة ، يجب أن لا يبقى في الكون إلا الإنسان الذي قد تكامل من (آميما) : وهو الكائن الحي ذو الخلية الواحدة . وأن لا يكون في الوجود من الكائنات الحية غيره ..

ثم كيف يفسر لنا المادى نظرية التضاد في تركيب الماء (H_2O) ، ما هو هذا التضاد الذي نشاهده بين الأوكسجين والإيدروجين وما العداوة التي شاهدناها بين (الكلور) و(السوديوم) : $ClNa$ في ملح الطعام وبين الكلور والإيدروجين في (آسيد كاربوديك) : HCl . بل هناك تركيب علبي وتقابع وتوافق أودعها الله في جزيئات هذه الأجسام لحدوث هذا العالم .

ثم ان المادى الميالكتيكى لا يرضى للانسان هذا المنطق العظيم الذى ولهه الله ايات ، فكان السبب ياذنه تعالى لكل ما اكتشف من علوم تدل على عظمته الخالق ، هذا المنطق الذى بُنيت عليه القضايا الهندسية والرياضيات العالية والفيزياء العالية وعلم الفلك العالى والكيمياء ومكتشفات الذرة ، فيسمى هذا المنطق مع الأسف بالمنطق الشكلى ، ثم يأتي بمنطق في غاية

السخافة (منطق الهدم والردم) . منطق المتناقضات ويسميه بالمنطق الديالكتيكي .

أسفأ على ما بلغ اليه العلم في القرن العشرين ، علم يتحكم فيه جبابرة طغاة بنظريات سخيفة تبريرًا ل موقفهم التخريبي في العقائد والنفوس .

يقول هذا المنطق السخيف : المنطق الديالكتيكي ، إن الشيء يكون صحيحاً وغططاً في نفس الوقت ، ويمثلون لذلك (فرضية دالتون) في تركيب العناصر . وإن هذه النظرية فندت ثبوت ما فيها من خطأ وقام مقامها نظرية (روتفورد) بشأن الذرة . فالمنطق الديالكتيكي ! يقول إن فرضية (دالتون) كانت صحيحة ومغلوطة في نفس الوقت . وهذا مما يضحك الشكلي ، فالدستور لا يكون صحيحاً وخطأً في نفس الوقت ، ذلك لأنه لو كان خطأً كانت النتائج التي تؤخذ بتطبيق ذلك الدستور خطأ لا محالة . إن المنطق الديالكتيكي يقول ان دستور نيوتون في الجذب العام بين الكرات والأجراب :

$$\frac{ك ك}{م} = ق = i \times$$

كان صحيحاً وخطأً في نفس الوقت . وفاتهم أن (أينشتين) رأى أن هذا الدستور لا يعطي النتائج الصحيحة لو طبق في مسافات بعيدة ، فأدخل البعد الرابع وهو الزمان في دستور وضعه ، ذلك لأنه رأى أن سرعة الأجسام دخيلة في حساب مقدار الكتلة ، والسرعة يدخل فيها مفهوم الزمان . فلذلك صحيح دستوراً وضعه (نيوتون) وجاء بدساير آخرى دقيقة لا مجال إلى ذكرها . فكيف إذن يكون الشيء صحيحاً وغططاً في نفس الوقت ؟ !

إنما يعترف المادى بهذا المنطق الديالكتيكي السخيف ، كى يشير العمال والناس فيحرك عواطفهم ويخلق منهم أعداءً يفتكون بعضهم البعض . إن رائد الفتك والبطش . انه يعترف بهذا المنطق الواهي : ان ما يوجد من دساير وقوانين صحيحة وخاطئة في نفس الوقت ، كى يبرر موقفه في وضع قوانين

اجتماعية مغلوطة تختلف ما طبع عليه الإنسان ، تختلف ما ثبت في علم النفس من غرائز وخصال ، وحمل الناس جبراً على تقبيلها ، كل ذلك تبريراً لديكتاتورية فئة قليلة تريد أن تحقق لنفسها شهوة الحكم والسيطرة باسم انتقام العمال والفلاحين ! وهم ومع الأسف في أسوأ حال ، بعيدون عن الحكم كل البعد . فئةٌ تريد سيطرة اليهود على العالم بعد سحق الفضائل وال المقدسات والدين .

يقول المادى : إن النظام الرأسمالي صحيح وخطأ في نفس الوقت ، انه يحفر قبره داخل كيانه حتى يزول فتأنى الشيوعية وهي التي تسود العالم في النهاية وتلك نهاية العالم ، فلا نظام بعد ذلك . فلماذا يتوقف هذا المنطق الفاسد : (صحيح وخطأ في نفس الوقت) عند هذا الحد ؟ فلماذا لا تحفر الشيوعية قبرها يدها داخل كيانها ؟ فتزول ويسود في الأرض ، بإذن الله ، نظام عادل ، لا رأسمالية ولا شيوعية ، نظام ارتضاه الله لعباده في أرضه : وهو نظام الإسلام .

* * *

نعم ، ان ما رتبه المادى من قوانين وان سماها ، لإغواء الناس ، علمية ، نظرية ! ولكنها تخريجية ، صهيونية حقاً ، يريد من وراءها سحق الفضائل وال المقدسات والأخذ بهذا الإنسان إلى جاهلية جهلاء وإلى أسفل السافلين .

أجل ، لو تساوت الإنسانية في بعض بلدان العالم حتى جعل الأولاد والبنات بضاعة مادية يتصرف فيها الديكتاتاريون باسم المجتمع والبروليتاريا^(١) كيفما شاؤوا وأحمدت الحريات باسم التقدم ! وأمسى الفرد آلة صماء لا حرمة له ولا ارادة ، وكان رائد المجتمع وبالآخرى رائد الديكتاتوريين مادياً بحثاً لا ينبض فيه شيء من المعنويات ، وال المقدسات ، فعلى مثل هذا المجتمع السلام ! .

فلا نجاة لهذا العالم الا باتباع الإسلام وتطبيق تعاليه الخالدة خلود الدهر .

* * *

(١) البروليتاريا : Prolétariat : طبقة العمال .

وان الروح من غير المنظور ، وكل منا يعترف بالروح ولا يقوى على مشاهدتها كا يشاهد الخشبة . إلا أن وجودها أثبت وأوضح من وجود الخشبة . لتعلقها بنا تعلقاً لا يقبل الالتباس .

فالملح والجهاز العصبي كآلات الراديو . فـكما أن آلات الراديو ليست من حقيقة الصوت الانساني في شيء ، كذلك الأقسام المادية في الملح الانساني والجهاز العصبي ، فهو ليس من الروح المجردة في شيء . فالروح التي لا ترى بعيوننا تقوم بما تقوم به من أعمال مستعينة بالملح والخمير ... الخ . كما يستعين الشخص بالراديو لإيصال صوته الى حيث يريد . فإذا أصبت آلية الراديو بعطل لا تقوى على التقاط الصوت وكذلك الملح ، وليس الملح من الروح في شيء ، كما أن النفس غير الملح ، فإن النفس لا تقوى بعطل يصيب بعض أجزاء الملح ، كالنسمان (مثلاً) .

وقد قال فلاسفة، وكذلك الإلهيون: إن الروح جوهر مجرد عن المادة وعوارض المادة وإن اتصال الروح بالبدن هي اتصال تدبير وتصفّر، أي أن الروح أو النفس تتصرف بالبدن وتقوم بتدبيره وعندما يموت الإنسان ينقطع هذا الاتصال بين الروح والبدن.

وقالوا : إن نفس الإنسان جوهر روحي مجرد قائم بذاته ، ذلك لأن نفس الإنسان تعرف وتعرف أنها تعرف أيضاً وهكذا ... وإن المعرفة ليست من خواص الجسم . فإذاً وجب أن تكون النفس شيئاً مجرداً عن المادة . ثم قالوا : إن المادة لو انتقدشت عليها صورة تبقي هذه الصورة منقوشاً عليها إلى أن تنقش عليها صورة أخرى . فيحصل اضطراب من انتقاد الصورتين فيكون شكلان غريباً ، حين أن النفس ليست كذلك . تنقش فيها أنواع المعارف والمعلومات دون أن يؤودي إلى شكل غريب أو ارتباك أو يؤودي إلى حشو الصورة الأولى . فهي إذن ليست من نوع المادة ، ومعلوم أن الإنسان يزداد فهماً كلما ازداد على ما .

وقد قال الماديون : إن المخ إذا أصيب بعطب تأثرت العقليات بل الأخلاق وغيرها . وجعلوا ذلك دليلا على أن المادة هي كل شيء ، ونفوا وجود الروح وهي من أوضح الواضحات . وقد فات هؤلاء أن المادة ضرورية لإظهار شيء خفي عنا . ومثلها مثل عدة (التليفون) . فإنها ضرورية لسماع صوت من يتكلم ، وإذا أصيب التليفون بعطب اختل الكلام ووقف . ولكن التليفون وأعني الآلة أو (المسرة) ليس منشأ الكلام مطلقاً .

ثم ألا يرى الإنسان نفسه ، في حلمه (في عالم الطيف) ، في أماكن بعيدة أو في بلاد أخرى فائمة ، وهو ملقي على فراشه ، نائم في غرفته . فمن هذا الذي سافر إلى بلاد أخرى وهو مضطجع في فراشه؟ هذه هي روحه التي بين جنبيه^(١) ، روحه التي يسأل عما قريب عن أفعالها وأعمالها . عن كل صغيرة وكبيرة جاءت بها في « يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من آتى الله بقلب سليم » .

إن الفسق والظلم يسدان على النفس الإنسانية أبواب الرحمة وهذا بدوره يؤدي إلى اتباع هوى النفس وما يُملي عليها شيطانها على حد قوله تعالى : « بل اتبعوا الذين ظلموا أهواهم بغير علم ، فمن يهدى من أضل الله وما لهم من ناصرين ». وليس هناك جامع بين الفسق والإيمان : « أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَنَّ كَانَ فَاسِقًا لَا يُسْتَوِونَ » . (سورة السجدة : ١٨) .

فلنفس المؤمن التقى رشحات . كما أن نفس الفاجر المفسد رشحات أيضاً . إن الله تعالى يقول : « أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ ، أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَقِنِينَ كَالْفَجَارِ » . (سورة ص ، ٢٨) .

(١) « إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ الْأَنْفُسَ حِينَ مُوْتُهَا وَالَّذِي لَمْ تَمْتَ في مَنَامَهَا ، فَيُمْسِكُ الَّذِي قَفَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجْلِ مَسْعِي ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَسَّرُونَ » . (سورة الزمر : ٤٤) .

فرشحات نفس المؤمن : الإيمان بما غاب عنه عن تعليل صحيح ومنطق واضح جلى . يتجلّى لعقل الإنسان الفطري غير الملوث بالآثام . ورشحات نفس الأثم الفاجر الفاسق : الركون إلى المادة العمياء والإخلاد إلى الأرض « ولكنك أخلد إلى الأرض واتبع هواه »^(١) والاعتقاد بالمحيط والبيئة وعوامل أخرى مادية وانكار ما وراء المادة أو الطبيعة .

وليس المنطق والدليل في هذا المقام بعد ادطمهم النفس وظلماتها بالشيء الذي يزيح المادي عن غيه وطيشه . فهو مأنوس بما وصلت إليه نفسه البهيمية البعيدة عن رحمة ربها من انحراف وميل سلبية « كل حزب بما لديهم فر حون » (سورة الروم : ٣٢) . فالضال لا يعي ما هو عليه من ضلال : « لعمرك إنهم لئن سكرتهم يعمرون »^(٢) .

وهكذا يوضّح الله تعالى حال أولئك الذين نسوا تذكير الله أيام وفرحهم وأغترارهم بالنعم التي تغدق عليهم أى بهذا الاستدراج الإلهي (ونستجير بالله من ذلك) وذلك بقوله : « فلما نسوا ما ذكرنا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء ، حتى إذا فرحوا بما أتوا ، أخذناهم بعنته فإذا هم مبلسون » (أى متغيرون ، آيسون) (سورة الأنعام : ٤٤) .

إنه تعالى يقول : « ولا تطبع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه ، وكان أمره فرطا »^(٣) . فان قليلاً كهذا بعيد عن تلقى كل ما يهدى إلى الصواب إلا اذا تاب وأناب وتخلّى عن طيشه وغروره وأعقب أعماله السيئة بحسنات : « إن الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين »^(٤) .

(١) سورة الأعراف : ١٧٥ — أخلد إلى الأرض : أي مال إليها ودام فيها واتبع ميله الشهوانى .

(٢) يعمرون : يستجرون ، عمده : تحير وضل — سورة الحجر : ٧٢

(٣) فرطا : اسرانا ، خارجاً من طريق الحق .

(٤) سورة هود : ١١٥

هذه هي فلسفة المداية والضلال الحقة بشكل واضح لا تعقيد فيه . إن الله تعالى يقول : « والله لا يهدى القوم الفاسقين » . « والله لا يهدى القوم الظالمين » . « والله لا يهدى القوم الكافرين » . « وإن الله لا يهدى كيد الخائبين » . « إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار » . « إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب » . « فإن تولوا ، فإن الله أعلم بالمفسدين » . وإن الله تعالى لا يضره كفر الكافرين و جحد المجاهدين . ذلك لأن الله تعالى يقول : « من كان يريد العاجلة ^(١) بعلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ، ثم جعلنا له جهنم يصلها مذموماً مذحوراً » ^(٢) . ثم يقول الله تعالى في موضع آخر من القرآن الكريم : « ولو لا أن يكون الناس أمة واحدة ^(٣) بعلنا لم يكن يكفر بالرحمن ليبيوهم سقفاً من فضة ومعارج ^(٤) عليها يظرون ^(٥) . ولبيوهم أبواباً و سرراً عليها يتکشون . وزخرفاً ^(٦) ، وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ^(٧) . والآخرة عند ربكم للمتقين ، ^(٨) .

* * *

إن دين الإسلام دين تطهير و دين تزكية النفوس . فما لم تأخذ هذه النفس في التدرج في مراحل التطهير ، فلا تفتح لها أبواب المداية . وكل ما جاء في الدين الإسلامي من أوامر و نواهي و مستحبات و مكروهات : كلها ترمي إلى تطهير هذه النفوس بما علق بها من أدران وأوساخ معنوية . وبمقدار

(١) أي الحياة العاجلة وهي الدنيا .

(٢) مذحوراً : مطروداً

(٣) أي لو لا أن يرغب الناس في الكفر اذا رأوا الكفار في سعة .

(٤) معراج : مصاعد جم معرج .

(٥) يظرون : يملؤن الى فوق .

(٦) زخرفاً : زينة .

(٧) ولكن كل ذلك تمنع قليل في الحياة الدنيا .

(٨) سورة الزخرف : ٣٣

ظهورها يحصل لها يقين بالمقدسات وبما غاب عنها من عوالم ، فيراها حقائق ناصعة لا غبار عليها . فتسكون البراهين مؤيدة لما يترسخ من نفسه الطاهرة . انه تعالى يقول : « ولَكُنْ يَرِيدُ لِيظْهُرَكُمْ وَلَيَتَمَّ نِعْمَتِهِ عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشَكَّرُونَ » . « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ » . « لِمَسْجِدِ أَسْسِ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ، فِيهِ رَجُالٌ يَحْبُّونَ أَنْ يَطْهَرُوا ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ » .

فدين الإسلام دين تطهير النّفوس لو عمل به وطبق تطبيقاً تاماً .

وان أعداء الإسلام يعملون لأجل اشاعة الفواحش بأنواع الوسائل : بالصحف والمجلات بما فيها من تصاوير خلاعية وكتب غرامية وأفلام سينمائية وتمثيليات شهوانية ثم بتقديمة حانات الحنور وایجاد محلات الزنا والفحotor ، كـ تتلوث النفوس . فإذا تلوثت لم يكن في النفس عندئذ محل يحل فيه حب الله تعالى وذكره ، تحل فيه المقدسات والفضائل . ومن ثم يأتي دور الأنكار والمحود ! فترسخ أقدام المادية في النفوس وتكون المادة معبدة لها ، كما كان فريق من الناس يعبدون الأصنام من ذي قبل وحد اليوم .

* * *

وقد قرأت ما كتبه شاب في احدى المجالس وقد بلغ من العمر ٩ سنـة : « ان أكثـرية الشـباب السـاحقة منـصرـون إـلى أـعـمالـ منـكـرةـ ، أـعـمالـ تقـشعرـ منها الجـلدـ يـافـرـاطـ لـا مـزـيدـ عـلـيـهـ وـبـصـورـةـ غـيـرـ مـشـروـعـةـ . انـ هـذـاـ الـاـنـهـاكـ فـيـ الـفـسـوقـ لـاـ يـدـعـ بـحـالـاـ لـلـشـابـ كـيـ يـفـكـرـ فـيـ مـصـيـرـهـ وـتـكـمـيلـ نـفـسـهـ وـالتـوـجـهـ نـحـوـ الـمـقـدـسـاتـ . فـاـنـ اـخـتـلاـطـ الـجـنـسـيـنـ فـيـ شـتـىـ الـمـجـالـاتـ وـغـيـرـهـ مـنـ عـوـاـلـ شـتـىـ قـدـ فـسـحـاـ جـالـاـ وـاسـعـاـ لـلـإـشـبـاعـ الـجـنـسـيـ بـشـكـلـ فـظـيـعـ . وـهـذـاـ بـدـورـهـ يـجـعـلـ الشـابـ غـيـرـ مـيـالـ بـالـقـيمـ الـأـخـلـاقـيـةـ وـالـفـضـائـلـ وـالـمـقـدـسـاتـ وـبـالـدـينـ بـعـدـ تـلـويـثـ نـفـسـهـ بـيـدـهـ . فـلـابـدـ مـنـ مـعـالـجـةـ جـذـرـيـةـ تـبـعـدـ الشـابـ عـنـ هـذـهـ المـزـاقـ لـوـ أـرـيدـ

بالشاب المداية والكمال الخلقي وتقديس المقدسات . فان النصيحة وحدها
لا تكفي لردع الشاب عن غوايته !

ومن هنا يعلم قيمة ما ووضعه الإسلام من قوانين صارمة تمنع اختلاط الجنسين وما يؤدي الى التفسخ الخلقي ومن ثم الى تلویث النفوس واستهلاكها بال المقدسات ! . « ثم كان عاقبة الذين أساوا السوأى أن كذبوا آيات الله و كانوا بها يستهزئون » (سورة الروم : ١٠) .

* * *

نعم ، قد أخذ الماديون في أوروبا ، هؤلاء الذين قد تحجرت عقولهم بعد أن تلوثت نفوسهم ، ينكرون كل ما لا يقع تحت أبصارهم أو حواسهم الحسنية . مع العلم ان هذه الحواس ناقصة الى حد بعيد في قابليتها وامكانياتها . وهي تعمل على قدر ما أودع الله فيها من كفاءات . لذلك يستعن بالآلات أخرى تزيد فأداؤها لقابلية بعض الحواس من إبصار وسماع ... الى ما هنالك . وكلما زادت حساسية هذه الآلات كلما تعرف الإنسان الى أشياء كان يعتقد أنها غير موجودة من ذي قبل . حتى استعمل (ميكروسكوب الكترونيك) حيث تكبر الجراثيمة بواسطتها (٧٠٠٠) مرة . ولعل الله تعالى يوفق في المستقبل بعض المتعلمين الى تكبير بعض الميكروبات الصغيرة جداً الى مليون مرة أو أكثر . وهذا تتجلى للإنسان بما يلهم الله تعالى بعض المشتعلين في الفيزياء وعلم الأحياء عوالم مجيبة كانت تعدد الى زمن قريب من (غير المنظور) .

ويجب أن لا يعزب عن البال أن الحواس الخمس إنما هي آلات يستعن بها (على ضوء ما تعطى من معطيات) على ربط الحوادث بعضها ببعض ، ثم الاستقراء فالاستنتاج .. الخ . والمهم هو هذا العقل الإنساني الفعال : هذا الذي يضع دساتير العلوم ويربط بين معطيات الحواس (بقدر ما توصل اليه

العلم المادى) بالفطرة دون اللجوء الى تجربة سابقة . ولا ريب أن هذا العامل المهم في الربط وأعني به العقل ، هو من (غير المنظور) . لذلك يقسم الله بغير المنظور بقوله : « فلا أقسام بما تبصرون وما لا تبصرون » . كما ان قوة الجاذبية من (غير المنظور) .

والنفس الانسانية هذه التي يعبر عنها بـ (أنا) من النوع غير المنظور .
فـ (أنا) هو غير هذه العظام التي تؤلف الهيكل العظمي (اسكلت) والجهاز
العصبي والدورة الدموية ... الخ . ذلك لأنك عندما تقول (أنا) تغفل تماماً
عن كل ما في بدنك من دم وعظام وعصب . فـ (أنا) ليس من المادة في شيء ،
وهو من غير المنظور .

• • •

وها نحن نذكر بعض ما حدث من الواقع الذى أيدت لعلماء الغرب وجود الروح . ولا يخفى أن هذا البحث من أهم المباحث لشبابنا المعاصر المحاط بظروف مادية حالية ، وتشككـات محقة مضللة :

ذكرت دائرة معارف بريطانيا ان امرأة في لندن شاهدت ذات يوم عند الصباح زوجها الذي كان قد اشترك في حرب (ترانسوال) بباب الغرفة . فتعجبت ، و تقربت منه ، فلاحظت أن ليس له جسم ك أجسام البشر . وهو لا يتكلم بشيء . فأخبرت بعض الجهات المختصة و تمكّنوا من تصويره ! وإذا به ضابط قد قتل في تلك الساعة في حرب (ترانسوال) في جنوب أفريقيا و جاءت روحه تزور الزوجة : رفيقة الحياة .

يقول الدكتور الطيب (أدوين فرديك باورز) استاذ الامراض العصبية في جامعات امريكا أنه قد أمضى أكثر من عشرين سنة وهو يبحث ويدقق ويرى اللوحات السالبة لصور الأرواح الفوتوغرافية !

وقد بلغ العلم الحديث مرتبة تمسكـه من تصوير سيارة في المكان الذي كانت فيه بعد أن غادرته . ذلك لأن الاهتزازات الخاصة بها (بالسيارة)

لَا تزال موجودة في المكان الذي كانت فيه ، إِلَّا أَنْهَا غَيْرَ مَرْئِيَّةٌ .
فِي اسْتِخْدَامِ آلَةٍ خَاصَّةٍ لِلتَّصْوِيرِ أُمْكِنَ تصْوِيرُهَا !

وَإِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يَوْضِحُ لَنَا أَرْوَاحَ الْمَلَائِكَةِ الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ الْمَادِيَّةِ
وَالْجَسْمِ فِي شَيْءٍ بِقَوْلِهِ : « فَلِمَا رأَى أَيْدِيهِمْ لَا تَصْلِي إِلَيْهِ نَسْكُرُهُمْ » وَذَلِكَ فِي
(سُورَةُ هُودٍ : ٧٠) وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى :

« وَلَقَدْ جَاءَتْ رَسْلَنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشَرِيِّ : قَالُوا سَلَامٌ . قَالَ : سَلامٌ .
فَلَا لِبَثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ : (مَشْوِي) ، فَلِمَا رأَى أَيْدِيهِمْ لَا تَصْلِي إِلَيْهِ
نَسْكُرُهُمْ وَأَوْجَسٌ^(١) مِنْهُمْ خِيفَةً ، قَالُوا : لَا تَخْفَ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ لَوْطًا » .

وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى بِالنِّسْبَةِ إِلَى سُرْعَةِ الْمَلَائِكَةِ الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ الْأَجْسَامِ
الْبَشَرِيَّةِ فِي شَيْءٍ ، سُرْعَةٌ لَا تَقْاسِ بِسُرْعَةِ مَا يَسْتَحْصِلُ بِأَعْمَالِ مَادِيَّةٍ بِوَاسِطَةِ
الْأَمْوَاجِ الْكَهْرَبَائِيَّةِ ، بَلْ هِيَ سُرْعَةٌ فَائِقةٌ لَا يَعْلَمُ مَدَاهَا إِلَّا اللَّهُ : « تَعْرُجُ
الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةً » . وَلَا شَكَ أَنَّ
سُرْعَةَ الْمَلَائِكَةِ أَعْظَمُ مِنْ سُرْعَةِ الضَّوْءِ : أَيْ (٣٠٠٠٠٠ كم / ثانية) أَضْعافًا
مَضْاعِفَةً لِعَدْمِ تَنَاهِيِّ الْأَبْعَادِ ! فَمَا أَبْعَدُهَا مِنْ مَسَافَاتٍ شَاسِعَةٍ تَقْطَعُهَا الْمَلَائِكَةُ
فِي خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ بِتِلْكَ السُّرْعَةِ الْهَائِلَةِ !

★ ★ ★

تَغْلَغَلَتِ الْمَادِيَّةُ فِي أُورُوبَا فِي الْقَرْنِ الْمَاضِيِّ مِنْ جَرَاءِ تَلَوُّثِ النُّفُوسِ
بِأَنْوَاعِ الْمَعَاصِيِّ وَالْآثَامِ وَضَرْبِ الْفَسَادِ وَالظُّلْمِ^(٢) . فَصَارُوا يَعْزُونَ كُلَّ شَيْءٍ
إِلَى الْمَادِيَّةِ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ عَنْ حَقِيقَةِ الْمَادِيَّةِ شَيْئًا ، وَجَهَلُهُمُ الْمَادِيَّةَ أَكْثَرَ مِنْ
جَهَلِهِمُ بِأَنفُسِهِمْ . حَتَّى صَارُ يُعْرَفُ بِعَضُّهُمُ الْمَادِيَّةُ : بِضَرْبِ يَدِهِ بِقُوَّةٍ عَلَى

(١) أَوْجَسْ : أَضْعَرُ مِنْهُمْ خَوْفًا .

(٢) « أَمْ حَسِبُ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنَّنَا لَا نَعْلَمُ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ
حِيَامٌ وَمَعَانِيَمٌ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ » . (سُورَةُ الْجَاثِيَّةُ : ٢٠) .

المنضدة ، قائلًا مع خيلاء تلارمه : « هذه هي المادة ». وهو لا يعلم عن حقيقة المادة شيئاً.

حقاً ، إن هؤلاء المتطفلين على العلم الحديث ذوى الأدمغة المتحجرة والنفوس الضالة أصبحوا عالة على العلم والبشرية جماعة فضلوا وأضلوا . حتى صاروا يضغطون على علماء النزرة والأحياء أن يعدلوا نظرياتهم التي تبرهن بخلاف وجود الصانع جل جلاله ، وجعلها مؤيدة للمادية الموجاهة .

أني للنفس المتحجرة أن تذعن للدليل ودونها حجج يصدّها عن رؤية الحق والواقع ! « بل اتبع الذين ظلموا أهواهم بغير علم فمن يهدى من أضل الله وما لهم من ناصرين ». (سورة الروم : ٢٩).

إن ما ذكره من حوادث قد لطف الجو المادي المدحوم في أوروبا في القرن التاسع عشر وبعده . فصار يعتقد ثلاثة من العلماء الذين لم تتلوث نفوسهم بلوث المادية العميماء . أن وراء هذا العالم المادي : (والعالم المنظور) ، عالماً آخر غير منظور .

منها : أن قائد لفرقة موسيقية في باريس قد سمع ذات يوم بصورة جلية واضحة ، وهو في عمارة خاصة بالفرقة المذكورة ، أن شخصاً غير منظور يقول له بوضوح : إن هذه البناء ستنهدم بكمالها يوم الاثنين المقبل في الساعة التاسعة صباحاً . يبحث القائد عن صاحب هذا الصوت ، فلا يجد أحداً . يرجع إلى مكانه . وإذا بنفس الصوت يؤكد ما قال أولاً . فلا يرى أحداً . فيتبيّن متحيراً ! من هذا الهاتف ، يا ترى ؟

حتى كان اليوم الموعود . يخرج القائد قبل الساعة التاسعة مع من كان في البناء على سبيل الاحتياط . وإذا بها تهدم عن بكرة أبيها .

* * *

يذكر لنا أحد علماء الغرب في بعض مؤلفاته : أن رجلين هاجرا وطنهما وذهبا إلى (استراليا) بغية الاشتغال في رعي القنم والمتأخرة بها . فازدهرت

تبارتهم في مدة وجيزة وأصبحا ثريين . إلا أن أحد هما فقد شريكه فجأة بعد مدة . وصار يفتش ويبحث عنه بشتى الوسائل ، فلم يعثر على أثره . وفي يوم بينما كان هذا الرجل يعود إلى بيته جاعلا طريقه على ضفاف بركة عميقة في شارع ضيق ، شاهد شريكه المفقود جالساً على ضفة البركة جلسة القرفقاء يرمي ببصره الماء .

هم الرجل أن يبدي سروره وفرجه ، لأنه قد ظفر بضالته بعد مدة مديدة وتعب شديد ، لكنه رأى أن كتابة تعلو وجه صديقه المفقود ، وهو يتضامن كلما همّ أن يدنو منه حتى انمحى ولم يبق منه أثر .

يقول الرجل : فوقفت في محل لم أقرب وإذا بصديق المفقود يبدو من جديد مشيراً بيده إلى محل في البركة ثم يغيب . فعلمت أن لا بد في البركة من شيء يجب إخراجه . ففتحتني المحل الذي قد أشار إليه الصديق المفقود وإذا بحشته ملقاة في قعر البركة ، مقطعة بأوراق الشجر وقد قتل بفأس وجدوها في قعر البركة أيضاً . دفنا الجثة وظفروا بالقاتل ، فأعدم بعد الإقرار . وهكذا استدلوا علىبقاء الروح بعد الموت .

* * *

كان قد دعى بروفسور (يو اهم) أستاذ الرياضيات إلى طعام ليلاً في بلدة (ماربوگت) . فبينما هو جالس مع رفاقه يتجاذبون أطراف الحديث ، وإذا به يرى نفسه تدفعه حديثاً ليذهب إلى بيته ويعترىه من جراء ذلك قلق شديد لا يدعه يستقر في مكانه . يذهب الأستاذ إلى بيته ، يفحص زوايا البيت ، فلا يجد شيئاً يقلقه ، ولكن يرى شخصه ما زال قلقاً حتى ينتهي إلى غرفة النوم . يغير مكان نومه مستعيناً بخادمه فيضع سريره في الجانب الآخر من الغرفة ويعود إلى بيته وينام في غرفته . وإذا به يرى بعد منتصف الليل يرجع الأستاذ إلى بيته وينام في غرفته . وبعد تناول الطعام ينام تحته كل ليلة . فلو لم يكن

قد لي القلق النفسي أو الإلحاد الغبي (الهادف) لاصيب بضرر بالغ ولعله كان يقضى عليه.

ومن هنا استدلوا على أن وراء المادة عالم آخر ، وأن الله تبارك وتعالى يتصرف في العالم كائناً حسبما يشاء وكيفما يشاء ، فينجي من المخلكة من من يشاء ، « كل يوم هو في شأن » .

★ ★ *

يكتب لنا (مسيو كومرا) أحد الصيادلة المشهورين أن دخله اليومي ما كان يتجاوز (٤٠ - ٤٥) فرنكاً في صيدلية كان قد فتحها في (تولوز). ولكنه رأى ذات ليلة في ما يرى النائم : أنه مكتوب في نهاية الصفحة أن مجموع دخله اليومي (٧٦) فرنكاً وثلاثين ساتيناً . وقد انتقش المبلغ في ذهنه . حتى كان اليوم الثاني وذهب إلى الصيدلية وقص قصته على معاونه . فقال له معاونه : لعل ما رأيته في منامك هو دخلنا ليومين .

يقول (مسيو كومرا) مضى النهار على العادة حتى جن الليل فقوچئنا بزائن جدد اشتروا أكياس من الأدوية وعندما خرج آخر زبون من محل كانت الساعة العاشرة والنصف . بادرنا بغلق المحل وإذا بنا نجد الدخل اليومي ٧٦ فرنكاً و ٣٠ ساتيناً كما أخبرت في عالم النوم !

لا أعلم كيف يفسر المادي هذا الإخبار بالغيب ، أليس هناك عالم آخر قد يفيض على هذا الإنسان بأخبار عن عالم الغيب ليزداد ثقة بما وراء الطبيعة . « سررهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق . ألم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » (١) . « ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ، ألا أنه بكل شيء محبط » (مرية : شك) .

الروح باقية بعد الموت

ذكرت احدى مجلات ايطاليا أنه كان يدور حديث (بقاء الروح بعد الموت) منذ زمن غير بعيد بين (كنت كالاتري) و (موسيو ديرزياني) : أحد الضباط في الجيش الظليماني فتعاهد كل منهما مع الآخر أن يخبر صديقه بعد موته ان كانت روحه حية ، بأن يأتي الى صديقه حتى فيحل أسفلاً قدمه . وقد مضت على هذه المعاهدة خمس سنوات حتى أوفر (ديرزياني) في جيش الى افريقيا ، فوادع (ديرزياني) صديقه وسافر .

وبعد مضي ٨ أشهر على هذه الموعده ، صارت تشعر (زوجة كالاتري) في الليل بحک شديد في رجلها وهي نائمة بجانب زوجها . فصارت تتقول لزوجها (كالاتري) : مَاذَا المزاھ ، وَلَمْ تُؤْذِنِي ؟ فأجابها زوجها : وهل أنت تحلمين ؟ إنني لم أصنع شيئاً من هذا القبيل . ولكنها كانت تشعر أن هناك من يحك أسفلاً قدمها بصورة متكررة . ثم أسر جا السراج ، وفتشا فلم يعثرا على شيء . عند ذلك قالت زوجته : « أما ترى هذا الضابط ، واقفاً تحت رجلي وهو يرتدى قبعة جميلة مع أوسمة . انه طويلاً القامة ، ها هو ينظر اليك مبتسمًا ، وقد أصيب في صدره بجرح خطير وكذلك في ركبته . انه يحييك تحية عسكرية ، ألا تراه . ولكننه الآن غالب عن بصري . »

فلم تمض الأيام حتى أخبرت جراءً ايطاليا أن الضابط (ديرزياني) أصيب في حرب مع الأنجوش في صدره وركبته ومات في اليوم الذي جاء الى صديقه : (كنت كالاتري) يخبره أنه حي بعد الموت وأن الروح لا تقني بموت البدن وذلك وفقاً بالوعد .

تقع كثيرون من هذه الحوادث عندنا في الشرق ولكننا قل ما ندونها
لاعتقدنا بما غاب عنا وبالإلهام الرباني وبما وراء الطبيعة .

منها : أن امرأة مات زوجها . فكانت تريد أن تتصدق عنه ، فصارت
تصنع طعاماً ليلة الجمعة وترسل به مع ولدها اليتيم إلى فقير في أحد الأكواخ
القريبة .

إن الولد كان يأخذ الطعام الذي هيأته أمه إلى ذلك الكوخ وهو يشعر
في الوقت نفسه بجوع شديد . يرجع الولد إلى بيته جائعاً ، فينام وهو جوعان !
وهكذا صنعت الأم مرة ثانية (ليلة الجمعة) طعاماً وأرسلت به مع ولدها
إلى نفس ذلك الفقير . قدم الولد الطعام إلى الفقير ورجع إلى البيت وهو
يكابد ألم الجوع ، نام وهو جوعان !

وفي المرة الثالثة صنعت الأم ليلة الجمعة أيضاً طعاماً تقدمه صدقة عن زوجها المتوفى وأرسلت به مع ولدها إلى نفس الفقير . أخذ الولد الطعام
وصار يتقدم نحو الكوخ . إلا أن الجوع كان قد أضر به ضرراً بالغاً ،
فلم يستطع الصبر . فأكل ما كان في الإناء ورجع إلى البيت ، نام وهو شبعان .
رأت الأم زوجها في المنام ، يقول لها : « لم يصل إلى الطعام إلا في هذه
الليلة » .

اتبهت الأم من نومها قبل طلوع الشمس ، متوجبة ، فأخذت تسأل
ولدها : - ولدى ، إلى من كنت تأخذ الطعام ليلة الجمعة الماضية وقبلها ؟
فقد رأيت والدك في المنام ، يقول لي : لم يصل إليه الطعام إلا في الليلة
الماضية . - فقال الولد : قد قدمت الطعام إلى الفقير مرتين مع ما كنت أشعر
به من شدة الجوع . ونمت جائعاً . إلا أنني في الليلة الماضية لم أطق أن أحتمل
ألم الجوع ، وكان قد أضر بي كثيراً . لذلك أكلت ما في الإناء ونممت
وأنا شبعان .

فعلت الأم أن ولدتها اليتيم كان أولى بأكل هذه الصدقة من ذلك الفقير في كونه . فقد جاء في الحديث : « لا صدقة ذو رحم تحتاج » .

وفي آية أخرى : « فلا اقتحـم العـقبـة^(١) . وـما أـدـرـاكـ ماـ العـقبـةـ ؟ فـكـ رـقـبـةـ^(٢) أوـ اـطـعـامـ فـيـ يـوـمـ ذـىـ مـسـعـبـةـ^(٣) ، يـتـيمـاـ ذـاـ مـقـرـبـةـ^(٤) . أوـ مـسـكـينـاـ ذـاـ مـتـربـةـ^(٥) . »

* * *

ولابأس بذكر هذه الواقعة أيضا ، لتروا كيف أن الله تعالى يريد أن يقوى رابطة الإنسان بما غاب عنه من عوالم ، ليزداد يقينا به تعالى وبعوالم غيبية ، فيخشى قلبه ، « ألم يأن^(٦) للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ؟ » ، ثم لا يركب الغرور ، فيقسّو قلبه : « ولا يكـونـوا كـالـذـينـ اـوـتـواـ الـكـتـابـ مـنـ قـبـلـ فـطـالـ عـلـيـهـمـ الـأـمـدـ ، فـقـسـتـ قـلـوـبـهـمـ وـكـثـيرـ مـنـهـمـ فـاسـقـونـ » . (سورة الحديد : ١٦) .

فقد جاء في الحديث : « ما ضرب ابن آدم بعقوبة أعظم من قسوة قلب » وفي حديث آخر : « شر العمى على القلب » وفي آخر : « أعمى العمى الضلاله بعد المهدى » وكم لهذا الحديث الأخير من مصاديق في يومنا هذا ، مع الأسف الشديد .

ثم إن الله تعالى يمدح الذين يؤمّنون بالغيب ويخصّهم بالهدایة دون غيرهم

(١) الاقتحام : هو الدخول في أمر شديد . العقبة : الطريق في الجبل .

(٢) أي تحرير رقبة : رق ، أو أسيء . وبهذا وأمثاله قوى الاسلام على الرق .

(٣) أي ذي مجاعة .

(٤) يتيمًا ذا قرابة .

(٥) ذا متربة : أي ذا فقر . يقال : ترب أي : افتقر .

(٦) ألم يحن .

(٧) سورة الحديد : ١٦ .

بقوله : « الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يَنفِقُونَ^(١) » .

قد ذكر لي من أثق به : « أنه كان قد غادر مدينة طهران مستخدماً بالبريد يريдан زيارة الحسين عليه السلام . وبما أن حكومة الوقت كانت قد منعت السفر إلى العتبات المقدسة ، لذلك سلكا طريقاً غير معبد . فأصبحا في أرض قفراء سبخة وقد أضر بها العطش ضرراً بالغاً ، حتى هلك أحدهما في تلك الصحراء وتكن الآخر ياذن الله بعد توسل وابتهاج من أن يرجع إلى أهله سالماً تفضل منه تعالى . وبعد مدة رأى صديقه في منامه وهو في بستان في وضع مرير ، فسألته عن حاله . فأجاب : إني بحمد الله في تمام الراحة ، إلا أن عقر باً تأتيني كل يوم فتلىعني في إبهائي هذا (وأشار إلى رجله) ، فأشعر إذ ذاك بألم تكاد تخرج روحى من جرائه^(٢) . وقد أخبرت أن ذلك : لأنى كنت قد سرقت سكينة جميلة صغيرة من بيت صديق (فلان) ، في يوم كنا نأكل الخس معاً في بيته (وقد ذكر اسمه) . وانى قد أخفيت السكينة في بيتي في الرف الفلامي في الزاوية اليسرى . فأرجوكم أن تذهبوا إلى بيتي وتقروا زوجي مني السلام وتقول لها : إن زوجك قد قال لي في عالم الرؤيا أن تعطيني السكينة التي وضعتها في الرف الفلامي في الزاوية اليسرى كى أرجعها إلى صاحبها القصاب وأطلب منه أن يغفر لزوجك زلته ، لعل الله يمن عليه بالعفو والغفران . يقول هذا المستخدم . ففعلت كما أخبرت بالمنام ، فكان كما أخبرت .

(١) سورة البقرة : ٤

(٢) إن الله تعالى يقول : « وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ يُرَهِّ » ، وفي آية أخرى : « إِنَّمَا تَجِزُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » . وفي الحديث : « إِنَّمَا أَعْمَالَكُمْ تَرَدُّ عَلَيْكُمْ » . فإذا استقر العبد وتاب وأناب وأرجح إلى الناس حقوقهم من ذكاة وحس وصلة رحم إلى ما هنالك ، أمن من العذاب وذهب من هذه الدنيا ولا ذنب عليه ولا حساب يؤخذ به . فطوبى لمن طهرت نفسه في هذه الدنيا قبل أن يظهر بعد الموت بعذاب لا يطاق .

يقول : ورأيت صديقى مرة أخرى فى عالم المنام . وإذا به يشكلى
وهو فى تمام الدعة والطمأنينة .

وهكذا هناك من الأطيااف ما لا يعد ، تنبئ عن مغيبات تدل
بصراحة أن وراء هذا العالم المنظور عوالم غير منظورة لها من الخطورة
والأهمية ما لا يوصف .

* * *

وما قيل في الإعتقاد ببقاء الروح بعد الموت ، تفنيد آراء شتى قيلت في
سبب النوم وانتصار الرأى الأخير القائل : « إن هناك روحًا آدمية في
الإنسان قامةً بذاتها تنسحب كثيرةً أو قليلاً من الجسم خلال ساعات النوم » .
لذلك صار يعد العلماء : (اعتبار النوم طرحاً روحيًا مؤقتاً) نصراً عظيمًا ،
لأنه بذلك أمكن تفسير الأحلام التي يراها الإنسان في نومه والتي تتحقق
بعد يقظته عاجلاً أو آجلاً . كما أمكن تعليل رؤية النائم لآمكنة غريبة أو
أشخاص غرباء لم يكن قد رأهم قبل ثم مشاهدته في عالم الشهود واليقظة بعد
سنين أو مدة يسيرة نفس الآمكنة وعين الأشخاص دون أي اختلاف .
وهذا تطابق بين حالة الرؤيا في النوم والمشاهدة في اليقظة .

وهكذا تزود مكتشفات العلم الحديث ما جاء في القرآن الكريم قبل
١٤ قرناً أن النوم طرح روحي مؤقت . تعمقوا في معنى هذه الآية لتروا
صحّة ما أقول . انه تعالى يقول :

« الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها ، فيمسك التي قضى
عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ، إن في ذلك لآيات لقوم
يتفكرنون »^(١) . ومعنى ذلك أن الله تعالى يقبض أرواح عباده اذا حار
حياتهم وجاء أجلهم وهكذا يقبض أرواح عباده الذين لم يموتوا في منامهم :
يقبضها بقطع علاقة تلك الأرواح بالبدان . فالعبد الذي جاء أجله وهو

نائم أى (من قضى عليها الموت) لا تردد روحه إلى بدنـه . بل يمسـكـها الله تعالى ويرسل روح العـبـدـ الذـى لم يـأـتـ أـجـلـهـ إـلـىـ بـدـنـهـ ، وـذـلـكـ إـلـىـ أـجـلـ مـسـمـىـ (معـيـنـ) . لا يـعـلـمـهـ إـلـاـ اللـهـ . حـقـاـ ، إـنـ فـيـ ذـلـكـ لـآـيـاتـ عـلـىـ قـدـرـتـهـ تـعـالـىـ لـكـلـ منـ تـفـكـرـ فـيـ هـذـاـ الـوـجـودـ الـأـنـسـانـيـ الـمـؤـلـفـ مـنـ روـحـ وـبـدـنـ .

يقول الدكتور (جورج لندي جونسون) ، انه أجرى عملية جراحية في عين فتاة وهـيـ فـيـ التـاسـعـةـ عـشـرـةـ مـنـ عـمـرـهـاـ . وـلـمـ تـكـنـ قـدـ رـأـتـ شـيـئـاـ قـبـلـ ذـلـكـ ، لأنـهاـ كـانـتـ لـاـ تـبـصـرـ شـيـئـاـ . ولـكـنـهاـ صـارـتـ تـبـيـنـ كـلـ فـرـدـ فـيـ الغـرـفـةـ وـتـمـيـزـ بـيـنـ الـأـلـوـانـ الـمـخـلـفـةـ بـعـدـ الـعـلـمـيـةـ الـجـراـحـيـةـ وـتـمـائـلـهـاـ لـلـشـفـاءـ . وـهـذـاـ ماـيـؤـكـدـ أـنـ روـحـ الـفـتـاةـ كـافـتـ تـنـطـلـقـ فـيـ مـنـامـهـاـ فـتـرـىـ أـشـيـاءـ مـاـ كـانـتـ تـسـتـطـيـعـ أـنـ تـرـاهـاـ بـعـيـنـيهـاـ قـبـلـ الـعـلـمـيـةـ .

وـأـمـاـ الـرـياـضـيـ الـمـعـرـوفـ : بـوـانـكـارـهـ ، فـقـدـ رـأـىـ فـيـ مـنـامـهـ مـعـادـلـاتـ رـياـضـيـةـ أـدـتـ إـلـىـ اسـتـكـشـافـهـ قـوـانـيـنـ رـياـضـيـةـ هـامـةـ . وـكـانـ مـؤـمـناـ بـالـإـلـهـامـ وـالـمـحـدـسـ وـوـجـودـ الـرـوـحـ .

وـكـمـ مـنـ أـنـاسـ ضـاعـواـ فـيـ الصـحـرـاءـ وـلـمـ يـجـدـواـ مـلـجـأـ إـلـاـ إـلـىـ اللـهـ تـعـالـىـ ، فـابـتـهـلـواـ إـلـىـ اللـهـ مـخـبـتـينـ ، فـنـجـاهـمـ اللـهـ بـأـنـ أـرـاـهـ الطـرـيقـ فـيـ مـنـامـهـمـ أوـ أـرـسـلـ اللـهـ لـهـ مـنـ يـنـقـذـهـ مـنـ الـهـلاـكـ . « وـرـبـكـ الـغـفـورـ ذـوـ الرـحـمـةـ » . « وـمـاـ ظـنـ الـذـينـ يـفـتـرونـ عـلـىـ اللـهـ السـكـدـبـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ ، أـنـ اللـهـ لـذـوـ فـضـلـ عـلـىـ النـاسـ ، وـلـكـنـ أـكـثـرـهـمـ لـاـ يـشـكـرـوـنـ » . فـهـوـ جـلـ جـلـالـهـ يـرـحـمـ حـتـىـ غـيـرـ الشـاكـرـيـنـ مـنـ عـبـادـهـ لـعـلـمـهـ يـهـتـدـوـنـ ، وـمـاـ أـقـلـهـمـ !

أـنـهـ تـعـالـىـ يـرـاقـبـ أـعـمـالـنـاـ وـيـسـمـعـ نـدـاءـنـاـ وـتـضـرـعـنـاـ فـيـ الـبـحـارـ وـالـقـفـارـ ، فـيـنـقـذـنـاـ مـنـ الـهـلاـكـ إـذـاـ انـقـطـعـنـاـ إـلـيـهـ خـاشـعـيـنـ . فـلـكـلـ وـاحـدـ مـنـ شـوـاهـدـ مـنـ حـيـاتـهـ عـلـىـ مـاـ أـنـعـمـ اللـهـ عـلـيـهـ حـيـنـ التـضـرـعـ مـنـ عـظـيمـ النـعـمـ وـهـوـ الـقـائلـ : « وـقـلـيلـ مـنـ عـبـادـيـ الشـكـورـ » .

أـنـهـ تـعـالـىـ يـقـولـ : « وـمـاـ تـكـوـنـ فـيـ شـأنـ وـمـاـ تـتـلـوـ مـنـ قـرـآنـ وـلـاـ تـعـملـونـ

من عمل إلا كنا عليهكم شهوداً إذ تفiciضون فيه . وما يعزب عن ربك من
مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في
كتاب مبين ،^(١) .

حِرْمة احْضار الْأَرْوَاح

ان الدين الإسلامي قد حرم (احضار الأرواح) و (احضار الجن)
وعدّهما من الكبائر ، لما في ذلك من تدلّيس وتمويه وكذب وافتراء . وان
بعض المسلمين صاروا يعتقدون بما يقام به في الغرب من احضار بعض
الأرواح ! في الظلام باستعمال الخبايا وأنواع الخداع والوسط طالب الكذاب
واباستعمال كوب صغير أو فنجان ينتقل بين حروف قد رسمت فوق منضدة ،
فتكون اجابات الأرواح المستحضره من مجموع الحروف بحسب ترتيب تنقله
يدهما ! أو بهؤلئه كمؤشر الساعة يدور حول محور وسط نضد دائري رسمت
الحروف الأبجدية على محيطه ، وباستعمال طريقة السلة . . . الخ .

ومن النتائج الكاذبة في احدى الجلسات : « أن جبريل معنا » ، ومحاولة
بعض من التقاط صورة لجبريل (ع) ، وأكاذيب على الرسل (ع)
وغيرهم إلى ما هنالك ! ..

وقد علم أخيراً أن أيدٍ هدامه (صهيونية) ت يريد أن تجعل هذه الروحية
الكافرة (Spiritualism) ديناً جديداً يهدّم أسس المجتمع وينشر فيه
الفوضى بالتشكيك في كل المقررات الدينية والخلقية ، لتسود الصهيونية
بالأخير في العالم . وهذا لا يختلف عما في (پروتوكولات حكام اليهود) وما
قصده (فرويد) و (كارل ماركس) وغيرهما من اليهود .

ولأن يريد أن نبرهن على فساد ما يذهبون إليه من احضار الأرواح وكيف

أن عوامل مختلفة تؤثر في الموضوع ، فيخيل إلى حاضر الجلسة أن روحًا حضرت وانها تتكلم إلى آخر ما هناك من خداع في الظلم وتحت الحباء ووسائل ووسائل للتمويه . ولا أشك أن لشياطين الجن دوراً هاماً في تلفيق الأكاذيب أو الإخبار بما غاب عن الأنظار كما سنبين ذلك في البحث عن الجن .

ويكفي أن نقول انه قد جاء في دعاوام العريضة أن أحد المشغلين بالأمراض العصبية في جامعة من جامعات أمريكا قد استطاع : أن يجسّد روح أمه وأن يقص خصلة من شعرها ، ثم يفحص بعدئذ الشعر فحصاً هستولوجيَا ميكروسكوبيا !

ومن جملة ذلك : ما هو مكذوب على لسان القس (ستون موزى) ما تلق عن عالم الأرواح :

«نحن مرسلون من عند الله كأرسل المرسلون قبلنا ، غير أن تعاليمنا أرقى من تعاليمهم . فإلهنا هو إلههم ، إلا أن إلهنا أظهر من إلههم وأقل صفات بشرية وأكثر صفات إلهية . لا تخضع لأية عقيدة مذهبية ولا تقبل بلا بصر ولا رؤية تعاليم لا تستند إلى العقل ، ولا تأخذ بلا تحفظ وحياناً جاء لأحوال خاصة في عصر من العصور ! وليس هو بامتياز لامة دون آمة ولا شخص دون شخص ، والله يكشف نفسه للإنسان شيئاً فشيئاً !» .

ومن جملة كلمات المشغلين بشعوذة احضار الأرواح (Spiritisme) قولهم : « ان الروحية ستكون أقدر من غيرها على تأسيس دين جديد واسع للعالم كله » .

ومن أقوالهم : « ان لب الدين هو بذل الخير لخلق الله ، ولا حرج على الناس فيما وراء ذلك . وان طقوس الأديان على اختلاف صورها ليست إلا أساليب لبلوغ هذه الغاية . وان الناس على اختلاف أديانهم بعد سواء : مسلمتهم ومسيحيتهم وبوديهم وبوذيم ، كلهم يعيشون أخواناً فيما وراء الموت ،

وأن باب التوبة مفتوح أمام الكافر والفاقد والمحظى بعد الموت . وان فرصة الترقى متاحة له دائماً . وان الجنة والنار حالة عقلية أو حالة نفسية أو هما واقع يجسمه الفكر ويصنعه الخيال الذى يعكس باطن صاحبها وحالته النفسية .

وهذا ما يسمع كل يوم في أوكارهم ومنظموهم ومجلاتهم : يومون للناس ان الناطق بكل ذلك روح كبير !

ومثل ذلك قولهم في وصف الانسان : « انه عامل ومساعد وشريك لرب العلا وأقوى من الحكام الذين يحكمون بالعصا . أنت في الرب ومع الرب ولأجل الرب الأمثل » !!

وهناك من المسلمين من استساغ هذه الأوهام والشرك الصريح وأراد تطبيقها على النصوص القرآنية مع الأسف الشديد !

وبالختام نرى أن مجلة روحية تمجيد الشيوعية ، وهذا ما يدل أن هنالك ارتياضاً وثيقاً بين الروحية (الكافرة) والشيوعية المدamaة ! وليدة الصهيونية . ولا مجال لأسرد كل ما جاء من كفر وإلحاد على لسان الروحيين ووسطائهم . ويكفي أن نقول : ان الصهيونية تبنت هذه المدرسة وصارت تعذيبها لأغراضها المدamaة .

ومن المعروف أن الصهيونية المدamaة تسكن وراء كل الحركات السياسية والاجتماعية الكبيرة في القرن الأخير بل منذ الثورة الفرنسية . وهي التي تختبر هذه الأباطيل وتنسبها للأرواح هدماً للأديان .

خربى بال المسلمين أن لا يخدعوا بأباطيل هؤلاء وأن يطبقوا أمر الشارع الأعظم في حرمة احضار الأرواح .

* * *

(١) الروحية الحديثة ، حقائقها وأهدافها : الدكتور محمد محمد حسين ، أستاذ الأدب العربي الحديث ، بجامعة الإسكندرية الطبعة الأولى : ١٣٨٠ .

ومن جملة ما هو غير منظور هو «الجن» . فقد أنكر بعض المثقفين بشفافية العصر من رجال الغرب وجود الجن ، لعدم إمكان رؤيته بالبصيرة أو لمسه باليد وذلك لتغلب مفهوم المادة على النقوس . وقد تأثر الشرق بمادية الغرب عن طريق الصحافة وغيرها ، حتى أن أحد علماء المسلمين صار يفسر الجن في القرآن الكريم بالميكروبات التي لا ترى بالعين . ورأيت أن البعض منهم يرى الجن وجوداً خيالياً تخيله البشر ، وليس شيئاً إلا الخيال ولا وجود له في الخارج .

بيد أن أوساط أوروبا قد تأثرت في ابتداء القرن الحالى باحضار الأرواح على ما فيه من تمويه والتزييم المغناطيسى فصارت تعترف بالجن وأنه كائن حى ، لا يشبه الإنسان في كيانه وقد دوّنت في الغرب كتب عده في هذا الموضوع .

وان القرآن ليصرّح بوجود الجن وأن منهم المؤمن ومنهم الكافر الجاحد . إنه تعالى يقول : «قل أوحى إلى أنه استمع نفر^(١) من الجن ، فقالوا إذا سمعنا قرآنأ عجبنا^(٢) ، يهدى إلى الرشد فاما به وَلَن نشرك ربنا أحداً» . فالجن يستمعون القرآن ويؤمنون به كما تؤمنون وليس الجن بجرائم صغيرة تخون على العين ، كما قال بعضهم .

ثم يقول الله تعالى عن لسان الجن : « وأنه تعالى جد ربنا^(٣) ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ، أى أن الجن يعترفون بوحدانية الله تعالى وأنه ما اتخذ لنفسه زوجة ولا ولدا .

ثم يقول الله تعالى : « وأنه كان رجال من الإنس يعودون^(٤) ب الرجال

(١) نفر : جماعة من الجن . و (نفر) من الواحد إلى العشرة .

(٢) عجبنا : بديعاً .

(٣) تعالى جد ربنا : أى تمالت عظمته .

(٤) يعودون : يستجرون .

من الجن فزادوهم رهقا ، ...^(١) الخ . ومعنى ذلك : أن رجالا من الإنس كانوا يلتجأون إلى رجال من الجن طلباً لاستخدامهم في حاجاتهم فزادوهم ضلالاً وغيا . فيعبر الله تعالى عن الجن بـ رجال ، كما عبر عن الإنس أيضا . فعلم أن الجن عالم قائم بنفسه كـ الإنس . إلا أن النظرية المادية : « كل ما لا يرى بالعين فهو غير موجود » قد أثرت في بعض النفوس التي ضعف إيمانها لتساهمها في تطبيق تعاليم الإسلام تطبيقاً شاملـا ، فصارت تنكر الجن تأسياً بالماديين أو فراراً من وصمة الرجعية والخرافة أو تشهياً للقب : (العصرى) ، أو (المتفق) ! .. لثلا يُعد متأخراً عن ركب المدينة الحاضرة بما فيها من علل وويلات ! .. أو صار يظن أن الجن ميكروبات أو بهائم أو حشرات دونما تحقيق ودون ارجاع الموضوع إلى صريح الآيات القرآنية والأحاديث المستفيضة والمشهورة .

ثم قال تعالى عن لسان الجن : « وإنما الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا^(٢) ». فيقول الله : إن من الجن رجالاً صالحين أبراوا وان منهم مقتضدين أي أقل من أولئك رتبة وهم طرائق متفرقون . كما يقول جل من قائل في آية أخرى عن الجن « وأنا من المسلمين ومن القاسطون^(٣) ، فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا^(٤) ، وأما القاسطون ، فكانوا في جهنم حطبا ». فمن الجن من هو كـ الإنس مسلم ، ومنهم من هو ظالم لنفسه مبين ، ومؤاه جهنم وبئس المصير . فلا فرق بين الجن والـ الإنس من هذه الناحية فيحرق الظالم والـ كافر من الجن بالنار ، ان لم يتوبا ، كما أن الإنس كذلك يحرق الظالم والـ كافر منهم بالنار دون توبة وتطهير النفس من أوساخ الذنوب والمظالم والـ ردائل .

(١) ضلالاً .

(٢) قدداً : أي متفرقة ، مختلفة .

(٣) القاسطون : الظالمون .

(٤) تحروا رشداً : أي توخوا رشدًا .

انه تعالى يقول : « وَتَمَتْ كَلْمَةُ رَبِّكَ : لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسَ أَجْمَعِينَ » .

ويقول الله تعالى في موضع آخر من القرآن الكريم : « وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا ، وَلَقَدْ عَلِمْتَ الْجَنَّةَ إِنَّهُمْ لَمُحْضُرُونَ^(١) » ، وَمَعْنَى ذَلِكَ : أَنَّ الْمُشْرِكِينَ جَعَلُوا بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا (وَيَرَادُ بِالْجَنَّةِ هُنَّ الْمَلَائِكَةُ) . وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْمَلَائِكَةُ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ أَوِ الْكُفَّارُ لَمُحْضُرُونَ أَيُّ مُقْدُونُ إِلَى الْعَذَابِ الْمُهِينِ ، وَفِي تَفْسِيرٍ آخَرَ : أَنَّ الْمَرَادُ بِالْجَنَّةِ هُوَ الْجَنُّ ، ذَلِكَ لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا : إِنَّ اللَّهَ صَاحِرُ الْجَنِّ نَخْرَجْتِ الْمَلَائِكَةُ ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : إِنَّ الْجَنِّ عَلِمُوا أَنَّهُمْ لَمُحْضُرُونَ لِلْعَذَابِ إِلَّا عِبَادُ اللَّهِ الْمُخْلَصُونَ^(٢) مِنْهُمْ (أَيُّ مِنَ الْجَنِّ) . وَيَقُولُ تَعَالَى فِي سُورَةِ السُّجْدَةِ : ١٣ : « وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ، وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلِ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسَ أَجْمَعِينَ » .

* * *

ثُمَّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُخْبِرُنَا فِي مَكَانٍ آخَرَ مِنْ كِتَابِهِ الْحَكِيمِ بِقَوْلِهِ : « وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجَنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ، فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصُتُوهُ ، فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذَرِينَ . قَالُوا : يَا قَوْمِنَا إِنَا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مَصْدِقًا لِمَا بَيْنَ يَدِيهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ . يَا قَوْمِنَا أَجِبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيَجْرِيْكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ . وَمَنْ لَا يُجْبِي دَاعِيَ اللَّهِ فَلِيُسْبِّحْ فِي الْأَرْضِ وَلَيُسْأَلْ لِمَ مِنْ دُونِهِ أُولَيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ^(٣) .

وَهُؤُلَاءِ ، عَلَى مَا جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ ، هُمْ جَنُّ (نَصِيبِينَ) بَالْيَنِ أوْ جَنُّ (فَيْنَوِي) وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَيْطَنَ نَخْلَةً ، يَصْلِي بِأَصْحَابِهِ

(١) سورة الصافات : ١٥٨

(٢) وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي الْآيَةِ ١٦٠ : « إِلَّا عِبَادُ اللَّهِ الْمُخْلَصُونَ » .

(٣) سورة الأحقاف : ٢٩ — ٣٢ .

الفاجر ، فصاروا ينصلتون الى القرآن حتى اذا فرغ من قراءته ، رجعوا الى
قومهم ينذرونهم ويخوفونهم العذاب ان لم يؤمّنا و قد كان هؤلاء الجن
يهوداً . فأسلموا .

فظهر مما سبق أن الجن على نوعين : مسلم ومؤمن بنبوة محمد (ص) وكافر بها ، وإن الإنس قد يعذبون بالجن لأغراض سيئة فيؤدي بهم إلى خسران وسوء العاقبة .

نَمْ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي سُورَةِ (الرَّحْمَانَ) : «يَا مَعْشِرَ الْجِنِّ وَالْأَنْسِ
إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفِذُوا^(١) مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، فَافْنَدُوا ، لَا
تَنْفِذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ» .

ويبيّن لنا سبحانه وتعالى مم خلق الجن بقوله : « وخلق الجن من مارج من نار » وهو لهما الخالص من الدخان .

شُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَتَحَدِّي الْجِنَّ كَمَا يَتَحَدِّي الْأَنْسَ بِقَوْلِهِ : « قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَ الْأَنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنَ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بِعِصْمِهِ لِيُضْطَهِرَا »^(٢) .

وَإِنَّ الْجِنَّاً مَدْعُوْنَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى كَالْإِنْسَانِ عَلَى حِدْقَوْلِهِ تَعَالَى :
وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّاً وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُوْنِ . مَا أَرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أَرِيدُ
أَنْ يُطْعَمُوْنِ . إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمُتَّيْنِ » ^(٢) .

ان الله تعالى يقول : « والجَّانُ خلقناه من قبل من نار السّموم ، » ولا نعلم شيئاً عن حقيقة هذه النار . فانها طاقات . وقد علم أن النّرة في الأصل طاقات كثيرة بائنة تكدرست بإذن الله بترتيب بدبيع تحت نظام رائع حتى كانت

(١) أَنْ تَنْفِذُوا : أَنْ تَخْرُجُوا .

(٢) سورة نبی اسرائیل : ۹۰

(٣) سورة الذاريات : ٥٦ ٥٨

هذه الذرة . ثم تشكلت بأشكال شتى ، حسب اختلاف عدد الألكترونات (شحنة كهربائية سالبة) والپروتونات (شحنة كهربائية موجبة) حتى كانت هذه العناصر المختلفة : الإيدروجين ، السكالسيوم ، الحديد ، الرصاص الخ .. فالعالم كله قوى كهربائية ومتناطيسية وجاذبية وطاقة أخرى نجهلها كجهلنا كثيرة من الأشياء ، أشياء لا تنتهي . وهكذا الجن مخلوق من نار السموم أو من (مارج من نار) والمأرج : لهب النار الخالص من الدخان . فهذه طاقات خلق الله منها الجن لا نعلم حقيقتها كما لا نعلم في الوقت الحاضرحقيقة آية طاقة من الطاقات . بل العلم الحديث إنما يعمل في كشف الآثار والاستفادة منها في الحياة الاجتماعية .

فالجان ليس من هذه الأجسام المتعارفة التي ننصرها بأعيننا وإنما هو من طاقة أخرى لا نتمكن مشاهدتها لعدم وجود قابلية فيها لرؤيتها يقول تعالى : « انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » ، فالإنسان لم يعط ملكة يقوى بها على رؤية الجن ولكن الأنبياء والأولياء (ع) قد يتمكنون من رؤية الجن بفضل الله تعالى ، لما أعطاه من ملكة خاصة نجهلها .

وهكذا ليس في استطاعة الإنسان أن يرى الملك بقابلياته الحاضرة وملكاته الطبيعية التي وهبها الله إياه ، لذلك يقول تعالى : « وقالوا لو لا أنزل عليه ملك ، ولو أنزلناه ملكا لقضى الأمر ثم لا يُنظرون . ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجالا وللبسنا عليهم ما يلبسون »^(١) .

توضيح ذلك : يقول الله تعالى في الآية المتقدمة : « إنا لو جعلنا الرسول ملكا لاضطررنا لقلبه رجالا ليتمكنوا من رؤيته » .

وكان الجزء يعملون بين يدي سليمان (ع) : فقد قال تعالى : « ومن الجن من يعمل بين يديه ياذن ربها ، ومن يزغ ^(٢) منهم عن أمرنا نذقه من عذاب

(١) سورة الأنعام : ٨ — ٩

(٢) يزغ : يغدر

السعين »^(١) . « يعلمون له ما يشاء من مخاريب^(٢) وتماثيل^(٣) وجفان^(٤) كالجواب^(٥) وقدور رasicيات^(٦) ، اعملوا آل داود شكرأً وقليل من عبادى الشكور . فلما قضينا عليه الموت ما دامهم على موته إلا دابة الأرض تأكل مذنته^(٧) ، فلما خر^(٨) تبييت^(٩) الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبשו في العذاب المرين^(١٠) ،^(١١) » .

وقد سمعت أحدهم يقول « إن الجن هى الحيوانات أو الحشرات » وكان يقول : « إن تقى للجن لا يحتاج إلى دليل ولكن على المشتبأن يأتى بالدليل ». ققلت له : على من يؤمن بالقرآن أن يعترف بالجن كخليق مكلف بتكميل عبادية كالإنس ، حسب الآيات المتقدمة . ثم كيف توفق بين ما تعتقده قوله تعالى : « يعلمون له ما يشاء من مخاريب وتماثيل وجفان كالجوابي وقدور رasicيات » . وقوله تعالى : « قال عفريت من الجن ، أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك » . فهل للبئمة أو الحشرة أو الميكروب أن تقوم بهذا العمل الجبار ؟ !

• • •

(١) سورة سبا : ١٢

(٢) مخارب : أبنية مرتقة يصعد إليها بدرج .

(٣) جم ثنان أي صور من نحاس وزجاج ورخام ولم يكن اتخاذ الصور حراماً في شريعته .

(٤) جفان : جم جفنة وهي القصمة الكبيرة .

(٥) الجوابي : جم جاوية وهي حوض كبير ، فسكان يجتمعون على الجفنة الواحدة الف رجل يأكلون منها .

(٦) قدور رasicيات : القدور : جم قدر ، وقدور رasicيات أي قدور ثابتات لها قوائم لا تتحرك عن أماكنها .

(٧) منساته : أي عصاء ، المنسأة : هي العصاة .

(٨) خر : سقط ميتاً .

(٩) تبييت الجن : انكشف لهم .

(١٠) في العذاب المرين : العمل الشاق المرين لهم .

(١١) سورة سبا : ١٣ — ١٤

قلنا إن الجن قد يشاهدون من قبل الأنبياء (ع) والأوصياء (ع). وهم يتظرون ويتشكلون في صور الإنس وغير الإنس على ما أعطاهم الله من ملائكة وأمكنيات . كل ذلك في دائرة محدودة وبأمر من الله . وقد يتجسم الجن على شكل أو صورة بني آدم . وفي امكان الجن أن يدخلوا الغرف والأبواب مغلقة . وذلك من شقوق الأبواب والمنافذ ، كأمواج الراديو . وقد سمعت حاضرة لأحد علماء مصر ، كان يذكر وجود الجن ، ثم سافر إلى المغرب واتصل ببعض من . كان يحضر الجن وشاهد ما يصدر عن أيدي الجن من أعمال شتى تغير العقول . وقد رفع قبلا كل ما من شأنه الخداع والتلبيس . فآمن بالجن بعد أن كان منكراً أشد الإنكار .

وقد جاء في تفسير الآية الآية : أن الشيطان أتى قريشاً في صورة (سرقة) بن مالك بن جشم الكنانى لما أرادوا الخروج إلى بدر قال الله تعالى : « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم ، وقال لا غالب لكم اليوم من الناس ، وإنما يجار لكم ، فلما ترأت الفتى نكس على عقبيه وقال إني برئ منكم ، إنما أرى ما لا ترون ، إنما أخاف الله والله شديد العقاب ». كما أنه روى أن الشيطان تشكل في صورة شيخ نجدى لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : هل يقتلونه أو يحبسوه أو يخرجونه كما قال الله تعالى : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون وييمكر الله والله خير الماكرين »^(١) .

• • •

وقد روى أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان ذات يوم يخطب على منبر الكوفة ، إذ ظهر ثعبان من جانب المنبر وجعل يرقى حتى دنا من أمير المؤمنين (ع) فارتاع الناس لذلك وهموا بدفعه ، فأقاموا عليهم بالكاف عنه ،

فلما صار على المرقة التي عليها أمير المؤمنين ، انحنى أمير المؤمنين إلى الشعبان وتطاول الشعبان إليه حتى التقى أذنه ، وسكت الناس وتحيروا ، فتفق نقيقاً سمعه كثير منهم ، ثم زال عن مكانه وأمير المؤمنين يحرك شفتيه والشعبان كالمصنوع إليه ، وانساب وكان الأرض ابتلعته ، وعاد أمير المؤمنين إلى خطبته فأتمها ، فسألوه عنه . فقال : انه حاكم من حكام الجن التبس عليه قضية ، فصار إلى يستفهمي عنها ، فأفهمته إياها ودعالي بخير وانصرف .

وي ينبغي أن لا يُستبعد وقوع ما ذكر لعلى " عليه السلام ، فقد جاء في القرآن الكريم : أن سليمان بن داود على نبينا وآله وعليهم السلام لما أرسل إلى بلقيس قال لأصحابه : « يا أيها الملك أيمك يأتيني بعرشها قبل أن يأتيوني مسلمين ، قال عفريت من الجن : أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك » أي من مجلسك الذي تجلس فيه كل يوم للقضاء ، وكان يجلس فيه إلى الظهر . فالله تعالى قد أعطى العفريت من الجن قوة يستطيع بها أن يحضر عرش بلقيس من بلاد نائية . فالعفريت ليس بأعز على الله من على عليه أفضل الصلاة وقد قام الإسلام بسيفه وتصحياته التي لا تعد ولا تُحصى !

وقد جاء في الأخبار أن عليا (ع) حارب أعداء الرسول (ص) من الجن وانتصر عليهم ، والقضية مشهورة في كتب الفرقين . لم ينكرها أحد .

ثم أن الجن يحشرون ويحاسبون يوم القيمة لقوله تعالى : « ويوم يحشرهم جميعا ، يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس ، وقال أولياؤهم من الإنس : ربنا استمتع ببعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلتنا لنا ، قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ، ان ربكم حكيم عليم » . وفي آية أخرى :

« يا معشر الجن والإنس : ألم يألكم رسلاكم يقصون عليكم آياتي

وينذرونكم لقاء يومكم هذا ، قالوا : شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا
وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين .

وفي أخرى « قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن
والانس في النار ، كلما دخلت أمة لعنت أختها ، حتى اذا اداركوا فيها
جميعا ، قالت اخراهم لأولاهم : ربنا هؤلاء أضلوانا ، فآتهم عذابا
ضعفا من النار . قال ل بكل ضعف ولكن لا تعلمون » .

وفي أخرى : « قال الذين كفروا : ربنا أرنا اللذين أضلنا من الجن
والانس يجعلهما تحت أقدامنا ليسكنوا من الأسفار » .

السلوك الرحماني والسلوك الشيطاني

ذكر لي أحدهم : أن هنالك طريقين في السلوك والتقرب إلى الله .
 سلوك رحماني وسلوك شيطاني . فالسلوك الرحماني هو سلوك حسب ما أمر الله تعالى به وما أملأه علينا الرسول (ص) والأئمة من بعده عليهم السلام .
 من صلاة وصوم وزكاة وخمس وحج وانفاق وأعمال صالحة والقيام بحاجة الناس وأعمال عبادية مستحبة بصورة مستمرة وبكثرة دونما فتور من صلاة جوف الليل وأوراد وتضرع وتسبيح بين الطلوعين وقبل الغروب وتطهير المأكل والمشرب وذكر الله تعالى على كل حال وصمت إلا في ما يرضي الله . فعند ذلك تتجلى له كثیر من الحقائق وخدمته قسم من مؤمني الجن إن شاء الله تعالى .

وهذه الطريقة وأعني بها السلوك الرحماني من الصعوبة بمكان ، لا يقوى عليها إلا الأوحدى .

وهناك سلوك شيطاني يتلخص في اطاعة الشيطان الغاوي أو بالاحرى اطاعة ابليس عليه اللعنة في كل ما يريد من ترك الصلاة والصوم والحج ، بل وعبادة الشيطان نفسه ومخالفة أمر الله تعالى حيث يقول : « ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان ، انه لكم عدو مبين . وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم . ولقد أضل منكم جيلاً »^(١) كثيراً أفلم تكونوا تعلقون ^(٢) والإهانة بال المقدسات بل وتلوّنها .

وقد علم من أحد السالكين السلوك الشيطاني انه كتب الى صديق له (درويش) يقطن في شعب من شعاب جبال (همدان) بصورة سرية : « أنه

(١) جيلاً : خلقاً .

(٢) سورة يس : ٦٠ — ٦٣ .

قد بلغ به الأمر حيث يلعن علياً (ع) ليلة الجمعة على كل في التحف الأشرف (١٠٠) مرة . فكانت نتيجة ذلك أن خدمته أباً للجنة فاء تمرت بأمره واطاعته في ما يريد . وقد قال تعالى : « ولو لا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا من يكفر بالرحمن ليهو لهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظرون » . . (سورة الزخرف : ٣٣) .

* * *

وقد سمعت من يوثق بكلامه : أن شاباً كان قد صاحب درويشاً سلك مسلكاً شيطانياً وتعلق به تعلقاً وثيقاً ، لما كان يرى من خوارق ظاهرية تجري على يديه .

يقول هذا الشاب : خرجت مع هذا الدرويش ذات يوم قبيل الظهر من مدينة (تبيريز) ، حتى إذا ابتعدنا عن البلدة مسافة يعتقد بها ، قال لي الدرويش : ما أجمل المكان وما أطيشه ! لو كانت لنا هنا غرفة (نارجيلة) . فقلت له : سيدى قد ابتعدنا كثيراً عن البلدة ، ولا يوجد بالقرب منها مقهى ... فقال الدرويش مغضباً : أوَّل ضعف اعانك بي ؟ ! ونادى بصوت دفيع . غرفة ! وإذا بغرفة جاهزة توضع بين يديه ، فصار يشرب . حتى إذا فرغ ، استأنفنا الطريق . وبعدنا عن البلدة مسافة لا يستهان بها ، فبلغنا مكاناً في غاية الجمال . . . وقف الدرويش عن السير . وقال : ما أجمل هذه المناظر ! لو تناولنا غداء في هذا المكان .

فقلت له : ومن أين نجد طعاماً في هذا المكان النائي ؟

قال : وهل ضعف يقينك بي ؟ فنادى بصوت عالٍ : غداء ! وإذا بمائدة جاهزة توضع بين يديه ، وفيها من الطعام ما لذ و طاب . فصرت أنظر إليها وأنا متعجب ، حائر ، وأعن الشيطان ! . . . وإذا بالرجل ، يلطمني على وجهي بكل ما أotti من قوة . . .

فقلت : ولماذا ؟ ما الذي صنعت حتى أغضبك ؟ إنما أعن الشيطان ،
لعنه الله ! فلطمني ثانيا ، قاتلا : أتلعن من هو ولني نعمتي ، المفضل على بعظام
النعم ، إنه هو معبدى ومقصودى ولو لا أنه لما كانت هذه المكرمات ،
ومن جملتها هذه المائدة . فقديسى لإبليس وعيادق له واطاعتى إياه جعلنى
موضع عنایته ، فيهيوء لي ما أريد وما اشتھى ، يقول الشاب : علمت اذ
ذاك أن الدرويش كافر مشرك ، فتركته وسافرت إلى العتبات المقدسة
تاپيا مما كان مني أثناء غفلتى .

فشياطين الجن يقومون بتحقيق رغبات من يوافقهم في كفرهم وجحودهم
ويخدمونهم حتى يوردوهم جهنم وبئس المصير . ان الله تعالى يقول :
« إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ، إنما يدعو حزبه ليكونوا من
 أصحاب السعير » (١) .

فن الناس من يعبد الجن ويحقر المقدسات ويقوم بإهانتها ليتميز عن
الآخرين بما سيمهي له إبليس ما يدهش الألباب من أعمال يعجز عنها
الإنسان حسب ملكاته الخاصة به . انه تعالى يقول عندما يصف أحوال
يوم القيمة : ثم يقول للملائكة أهؤلاء ايكم كانوا يعبدون ؟ قالوا :
سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن ، أكثرهم بهم مؤمنون » .

* * *

وقد نقل أحد كبار العلماء انه قد كان في أصفهان رجل تصدر منه
الخوارق ويخبر عن أشياء خفية لا يعلمه إلا أصحابها .
فإذا كان موسم الحج . سافر من أصفهان في ٧ ذي الحجة ، فُيرى في
مكة وهو يصافح الحجاج ويرجع قبلهم مع عدم وجود طيارة في ذلك الوقت .
ان الرجل كان معززاً مكرماً حتى وافتة منيته .

وبعد مضي مدة على وفاته رأى ولده ذات يوم في موسم الحج أى في ٧ ذي الحجة وهو جالس في بيته : اذ دخل عليه رجل قاتلا له : إني كنت آتني أباك كل سنة في مثل هذا اليوم ، لآخره إلى مكة ، وكان قد أحضر دابة ، فقال لي : اركب . فركبت ، وبعد مدة وجيزة جداً صرنا في البر ، فنزل ونزلت ، فقال : أنا الشيطان ! .. أسبغل لى كاسجل لى أبوك من قبل ..

يقول الولد : قلت له : لست بساجد لأحد غير الله تعالى ، إنما أسجد لله وحده لا شريك له . فطفق يلعن ويلحف ، حتى أعي ، فلم ألب طلبه ، فتركني في الصحراء وانصرف . ثم انصرفت أدعوه الله جل شأنه لينجيني مما ألم بي ويوصلني إلى بلدتي . فلن الله على بالنجاة وذلك يالهامي الطريق المؤدى إلى بلدتي .

فكان الولد بعد هذه الحادثة يلعن أباه ، لأنّه كان من عباد الشيطان .

★ ★ *

ولإنما نهى الشارع عن احضار الجن والأرواح وعد ذلك كبيرة لما يؤدي ذلك إلى اطاعة الشيطان وعبادته وسوء العاقبة ، أعاذنا الله منها .
وأن مثل هذه الواقعة التي ذكرناها وقائع كثيرة ، فمن طالع الشيطان في كفره وإلحاده وتوهينه المقدسات وسبه أولياء الله والولوج في شتى المعاصي وأطاعه ، كان الشيطان عونا له في الإخبار بما خفى عن الناس وتهيئة ما يريد من أشياء ووسائل .

وقد سمعت من اتصل بي امرأة كانت تحضر الجن ، أنه أراد أن يقوم باحضار الجن بطريق غير شيطاني . فعلمته الامرأة (واسمها صغرى) أن ينزل إلى السرداد ويرسم دائرة ويجلس في وسطها ويقرأ الأوراد المعينة .
يقول الرجل : « امتنعت ما قالت الامرأة وصرت أقرأ الأوراد ، فظهر أمامي أنواع الحيوانات الخفية ، بأشكال شتى ، ثم ظهر أمامي بحر خضم

فيه تماسح كبير أراد أن يلتقمي . ففزعت وساحت : صغرى ، صغرى ، أدركتني ، فقالت اخرج إلى سطح الدار ، يا ضعيف النفس !

خرجت إلى سطح الدار ولم أنجح في تطبيق ما أمرتني به ..
قد يستغرب مما أقول من تطبع على التجارب الفيزيائية أو الكيميائية ، ولكن لا ينبغي لعالم مفكر دقيق أن ينسكر ما لم يدرسه ولم يجربه ولم يتتبع فيه . بل المفكر الحقيقي هو ذلك الذي يجعل كل ما طرق سمعه في دائرة الاحتمال ، فيسأل ويتبع ويعقب ويجرب ويطبق ليصل إلى واقع الامر والحقيقة ، من وجود أو عدم وجود ما ينسكه ، حتى يكون حكمه مبنياً على الاستقصاء والتتبع والمداقة .

وما أكثر أحكام المتطفلين على العلم الحديث وأوهنها وأضعفها وأبعدها عن الحقيقة . إنها هوى النفس ، وكبدها وطيشتها ومروها . إنها مظهر من مظاهر النفس البهيمية ورشحات من نزواتها ومجونها تلبست بليباس العلم ، والعلم منها براء .

* * *

إن ما يشاهد ويحدث من حوادث غريبة في الهند وغير الهند يجعل غير المعتقد بما وراء الطبيعة في حيرة من أمره ، لا يعلم كيف يحبب وكيف يحمل الموضوع .

أنقل لكم ما حدث أخيراً عن امرأة هندية ، تجحب على أصعب العمليات الحسابية بسرعة عجيبة : فقد سئلت عن جذر عدد كبير أصم ، ووضع السؤال أيضاً في آلة معدة لحساب جذور الأعداد . فأجبت المرأة ارتجالاً اسرع من الآلة . فلم يطابق جوابها ما استخرج من الآلة من جواب . فأعادوا عليها السؤال فأجبت نفس الجواب ، فعلم أن الخطأ إنما كان في ما استخرج من الآلة ، وهي محققة في جوابها .

فهناك في الهند متلاصون يأتون بالأعاجيب وأظنهن لا يعلوون كيف تحدث على أيديهم هذه الأعاجيب والخوارق .

فقد ذكر لي أحد أرحامى وكان يتاجر في الهند ، أن رجلا هندياً كان يأتي بالغرائب ، فيلستقط من القضاة موزاً وكل ما يراد منه ، وذات يوم كان راكباً في قطار ، فطلوب ببطاقة ، فقال : ليس لي بطاقة فأريد منه النزول ، فقال انزل ولكن القطار سوف لا يتحرك . وكان كما قال : فلم يتحرك القطار حتى ركب !

وذكر لي أحدهم ، أنه كان يريد حمل مقدار من الأفيون دون مراجعة دائرة «الكارك» إلى خارج إيران .

وسمع أن في أحدي قرى طهران رجلا يخبر عما سيقع . فذهب إليه لعله يعلم بما سيحدث من أمر الأفيون حين نقله خارج الحدود . فما أن دخل عليه ، حتى رأى الرجل المراضا ! يخاطبه قائلاً : لا تحمل الأفيون من الطريق الفلانى ، واحمله من طريق آخر (وذكر الطريق) ، فأنت تفوز بمراdek .

يقول الرجل ، أخذني العجب الشديد من هذا التنبأ ، فقلت في نفسي ، أبقى هذه الليلة في هذه القرية بالقرب من الرجل . لاراقب حاله وما عليه من رياضات .

يقول : «ذهبت إليه ما بين الطلوعين وصرت بالقرب منه ، وهو تحت شبرة ، فأواماً إلى» ، فدنوت منه ، فلم أجده ، من يصل أو يقوم بذلك وأوراد بل ألفيته وسخاً ذا أظافر طويلة ، لا ترتاح لرؤيته النفس .

فقلت له : كيف تخبر عما سيكون . فقال : أنا أيضاً لا أعلم ، كيف يحدث ذلك . وإنما تجرى على لسانى ألفاظ ، فأرى الناس يرونها مطابقة لما يدور في خلدهم ويتحقق كل ما يُقال على لسانى . واست إلة صماء ، لا أعلم لماذا يتحرك لسانى ومما سيجري عليه .

يقول . ثم رأيته : أخرج قنينة صغيرة ، فقال هذا سُم ، أتناول قليلاً منه . ثم أخرج ثعباناً صار يلده ، حتى أغنى عليه ، ثم صحا ، وأخذ يشرب في آفء وسخ مقداراً كثيفاً من الشاي مع السكر : (النبات : على ما هو المصطلح) . قال : هذه رياضتي ، وهذا قوتي ، وبعملى هذا بلغت ما بلغت ولا أعلم كيفية ذلك .

فهل للعلم الحديث أن يحمل هذه القضية على ضوء ما توصل إليه العلم المادى . إنها من عالمين مختلفين ، عالم الطبيعة وعالم ما وراء الطبيعة ، فلا يمكن أن تحمل قضيائنا غير مادية ، قضيائنا من ما وراء الطبيعة على ضوء مكتشفات مادية طبيعية ، لأنها من واديين مختلفين .

إن الرجل الذى تقدم ذكره ، قد سلك طريقاً شيطانياً غير مرضى عند الله تعالى ، وآذى نفسه ، بخوزى بأمر من الله في دنياه بهذه الميزة التي لا يعلم كيف تتجلى له على حد قوله تعالى : «من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نور إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يحسون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحيط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون^(١)» .

ولكن ، هناك سلوك رحمانى وهو سلوك الأنبياء (ع) والصالحين من عباد الله ، سلوك يطابق المنطق ويوافق العقل . فــكم من آيات في القرآن تدل على إخبار بالغيب بــالــهــامــ من الله وعظمــ لــطفــهــ . وــماــ قالــهــ يــوســفــ (ع)ــ وهوــ فيــ الســجــنــ : «قالــ لاــ يــأــتــيــكــ طــعــامــ تــرــزــقــهــ إــلــاــ بــنــائــكــ بــتــأــوــيــلــهــ قــبــلــ أــنــ يــأــتــيــكــ ، ذــلــكــ مــاــ عــلــمــنــ رــبــيــ . أــنــ تــرــكــ مــلــةــ قــومــ لــاــ يــؤــمــنــونــ بــالــهــ وــهــ بــالــآــخــرــةــ هــمــ كــافــرــونــ . وــاتــبــعــتــ مــلــةــ آــبــائــيــ اــبــراــهــيمــ وــاســحــاقــ وــيــعــقــوبــ ، مــاــ كــانــ لــنــاــ أــنــ نــشــرــكــ بــالــهــ مــنــ شــيــءــ . ذــلــكــ مــنــ فــضــلــ اللهــ عــلــيــنــاــ وــعــلــىــ النــاســ . وــلــكــ أــكــثــرــ النــاســ لــاــ يــشــكــرــونــ^(٢)» .

(١) سورة هود : ١٦٦١٥ .

(٢) سورة يوسف : ٣٨٦٣٧ .

وقال عيسى (ع) : « وأنتم بها تأكلون وما تدخرن في بيوتكم .
لأن في ذلك لآية لكم أن كنتم هؤلئين » (١) .

فـسـأـلـهـ الـإـمـامـ (عـ) : بـمـ وـصـلـتـ إـلـىـ مـاـ وـصـلـتـ إـلـيـهـ . فـقـالـ : بـمـخـالـفـةـ
الـنـفـسـ ! .. شـمـ عـرـضـ عـلـيـهـ الصـادـقـ (عـ) الـاسـلـامـ . فـأـبـيـ . فـقـالـ لـهـ الصـادـقـ
(عـ) أـنـتـ أـخـذـتـ عـلـىـ نـفـسـكـ أـنـ تـخـالـفـ هـوـاـكـ . خـالـفـ هـوـاـكـ كـمـاـ
عـاهـدـتـ نـفـسـكـ . فـقـبـلـ الرـجـلـ وـأـسـلـمـ .

ثم ان الصادق سلام الله عليه ، أخفى في يده شيئاً وأراد من الرجل
أن يتبنّاً ، فلم يستطع . وقال ، صناع عنى ما كنت عليه ولا أهتم بشيء .
فقال له الصادق (ع) ، ما مؤداته : إنك كنت ضالاً ومتبعاً خطوات
الشيطان ، فجازاك الله لمحافتك هوى نفسك بهذا الإلحاد وميّزك عن غيرك
بهذه الميزة في دنياك ، وكنت في الآخرة من أصحاب النار . ولكن
الآن ، بعد أن تشرفت بالإسلام عملاً بنصوصه ، ذهب عنك ما توصلت
إليه بطريق شيطاني مضل . وقد هيأ الله لك آخرة سعيدة وحياة
آبدية هنية .

وكم قرآن في المجالات أن أناساً أعطوا من الإلهام بحيث يحيطون على عملية ضرب في الحساب : عشرة أرقام في عشرة أرقام بسرعة عجيبة ، دون أن يشعروا كيف يجري ذلك على لسانهم .

إن عوالم ما وراء الطبيعة عوالم عميقة تستدعي التحقيق والتفكير وهي

ليست من عوالم المادة ، (سانتيمتر ، غرام ، ثانية) في شيء ، فلا معنى لتحليل ما هو غير مادي بمقاييس مادية مقتضبة . وان الله تعالى ، وله الحجة البالغة ، يبيه لهذا الإنسان بين الفينة والفينية حوادث لتذكيره : أن وراء هذا العالم المادي علماً آخر لا يُشبه العالم المادي في شيء ، وليس هناك مقاييس مشترك بينهما كافية الحوادث المادية (الفيزيائية أو الكيميائية) كي يزداد هذا الإنسان إيماناً بربه وخالقه ، وقدره التي لا تحد ، وعظمته التي لا تنتهي . مع العلم أن ليس للإنسان المحدود في جميع قابلياته أن يحيط بالله الذي لا يحيط به شيء . وأنى للمحدود أن يدرك غير المحدود أدراساً تاماً وأن يحيط به ، إنما يؤمن ويوقن بوجوده وهيمنته بقدر ما في نفسه من طهارة وصفاء .

★ ★ ★

إن العلم الحديث ليعرف بالأشعة الكونية وهي لا ترى ولها آثارها العجيبة ويعترف بالبث الإلكتروني وبأمواج الراديو واللاسلكي والتلفزيون وكل أشكال قوى وطاقة لا ترى بالعين موجودة في الفضاء ولها آثارها . فلا يصعب على العلم الحديث وحامله اعتراف بموجود هو من نوع طاقات خاصة ، قد من الله عليه بعقل وارادة وكفه بتكاليف وهو مسؤول أمام الله تعالى (وأعني بذلك الجن) ، وهو القائل : « وما خلقت الجن والانسان إلا ليعبدون » . (سورة الذاريات : ٥٦) .

★ ★ ★

قلنا آنفاً إن المادة قد تغلغلت في أوساط أوروبا وسرت إلى أصقاع أخرى ، كل ذلك لتتوفر وسائل الترف والفساد والإفساد وهتك الاعراض والحرمات وشروع الربا والخمور وأنواع الظلم والفساد ، فاظلمت النفوس ، وتحجرت العقول ، حتى صارت لا تبصر الحق والواقع ، فقد جاء في الحديث :

«إذا أذنب العبد كان نكبة سوداء على قلبه ، فإن هو تاب وأقلع واستغفر ، صفا قلبه منها ، وإن هو لم يتتب ولم يستغفر كان الذنب على الذنب والسوداء على السوداء حتى يغمى القلب».

ولو تبعثرت نفوس هؤلاء الماديين المنحرفين ، لو جدتهم أبعد الناس عن العطف والحنان والأخلاق الفاضلة وأقرب الناس إلى الشهوات والملذات والإفساد والبغى والظلم ، تشهد بذلك حياة (كارل ماركس) في صغره وشبابه ومع والديه وأخواته . فقد كان ينقطع عن الجامعة ويذهب إلى السكر والدعارة ، يترك (بون) مقر الجامعة ويذهب إلى (كولون) في جوارها ويبيت فيها ملاهي السهر . سيق إلى الشرطة لإفراطه في السكر والغرابة ! وقد استخدم الأسلحة النارية . كان فيه شهوة الهمم والتخريب ، كان أناانياً يختلق التهم ، حسوداً ، مغروراً . كان يعامل من يخالفه معاملة ملؤها التحقيق والازدراء . ويقول لكل من يخالفه في الرأي : (بورجوازى) . كان مغوراً بآرائه ويقول : آرائي وأفكارى ... ولا يقبل أى نقاش . كان مسلوب العاطفة . فلم يذهب إلى بلده حين مات أبوه وبقي في برلين وهو رب الأسرة بعد والده . واسترسل في الطلب حتى نقد نصيه من الميراث ، فمال إلى نصيب أمه وأخوته . وكان قبلًا قد أرهق أباه في طلب المال . وقد انتحرت بنته : (لورا وأختها) . عقد مقاولة مع الجرائد وأخذ مبلغاً ولم يفِ بمنطق العقد . وعقد اتفاقية مع (الكسى) على كتابة نظرياته الاقتصادية (هذه التي لم تدل نصيباً من التطبيق لكونها بعيدة عن واقع الحياة) ، وقبض (١٥٠٠) فرنك وعقد في نفس الموضوع اتفاقية أخرى مع شخص آخر ولم يفِ بكليهما !

نعم إن رجلاً هذا ديدنه وتلك صفاته حقيقة أن تترشح منه هذه الاباطيل . بأن يقول : «إن الديانات والعقائد جميعاً إنما هي انعكاسات الضرورات الاقتصادية» . إن لم يكن قد وصل وراء ذلك الإنصرار للصهيونية

عن طريق الهم والفساد ، وسحق المقدسات ! ، أو تلك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم ، لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم » . (سورة المائدة : ٤١) .

إنه تعالى يقول : « ولقد أنزلنا إليك آيات بيّنات وما يكفر بها إلا الفاسقون » ^(١) . وفي آية أخرى : « وما يضل به إلا الفاسقين » ^(٢) . فقد أغلق الله تعالى على الفساق أبواب المهدية حتى يؤربوا ويتوبوا . هذه هي سنة الله في أرضه وسمائه . « ولن تجد لسنة الله تبديلا » ^(٣) .

حقاً لو تعمقنا في ما سنته الله تعالى وأقرَّه لأنفينا في ذلك كل المنطق و تمام العدل . وذلك لأنَّه بالتفوي والورع يعمِّر القلب وتسكُّن النفس ، فتصبح ثقينة للفيوضات الرحمانية والأطاف الربانية ، وبالفسق والفحور يتحجر القلب وتظلم النفس ، فلا تجد لمعرة الله تعالى طريقاً ولا لرفده سبيلاً . « نسو الله فنسيهم » والانسان الظالم لنفسه ، هو الذي قد سد على نفسه أبواب المراحم الإلهية والنفحات القدسية الصمدانية : « وما ظلمناهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » ^(٤) . وفي آية أخرى : « سأريكم دار الفاسقين » ^(٥) .

* * *

إن أوروبا لا تزال مسْمِكة في جُنُورها ونخورها وما دامت كذلك ، فلا تجد هداية الله سبيلاً ، إلا أفراداً قلائل من لم تغُرّهم المادة الصماء ، فتابوا وأنابوا واستضاؤا بنور الإسلام : « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً » ^(٦) .

(١) سورة البقرة : ٩٩

(٢) سورة البقرة : ٢٦

(٣) سورة الفتح : ٢٣

(٤) سورة الزخرف : ٧٦

(٥) سورة الأعراف : ١٤٤ .

(٦) سورة الأحزاب : ٤٦

فقد ذكر لي أحد الأصدقاء أنه ذهب إلى ألمانيا في الصيف الماضي ، وقد زار أخاه في أحدى المدن وكان أخوه قد سافر قبلاً لتكمل تحصيله وأخذ درجة الدكتوراه . فرأى أخيه على غير ما كان عليه من قدسيّة مرموقة ، وصلة مع الجماعة ودعاء وابتهاج ليالي الجمعة في الحرم الشريف . رأه قد الغمر في ما حرم الله وأخذ الإيمان يتضاءل في نفسه ، والمحظوظ يأخذ طريقه إلى خلده . وكان يتحدث له أخوه : أن في الغرب ، يرتحب الأخ بمن يحصل بأخته بطريق غير مشروع ويراه أمرًا طبيعياً لا غرابة فيه ! .. فصار يصف لي عوالم الليل ، قائلاً : إن أكثر مدن ألمانيا مليئة بالحدائق العامة الكبيرة وتتکاد تكون بعض المدن مجموعة من الحدائق . فإذا جن الليل ، لا تجد في هذه الحدائق إلا بصيحاً من الضوء ، بقدر ما يميز الشخص طريقه . والناس من رجال ونساء ، ينزو بعضهم على بعض حتى الصباح .

قارن . أهلاً القارئ السكرىم ، بين هذه الحياة البهيمية وحياة قديسية أخرى في بعض المدن الإسلامية : ترى المؤمن يقوم قبيل الفجر بساعة أو أكثر من فراشه قائلاً : (كا كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، « الحمد لله الذي أحياناً بعدهما أماتنا وإليه النشور ». فيتوضاً متوجهاً بكله إلى الحق المتعال . قائلاً بخشووع : « بسم الله وبالله ، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطررين » ، فيأخذ طريقه إلى الحرم الشريف أو إلى مسجد قريب : « لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد ... الحديث » ، فيستقبل قبلة ، متوجهًا^(١) ، بخضوع لا من يد عليه ، فيصل لربه ركعات ، ثم يستغفر الله تعالى مائة مرّة في قنوت ركعة الوتر^(٢) . فإذا انتهى من صلاته

(١) « وَمِنَ الْلَّيلِ فَتَهْجُدُ بِهِ نَافِلَةً لَكَ ، عَسَى أَنْ يَعْثُكْ رَبُّكَ مَقَامًا مُحَوْدًا » ۔ (سورة
بَنِي اَمْرَأِيلَ : ٨٢) ۔

(٢) « قل أئذنكم بخبير من ذلکم ، للذين اتقوا عند ربهم جنات تجربى من تحتها لا انوار خالدين فيها ، وأزواج مطهرة ورضوان من الله ، والله بصير بالعباد ، الذين =

بـكـ(١) نادـمـاً عـلـى مـا اـجـتـرـحـتـ يـدـاهـ مـن ذـنـوبـ ، وـنـاجـيـ رـبـهـ بـخـشـوـعـ ، حـاسـبـاـ فـسـهـ عـلـى كـلـ صـغـيرـةـ وـكـبـيرـةـ : فـقـدـ جـاءـ فـيـ الـحـدـيـثـ : « حـاسـبـواـ أـنـفـسـكـمـ قـبـلـ أـنـ تـحـاسـبـواـ ، وـزـنـوـهـاـ قـبـلـ أـنـ تـوزـنـواـ » ، حـتـىـ إـذـ أـعـلـنـ المـؤـذـنـ دـخـولـ وقتـ صـلـاـةـ الصـبـحـ ، قـامـ فـصـلـيـ رـكـعـتـ النـافـلـةـ ، ثـمـ يـبـدـأـ بـصـلـاـةـ الصـبـحـ مـعـ الجـمـاعـةـ أـنـ وـجـدـتـ ، وـإـلـاـ فـيـصـلـيـ فـرـادـىـ ، ثـمـ ، يـقـومـ بـالـتـعـقـيـبـاتـ الـوارـدـةـ عـنـ أـهـلـ بـيـتـ الـعـصـمـةـ عـلـيـهـمـ السـلـامـ . فـيـخـرـجـ مـنـ الـمـسـجـدـ ، وـهـوـ مـلـوـءـ فـرـحـاـ وـسـرـورـاـ لـهـذـاـ الـإـتـصـالـ الـمـعـنـوـيـ الـقـدـسـيـ ، فـهـوـ تـقـرـبـ إـلـىـ اللهـ جـلتـ عـظـمـتـهـ ، وـانـ هـذـاـ التـقـرـبـ الـمـعـنـوـيـ هوـ غـاـيـةـ الـغـايـاتـ فـيـ الـحـيـاةـ الـدـينـيـاـ(٢) . فـالـأـنـسـانـ يـعـدـ فـائـزـاـ فـيـ دـنـيـاهـ بـقـدـرـ مـاـ يـنـالـ مـنـ هـذـاـ التـقـرـبـ الـقـدـسـيـ مـنـ نـصـيـبـ . وـيـعـدـ ذـكـ يـسـتـقـبـلـ الـحـيـاةـ مـتـوـكـلاـ عـلـىـ اللهـ تـعـالـىـ بـتـقـوـىـ لـاـ مـزـيدـ عـلـيـهـ وـنـفـسـ زـكـيـةـ تـجـنـبـ الغـشـ وـالـخـدـيـعـةـ ، بـلـ جـلـ غـاـيـتـهاـ خـدـمـةـ الـغـيـرـ . وـارـضـاءـ رـبـهـ . « مـنـ أـصـبـحـ لـاـ يـهـمـ بـأـمـورـ الـمـسـلـمـينـ فـلـيـسـ مـنـهـمـ ... الـحـدـيـثـ » .

فـأـىـ الـفـرـيقـيـنـ أـقـرـبـ إـلـىـ اللهـ ؟ وـأـيـهـمـاـ أـوـلـىـ بـولـوجـ الـفـكـرـةـ الـمـادـيـةـ فـيـ فـقـسـهـ .

لـهـذـاـ الـذـنـوبـ ؛ مـنـ وـرـائـهـ الشـيـطـانـ يـزـينـ هـذـاـ الـأـنـسـانـ الطـائـشـ فـكـرـتـهـ الـمـادـيـةـ وـمـاـ يـقـومـ بـهـ مـنـ اـفـسـادـ فـيـ الـأـرـضـ ، بـلـ يـجـعـلـهـ أـنـ يـقـولـ بـالـتـأـكـيدـ أـنـ الـعـقـائـدـ وـالـشـرـائـعـ كـاـمـاـ خـرـافـاتـ وـأـوهـامـ ، وـأـفـكـارـ بـوـرـجـواـزـيـةـ ! (Boaурgeoisie) فـلـاـ حـقـيـقـةـ فـيـ الـكـوـنـ لـاـ المـادـةـ . هـذـهـ الـمـادـةـ الـتـيـ

= يقولون ربنا انتا آمنا فأغفر لنا ذنبينا وقنا عذاب النار . الصابرين والصادقين والقانتين والمنافقين والمستقررين بالأسحار . (سورة آل عمران : ١٤ - ١٦) .

(١) روى أبو حزنة عن أبي جعفر عليه السلام : « ما من قطرة أحب إلى الله من قطرة دم في سواد الليل مخافة من الله ، لا يراد بها غيره » .

(٢) وقد جاء في ما أوحى الله إلى موسى بن عمران (ع) : « يا ابن عمران ، هب لي من عينك الدموع ومن قلبك الحشوع ومن بدنك الخضوع ، ثم ادعني في ظلمالي تجدني قريباً مجيئاً » .

لا يقوى المادى على تعریفها وبيان حقیقتها وكشف أسرارها وقوانينها إلا
اليسير منها جداً، وهل للإمداد أن تضع لنفسها قوانین فظیعها ولا تختلف عنها .
لعل هذا المادى قد أحاط بالكون ، فسافر إلى مسافت تبعد عنا ملايين ملايين
ملايين ... ملايين من الأميال بسرعة تفوق سرعة الضوء بمقدار لا يتناهى
ووقف هناك على ما تقوم به : (المادة) من خوارق ومعاجز وما تنظمه
من قوانین ومعادلات في تنظيم هذا الكون المادى ! بعقل جبار !

★ ★ *

فطوبى لنفوس توجهت إلى الحق بنفس لم تتلوث بآثامها ومظلمتها ، فأمنت
بكل ما أنزل الله من آيات بينات وبين أرسل من رسـل وأنبـاء مبشرـين
ومـنذـرين وآمنت بـوحـى مـنـ نـفـسـهـاـ وـعـقـلـ لـمـ يـدـنـسـهـ شـيـطـانـهـاـ وـلـمـ تـزـحـهـ
أـجـراـمـهـاـ بـمـاـ غـابـ عـنـهـاـ : « الـذـيـنـ يـؤـمـنـونـ بـالـغـيـبـ »^(١) وـصـارـتـ تـعـمـلـ عـلـىـ
ضـوـءـ تـعـالـىـ مـحـمـدـ وـالـأـمـةـ مـنـ بـعـدـ عـلـيـهـمـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ لـلـسـيـرـ فـيـ مـدـارـجـ الـكـمالـ
الـبـشـرـىـ حـتـىـ تـكـوـنـ قـيـنـةـ لـلـخـلـودـ فـيـ « جـنـةـ عـرـضـهـ السـمـاـوـاتـ وـالـأـرـضـ أـعـدـتـ
لـلـمـتـقـينـ » . وـقـدـ جـاءـ فـيـ الـحـدـيـثـ : « الدـنـيـاـ سـاعـةـ ، فـلـاـ تـجـعـلـهـ إـلـاـ طـاعـةـ ».
حقاً : ان الـوعـظـ وـالـإـرـشـادـ لـاـ يـؤـثـرـ إـلـاـ فـيـ نـفـوـسـ تـخـشـيـ اللـهـ فـيـ
خـلـوـاتـهـ ، نـفـوـسـ تـرـاقـبـ اللـهـ فـيـ السـرـ كـاـ تـرـاقـبـهـ فـيـ الـعـلـنـ ، تـعـمـلـ وـفـقـ مـاـ تـمـلـيـهـ
عـلـيـهـ الـفـطـرـةـ ! (فـطـرـةـ اللـهـ التـىـ فـطـرـ النـاسـ عـلـيـهـاـ) . ان نـفـوـسـاـ كـمـذـهـ قـيـنـةـ
بـأـنـ تـسـيـرـ فـيـ مـعـارـجـ الـكـمالـ فـتـقـطـعـ مـرـاحـلـ التـزـكـيـةـ وـمـاـ أـذـهـاـ ! اـنـهـ تـعـالـىـ يـقـولـ:
« إـنـماـ تـنـذـرـ الـذـيـنـ يـخـشـونـ رـبـهـمـ بـالـغـيـبـ وـأـقـامـواـ الصـلـاـةـ ، وـمـنـ تـزـكـىـ فـإـنـماـ يـقـنـزـ
لـنـفـسـهـ ، وـالـلـهـ الـمـصـيرـ »^(٢) .
ونـخـتـمـ هـذـاـ المـقـالـ بـقـوـلـهـ تـعـالـىـ :

(١) سورة فاطر : ١٨

(٢) سورة فاطر : ١٨

«اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر ينسكم وتکاثر في الأموال والأولاد ، كمثل غيث أعجب الكفار بناه ثم يهیج فتراه مصفرأ ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » .

«سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض ، أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ، ذلك فضل الله يؤتى به من يشاء والله ذو الفضل العظيم » (سورة الحديد : ٢٠ - ٢١) .

فأله تبارك وتعالى قد هيأ لصالحي عباده جنة عرضها كعرض أرضنا وما يتلوها من سماء أى من أنجم وكرات وما بينها من مسافات شاسعة وذلك في فضاء لا ينتهي خارج هذا الفضاء الذي هو سماؤنا ، أو بشكل آخر . فعلم الفلك الحديث يخبرنا انه قد اكتشفت مجموعة من جمادات الكواكب تبعد عن الأرض ٣١٠×٦ ميل . وان شعاعه لا يصل إلينا إلا بعد : (الف مليون سنة ضوئية) وملووم ان الضوء يقطع في الثانية (١٨٦٠٠٠) ميل . فيجب أن يسير الضوء أو الشعاع الصادر من تلك المجموعة بسرعة ١٨٦٠٠٠ ميل / ثانية خلال الف مليون سنة حتى يصل إلى كرتنا الأرضية .

فأله الذي قد عبأ في الشمس طاقة هائلة حتى كان الانفجار الذي قد حدث فيها قبل بضع سنين قد قدرت طاقته (طاقة الناجمة نتيجة ذلك الانفجار) بقدر طاقة مائة مليون قنبلة هيdroجينية دفعه واحدة ، قادر أن يخلق جنة عرضها كعرض السماء والأرض في ما لا ينتهي من مسافات وأبعاد خلقها بقدرتها ودبرها بتدييره .

فليس لهذا الإنسان المحدود في تفكيره وملكاته ومحاكماته أن يقيس العالم اللامتناهية بمقاييسه المقتضب المحدود ، فمن درس أبحاث اللامتناهية في الرياضيات العالية ، يعلم أن من الخطأ الفاحش قياس العالم اللامتناهية بمقاييس

عالمنا المحدود بجميع ما فيه من موانع . وان فلسفة تبني على مقاييسنا المحدودة ، فلسفه واهية ليس لها من الواقع نصيب .

• • •

وهكذا تجعلنا العلوم الحاضرة أن نعتقد بما غاب عنا مما لا يدرك بالحواس الخمس أو لا يرى بالعين . وكلما تقدمت هذه العلوم عماشية طهارة النفس والتقوى تتحقق لهذا البشر أن المادية ليست إلا نزعة شيطانية جاءت من جراء تلوث النفوس ولا حقيقة لها في عالم العلم والمكتشفات ، وان انسانية الانسان لا تتحقق إلا بالتجرد عن هذه المادية في العقيدة والسلوك والتمسك بالمقدسات والإيمان بالغيب واتباع سنة الرسول الأمين وأهل بيته المعصومين سلام الله عليهم أجمعين .



(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« أَخْسِبْتُمْ أَنَا خَلَقْنَاكُمْ عَبْدًا وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجِعُونَ »

هكذا يخاطبنا الله تعالى في حكم كتابه . فلن شاهد هذه القوانين المحكمة الرصينة في عالم الوجود : عالم الذرة ، وعالم الجماد وعالم النبات وعالم الحيوان وعالم الانسان ، في الفيزياء والكيمياء والفلك العالى ، وفي علم الأحياء والمستحاثات (المتحجرات) ، يقطع بأن الذى ربها ونظمها لا يلهو ولا يلعب . وهو القائل : « لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدننا ان كنا فاعلين » (٢) . وفي آية أخرى : « وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَا يَعْبُدُنَّ » (٣) . فإذا تتبع الانسان حياته النفسية في هذه الدنيا وما عليه نفسه من مساوىٌ أخلاقيٌّ : حسد وبغضه وحقد ، ونميمة وغيبة ، ظلم وبغي وبطش بغير حق ، ثم ما يراه من حيف وظلم وقسوة وجفاء وبهتان وغيرها من آخرين ، وما يرى من تشااجر وتطاحن لأمور مادية سخيفة أو لجشع بين الأمم ، وما يرى من ظلم واستهان وغبط للحقوق بين الدول ، وما يشاهد من حروب لا تيقى ولا تذر ، يقطع بأن الله الذى خلق هذا العالم

(١) نشر هذا البحث « فلسفة الماء » في رسالة مستقلة من قبل « مكتب منابع الثقافة الاسلامية » بكتربلاه .

وقد رأيت ، من تقديرى وشكري للمكتب المذكور ، أن أضيف شيئاً إلى البحث وأجعله من مواضيع الجزء الثالث لكتاب : « التكامل في الاسلام » .

(٢) سورة الأنبياء : ١٧

(٣) سورة السخان : ٣٩ ، ٤٠

المادى من سماء وأرض ، وما خلق فيه من جماد وحيوان ، وما أودع فيه من كمال ، ما بعده كمال ، لا يريد بهذا الانسان إلا (الكمال) ...

ذلك لأنه يقطع بأن الكمال على الإطلاق وهو الله تعالى لا يصدر منه إلا الكمال ، ويقطع بأن البشر غير كامل في هذه الدنيا من النواحي النفسية والأخلاقية والاجتماعية . وهو في هذه الحالة - إلا من شذ فصار يتكلّم على ما رسمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - أشبه بالحيوانات الضاربة ، يضر ببعضه البعض ، ان وجد الى ذلك سبيلا . يقطع بأن الله الذي أكمل كل شيء من مخلوقاته سوف يجعل لهذا الانسان عالما آخر كله اطمئنان وخلود وكله حبور وسرور ، عالما فيه « ما تشتت به الأنفس وتلذ الأعين وأتم فيها خالدون »^(١) ، عالما لا تطاحن فيه ولا تشاجر ولا تتجاوز ولا اعتداء ، « وزعنما في صدورهم من غل » ، تجرى من تحتم الأنهر ، وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنتهدى لو لا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسائل ربنا بالحق ، ونودوا أن تلكم الجنة ، أو رثتموها بما كنتم تعملون «^(٢) ، عالما يقول عنه تعالى : « وزعنما ما في صدورهم من غل » ، أخوانا على سرر متقابلين «^(٣) .

عالماً ليس فيه ما يلوث النفس الإنسانية من ميسير (قار) ولحم خنزير وفسق وبغور وخرمة تذهب بالعقل بل « يطاف عليهم بكأس من معين »^(٤) ، لا فيها غول «^(٥) ولا هم عنها ينذرون »^(٦) ، وعندهم قاصرات

(١) سورة الزخرف : ٧١

(٢) سورة الأعراف : ٤٣

(٣) سورة الحجر : ٤٦

(٤) أي من شراب معين أو نهر معين أي ظاهر للعيون أو نابع من العيون .

(٥) فساد كما في خر الدنيا ، أي ليس فيها غائمة تقتل العقل ، واغاثة أي أخذته

غبلة أو خلسة وهو خافل .

(٦) يسكون : من أزف الشارب أي ذهب [عقله] .

الطرف ^(١) عين ^(٢) ، كأنهنَّ يَيْضِنُونَ مَكْسُونَ ^(٣) .

عَلَمًا فِيهِ حَيَاةٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ رَفِيعَةٌ ، لَا تُشَبِّهُ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الْحَيَاةِ الْمُلْوَثَةِ
بِالآثَامِ وَالْأَجْرَامِ وَالإِحْنِ وَالْبَغْضَاءِ وَالتَّطَاحِنِ وَالتَّشَاجِرِ .

عَلَمًا يَقُولُ فِيهِ الْفَائِزُونَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَا الْحَزَنَ ، إِنَّ رَبَّنَا
لَغَفُورٌ شَكُورٌ ، الَّذِي أَحْلَنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ ، لَا يَمْسِنَا فِيهَا نَصْبٌ ^(٤) .
وَلَا يَمْسِنَا فِيهَا لَغْوَبٌ ^(٥) » ^(٦) .

فَلَا حَزَنٌ وَلَا تَعْبٌ وَلَا لَغْوَبٌ فِي ذَلِكَ الْعَالَمِ ، بَلْ كَاهِ طَمَانِيَّةُ
وَصَفَاءُ وَرَاحَةٌ لَا تَقَاسُ بِالرَّاحَةِ الَّتِي يَنْهَا الْفَرَدُ بِصُورَةٍ مُؤْقَتَةٍ وَغَيْرُ كَاملِهِ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا . وَهَذِهِ مِنْ صَفَاتِ ذَلِكَ الْعَالَمِ الْقَدِيسِيِّ ، الْمَنْزَهُ مِنْ كُلِّ
مَا يَشْئُنَ النَّفْسُ أَوْ يَزْجُبُهَا أَوْ يَنْفَضُّ رَاحْتَهَا : « تَحْيِتُمْ فِيهَا سَلَامًا وَآخِرَ دُعَواهُمْ
أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » ^(٧) .

هَلْ تَرَى فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فَرْدًا رَاضِيًّا مِنْ حَيَاةِ الدُّنْيَا ؟ .. لَا مِنْ حَيْثُ
مَا مِنْ ^١اللهُ عَلَيْهِ مِنْ نَعْمٍ ، فَهُنَّ أَعْظَمُ مَا يَسْتَحْقُهُ هَذَا الْإِنْسَانُ بِمَرَاتِبِ لَا
تَعْدُ وَدَرَجَاتٌ لَا تُحْصِي : « وَانْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوها ، إِنَّ اللَّهَ
لَغَفُورٌ رَحِيمٌ » ^(٨) ، وَهِيَ بِعِقْدَارِ مِنَ الْوَفُورِ وَالكَثْرَةِ بِحِيثُ لَا يَقُولُ
الْإِنْسَانُ عَلَى أَنْ يَؤْدِي تَجَاهِهَا مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ شُكْرٍ مِمَّا بَلَغَ مِنْ مَرَاتِبِ
الْكَيْلِ . وَلَكِنْ مِنْ حَيْثُ مَا يَشْعُرُ بِهِ مِنْ حَيَاةٍ مُلْؤُهَا الْمَشَاكِلَ : مَشَاكِلَ

(١) أي قصرن نظرهن على أزواejن ، هن قاصرات العيون .

(٢) عين : أي واسعات العيون .

(٣) سورة الصافات : ٤٥ — ٤٩

(٤) نصب : تعب .

(٥) لغوب : اعياء من التعب أو كلام .

(٦) سورة فاطر : ٣٥

(٧) سورة يونس : ١٠

(٨) سورة النحل : ١٨

اجتماعية ، مشاكل خلقية ، مشاكل عائلية ، مشاكل مرضية ، وما هنالك من نوائب وكوارث ... فهو يشكّو طوال حياته مشاكل كثيرة . يود لو كانت هنالك حياة أخرى خالية عن هذه المشاكل وهذه النواقص وهذه النوائب وهذه التأثيرات ! ..

نعم ، كان حتماً في استطاعة الله تبارك وتعالى أن يجعل الحياة الدنيا ، هذه التي نعيشها ، حياة كاملة لا كدر فيها ولا أحزان . لا تطاحن فيها ولا نقصان . إلا أن الله تبارك وتعالى أراد بهذا الإنسان أن يتكمّل في هذه الدنيا نفسياً ، وأن يميز الخبيث من الطيب (مع علمه بهما قبلًا) اماماً للحجّة : « ليهلك من هلك عن يينة ، ويحيي من حي عن يينة » ، ليذهب هذا الإنسان بعد هذه التصفية الحقيقية ، (بجهود يبذلها وبجدارة واقعية) إلى عالم الخلود ، حيث الصفاء والسرور .

« فالناس مجذبون بأعمالهم ، إن خيراً نغير ، وإن شرًا فشر » ، « فريق في الجنة وفريق في السعير ^(١) » . انه تعالى يقول : إن الساعة أكاد أخفّيها لتجزى كل نفس بما تسعى . فلا يصدقنك عنها من لا يؤمّن بها وابتعد هو اه ، فتريدي ^(٢) .

* * *

ثم إن المفكّر في مخلوقات الله تعالى وما صدر عن الله من خوارق ، وأعني بها هذه القوانين الفيزيائية التي تهرّ العقول ، يقطع بأن الكمال على الاطلاق وهو الله تعالى جل أن يلهو : يخلق هذا الإنسان ، بهذه الكثرة المتکاثرة ، ليفسد في الأرض ويلوثها ويكتسّي بهذا وليس وراء ذلك هدف ولا غاية . وهو القائل : « أَفَنَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ

(١) سورة الشورى :

(٢) سورة طه :

في الأرض ، أم نجعل المتقين كالفجار^(١) . « ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها ، وادعوه خوفاً وطمعاً ، ان رحمة الله قريب من المحسنين^(٢) . يقطع بأن هذا طو و لعب و جل أن يلهو ربنا سبحانه مع قوله تعالى : « وذر الذين أخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا » .

يقطع من تفهم سنة السكال و شاهدها بصورة جلية واضحة في كل زاوية من زوايا هذا الكون : أن هذه الدنيا دار اختبار وامتحان : « الدنيا دار عمل ولا حساب ، والآخرة دار حساب ولا عمل » .

يقطع بأن الدنيا مدرسة يتكامل فيها حسب دساتير الانبياء والأوصياء من بعدهم : عليهم السلام .

يقطع أن سنة السكال توجب أن تكون هناك ، بعد هذه الحياة الملوثة ! حياة التهيو والتزود : « الدنيا مزرعة الآخرة » حياة خالدة ، لا كدر فيها ولا اختبار ولا ابتلاء . حياة فيها : « ما لا عين رأت أو أذن سمعت أو خطر على قلب بشر ! » .

يقطع هذا الانسان الذي يرى كمال الله تعالى متجلياً في كل ما خلق من مخلوقات : أن وراء هذه الحياة الدنيا المضطربة : حياة البغي والجور : جنة « عرضها كعرض السماء والارض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله » ، جنة يصفها على عليه الصلاة والسلام ، بقوله :

« فلو رميتك بيصر قلبك نحو ما يوصف لك منها اعزفت^(٣) نفسك من بدائع ما أخرج إلى الدنيا من شهواتها ولذاتها وزخارف مناظرها ، ولذهلت بالتفكير في اصطدام أشجار^(٤) غابت عروقها في كثبان^(٥) المسك على

(١) سورة ص : ٢٨

(٢) سورة الأنعام : ٦٩

(٣) عزفت : زهدت .

(٤) تضارب أوراقها بالنسيم بحيث يسمع لها صوت .

(٥) جسم كثيب وهو التل .

سواحل أنهارها . وفي تعليق كيابس اللؤلؤ الرطب في عسائل يجدها^(١) ، وأفناها^(٢) ، وطلوع تلك التمار مختلفة في أغلف أكامها^(٣) ، تجني من غير تكلف ، فتأتي على مُنْيَةٍ مُجتنبها ، ويطاف على نزالها في أفنية قصورها بالأعمال المصفقة^(٤) والخمور المرروقة^(٥) ، قوم لم تزل الكرامة تمادي بهم حتى حلو دار القرار وأمنوا نقلة الأسفار » .

« فلو شغلت قلبك أيها المستمع بالوصول إلى ما يهجم عليك من تلك المناظر المؤنة^(٦) لزهقت^(٧) نفسك شوفاً إليها ، ولتحملت من مجلسى هذا إلى بجاورة أهل القبور استعجالاً بها . جعلنا الله وإياكم من سعي (بقلبه) إلى منازل الأبرار برحمته » .

★ ★ ★

إن الله تعالى يقول : « لقد خلقنا الإنسان في كبد » . والكبد معناه التعب والشدة ، إذ يكبد الإنسان الشدائيد منذ احتباسه في ضيق الرحم إلى الموت وما بعده ، إن لم يظهر ولم يكمل في دنياه : عالم التكامل والتزوّد بالقوى فلا بد لهذا الإنسان أن يجهد نفسه وأن يتغلب على شهواته وأن يخالف هوئ نفسه ، كي ينال السعادة الأبدية : « في جنات وَنَهَرَ ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر »^(٨) .

وهو القائل أيضاً : « يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً

(١) جم عسلاج وعسلوج وهو ما أخضر ولازن من قضبان الشجر .

(٢) جم فتن وهو الغصن .

(٣) أكام جم كم (بكسر السكاف) وهو وعاء الطلع وغطاء النور .

(٤) المصفاة .

(٥) المرروقة : المصفاة .

(٦) المؤنة : المحببة .

(٧) زهقت : خرجت .

(٨) سورة القمر : ٥٤ —

فلاقيه^(١) . والكمدح معناه بذل أقصى مراتب الجهد . فالدنيا دار جهد وعناه وعمل متواصل لنيل درجات رفيعة والبلوغ إلى راحة أبدية سرمدية : « لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين »^(٢) .

هذه هي فلسفة الحياة الحقة على وجه العموم . فلا تبديل لسنة الله وما قلن وقرر : « ولن تجد لسنة الله تبديلاً »^(٣) . وإن ما قرره الله تعالى حق ، تعلوه رحمته ، « وسعت رحمته كل شيء » يعترف بذلك العقلُ المتكامل والنفس غير الملوثة .

نعم ، لم يخلق هذا الإنسان عبثاً : « وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما باطلاً . ذلك ظن الذين كفروا ، فويل للذين كفروا من النار ، أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالفسدين في الأرض ، أم نجعل المستقين كالفجار . كتاب أنزناه مبارك ليذرروا آياته وليتذكر أولوا الألباب » .
(سورة ص : ٢٩)

فعدم القيام بما أمر الله تعالى من واجبات الشكر : من اتفاق وبذل واهتمام باطعام المساكين « ولا تناضرون على طعام المسكين »^(٤) ، وبر الوالدين وصلة الأرحام وتواضع للفقراء والبؤساء والقيام بمحاجتهم وحواجئ سائر الناس ، وصلة وصوم و Zakat وحج وحج وأمر بالمعروف ، ونهي عن المنكر وارشاد الناس إلى معالم الدين ، كل ذلك تتيجهه الكفر والجحود . فإذا حل الكفر اضطررت المحاكمات المنطقية الصحيحة بشأن فلسفة الحياة وانسحبت نتيجة لذلك العقل الذي يعبد به الرحمن ويكتسب به الجنان . وصار يقول هذا الفرد المتردى : ليست هنالك غاية من خلق هذا الكون .

(١) سورة الانشقاق : ٦

(٢) سورة الحجر : ٤٨

(٣) سورة الفتح : ٢٣

(٤) سورة الفجر : ١٨

ويقّتهم من لا يوافقه في الرأي : بالرجعية ، أو تكون هذه الكلمة : (الرجعية) أقوى دليلاً ! لرأيه ، دون أن يجعل المتنطق مجالاً للتحليل والتحقيق .

حتى لاني سمعت من كونه المدنية المادية الحاضرة ، قبل حوالي ٣٢ عاماً وهو على فراش المرض ، سمعته يقول : ما هذا النظام الأهوج في هذا الكون ؟ ماذا التبليل ، وما هذا التسبيب ؟ وكان يضم العالم بالإخلاص والتبعثر وعدم وجود حكمة تربط ما في الكون بعضه ببعض ، أو نظام تنظيم بوجبه أجزاء الكون بعضها مع بعض .

إنها رشحات نفسه الجاحدة لأنعم الله الكثيرة ، المارةة عما حده الله وسننه في جميع مجالات الحياة ...

انه لا يجرؤ باتهام نفسه البهيمية ولا يعتبر بما أصابه من مرض وأوجاع كي يرجع عن طيشه وغيه ، لكنه لذنب كثيرة تلوثت بها نفسه أ Rossi جرثومة لا يفید معها أى منبه أو ارشاد أو اصلاح : « كلا ، بل وإن على قلوبهم ما كانوا يكسبون »^(١) . ونستجير بالله من هذه المرحلة التي ما لها النار ، لا محالة .

« ويوم يعرض الدين كفروا على النار ، أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ، فال يوم تُجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون »^(٢) .

انه يسلى نفسه المتسافلة بقوله : « إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونجيا وما نحن ببعوثين » . وبقوله : « ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونجيا وما يملكون إلا الدهر وما لهم بذلك من علم ، ان هم إلا يظنون » . حقاً ، انهم

(١) سورة المطففين : ١٤

(٢) سورة الأحقاف : ٢٠

• 10 •

وأظنك قد فكرت كثيراً : لماذا هذه الأمراض في هذه الدنيا ؟ ولم
هذا الفقر في بعض الأوساط أو بعض الأشخاص بصورة مؤقتة أو
دائمة ؟ .. ولماذا هذه الإبتلاءات والنوايب ؟ لماذا هذه الحروب التي لا
تبقي ولا تذر ؟ لماذا هذه الحرارة في الجو الى درجة لا يستريح معها الفقير
لعدم وجود وسائل لديه ، ولماذا هذه البرودة في الشتاء الى درجة يعجز
عن مقاومتها البائس المسكين ؟ أليس الله بقدره أن يجعل هذه الارض
فردوساً ينعم فيه الانسان فيرتفع فيه ويمرح بهناء ؟

فإنك بأسئلتك هذه قد شعرت أنه لا بد بعد هذه الدنيا الملوثة عالم آخر كله صفاء وكمال . ولعلك تصل إلى هذه النتيجة أن ليس في هذه الحياة الدنيا من نقص من جانب الله تعالى ، وإنما سخر لهذا الإنسان كل شيء على حد قوله تعالى : « ألم تر أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير »^(١) . وما يراه هذا الإنسان نقصا إنما هي مواد امتحانية من حليم النفس يريد الله أن يختبر بها عباده في النواب والكوارث . يختبر صبرهم في النواب^(٢) فيظهر لهم بها ، ويختبر كذلك درجة شكرهم تجاه النعم من انفاق وإيشار كي ينال كل فرد في الآخرة درجة تناسب وعمله : « لهم درجات عند الله والله بما تعملون بصير » . (آل عمران : ١٥٧) . على أن هناك مسارات وأفراحًا مشروعة لا تعد ولا تحصى . لا يقوى

(١) سورة لقمان :

(٢) ولا يلبي بذكر هذا الحديث : « من صبر على خلق امرأة سيدة الخلق واحتفظ في ذلك الأجر ، أعطاه الله ثواب الشاكرين » .

الانسان على أن يقوم باداء شكر جزء ضئيل منها : « وقليل من عبادى الشكور ». .

فإذا كنت أنت مع ما فيك من نعافص كثيرة ، ترى ضرورة حياة كاملة مستكملة للشرائط ، متوفرة فيها وسائل الراحة ، يكفي بها المؤمن تجاه صبره وشكره واجتيازه الموارد الإمتحانية بطاعة و اختيار ، فكيف بالله الذى : « خلقك فرسواك فعدلك ، في أى صورة ما شاء ربك ». .
سورة الإنفطار : ٧ .

إن الله قد جعل تلك الحياة السعيدة وأعني بها الحياة الآخرة المستكملة لشرائط الراحة جزاءً موفوراً لصالحي عباده ، أولئك الذين نجحوا في امتحاناتهم الدنيوية وجاهدوا في تركيبة نفوسهم وتطهيرها من الدنس وسعوا للتکفير عن ذنوبهم لتسير نفوسهم نحو أوج السکال .

انه تعالى يقول : « تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قادر ، الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أياكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور ». . فيعرفنا الله تبارك وتعالى أن الغاية من إيجادنا بعد أن لم نسكن شيئاً ومكثنا في الحياة الدنيا إنما هي للإمتحان والاختبار ومعرفته تعالى ولكل ينال كل منا بعد الموت درجة يستحقها نتيجة عمله . وهو القائل « وتنزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الألباب » وفي آية أخرى : « ساقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض ، أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ». .

فقد جاء في الحديث : حفت الجنة بالمسكاره وحافت النار بالشهوات . وفي حديث آخر : « لا يزال لهم والغم بالمؤمن حتى لا يدع له ذنبا ». . وفي حديث عن أبي عبدالله عليه السلام : « كلما ازداد العبد إيماناً ازداد ضيقاً في معيشته » ، وكذلك عن أبي جعفر (ع) : « إنما يبتلى المؤمن في الدنيا على قدر دينه ». . وكذلك عن أبي عبدالله عليه السلام : « المؤمن

لا يمضي عليه أربعون ليلة إلا وعرض له أمر يحزنه **ويذكر به** .
 وفي حديث آخر : « إن المؤمن لو كان في جحر ضب لسلط الله عليه من يؤذيه » . وفي حديث آخر : « إن الله ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كلياً يتعاهد الطبيب المريض بالدواء » . وفي حديث آخر : « إن الله إذا أحب عبداً ابتلاه ليسمع تضرعه » . كل ذلك ليظهر الله تعالى عبده الآثم مما علق به من دنس ورجس كي يذهب من هذه الدنيا طاهراً نقياً لا آثم عليه . ونذكر تأييداً لهذه الحقيقة هذين الحديثين :

فعن الصادق (ع) . قال : قال رسول الله (ص) : « إن الله تعالى يقول : وعزتي وجلالي لا أخرج عبداً من الدنيا وأنا أريد أن أرحمه حتى استوفي منه كل خطيئة عملها : أما بسقمه في جسده ، أو بضيق في رزقه وأما بخوف في دنياه ، فإن بقيت عليه بقية شدّدت عليه عند الموت ، حتى يأتي ولا ذنب عليه فأدخله الجنة » .

وعن الصادق عليه السلام أيضاً : قال النبي (ص) : قال الله تعالى : « وعزتي وجلالي لا أخرج عبداً من الدنيا وأنا أريد أن أعزبه حتى أوفيه كل حسنة عملها ، أما بسعة في رزقه أو بصحبة في جسمه وأما بأمن في دنياه ، فإن بقيت له بقية هو نت عليه الموت حتى يأتي ولا حسنة له ، فأخذله النار » . وهذا مصير من أثم الله عليه الحجة مرات ، وأغدق عليه من النعم ما لا يُحصى فلم يفده كل ذلك وتمادي في طيشه وغشه وظلمه وبغيه ، فأمسى جرثومه فساد لا تصلحه ولا تزيكه إلا النار !

وفي حديث آخر : « إذا أراد الله بعد خيراً ، فأذنب ذنباً أتبعه بنتقدة وذكرة الاستغفار ، وإذا أراد بعد شرراً فأذنب ذنباً أتبعه بنتقدة لينسيه الاستغفار » . وقد يتنا سبب ذلك . يقول الله تعالى : « وذرني والماكذبين أولى النعمة وأمّ لهم قليلاً » . (سورة المرمل : ١٠) .

وقد روى علي بن ابراهيم عن هارون بن مسلم عن مساعدة بن صدقه عن

أبي عبدالله (ع) قال : قال رسول الله يوماً ل أصحابه « ملعون كل مال لا يُذكر ، ملعون كل جسد لا يُذكر ولو في كل أربعين يوماً مرتة ، فقيل : يا رسول الله : أما زكاة المال فقد عرفناها ، فما زكاة الأجساد ؟ فقال لهم : أن تصاب بأفة » قال : فتغيرت وجوه الذين سمعوا ذلك منه ، فلما رأهم قد تغيرت أنواعهم ، قال لهم : أتدرون ما عنيت بقولي ؟ قالوا لا ، يا رسول الله ، قال : بلى ، الرجل يخಡش الخدشة وينكب النكبة ويقد القدة ويمرض المرضة ويشارك الشوككة وما أشبه هذا ، حتى ذكر في حديثه احتلاج العين » .

وعن أبي عبدالله (ع) قال : « في كتاب على عليه السلام : إن أشد الناس بلاء النبويون ثم الوصيون ، ثم الأمثل فأالمثل ، وإنما يبتلي المؤمن على قدر أعماله الحسنة ، فمن صاح دينه وحسن عمله اشتد بلاؤه ، وذلك أن الله عز وجل لم يجعل الدنيا ثواباً لمؤمن ولا عقوبة لكافر . ومن سخف دينه وضعف عمله قل بلاؤه ، وإن البلاء أمرع إلى المؤمن التي من المطر إلى قرار الأرض » .

وفي حديث آخر : « من صفت له دنياه فاتتهموه في دينه » . كل ذلك يدل أن لا بد من ابتلاء ولا بد من اجتياز مراحل هذا الاختبار الإلهي العام ، وهذا لا يتم إلا بنقص في العيش والصحة والهناه والأولاد والأنفس والثارات إلى ما هنالك . فإنه تعالى يقول : « ولنلو نكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثارات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا : أنا لله وأنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهدون » . (سورة البقرة : ١٥٧) . ولا يكون أكمل هذا القص الامتحان إلا بآخرة سعيدة « وجنّة عرضها السماوات والارض أعدت للمتقين » .

وهكذا يعتبر القرآن الدنيا متاع الغرور بقوله : « وما الحياة الدنيا إلا

متع الغرور» . وبقوله : « بل تؤثرون الحياة الدنيا ، والآخرة خير وأبقى » . وفي الحديث : « الدنيا والآخرة ضرثان » .

ولا بأس بذكر الأحاديث الآتية انزداد إيماناً ويقيناً بالآخرة : ففي حديث : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » . وفي آخر : « مرارة الدنيا حلاوة الآخرة ، حلاوة الدنيا مرارة الآخرة » . ويراد بهذه المرارة تلك التي تظهر لك من ذنوبك وتسكرف بها عن سيناتك . ويراد بالحلاوة تلك التي تأتيك من مورد غير مشروع وبشكل غير شرعى . إنه تعالى يقول : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطبيات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا ، خالصة يوم القيمة » . (سورة الأعراف : ٣١) . فالدنيا دار التصفية ، ولا تصفية إلا باختبار ولا اختبار لهذه النفس الإنسانية إلا بالابلاء ، على حد قوله تعالى : « ونبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم » . (سورة محمد : ٣١) .

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تقص علينا ما كان من اختبار الماضين وأمتحانهم من جانب الله تعالى : منها قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تزاله أيديك ورماحكم ، ليعلم الله من يخافه بالغيب ، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم » . (سورة المائدة : ٩٧) . ومعنى ذلك أن الله يمتحن عباده بأن يحيى لهم ما يتمنون من اصطياده في وقت يحرم عليهم الصيد ، أى في حالة الإحرام . ذلك لأن الصيد حرام مع الإحرام . فالله تعالى يريد أن يعلم (وهو العالم بما سيكون) ، بل يريد أن يعلم الإنسان شخصه درجة نجاحه في هذا الاختبار الدنيوي أو الاختبار العالمي العام ، كي يوقن بدرجة فضل الله عليه عندما يُعدّق عليه من عميم نعمه وعظيم رفده فيفقه إلى توبة خالصه ، ليدخله بها الجنة برحمته ، فسبحانه من رحمان رحيم « غافر الذنب وقابل التوب ، شديد العقاب ، ذى الطول » . لا إله إلا هو إليه المصير » . (سورة المؤمن : ٣) .

وعز السجاد زين العابدين (ع) : (بكل ذلك يصلح شأنهم ويلو
أخبارهم وينظر كيف هم في أوقات طاعته ومنازل فروضه وموقع أحکامه ..
ليجزى الذين أساوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) .

وقد يبلغ ضعف النفس في بعض الأفراد مرتبة يرب بسيبها عن
مواجهة مشاكل الحياة بكأس من المخدر ، ظنا منه أنه يستريح بذلك من
مشاكل الحياة وما يكابده من عناء ، فتتسافل نفسه ويقع في مهالك
لا تقاد بمشاكله من قبل ، ويمسي بهيمة من البهائم ، بعيداً عن رحمة ربها ،
آثما ، ملوث نفسه بلوث الطيش والغرور .

وقد فاته أن الاسلام يذكره الهروب من الواقع . انه دين مواجهة
وجلادة ، دين غلبة وجلد وجهاد . وأعظم الجهاد هو جهاد هذه النفس
الأماراة بالسوء . انه تعالى يقول : « إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة
والبغضاء في الخمر والميسر . ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أتم
منتهون » . ويقول الرسول (ص) : « اجتنبوا الخمر ، فهو أم الكبائر » .
وفي حديث آخر عن النبي (ص) : « والذى يعشى بالحق نبياً : ان شارب
الخمر يموت عطشاانا وينادى واعطشاه ألف سنة ، فيؤتى بما كمله ليشوى
الوجوه ، بئس الشراب ، فينضج به وجهه وتتناثر أسنانه وعيناه في ذلك
الإياء » .

وقد يفتر هذا الانسان من ضعف ايمانه بالله تعالى - وان رحمته وسعت
كل شيء - فيعمد عند تراكم المصائب عليه الى الانتحار . والمؤمن لا ينتحر ،
معتقداً أن ما يصيبه من كوارث إنما هو لتركيته وتطهيره . انه يقول ، كلما
أصيب بمحنة : « أنا لله وآفا إليه راجعون » ، ويعلم أن مآل كل أمر
إلى الله تعالى . ولا يعبأ براحة هذه الدنيا الموقته ان سلبت منه برهة من
الزمن بغية الاختبار والتطهير . ولذلك يقع في كل سنة في أوساط الغرب

(من شرقية وغربية) حوادث الإنتحار . بعشرات الآلاف ، رغم ما يتشدق به الغربي من تربة الإرادة : (Volonté) ودراسات عميقة في التربية . تحدث في أمريكا في كل دقيقتين حادثة إنتحار ويحتل في كل ٣٠ ثانية شخص بمرض عقلي ، ولا تصل عن عدد الجرائم التي تحدث في كل ثانية . وال مجرمون جلهم من حملة الشهادات !؟ كل ذلك ، لضعف الإيمان بالله وعدم الاعتقاد بنعيم الآخرة بعد تحمل شدائد الدنيا . كل ذلك لإخفاق هذا التوجيه المادي في التربية . تربية لا تعمل لربط الفرد بعوالم الآخرة .

لقد خلقنا للإختبار والإمتحان ، ولا بد من اختيار هذه المراحل الامتحانية بصبر وأفأة ، وليس لأحد أن يفر من هذا الامتحان إلا هو وهو القائل « الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أياكم أحسن عملاً » . (سورة الملك : ٢٠) .

فالإنسان لم يخلق سدى ، يفسد في الأرض فلا حساب ولا كتاب ، بل لا بد له من أن يقطع مراحل التكامل النفسي ، كما تقطع بقية الموجودات مراحلها التكاملية ، كل بحسبه ، وعلى ما أقره الله تعالى تفضلا منه ورحمة . وهو القائل : « أيا حسب الإنسان أن يترك سدى . ألم يك نطفة من مني يمني ، ثم كان علة خلق فسوى ، فعل منه الزوجين الذكر والأثني ، أليس ذلك بقدر على أن يحيي الموتى » (١) .

يقول على (ع) . « وأعلموا أنه ما من طاعة لله شيء إلا ويأتني في كره ، وما من معصية لله شيء إلا ويأتي في شهوة ، فرحم الله رجلاً نزع شهوته ، وقع هو نفسه . لأن هذه النفس أبعد شيء منزعاً . لا تزال تنزع إلى معصية في هوئي ، وأعلموا أن المؤمن لا يُمسى ولا يصبح إلا ونفسه ظنون عنده ، لا يزال زارياً عليها ومستريحاً بها ، فـكـوـنـوا كـالـسـابـقـينـ

أمامكم والماضين منْ . قبلكم ، قوضوا الدنيا تقويض الراحل وطهووها طيَّ المنازل » .

وهكذا يؤدّبنا الإمام الرابع على بن الحسين عليهما السلام ، بقوله في دعاء له : « إلهي لم أعصك حين عصيتك وأنا بربتكم جاحد . ولا بأمرك مستخف ، ولا لعقوبتك متعرض ، ولا بوعيتك متهاون ، ولكن خططيه عرضت وسوأت لي نفسي وغلبني هواي ، وأعانتي عليهما شقوتي . فالآن من عذابك مَن يستنقذني ، وبجميل مَن أتصل إن أنت قطعت جبالك عنِّي . ولو لا ما أرجو من كرمك وسعة رحمتك ومنعك أيّاً عن القنوط لقُنطت ، فهُبْ لي من لدنك رحمة ، إنك أنت الوهاب . فوعزتك لو انتحرتى ما برحـت من بابك ولا كفـفت عن تملـقك . إلى مَن يذهب العبد إلا إلى مولاه ، وإلى من يلتـجـيء المخلوق إلا إلى خالقه » .

أوَّلـ ترى أن الله ، وهو أرحم الراحـمـين ، وهو الغفور الوـدود ، أوَّـ ترى أن الله القـائل : « إن الله بالناس لرؤوف رـحـيم » والـقـائل : « قـل لـمـ ما في السـمـاـوات والأـرـض ، قـل الله ، كـتـبـ على نـفـسـه الرـحـمة ليـجـمعـنـكـ إـلـيـ يومـ الـقيـامـة لاـ رـيـبـ فـيـه » . لاـ يـرـيدـ هـذـاـ الـإـنـسـانـ حـيـاةـ سـعـيـدةـ وـادـعـةـ تـجـاهـ مـجـاهـدـتـهـ فـيـ الدـنـيـاـ ؟ـ فـانـ عـظـيمـ رـحـمـتـهـ وـكـالـ لـطـفـهـ يـوـجـبـ جـانـ أـنـ يـوـجـدـ عـالـمـ آـخـرـ :ـ عـالـمـ سـرـمـدـيـاـ أـبـدـيـاـ فـيـ غـايـةـ الـكـمالـ .ـ يـخـلـدـ فـيـهـ هـذـاـ الـإـنـسـانـ جـزـاءـ اـصـبـرـهـ وـشـكـرـهـ وـأـعـمـالـهـ الصـالـحـاتـ ،ـ وـعـبـادـتـهـ لـرـبـهـ فـيـ هـذـهـ الدـنـيـاـ وـلـوـ بـعـدـ عـقـوبـةـ وـتـطـهـيرـ .ـ وـيـظـهـرـ مـنـ الـآـيـةـ الـمـتـقـدـمـةـ :ـ أـنـ اللهـ تـعـالـىـ بـقـوـلـهـ :ـ «ـ كـتـبـ علىـ نـفـسـهـ الرـحـمةـ»ـ قـدـ أـوـجـبـ عـلـيـ نـفـسـهـ اـيجـادـ عـالـمـ آـخـرـ كـاـهـ هـنـاءـ وـدـعـةـ وـخـلـوـدـ مـاـ بـعـدـهـ مـوـتـ :ـ «ـ يـاـ عـبـادـ ،ـ لـاـ خـوـفـ عـلـيـكـ الـيـوـمـ وـلـاـ أـتـمـ تـخـزـنـوـنـ ،ـ الـذـيـنـ آـمـنـوـاـ بـآـيـاتـنـاـ وـكـانـوـاـ مـسـلـمـيـنـ ،ـ أـدـخـلـوـاـ الـجـنـةـ أـتـمـ وـأـزـوـاجـكـ تـخـبـرـوـنـ ،ـ

يُطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب ، وفيها ما تشتته الأنفس ،
وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون »^(١) .

★ ★ *

ان الانسان ليعتقد بصورة فطرية : « إن كاتب من لم يلوث نفسه بالموبقات والمدناسات ، أن وراء هذا العالم الدنوي عالم آخر ، يقتضى الله تعالى فيه من الظالمين ، ويُثيب الصالحين ، لذلك يقول سُقراط لתלמידه حين يقدم اليه السم : « انى ذاهب حيث يوجئني الله ، وانى ذاهب الى عالم سرمدى آخر ، لا تحزنوا على » . فيتناول السم بكل ارتياح لشدة يقينه . كيف لا يكون كذلك ؟ وهو الذى كان يقول بوحدانية الله تعالى وعظم لطفه . كان يقول : « ان الله أزلى أبدى غير مقتا » ، سميح ، رقيب ، بصير ، مدبر حكيم » .

ولكن ان تلوثت هذه النفس الانسانية وأظلمت أمسى الفرد قليل الاعتقاد بالمعاد وما سيكون بعد الموت من سؤال وجواب وثواب وعقاب . فبمقدار ظلمات النفس يزول هذا الاعتقاد وقد يتعدم ، فيعزى هذا المتسائل الاعتقاد بالمعاد والإيمان بالعوالم التي ستكون بعد الموت لا محالة ، الى ضعف النفس وعدم تمكّنها من المكافحة والمقاومة ، وقد يصف ذلك به (أفيون الشعوب) ، ويعتبر ذلك تسليمة للعجز المسكين ، هذا ما يسوله له شيطانه ، حتى يجعله لا يفكّر في آخرته ، فيرتكب ما شاء كيفما شاء : « ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين ، وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون » . (سورة الزخرف : ٣٦) .

وقد تقوى هذه النظرية الخاطئة : أى عدم الاعتقاد بما بعد الموت ،

عند الماديين العوام^١ الى درجة أنهم يسندونها الى العلم والعلم كله منه براء .
كيف ومتى تمكن العلم : هذا العلم المادي الذى يدرس في جامعات العالم
أن يتوصل الى ما وراء الطبيعة وعوالم لا تُبصر بالآلات والأدوات ولا
تُستقصى بمعادلات وقوانين حتى يحق له أن يقول : بأزلية المادة ونفي
الخالق ؟!

فالإنسان الذى قد انفتحت بصائره لصفاء نفسه ولأعمال صالحة قد قام
بها وعلى رأسها : البر بالوالدين وصلة الرحم ، حتى من حملة شهادة
الدكتوراه ، ليوقن : أن الله الذى أودع السكال في كل جزء من أجزاء
هذا العالم ، من الذرة الى الملائكة ، في عالم المادة وفي عالم القوى والأرواح
وقد ربط بعضها ببعض ربطاً دقيقاً متقدناً بخواص ودستير متقدنة وقوانين
رياضية رصينة : « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » . سوف يكمل
هذه الحياة الدنيوية : الناقصة من جهات شتى : نقصان في السكال النفسي
نقصان في النواحي الأخلاقية ، (من حيث التطبيق) ، نقصان في النواحي
الاقتصادية ، (من حيث التطبيق أيضاً) ، نقصان في النواحي السياسية
(ذلك لأن الإسلام دين ودولة) ، نقصان في الروابط الدولية والانسانية :
« فأذلها الشيطان عنها فآخر جهم ما كانا فيه . وقلنا اهبطوا ببعضكم لبعض
عدوّ ، وللبعض في الأرض مستقر ومتاع الى حين^(٢) » ، نقصان في النواحي
الصحية ، نقصان في الطمأنينة والراحة الفكرية ، (حتى بين بعض

(١) إنما قلت : الماديين العوام : ذلك لأن المادي (في عقيدته !) إن لم يكن قد درس الرياضيات العالمية والفيزياء العالمية ، ولم يربط عصارات العلوم الحاضرة ببعضها ببعض ربطاً فلسفياً فهو مادي حامي ، لا يصدق في هذينه الى ركن وثيق أو الى برهان عميق . ولذلك ، لو تصلع هذا المادي (في العقيدة) في شيء العلوم ونبغ فيها وترك شيئاً من خوره وبفوريه فهو موحد لا محالة ، « ومن يدع من الله الا آخر لا برهان له به ، فانما حسابه عند ربه ، انه لا يفلح السكافرون » .

(٢) سورة البقرة : ٣٦

المتدينين) ، نقصان في النواحي العلمية لجهل الانسان كثيراً من حقائق الكون ، وفوق كل ذلك فلق في نواحي شتى ، سوف يكمل هذه الحياة الناقصة بحياة سعيدة أخرى ، كاملة من جميع الجهات ، ألا وهي الحياة الآخرة : حياة ملئها رفاهية وسرور وحبور ، حياة كاها كمال : « وأمدناهم بما كثرة ولهم ما يشتهون ، يتنازعون فيها كأساً ، لا لغو فيها ولا تأثير » . وفي مكان آخر : « كانوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون ، متكمين على سرر مصفوفة وزوجنام بحبور عين » . (سورة الطور : ٢٠)^(١) . كمال في النفس وتكامل للصلع والوقوف على حقائق وأسرار الكون والعوالم المتنوعة بصورة سرمدية ، كمال في الصحة ، كمال في الحياة الفردية ، كمال في الحياة الاجتماعية ، كمال في الحياة الاقتصادية (ان قلنا بحياة اقتصادية هناك) ، وفوق كل ذلك خلود ما بعده فناء ولا زوال . « وأما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك ، عطاء غير مجدوذ»^(٢) . (سورة هود : ١٠٩) .

« يوم لا ينجزى الله النبي والذين آمنوا معه ، نورهم يسعى بين أيديهم وأيمانهم ، يقولون ربنا أتم لنا نورنا واغفر لنا ، انك على كل شيء قادر » . (سورة التحريم : ٨)

فإنما النور للهؤمين ، هو الكمال الموعود ، ذلك الكمال الذي به تزول نواصي هذا العالم الفاني ، عالم العمل والاختبار . « ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور»^(٣) .

فالكمال وهو الله تعالى حاشا أن يخلق شيئاً شيئاً تافضاً إلا ويريد لهذا الناقص

(١) لا بد من زواج وزدواج حق في عوالم الآخرة ، تحقيقاً للزوجية في الكون ولتفق الوحدانية خاصة بالله تعالى ، لا يشارك فيها أحد

(٢) غير مجدوذ : غير مقطوع .

(٣) سورة الزور : ٤٠

(بسنن قد سنه) السكال . وقد سن طرق السكال وسنن التكامل لهذا الانسان على لسان أنبيائه عليهم السلام ، فما أوحى الله تعالى إلى أنبيائه كاه سن ودساير تؤدى بصورة تدرجية إلى تكثيل النفس الإنسانية ، كى تكون قينة للانتقال إلى عالم آخر كاه كمال .

ولا مرأء أن الله إنما أرسل الأنبياء عليهم السلام لتمكيل البشر ، لعلمه تعالى بما هنالك من نعائص شتى في هذا العالم الدنيوي وفي النفس الإنسانية والحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية إلى ما هنالك . ذلك لأن هذه الحياة حياة تهيو واستعداد ، وما فيها من نعائص هي ، في الحقيقة ، مواد امتحانية يجتازها الإنسان ليبلغ السكال والانتقال إلى عالم آخر ، علم مرمدى خالد كاه كمال . فما نسميه في هذه الحياة الدنيا نعائص هي ليست ، في الحقيقة ، نعائص ، رغم تسميتنا إليها نعائص ، وإنما هي مراحل يتقدم فيها الإنسان كما يتقدم الطالب في مدرسة ما من صاف إلى صاف . فالإنسان مريض في هذه الدنيا بأمراض معنوية ، لنعائص كثيرة في نفسه ، ولذلك يقول عليه (ع) : « أرسل إليكم رسولاً ليزيل به عذابكم » .

وعن الرضا (ع) : خطاب رسول الله يوماً أصحابه ، قائلاً : « ألا أخبركم داءكم عن دوائكم ، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : داؤكم الذنوب ودواؤكم الإستغفار ! » .

فالأنبياء عليهم السلام هم معدّلو هذه النعائص بصورة تدرجية ، لو أطاعوا ، فطبّقت دساتيرهم واتبعوا تعاليمهم .

وأما المواد الامتحانية التي تظهر للإنسان أنها نواقص أو نعائص فتبقى ثابتة تميّز بين الفرد الصالح والفرد الطالح . ومن لم يتبع دساتير الأنبياء (ع) ومن بعدهم الأوصياء (ع) يذهب من هذه الدنيا وهو متسلط النفس ،

أعمى... « ومن كان في هذه أعمى ، فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً » .
 (سورة الإسراء : ٧٢)

ولما كان الكامل على الاطلاق وهو الله تعالى لا يصدر منه إلا الكمال ،
 وجب أن يكون ، بعد الموت ، عالم آخر كله كمال ، خاص بعباد الله الصالحين .
 « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطبيات من الرزق ، قل هي
 للذين آمنوا في الحياة الدنيا ، خالصة ^(١) يوم القيمة » . (سورة الأعراف : ٣١)
 « والذين كفروا لهم نار جهنم ، لا يقضى عليهم فيموتونا ولا يخفف
 عنهم من عذابها » .

وأن الله يجازى الكافرين بعد أن أتم عليهم الحجة بعقل فطري :
 « ونفس وما سوأها ، فألمهما بجورها وتقواها » ، وبإرサله الرسل : « لئلا
 يكون للناس على الله حجة بعد الرسول » ، وذلك بقوله : « كذلك نجزي
 كل كفور ، وهم يصطرخون فيها : ربنا أخرجننا نعمل صالحاً غير الذي
 كنا نعمل ، أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكرة وجاءكم النذير ، فذوقوا
 فما للظالمين من نصير » ^(٢) .

فطوبى لنفوس تطهرت في هذه الفترة القصيرة الامتحانية وتكاملت في
 هذا العالم الدنبوى ، فذهبت إلى روح وريحان بنفس مطمئنة ، « يا أيتها
 النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية ، فادخلني في عبادي
 وإدخلني جنتي » .

فما علينا إلا أن نستجيب لربنا ^(٣) ونعمل ، كي لا نكون مصداق

(١) أي خالصة المؤمنين يوم القيمة ، فلا يشاركون فيها أحد . لا كلام في الدنيا حيث
 يشارك المؤمنين غيرهم من غير المؤمنين .

(٢) سورة قاطر : ٣٧

(٣) يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله ولرسوله إذا دعاكم لما يحببكم وأعلموا أن الله
 يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه يتحشرون . (الأفال : ٢٤) .

هذه الآية : « قل هل نبيكم بالأخرسين أعملا ، الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، أو لئن الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه ، فحيبتهم أعمالهم ، فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا » . (سورة الكهف : ١٠٦) . وللتذكرة هذه الآية دواما ، « استجيبوا للربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ، ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير » . (سورة الشورى : ٤٧)

« وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل » .
(سورة الشورى : ٤٤)

★ ★ *

فليجرب المجربون وليختبر المختبرون ليروا صحة ما أقول . فكلما كان الإنسان أقرب إلى التقوى والأعمال الصالحة ، نقى الثوب ، ظاهر الضمير ، كان اعتقاده بما بعد الموت والمعاد أقوى وأمن . حتى وإن لم يكن قد بلغته دعوة الإسلام . وكلما تردد وتساول كان اعتقاده بالمعاد أو هي وأضعف . « ولا تطبع كل حلاف مهين ، هماز مشاء بنيم ، مناع للخير معتمد أئم ، عُتل بعد ذلك زنيم ، أن كان ذا مال وبنين ، إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين »^(١) . (هماز أى كثير الطعن . عُتل : جاف غليظ . زنيم : دعى ، منسوب لغير قومه - أساطير : ما سطروه من خرافتهم) .

لذلك يبكي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، بعد نزول سورة النصر ، فيقال له : يا رسول الله ، أوَّلَ تبكي ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر . فيقول : « أين هول المطلع وأين ضيقة القبر ، وظلمة اللحد وأين القيمة والأهوال » . وهو القائل : « معاشر الناس : انه ليس

بین الله وبين أحد شئ يعطيه به خيراً أو يصرف عنه به شراً إلا العمل .
أيها الناس لا يدع مدع ولا يتمنّ مُتَّمِنْ ، والذى يعشى بالحق نبياً ،
لا ينجى إلا عمل صالح مع رحمة ، ولو عصيتْ لهويتْ .

فقضية إيمان الفرد بما بعد الموت من عوالم الآخرة والإيمان بسؤال المذكرين :
(منكر ونفي) في القبر عن ربه وعن دينه ونبيه وإمامه وصلاته و...
الخ . وكذلك الإيمان بالصراط^(١) والميزان^(٢) وتتكلم الجوارح^(٣)
وتطارد الكتب^(٤) والحساب يوم البعث^(٥) والجنة والنار والشفاعة

(١) الصراط : هو جسر جهنم ، يمر عليه جميع الخلاق ، فالمطيم يجوزه إلى الجنة ،
والماضي يهوى به في النار .

(٢) الميزان هو ما يقابل فيه بين الحسنات والسيئات ، وليس هو ميزان جسم . قال
الله تعالى : « والوزن يومئذ الحق » ، فمن ثقلت موازينه فأوائلهم المفلحون ، ومن خفت
موازينه فأوائلهم الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بأياتنا يظلمون » . (سورة الأعراف : ٨) .

(٣) تكلم الجوارح : أي أن أعضاء الإنسان تتكلم يوم القيمة بأمر الله وادنه ،
وتشهد على صاحبها بما فعله في الدنيا من الذنوب ، وهو على كل شيء قادر » ، قال تعالى :
« اليوم نخت على أقوامهم وتكلمنا أديتهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون » .
(سورة يس : ٦٥) .

(٤) ومني تطوير الكتب : هو أن الله تعالى بعد أن يحاسب العباد يوم القيمة
يخرج لكل واحد منهم كتاباً يلقاه منشوراً . فيطير كل كتاب إلى صاحبه ، فيجد فيه
كل ما عمل في دار الدنيا ، « لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها » . فيقال له :
اقرأ كتابك ، كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً » . (سورة الامراء : ١٤) .
« وأما من أوثني كتابه بيعينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً ، وينقلب إلى أهله مصروراً .
وأما من أوثني كتابه وراء ظهره فسوف يدعوه ثبوراً يصل سعيراً » . (سورة الانشقاق :
١١) . (والثبور معناه : الهلاك ، أي يدعوه الله أن ينزل عليه الثبور) .

(٥) معناه : أن الله تعالى يحاسب العباد بعد بعثهم من قبورهم وأحياءهم بعد موتهم
على أعمالهم التي عملوها في دار الدنيا . ثم يجزي الحسن بالحسانه والسيء بالساءته : « فن
يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » . (سورة الزفال : ٨-٧) .

والموض^(١) وهكذا الإيمان بكتابه الأعمال^(٢) إنما هي قضية طهارة النفس وتركيتها . فـكـلـاـ كانت النفس ظاهرة ، زكية صالحة نقية ، زاد اعتقادها بالآخرة وعوالمها وتنبت الموت . وكلـاـ كانت النفس ظالمة حـالـكةـ مـظـلةـ ، كانت واحدة عوالم الآخرة ، فلا تتنبـيـ الموت . « ولا يتمنـونـهـ أـبـداـ بـمـاـ قدـمـتـ أـيـدـيـهـمـ وـالـهـ عـلـيـمـ بـالـظـالـمـينـ » . (سورة الجمعة : ٧) . ومنـهمـ منـ يـنـسـبـ جـحـوـدـ هـذـاـ إـلـىـ الـعـلـمـ الـحـدـيـثـ تـبـرـيرـاـ لـمـوقـفـهـ . وـالـعـلـمـ قـدـيـمـهـ وـحـدـيـثـهـ منـ كـلـ ذـلـكـ بـرـاءـ .

نعم آفة العلم الحديث أنه لا يرافق التقوى والإيمان بالله . وإنما تلقـيـ مواضـيعـهـ عـلـىـ الطـلـابـ معـ نـزـعـةـ إـلـحادـيـةـ مجرـدةـ عنـ عـزـوـ ذـلـكـ إـلـىـ قـدـرـةـ اللهـ تعـالـىـ وجـلـيلـ صـنـعـهـ . عـدـاـ مـاـ هـنـاكـ مـنـ مـجـالـاتـ وـحـرـيـاتـ ! تـفـسـدـ الشـابـ وـتـذـهـبـ بـحـيـائـهـ الـطـبـيـعـيـ ، فـإـذـاـ ذـهـبـ الـحـيـاءـ ذـهـبـ الإـيمـانـ مـعـهـ ، وـقـدـ جاءـ فـيـ الـحـدـيـثـ : « لـاـ إـيمـانـ لـمـ لـأـ حـيـاءـ لـهـ » .

* * *

أـرـأـيـتـ رـجـلاـ عـلـيـهـ سـيـاهـ الـخـشـوـعـ وـالـخـضـوـعـ ، تـرـتـاحـ نـفـسـكـ عـنـ النـظـرـ إـلـيـهـ ، فـيـلـهـمـكـ التـقـوىـ وـيـجـعـلـكـ تـفـكـرـ فـيـ مـصـيـرـكـ وـعـاقـبـتـكـ ، وـيـذـكـرـكـ اللهـ

(١) هو حوض النبي (ص) يوم القيمة . عرضه ما بين أيله (بلد بين مصر والشام) وصنماء . فيه من الأباريق عدد نجوم السماء . والساقي عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام . من شرب منه شربة لا يظمه بعدها أبداً .

(٢) ومعنى ذلك : أن الله تعالى وكل بكل مكافف من عباده ملائكة بالنهايـرـ وـمـلـكـينـ بالـلـيلـ ، أحـدـهـاـ عـلـىـ الـيـمـينـ ، يـكـتبـ الـحـسـنـاتـ ، وـالـآخـرـ عـلـىـ الشـمـالـ ، يـكـتبـ السـيـئـاتـ ، فيـكـتبـانـ جـمـيعـ أـعـمـالـ الـعـبـدـ . قـالـ تعـالـىـ : « وـاـنـ عـلـيـكـ خـافـظـيـنـ ، كـرـاماـكـاتـيـنـ ، يـعـلـمـونـ مـاـ تـفـعـلـونـ » . وـمـنـ هـمـ بـحـسـنـةـ كـتـبـتـ لـهـ حـسـنـةـ ، فـاـذـاـ فـعـلـاـ كـتـبـتـ لـهـ عـشـرـ حـسـنـاتـ . وـمـنـ مـسـيـئـةـ لـمـ تـكـتـبـ عـلـيـهـ ، فـاـنـ فـعـلـاـ أـمـلـ سـبـعـ ساعـاتـ ، فـاـنـ تـابـ مـنـهـاـ لـمـ تـكـتـبـ عـلـيـهـ ، وـاـنـ لـمـ يـقـبـ مـنـهـاـ كـتـبـتـ عـلـيـهـ سـيـئـةـ وـاحـدـةـ . قـالـ اللهـ تعـالـىـ : « مـنـ جـاءـ بـالـحـسـنـةـ فـلـهـ عـشـرـ أـمـنـاـهاـ ، وـمـنـ جـاءـ بـالـسـيـئـةـ فـلـاـ يـجـزـىـ إـلـاـ مـثـلـهاـ ، وـمـ لـأـ يـظـلـمـونـ » . (سورة الأنعام : ١٦٠) .

وتطمئن اليه نفسك . أرأيت كيف يأخذ به جامع قلبك ، فلا يحتاج في صدرك
عند النظر اليه ما يقصد القلب ويلوّث النفس !

رأيت رجلاً يخشى قلبه عند سماع ذكر الله تعالى وتدمع عيناه ، أرأيت رجلاً غزير الدمعة جوف الليل من خوفه تعالى كيف يؤمن بالآخرة ويراها واضحة لا غبار عليها . إنه أحد أولئك الذين يصفهم على (ع) بقوله : « وهم والجنة كمن قد رأها فهم فيها منهون ، وهم والنار كمن قد رأها فهم فيها معذبون » . لذلك ورد في دعاء يقرأ بعد نافلة المغرب : « اللهم إني أعوذ بك من نفس لا تقنع وبطن لا تشبع وعين لا تدمع وقلب لا يخشع وصلة لا تُرفع وعمل لا ينفع ودعا لا يسمع ... الخ » .

كان يأتي بعض الأعراب محمدًا صلى الله عليه وآله . فيقولون حين وقوع أبصارهم على حيّاته : « والله ما هذا الوجه بوجه كذاب » . ولقد جربت ذلك في بعض من آمنَ الله عليهم بتوفيق المداية . فبعد أن كان وجه أحدهم مكفهراً ذا تقاطيع خاصة لا ترتاح إليها النفوس أصبح بعد التوبة والإنابة وضاءً يستلزم الناظر منه الخير والطمأنينة .

ولمَّا كانَ نفساً يُطْهَى بِالنَّارِ مِنْهَا الشَّرُّ وَالشَّرُّ وَالظَّيْشُ وَالجُورُ وَالبُغْيُ ، نَفْسًا
مِتَكَبِّرَةً مُتَحْجِرَةً ، تَشْمَئِزُ مِنْهَا نَفْسُكَ ، إِنْ كَانَتْ قَدْ بَلَغَتْ مَرْتَبَةَ مِنْ
الْتَّقْوَى . فَلَوْ نَظَرْتَ إِلَى وَجْهِ هَذَا الشَّخْصِ لَأَفْيَتْهُ وَجْهًا مَكْفُورًا ، حَالَكَا
لَا تَرَاهُ النُّفُوسُ عِنْدَ النَّظَرِ إِلَيْهِ . إِنْ نَفْسًا كَهْذِهِ لَا تَوْمَنُ بِالآخِرَةِ وَلَا
تَصْدِقُ بِالْبَعْثِ ، بَلْ دِيدَنُهَا الْإِسْتَهْزَاءُ بِالْمَقْدَسَاتِ وَشَعَارُهَا التَّكْذِيبُ
بِآيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى .

«إِنَّمَا يُحِبُّ الْمُتَكَبِّرِينَ» . (سورة النحل : ٢٢ ، ٢٣) .

وهكذا لا تؤمن بالآخرة نفوس دينها الخديعة والمسكر والغدر .

نقوس تنتهز الفرص لايقاع الآخرين في المهالك . إن نقوساً كهذه لتفرح عندما تتحقق في مكرها وخداعها وتظن أنها قد فتحت جبهة من الجبهات أو جاءت بأمر خطير . وقد فاتتها أنها خانت نفسها وأبعدتها عن ساحة القدس . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « ليس منا من ما كر مسلماً ». وقال أمير المؤمنين عليّ (ع) : « لو لا أن المكر والخديعة في النار ل كنت أمكر الناس » .

أوَ ترى نفساً هذا ديدنها تزمن بالحساب والجزاء وتوقن باليوم الآخر . « كلا ، بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » . « قتل الخراصون^(١) الذين هم في غمرة^(٢) ساهون . يسألون أيانَ يوم الدين ؟ يوم هم على النار يُفتَنُون^(٣) ذوقوا فتنتكم ، هذا الذي كتم به تستعجبون » . (سورة الذاريات : ١٠ - ١٤) .

قضية التصديق بالبعث ليست قضية عقل ومنطق فحسب ، وإنما العقل يحجب بالذنوب ، فتشكر النفس الملوثة كل ما كان التصديق به أمراً طبيعياً فطرياً . « ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهذفون »^(٤) .

والمنطق الإنساني قد يصدق بالله واليوم الآخر ويعترف بال المقدسات ببرهة ضئيلة من الزمن عندما تملئ عليه البراهين . إلا أنه سرعان ما يغلب على النفس المتسائلة شيطانها فيأتي دور الإنكار والجحود بقوة وشدة لا مزيد عليها : « ثم نمسكوا على رؤوسهم »^(٥) .

(١) الْكَذَابُونَ .

(٢) غمرة : جهل يغمر .

(٣) يُفْتَنُونَ : يُعذَّبونَ .

(٤) سورة الروم : ١٠ .

(٥) سورة الأنبياء : ٦٥ .

« وجحدوا بها واستيقنـتـها أنفسـهم ظـلـما وـعـلـوا ، فـانـظـرـ كـيـفـ كانـ عـاقـبـةـ المـفـسـدـينـ »^(١) .

فـقـضـيـةـ التـصـدـيقـ بـالـبـعـثـ هـىـ قـضـيـةـ تـقـوىـ وـنـفـسـ زـكـيـةـ قـبـلـ كـلـ شـىـءـ عـلـىـ حدـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ : « أـلـمـ ذـلـكـ الـكـتـابـ لـاـ رـيـبـ فـيـهـ ، هـدـىـ لـلـمـتـقـيـنـ : الـذـينـ يـؤـمـنـونـ بـالـغـيـبـ وـيـقـيـمـونـ الـصـلـاـةـ وـمـاـ رـزـقـاهـ يـنـفـقـونـ » .

وـقـدـ أـخـذـ بـعـضـ عـلـيـاءـ النـفـسـ الـمـحـدـثـينـ يـعـتـرـفـ لـلـنـفـسـ الـأـنـسـانـيـةـ بـعـدـ رـابـعـ :
وـهـوـ الـاعـتـقـادـ بـالـلـهـ وـالـيـوـمـ الـآـخـرـ بـصـورـةـ فـطـرـيـةـ . وـهـذـاـ يـشـبـهـ (الـزـمـانـ)
الـذـىـ جـعـلـهـ (آـيـنـشتـاـينـ) بـعـدـ أـرـبـاعـ لـقـيـاسـ الـمـسـافـاتـ الشـاسـعـةـ وـمـقـدـارـ الـكـتـلـةـ
وـالـحـجـومـ فـيـ تـلـكـ الـمـسـافـاتـ الـنـاـئـةـ ، عـدـاـ الـأـبعـادـ الـثـلـاثـةـ . وـأـنـ الـعـلـمـ الـحـدـيـثـ
أـخـذـ يـقـرـبـ مـاـ أـمـلاـهـ الـأـنـيـاءـ عـلـيـهـمـ السـلـامـ عـلـىـ الـبـشـرـ وـبـمـاـ أـخـبـرـوـنـ بـهـ عـمـاـ
وـرـاءـ الـطـبـيـعـةـ .

* * *

وـإـنـ لـأـتـذـكـرـ جـيدـاـ ، أـنـ قـرـأـتـ ذاتـ يـوـمـ خـطـابـ رـسـوـلـ اللـهـ (صـ)
حـينـ دـعـاـ عـشـيرـتـهـ الـأـقـرـيـبـينـ :

« إـنـ الرـائـدـ لـاـ يـكـذـبـ أـهـلـهـ ، وـالـلـهـ لـوـ كـذـبـتـ النـاسـ مـاـ كـذـبـتـكـمـ ،
وـلـوـ غـرـتـ النـاسـ مـاـ غـرـتـكـمـ ، وـالـلـهـ الـذـىـ لـاـ إـلـهـ إـلـاـ هـوـ : إـنـ لـوـ سـوـلـ
الـلـهـ يـلـيـكـ خـاصـةـ وـالـنـاسـ كـافـةـ ، وـالـلـهـ لـمـ يـوـقـنـ كـاـ تـنـامـونـ ، وـلـيـتـبـعـشـنـ
كـاـ تـسـيـقـظـونـ . وـلـتـحـسـبـنـ بـمـاـ تـعـمـلـونـ ، وـلـتـجـزـوـنـ بـالـإـحـسـانـ إـحـسـانـاـ
وـبـالـسـوـءـ سـوـءـاـ ، وـإـنـاـ لـلـجـنـةـ أـبـداـ أـوـ النـارـ أـبـداـ » . عـلـىـ مـدـرـسـ فـيـ إـحـدىـ
الـشـانـوـيـاتـ ، فـوـضـعـ اـصـبـعـهـ عـلـىـ هـذـاـ السـطـرـ : (ولـيـتـبـعـشـنـ كـاـ تـسـيـقـظـونـ)
قـائـلاـ : « إـنـ فـيـ قـلـبـيـ شـيـئـاـ مـنـ صـحـةـ هـذـاـ الـكـلـامـ ، ! وـأـظـهـرـ أـنـهـ غـيـرـ مـوـقـنـ
بـالـمـعـادـ . فـسـأـلـتـ عـنـ عـمـلـهـ ، فـعـلـمـتـ أـنـهـ اـنـدـجـ أـخـيـراـ فـيـ زـمـرـةـ مـنـ بـعـدـهـ اللـهـ
عـنـ رـحـمـتـهـ . وـلـكـنـ اللـهـ شـاءـ لـهـ أـنـ يـمـوتـ عـلـىـ الـإـيمـانـ . فـضـاقـتـ أـمـورـهـ

وَتَرَدَّتْ حَكِيمَةُ ، فَرَجَعَ شَيْئاً فَشَيْئاً عَنْ غَيْرِهِ وَطَبِيشِهِ ، فَصَارَ يَؤْمِنُ بِالْبَعْثَةِ :
« وَبِلُوْنَاهِمْ بِالْمُحْسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لِعِلْمِهِمْ يَرْجِعُونَ »^(١) .

وَكَمْ فِي النَّكَبَاتِ مِنْ فَوَادِ وَعَبْرٍ وَرَجْوَعٍ إِلَى اِصْلَاحِ النَّفْسِ وَمَعَاجِلَتِهَا
وَأَوْبَاهَا إِلَى التَّوْبَةِ وَالاِنْتِبَاهِ . فَعَنِ الرَّسُولِ (ص) : « مَنْ لَزِمَ الْاسْتَغْفَارَ
جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مُخْرِجاً وَمِنْ كُلِّ هُمْ » فَرْجًا وَيُرْزَقُهُ مِنْ حِيثِ
لَا يَحْتَسِبْ » .

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : « مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ يَغْرِغِرَ^(٢) تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ » .
وَهَذَا خَيْرٌ دَلِيلٌ عَلَى عَظِيمِ اطْفَهِ تَعَالَى وَفَتْحِهِ بَابَ التَّوْبَةِ إِلَى آخِرِ لَحْظَةِ مِنْ
حَيَاةِ الْفَرْدِ . إِلَّا أَنَّ الْفَرْدَ سُوفَ لَا يُوْفَقُ إِلَى التَّوْبَةِ إِنْ رَأَتِ الذَّنْبَ عَلَى
قَلْبِهِ وَغَلَبَتْ وَطَبَعَتْ عَلَيْهِ . « وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ » (٩/٨٨).
وَالرِّينُ أَوُ الدَّنْسُ إِنْ اسْتَوْلَى عَلَى الْقَلْبِ فَلَا يَدْعُ بِجَالِاً لِرَوْيَةِ الْحَقِّ وَالْوَاقِعِ
وَمَعَاجِلَةِ النَّقْصِ الْمَتَّأْصِلِ فِي النَّفْسِ . فَيُرِيُ الْفَرْدُ إِذَا ذَاكَ الْحَقَّاَنِقَ أَسَاطِيرَ
وَخَرَافَاتَ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَإِذَا تَتَلَى عَلَيْهِ آيَاتِنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ،
كَلَّا بِلَرَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » (١٤/٨٣) .

وَقَالَ تَعَالَى : « بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوْلَوْنَ ، قَالُوا أَيْذَا مَتَّنَا وَكَنَّا
تَرَابًا وَعَظَامًا أَيْنَا لِمَبْعُوثُونَ ، لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلِ ، إِنْ هَذَا
إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا لَمْ كَنْتَ تَعْلَمُونَ ؟ سَيَقُولُونَ
لَهُ قُلْ أَفْلَا تَذَكَّرُونَ ، قُلْ مَنْ رَبُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ؟
سَيَقُولُونَ لَهُ ، قُلْ أَفْلَا تَتَقَوَّنَ »^(٣) .

فِي الْتَّقْوَى يَعْمَرُ الْقَلْبُ وَيُزَوِّلُ عَنْهُ الصَّدَأُ وَيَرْتَفِعُ حِجَابُ الظَّلَمَاتِ ، فَلَا
يَعْتَبِرُ بِآيَاتِ اللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِهِ إِلَّا المُتَّقُونَ ، « إِلَّا مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَانُ

(١) سورة الاعراف : ١٦٧ .

(٢) غرغر : جاد بنفسه عند الموت .

(٣) سورة المؤمنون : ٨٢ — ٨٨

بالغيب ، وجاء بقلب منيب » . وهو القائل : « وسواء عليهم أذنرهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ، إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب ، فبشره بعفرة وأجر كريم ، (سورة يس : ١٠ - ١١) . ولأنه بذكر هذا الحديث لا يهمه ، يستفيد منه من مَنَّ الله عليه بتوفيق الطاعة ، فأدرك فلسفة الدين ، فلسفته قد لا تتفق في جوهرها مع ما عليه كثير من الناس ، اليوم ، من معانى الدين . ولكنها تفسير لما ذكر الله تعالى في كتابه المنزل :

قال أبو عبد الله عليه السلام : « كان في ما وعظ به لقمان ابنه : يا بُني ، إن الناس قد جمعوا قبلك لأولادهم ، فلم يبق ما جمعوا ، ولم يبق من جمعوا له . وإنما أنت عبد مستأجر . قد أمرت بعمل وُعدت عليه أجرا . فأوف عملك واستوف أجلك . ولا تَكُن في هذه الدنيا بمنزلة شاة وقعت في زرع أخضر ، فأكلت حتى سمت ، فكان حتفها ^(١) عند سمنها . ولكن أجعل الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر جزت عليها وتركتها ولم ترجع إليها آخر الدهر . إخربها ولا تعمرها ، فإنك لم تؤمر بعوارتها ، وأعلم أنك ستسأل غداً إذا وقفت بين يدي الله عز وجل عن أربع : شبابك في مـ (فيـ) أبليـته ^(٢) وعمرك فيـ أـفـيـته ، وـ مـالـكـ مـمـ اـكتـسـبـتهـ وـ فيـ أـنـفـقـتـهـ ، فـتـأـهـبـ لـذـاكـ وـأـعـدـ لـهـ جـوابـاـ . وـلاـ تـأسـ عـلـىـ مـاـ فـاتـكـ مـنـ الدـنـيـاـ ، فـإـنـ قـلـيلـ الدـنـيـاـ لـاـ يـدـوـمـ بـقاـءـهـ . وـكـثـيرـهـ لـاـ يـؤـمـنـ بـلـاؤـهـ ، خـذـ حـذـرـكـ وـجـدـ فيـ أـمـرـكـ ، وـاـكـشـفـ الـغـطـاءـ عـنـ وـجـهـكـ ، وـتـعـرـضـ لـمـعـرـفـ رـبـكـ ، وـجـدـ التـوـبـةـ فـقـلـبـكـ ، وـاـكـشـ ^(٣) فـرـاغـكـ ، قـبـلـ أـنـ يـقـصـدـ قـصـدـكـ ^(٤) .

(١) حتفها : هلاً كها .

(٢) التوب البالي هو الذي استعمل حتى أشرف على الاندراس . أبلي التوب : صيره باليماء .

(٣) السكش : السعي ، أي أسرع وجعل .

(٤) قصده : نحوك ، كناية عن توجه ملك الموت إليه ليقبض روحه أو توجهه . أسرافه ويليا من الله إليه .

ويُقضى قضاؤك و يُحال بينك وبين ما تريده » .

ولقد عرف شخصاً ذرّف على الستين ، كان في ريب من وجود الإمام الثاني عشر : الحجة المهدى بعل الله تعالى فرجـه ، وانه حـي يـُـزـقـ ، وسيظهر حين يأمره الله تعالى ، فيما لاـرض قـسـطـاـ وـعـدـلاـ كـامـلـتـ ظـلـماـ وـجـوـراـ . وكان يـخـالـجـهـ شـكـ عـنـدـمـاـ يـفـكـرـ فيـ كـيـفـيـةـ الـمـعـادـ . وـعـنـدـمـاـ رـجـعـتـ إـلـىـ مـاـ أـعـلـمـهـ مـنـ مـعـاـلـاتـهـ السـابـقـةـ ، عـلـمـتـ أـنـ ضـعـفـ عـقـيـدـتـهـ نـاتـجـ عـمـاـ قـامـ بـهـ مـنـ أـعـمـالـ غـيرـ مـرـضـيـةـ عـنـدـ اللهـ تـعـالـىـ . إـلـاـ أـنـهـ ، وـالـحـمـدـ لـلـهـ ، قـامـ بـإـصـلاحـ نـفـسـهـ أـخـيـرـاـ لـلـتـكـفـيرـ عـمـاـ اـجـتـرـحـتـ يـدـاهـ مـنـ ذـنـوبـ بـعـزـمـ رـصـينـ . وـيـوـشـكـ أـنـ يـرـجـعـ إـلـىـ مـاـ كـانـ عـلـيـهـ فـيـ صـغـرـهـ مـنـ عـقـيـدـةـ رـاسـخـةـ بـحـيـاةـ الـحـجـةـ (عـ)ـ وـبـالـمـعـادـ . وـذـلـكـ بـعـدـ تـطـهـيرـ نـفـسـهـ وـجـعـلـهـ غـيرـ مـشـوـبـةـ بـالـذـنـوبـ ، فـقـدـ جـاءـ فـيـ الـحـدـيـثـ : « التـائـبـ عـنـ الذـنـبـ كـمـ لـاـ ذـنـبـ لـهـ » .

* * *

يرى هذا الإنسان من السـكـالـ الذـىـ أـوـدـعـهـ اللهـ تـعـالـىـ فـيـ خـلـقـهـ : أـنـ جـعـلـ تـرـدـ (١) صـوتـ الرـجـلـ (١١٠) فـيـ الثـانـيـةـ وـتـرـدـ صـوتـ المـرأـةـ : (٢٢٠) فـيـ الثـانـيـةـ ، ليـكـونـ صـوتـ المـرأـةـ أـجـمـلـ وـأـلـطـفـ مـنـ صـوتـ الرـجـلـ . فـيـنـجـذـبـ الرـجـلـ إـلـيـهـ وـتـكـوـنـ يـيـنـهـاـ مـوـدـةـ وـرـحـمـةـ ، فـيـسـكـنـ إـلـيـهـ وـتـسـكـنـ إـلـيـهـ (٢) . فـلـاـ يـتـصـدـيـ الرـجـلـ إـلـىـ مـاـ حـرـمـ اللهـ وـدـ نـسـهـ مـنـ فـسـوقـ وـفـحـورـ وـشـنـوـذـ جـنـسـيـ يـدـلـ عـلـىـ ضـعـةـ النـفـسـ وـتـدـنـسـهـ وـتـلـوـثـهـ وـبـعـدـهـ عـنـ السـكـالـ كـلـ الـبـعـدـ ، فـيـتـسـافـلـ إـلـىـ أـسـفـلـ سـافـلـينـ وـبـئـسـ المـصـيرـ . فـكـلـ مـاـ حـرـمـ اللهـ إـنـماـ هـوـ فـيـ ذـاتـهـ مـلـوـثـ ، دـنـسـ يـضـادـ السـكـالـ وـطـهـارـةـ النـفـسـ ، فـقـدـ جـاءـ فـيـ الـحـدـيـثـ :

(١) التـرـدـ فـيـ الثـانـيـةـ : هو عدد اهـتزـازـاتـ الجـسـمـ الصـائـتـ أوـ (ـالمـهـزـ)ـ ، أوـ عـدـ ذـبذـبـاتـ السـكـالـةـ فـيـ ثـانـيـةـ وـاحـدـةـ . كـاـنـ شـاهـدـ ذـلـكـ فـيـ الشـوـكـةـ الـرـانـاـةـ .

(٢) « وـمـنـ آيـهـ أـنـ خـالـقـ لـكـمـ مـنـ أـنـقـسـكـمـ أـزـوـاجـاـ لـقـسـكـنـاـ إـلـيـهـ وـجـعـلـ يـيـنـهـ مـوـدـةـ وـرـحـمـةـ إـنـ فـيـ ذـلـكـ لـآيـاتـ لـقـوـمـ يـتـفـكـرـونـ » . (ـسـوـرـةـ الـرـومـ : ٢٠ـ)ـ .

« من قبْلَ غلاماً بشهوة ألمجه الله يوم القيمة بملجام من نار ». ولذلك يقول الله تعالى لردع الناس عن الشذوذ ومنعهم عما يضاد طهارة النفس ويؤدي إلى التساقط والى شذوذ جنسى :

« وأتوهن من حيث أمركم الله ، ان الله يحب التوابين ويحب المتظاهرين ». فنفع الله تعالى بكلمة (المتظاهرين) عن كل شذوذ وكل ما يخالف الذوق السليم الطاهر ويختلف سنة السكال الذى يريده الله لعباده وجميع ما خلق . وأيد ذلك تحقيقاً للسكال الانساني وتوضيحاً لقوله : « من حيث أمركم الله » بقوله : « نساوكم حرت لكم فأتوا حرثكم أنى شتم وقدموا لأنفسكم ، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين ». فنهى الله بقوله : « نساوكم حرت لكم » عن كل شذوذ يخالف تحقيق مفهوم (الحرث) ، وحذر الأزواج عن هذا الشذوذ المقيت ، المحرم مع أزواجهم بقوله : « واعلموا انكم ملاقوه ». وبقوله : « وقدموا لأنفسكم » كى لا يتتسافل هذا الإنسان بتدينيس نفسه وتلويقه فراشه ، فيتعذر حدود التكامل الذى أراده الله لعباده في هذه الدنيا . وكذا الحال في كل ما نهى عنه الله تعالى في محكم كتابه الكريم . فروح الاسلام هي التكامل والسكال في جميع مرافق الحياة : من اجتماعية وفردية وغيرهما . هذا ما نلاحظه في كتابنا المقدس : القرآن العظيم الذى « فيه تبيان لكل شيء » وهو القائل : « ما فرطنا في الكتاب من شيء »^(١) . (سورة الأنعام : ٣٩).

★ ★ ★

إن التكامل غاية الغايات في هذا الكون^(٢) . فمن ايفن به علم انه لابد وأن تكون وراء هذه الحياة القلقة (المضطربة) حياة طمأنينة ودعة

(١) ما فرطنا : ما تركنا من شيء .

(٢) قال رسول الله (ص) مخاطباً علياً (ع) : يا علي ، أربع من يكن فيه فقد كمل إسلامه : الصدق والشكور والحياء وحسن الخلق .

وهدوه وسرور ، وأن وراء هذه الحياة الناقصة حياة كاملة ، بكل ما في السكال من معنى ، ليس لهذا الإنسان أن يتصور مداه ما دام في هذه الدنيا .

لذلك يخبرنا الله تعالى عن حقيقة يوم البعث في هذه الآية التي تدل على ما أودع الله من تكامل تدريجي عجيب في كل جزء من أجزاء هذا الكون ، لاسيما تشكيلات الجنين الذي هو معجزة الله في أرضه من معاجز لا تتناهى .

إنه تعالى يقول : « يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضخة مخيلة^(١) وغير مخلقة ، لتبين لكم ، ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلاً ، ثم تبلغوا أشدكم ، ومنكم من يُتوفى ومنكم من يُؤْرَدُ إلى أرذل العمر لكيلاً يعلم من بعد علم شيئاً ، وترى الأرض هامدة ، فإذا أزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . ذلك بأن الله هو الحق ، وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قادر . وإن الساعة آتية لا ريب فيها وإن الله يبعث من في القبور »^(٢) .

فقطوبي لنفسه تدرك السكال المودع في هذا الكون وكيف أن الله أحاط الجنين بظلمات ثلاثة ، أى ثلاثة أغشية صماء لا ينفذ منها الماء والضوء والحرارة^(٣) وذلك بقوله : « يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاثة »^(٤) . إن نفساً كهذه تزه الله تعالى عن كل نقص وتسبيحه ليلاً نهاراً ، لاسيما قبل طلوع الشمس وقبل الغروب : « وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب . ومن الليل

(١) مصورة تامة للخلق .

(٢) سورة الحج : ٤

(٣) وهذا ما توصل إليه أخيراً العلم الحديث : وتسمى الأغشية المذكورة باسم المنبارية والأمنيونية والخوربوبنية .

(٤) سورة الزمر : ٦

فسبحه وأدب الرسجود ،^(١) . « وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن أناه الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضي »^(٢) .

وذلك لأن التسبيح يوحى أن الله تعالى منزه عن كل نقص وعن كل عيب . وإنه في غاية الكمال وما يصدر عنه أيضاً في غاية الكمال ، فمعنى (سبحان الله) أي أن الله منزه عن كل نقص وعيوب وهو في غاية الكمال ، وما يصدر عنه كامل لا نقص فيه . فتكامل هذه الحياة الدنيوية بالحياة الأخروية الدائمة السعيدة . ولذلك كانت التسبيحات الأربع : (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) في الركعتين الأخيرتين من صلوات الظهر والعصر وصلوة العشاء أفضل من تلاوة سورة الفاتحة .

★ ★ *

ثم إن البعض يستبعدون امكان البعث ، بعد أن تبلى الأجساد من الناحية المادية . حين أن الله تعالى قد خلق في هذا الكون مقدادير هائلة من الأيدروجين والأوكسجين والكاربون والكلس والحديد إلى ما هنالك من عناصر لتكوين القسم المادي من البدن الانساني وخلق طاقات بمقادير لا تحد . فباستطاعة الله تعالى أن يُرجع لكل انسان بدنه المسكون من نفس العناصر فلا فرق بين عنصر وعنصر وبين أيدروجين وأيدروجين آخر . وبين حديد وحديد آخر . فيكون الله تعالى مما خلق أو ما يريد خلقه بمقدار لا يقابه من حديد وأيدروجين وعناصر أخرى الأجسام أو الأبدان التي كانت الأرواح تحمل فيها وتسيطر عليها لحسابها يوم البعث . ولا يحاسب إلا الروح . أما البدن فيعذب أن كانت الروح التي تحمل فيه عاصية الله . فتشعر الروح بهذا العذاب . وعما لا مراء فيه أن عمليات الهدم والبناء في

(١) سورة ق : ٣٩

(٢) سورة طه : ١٣١

الكيان العضوي لا تدع مجالاً لبقاء عضو محافظاً على نفس الخلايا والأنسجة ، ذلك لأن الخلايا والأنسجة تتجدد وتتبدل من حين إلى آخر فلا يبقى البدن الإنساني على ما هو عليه من حيث العناصر أو الخلايا والأنسجة . أى أن الخلايا والأنسجة بما فيها من عناصر تتبدل من حين إلى آخر .

يقول الله تعالى في (سورة المؤمنون : ١٢) : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ». أى من خلاصة سُلَّمٍ من بين السكدر ومن خلاصة أخذت من الطين . ومعنى ذلك ان الانسان انما خلق من مجموعة عناصر شتى : (كاربون ، أوكسيجين ، ايديروجين ، فوسفور ، كبريت ، آزوت ، كالسيوم ، بوتايسيوم ، صوديوم ، كاور ، مغنيسيوم ، حديد ، مانغانيز (من-گانز) ، نحاس ، يود (ایود) ، فلورين ، کوبالت ، التوتيا : Zinc) ، سلکون ، المنيوم . وان هذه العناصر هي العناصر المكونة للتراب .

ويقول تعالى في آية أخرى : « خلق الانسان من صلصال كالفخار ».
والصلصال هو الطين اليابس . والطين هو التراب الذى أضيف اليه الماء .
وفي آية أخرى : « من صلصال من حمأء مسنون ». .

ولا شك أن اتحاد الحيوان المنوى ، الذى يفرزه الذكر ، بالبويضة ،
التي تفرزه الأنثى ، هو الذى يمكن نطفة الإنسان . أى أن نطفة الإنسان
تنشأ من اتحاد الحيوان المنوى (من الذكر) بالبويضة (من الأنثى) .
والحيوان المنوى والبويضة كلاهما يتولدان من الدم ، والدم يتولد من الغذاء
الذى يتناوله الإنسان ، وهذا الغذاء اما نبات أو حيوان أو ماء . وكلها
متكونة من عناصر التراب . أى من (ايدروجين ، فوسفور ، كبريت ،
سلكون ... الخ) . إذن قد خلق الإنسان من تراب . ذلك لأن ما في بدن
الإنسان من عناصر شتى (تلك التي ذكرناها) كلها موجودة في التراب .
وهكذا أثبت العلم الحديث ان الإنسان مخلوق من تراب على ما جاء في كتاب

« لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد » .
وهذه أحدي معجزات القرآن الكريم .

وهو القائل : « ومن آياته أن خلقكم من تراب ، ثم اذا أتم بشر تنتشرون »^(١) . وفي آية أخرى : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له : كن ، فيكون » . وليس للعلم الحديث أن يتوصل الى أن قول الله تعالى (كن) كيف يؤدى الى وجود موجودات شتى وكيف قوله : (كُن) أوجد التراب بعد مراحل شتى ، أرادها الله تعالى عند قوله : (كن) : أى أراد الله تعالى أن تتحقق كل هذه المراحل فيتكون إذ ذاك هذا التراب . ثم كيف قول الله تعالى للتراو أو للطين : (كُن) ، أوجد هذا الإنسان بروحه وعقله الجبار : « ما أشهدُّهُمْ خلقَ السماوات والأرض ولا خلقَ أنفسهم »^(٢) . (سورة الكهف : ٥٠) .

ذلك لأن العلم الحديث ، لا يتجاوز حدود المحسوسات ، وأنى له أن يتعرف الى ما وراء الطبيعة والى حقيقة الروح وكيفية خلقها من جانب

(١) سورة الروم : ١٩

(٢) يرى العلم الحديث أن السكون يبدأ من سديم : بدأ من ضباب رقيق ، من غاز وتراب وغفر . وتجاذبت جزيئاته وتجاذبت جسيماته بحكم قانون الجاذبية العام ، فتقاربت وهي من بعد تقارب تكتلت والتكتل انضباطاً والانضباط حرارة . وحسب رأي العالم الفلكي السويدي : (هانس) أن المجالات المفاطيسية لعبت دوراً هاماً في تكتل السدم . وقد تأبانت المناصر في هذه السدم وتحركت في المجالات المفاطيسية ، فنجمت عنها الحركة الميكانيكية التي هي أساس التكتل والتشكل وصياغة الجامع الشمسي . وقد اتهى في تحقيقه وبعنه أن : تكون السكواكب لأغلب الشموس هو الحال السوي الطبيعي لها . وقال : « إن الحساب يشير الى أن نجماً يحجم ثمانين كوكباً ، ثالثها يكون بمثيل حجم الأرض ، ومكوناً من مثل عناصرها ، وعلى حال كحالها » . وملعون أن الأرض تأثر كوكباً الشمس ، « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » . (سورة الملك : ٣)
والسكواكب كلها تدور حول نفسها وكذا الشمس ، وكلها تدور حول نفسها في اتجاه واحد من الغرب الى الشرق .

الله تعالى وكذلك العقل . وما معنى التحليل العلمي في أمور تتعلق بما وراء المادة والطبيعة ، ذلك لأن العلم الذي يُسْتَنِدُ إِلَيْهِ في التحليلات العلمية إنما هو علم مادي ناقص ، فلا يمكن تحليل القضايا غير المادية على ضوء العلم المادي الناقص ! كما أن ما وصل إليه العلم الحديث في بعض الأمور النفسية إنما هو مظاهر وآثار لا ربط لها بحقيقة النفس وعوالم الأرواح وما وراء الطبيعة ، وهو مع ذلك في آخر درجة من النقص ! فلا معنى إذن لاستعمال كلمة : (التحليل العلمي) بالنسبة إلى ما هو ما وراء الطبيعة ، إن كان يراد بهذا العلم : العلم المادي ، أو العلم بظواهر المادة وظواهر الحوادث المادية من فيزيائية وكيميائية .

وزيادة في التوضيح نقول : إن العلم الحديث لا يزال عاجزاً عن التعرف إلى حقيقة الجاذبية وهي ظاهرة يعترف بها وبقوانينها ودستيرها : (دستور إسحاق نيوتون ، دستير آينشتاين المعدلة لدستور نيوتون ... الخ) .. وهكذا نرى ليس للعلم الحديث أن يمهدأ إلى ما وراء الطبيعة ويعطي رأياً صحيحاً عنه ، وهو يعترف بالعجز عن التعرف إلى ما هو غير مادي وحتى إلى حقيقة المادة أو حقيقة العناصر : كالآزوت والأيدروجين ...

فالحديد مثلاً مؤلف من ذرات وكل ذرة مكونة من الكترونات وپروتونات ونيوترونات ، والعلم الحديث يعترف بعجزه عن بيان حقيقة الألكترون و Maherite وكذا عن حقيقة البروتون وحقيقة النيوترون وكاهما قوى وليس من المادة في شيء .

فإذن : العلم الحديث عاجز من أن يُبَدِّي رأياً صحيحاً عن حقيقة المادة ؟ فالماديون يتمسكون بشيء هم عاجزون عن التعرف إليه وفهم حقيقته : « إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدي » . (سورة النجم : ٢١) .

ثم ان الله تعالى يُنطّق يوم القيمة هذه الأعضاء من : لسان ويد ورجل ! وهي هي دونما فرق . لأن الكاربون الذي يشكل البدن هو نفس الكاربون الذي كان يشكل بدن هذا الإنسان وهو في عالم الدنيا . وهكذا بالنسبة الى بقية العناصر التي كان يتكون منها البدن الانساني : « يوم تشهد عليهم أسلحتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون » . (سورة النور : ٢٥) . « ويوم يُحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون ، حتى اذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون . وقالوا جلودهم لم شهدهم علينا ، قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء . وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون » . (سورة فصلت : ١٩ - ٢١) .

والدليل على عدم بقاء نفس هذه العناصر المؤلفة للبدن الانساني قوله تعالى : « كلاما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ، ليذوقوا العذاب ، ان الله كان عزيزا حكما » . (سورة النساء : ٦٠) .

ويقول الله تعالى رَدَا عَلَى أُولَئِكَ الْفَلَاسِفَةِ ! الْجَهَلَاءُ الدِّينَ كَانُوا يَرَوْنَ اِعْدَادَ الْاَبْدَانِ مُسْتَحِيلاً يَوْمَ الْبَعْثَ بَعْدَ الْبَلِي وَالْإِنْدَثَارِ : «أَفَعَيْنَاهُ بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ^(١) بَلْ هُمْ فِي لَبِسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ^(٢) ». (سورة ق : ١٥).

☆ ☆ ☆

وأرى من المناسب أن أذكر هنا فضيلة صلاة علّيّمها رسول الله (ص)

(١) أي : أعزنا من أن تخاف الأشياء من العدم ، ذلك لأن الخلوّات كثيّة
خلقت من جانب الله تعالى لا من شيء سابق بل من العدم وبقوله تعالى : كن . وقد قال
علي (ع) عند وصفه كيفية خلق الله للخلق : «الذى ابتدع الخلق على غير مثال امتهله
ولا مقدار احتذى عليه» . وقال أيضاً : «أنشأ الخلق إنساناً وابتداه بلا رؤية
أجلها ولا تجربة استفادتها» . وقال عليه السلام في صفة خلق آدم (ع) : «تم جم
سبحانه من حزن الأرض وسلها وعذبها وبسبعين تربة سهلها بالملائكة حتى خافت ملائكة» .

(٢) أي بل ه في شك من أن نخلق من جديد ما بلي واندثر وهذا دليل على أن البدن يخلق عند المبعث من جديد .

جعفر أ الطيار (رض) . فهى صلاة لها تأثيراتها العجيبة في النفوس من حيث الاعتقاد بالمعاد وبكل ما يؤدى إلى تكامل هذا الإنسان . وأوصى كل من يشك في عالم الآخرة : من سؤال منكر ونکير والبعث وتظاهر الكتب والميزان والصراط ... الخ أن يوازن عليها ، لاسيما يوم الجمعة قبل الزوال . فإنها العلاج الوحيد لقمع الشكوك والأوهام أو بالأحرى : لطرد الشيطان ووساوسه وشركه وحبياته ، وللحصول اليقين بيوم المجزاء وبكل ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

فليجرب من شاء . فإن التجربة سند العلوم الحديثة والأساس الذي تبني عليه المكتشفات . فليجرب من شاء وليعلم نتيجة تجربته كي يتحقق به الآخرون ، فيكونوا من الناجين^(١) ، « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » . يوم « الشخص^(٢) فيه الأ بصار . مهطعين^(٣) مهتعني^(٤) رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم^(٥) وأقصدتهم هواء^(٦) .

تسمى صلاة جعفر الطيار (رض) بصلاة التسبيح . وهي من المستحبات المؤكدة . فعن أبي بصير ، عن الصادق عليه السلام : أنه قال : قال رسول الله (ص) لجعفر : ألا أمنحك ، ألا أعطيك ، ألا أحبوك . فقال جعفر : بلى ، يا رسول الله . قال : فظن الناس أنَّه يعطيه ذهباً

(١) في ما أوصى النبي صلى الله عليه وآله علیاً علیه السلام : ياعلی ، ثلثة موبقات ،
وثلث منجيات . فأما الموبقات : فهو متبع وشح مطاع واجحاب المرء بنفسه . وأما
المنجيات : فالمعدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقير وخوف الله في المسر والملاينة
كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » . (القصد : نقيض الافتراض :
أي الاعتدال) .

(٢) هول ما ترى . يقال : شخص بصر فلان ، أي فتجه قام ينوه به .

(٣) موطئين : مصريين .

(٤) مفہوم : آئی رانی .

(٥) طنز و مirth

(٦) سورة الحجر : ٤٥

وفضة . فتشوف الناس لذلك . فقال له : « إني أعطيك شيئاً إن أنت صنعته كل يوم كان خيراً لك من الدنيا وما فيها . فإن صنعته بين يومين غفر لك ما ينتهيها أو كل جمعة أو كل شهر أو كل ستة أشهر غفر لك ما ينتهيها . وهي أربع ركعات بتسليمتين . أى كأنه يصلى صلاة الصبح مرتين : كل ركعتين بسلام .

ينوى قائلًا في خلاده : أصلى ركعتين قربة إلى الله تعالى . يقرء في الركعة الأولى سورة الفاتحة : (الحمد) وسورة أخرى والأفضل أن يقرأ في الركعة الأولى بعد الحمد ، سورة (ما زلت الأرض زلماها) ، وبعد الإنتهاء من السورة يقول : ١٥ مرة : « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » .

ثم يركع ويقول هذه التسبيحات : « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » عشر مرات .

ثم يرفع رأسه من الركوع ويقول نفس التسبيحات وهو واقف : ١٠ مرات .

ثم يسجد السجدة الأولى ويقولها ١٠ مرات .

ثم يجلس بين السجدين ويقول التسبيحات نفسها : ١٠ مرات .

ثم يسجد للسجدة الثانية ويقولها ١٠ مرات .

ثم يرفع رأسه من السجدة الثانية ويقولها وهو جالس : ١٠ مرات . فيكون مجموع التسبيحات في الركعة الأولى : ٧٥ مرة وهكذا في الركعة الثانية ، وهكذا في الركعة الأولى من الصلاة الثانية ، وهكذا في الركعة الثانية من الصلاة الثانية . فيكون مجموع التسبيحات في الركعات الأربع : $4 \times 75 = 300$ تسبيحة .

ويفضل أن يقرأ في الركعة الثانية (من الصلاة الأولى) بعد الحمد سورة : (العاديات) .

وبعد الاتهاء من الصلاة الأولى يقوم وينوى كما نوى أولاً للصلاة الثانية : (اصل ركعتين قربة إلى الله تعالى) . ويعمل كما عمل في الصلاة الأولى . إلا أن هاهنا يفضل أن يقرأ في الركعة الأولى ، بعد الحمد ، سورة النصر : (إذا جاء نصر الله والفتح) . وفي الركعة الثانية ، بعد الحمد ، سورة الإخلاص : (قل هو الله أحد) .

ويستحب أن يقول في السجدة الأخيرة (أى في السجدة الثانية من الركعة الأخيرة) (أى الركعة الرابعة) :

«سبحانَ مَنْ لِبِسَ الْعَزَّ وَالْوَقَارَ ، سُبْحَانَ مَنْ تَعْطَفُ بِالْمَجْدِ وَتَكْرَمُ بِهِ ، سُبْحَانَ مَنْ لَا يَنْبَغِي التَّسْبِيحُ إِلَّا لَهُ ، سُبْحَانَ مَنْ أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَلَيْهِ . سُبْحَانَ ذِي الْمَنْفَعِ وَالْمَنْعِمِ ، سُبْحَانَ ذِي الْقُدْرَةِ وَالْكَرْمِ . اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَعْافِدِ الْعَزِّ مِنْ عَرْشِكَ وَمِنْتَهِي الرَّحْمَةِ مِنْ كِتَابِكَ وَبِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ وَكَلَامِكَ التَّامَةِ الَّتِي تَمَتَ صَدِقاً وَعَدْلًا أَنْ تَصْلِي عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَأَنْ تَفْعَلَ بِي كَذَّا وَكَذَّا... وَيَنْدَكِ حَاجَاتِهِ . إِنَّمَا اتَّهَى مِنْ صَلَاتِهِ يَسْتَحِبُّ أَنْ يَقْرَأَ هَذَا الدُّعَاءَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ تَوْفِيقَ أَهْلِ الْمَهْدِ ، وَأَعْمَالَ أَهْلِ التَّقْوَى ، وَمِنْاحَةَ أَهْلِ التَّوْبَةِ ، وَعَزْمَ أَهْلِ الصَّابِرَةِ ، وَحَذْرَ أَهْلِ الْخَشْيَةِ ، وَطَلْبَ أَهْلِ الرَّغْبَةِ ، وَعِرْفَانَ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَفَقْهِ أَهْلِ الْوَرْعِ ، حَتَّى أَخَافُكَ اللَّهُمَّ مُخَافَةً تَحْجِزُنِي عَنْ مَعَاصِيكَ ، وَحَتَّى أَعْمَلَ بِطَاعَتِكَ عَمَلاً اسْتَحْقَ بِهِ كَرَامَتِكَ ، وَحَتَّى أَنَا خَلِكَ فِي التَّوْبَةِ خَوْفًا مِّنْكَ ، وَحَتَّى أَخْلَصَ لَكَ فِي النَّصِيحةِ حَبَّا لَكَ ، وَحَتَّى أَتَوْكِلَ عَلَيْكَ فِي الْأَمْرِ كَمَا بَحْسَنَ ظَنِّي بِكَ . سُبْحَانَ خَالِقِ النُّورِ . سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَهْلِهِ وَتَفْضُلْ عَلَيْهِ فِي أَمْرِهِ كَمَا بَعَدَ إِلَيْكَ غَيْرُكَ وَلَا يَقْفَ عَلَيْهِ سُوَاكَ . وَاسْمَعْ نَدَائِي وَأَجْبِ دُعَائِي وَاجْعَلْهُ مِنْ شَأْنِكَ . فَإِنَّهُ عَلَيْكَ يَسِيرٌ وَهُوَ عَنْدِي عَظِيمٌ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ » . وروى لنا مفضل بن عمر أنه رأى ذات يوم الإمام الصادق عليه السلام

بصلى هذه الصلاة ، وبعد أن أتم صلاته رفع يديه فقال : (يا رب ، يا رب) حتى انقطع نفسه . ثم قال : (يارباه ، يارباه) حتى انقطع نفسه . وهكذا : (رب ، رب) ، (يا الله ، يا الله) ، (يا حي ، يا حي) ، (يارحيم ، يارحيم) حتى انقطع نفسه ، ثم قال : (يارحمان) سبع مرات ، ثم قال (يا أرحم الراحمين) سبع مرات . ثم قال : «اللهم إني أفتح القول بحمدك ، وانطق بالثناء عليك واجدك ولا غاية لمدحك . واثنى عليك ، ومن يبلغ غاية ثنائك وأمد مجدك ، وأنفي لخليقتك كنه معرفة مجدك ، وأى زمن لم تكن مدوحاً بفضلك ، موضوعاً بمجدك ، عواداً على المذنبين بحلبك . تختلف سكان أرضك عن طاعتك ، فكنت عليهم عطوفاً بجودك ، جواداً بفضلك ، عواداً بكرمك ، يا لا آله إلا أنت المنان ، ذو الجلال والاكرام » .

يروى لنا المفضل : أن الصادق (ع) بعد أن انتهى من الدعاء ، قال لـ يا مفضل ، إن كانت لك حاجة ، صلّ صلاة جعفر وادع الله بهذا الدعاء وسل منه قضاء حاجتك ، فإنها تقضى إن شاء الله .

ويجوز الفصل بين الصالاتين إذا أسرته حاجة ، فإنه يصلى ركعتين ويقضى حاجته ، ثم يصلى ركعتين آخرتين .

ويجوز تأخير التسبيحات إلى ما بعد الصلاة مع الاستعجال . أى يصلى الأربع ركعات ثم يسبح .

ولو سها عن بعض التسبيحات أو كلها ولم يأت بها في محلها أتى بها في محل آخر مضافاً إلى وظيفته ، وإن ذكر بعد الصلاة قضتها بعدها .

* * *

إن الأنبياء عليهم السلام كلاماً أخبرونا عن الله تعالى : أن هناك عالم آخر بعد الموت . وأن الناس يشرون جميعاً يوم القيمة ، فيؤخذ بالحسن

إلى الجنة وبالمسىء إلى النار . وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تؤكد ذلك . منها : « وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً »^(١) . ومنها : « أَوْ لِيُسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ أَنْ يَخْلُقْ مِثْلَهُمْ ، بَلِّي ، وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ »^(٢) . ومنها : « وَهُوَ الَّذِي يَبْدِأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدُهُ وَهُوَ أَهُونُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمِثْلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »^(٣) .

فإذا ثبتت نبوة الانبياء بمعاجزهم وصحّة دسائيرهم وتعاليمهم ومطابقتها مع العقل السليم . ثبتت صحّة ما أخبروانا به ومنه المعاد .

★ ★ ★

وفي الآيات ما يدل دلالة واضحة على وقوع المعاد الجناني ، أى أن الناس يُحشرون بأجسادهم وبأرواحهم . منها قوله تعالى : « أَيُحسِبُ الْأَنْسَانُ أَنْ لَنْ يَجْمِعَ عَظَامَهُ ، بَلِّي ، قَادِرُينَ عَلَى أَنْ نَسُوّى بَنَانَهُ » . وإنما خصّ البُنَان دون سائر الأعضاء لدقّة هنّاك ولا خلاف ما على البُنَان من خطوط ونقوش على عدد الناس : « سَبِّحُوهُنَّهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَشْرِكُونَ » . ومنها قوله تعالى : « وَقَالُوا جَلُودُهُمْ لَمْ شَهَدْتُمْ عَلَيْنَا » . ومنها : « كَمَا نَضَجَتْ جَلُودُهُمْ بِدِلْنَاهُمْ جَلُودًا غَيْرُهَا » .

وأما ما قاله بعض القدماء من الفلاسفة من أن المعاد لا يقع جسمانيا وإنما هو روحاني بحث ، فذلك لمحدودية ما كان لديهم من معلومات عن الكون المادي والقوى المسيطرة بإذن الله على هذا السكون ، وقياس الأمور على ما كانوا يرونها في حيواتهم من مسكنات . ولو كانوا أحياً في مثل هذا العصر ، عصر الذرة والمعادلات التفاضلية ، عصر النظرية النسبية والنظائر المشعة ، لعلموا أن آفاق العلم لا تحد وما يراه الإنسان في عالم الممكنات مستحيلاً في

(١) سورة السكّه : ٤٦

(٢) سورة يس : ٨١

(٣) سورة الروم : ٢٧

وقت ، يراه مَكْنَأً بعد تقدم البشر في التعرف إلى بعض مظاهر الكون وما أودع الله فيه من نظم و خواص و قوانين تبرر العقول .

« وإن تعجب فعجب قولهم ، أَيُّا كُنَا تَرَابًا إِنَّا لَنَا خلقٌ جَدِيدٌ ،
أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ
النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ »^(١) .

★ ★ ★

شُمَّ انَّ اَنْسَانَ لِيَرِيَ أَنْ هُنَاكَ ثُلَّةٌ مِّنَ النَّاسِ بِالْغُوا فِي الظُّلْمِ وَالْطَّغْيَانِ
حَتَّى أَنْهُمْ أَنْكَرُوا اَوْجُودَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالَهُ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَنْقُضْ مِنْهُمْ فِي دِيَنِهِمْ
وَلَمْ يَقْتَصِّ الْمُظْلُومَ مِنَ الظُّلْمِ ، فَيَحْكُمُ ، اَعْلَمُهُ بِعِدْلِ اللَّهِ تَعَالَى : أَنْ هُنَاكَ
عَالَمٌ آخَرٌ يُكَافِئُ فِيهِ الْمُحْسِنُ وَيُعَاقِبُ فِيهِ الظَّالِمُ .

★ ★ ★

إِنَّ لِكُبُرَ أثْرًا عَجِيْبًا فِي رُدُعِ الْأَنْسَارِ عَنِ الاعْتِقَادِ بِالْبَعْثِ وَالْيَوْمِ
الآخِرِ . إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : « إِنَّهُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ، لَا جُرْمٌ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَسِّرُونَ
وَمَا يَعْلَمُونَ ، أَنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا
أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ . لَيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ^(٢) كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ أَوْزَارَ
الَّذِينَ يَضْلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، أَلَاسَاءَ مَا يَزِرُونَ^(٣) .

فَالنَّفْسُ الْمُتَحْجِرَةُ الْمُتَكَبِّرَةُ لَا تَخْشَعُ وَلَا تَخَافُ عَقَابَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَتَعْصِي
اللَّهَ تَبارَكَ وَتَعَالَى فِي أَرْضِهِ . فَيَقْسُوُ الْقَلْبُ نَتْيَاجَهُ ذَلِكَ الْإِنْكَارُ وَالْإِسْتِهْزَاءُ
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ آيَاتٍ وَتَتَصَوِّرُهَا أَسْطُورَةٌ وَخَرَافَةٌ : « قَالُوا أَسَاطِيرُ
الْأَوَّلِينَ » . وَإِنْ هُوَ لَأَءَ بِفَعْلِيَّاتِهِمُ السُّلْبِيَّةَ يَضْلُّونَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ دُونَ

(١) سورة الرعد :

(٢) الوزر : الْأَمْ ، الْجَلْ ثَقِيلٌ . يَزِرُونَ : يَحْمِلُونَ .

(٣) سورة الحج : ٤٥

ـ سند على : « بغير علم ». فيحملون أوزارهم وأوزار الذين يضلونهم .
ـ لذلك يسأل أبو عبدالله (ع) عن أدنى الإلحاد ؟ فيجيب (ع) :
ـ « إن الكبير أدناء » .

ـ وعنده سلام الله عليه : « إن المتكبرين يجعلون في صور الذرّ » ،
ـ يتوّطّأ لهم الناس حتى يفرّغ الله من الحساب » .

ـ إن المتكبر يعزّو جميع المواهب والقابليات إلى نفسه ، وهكذا كل
ـ ما يتفضل الله عليه من نعم لا تعد ولا تُحصى . وهذا جحود وكفر .
ـ والكافر مطرود عن ساحة القدس . « بِمَهْدَىٰ إِلَيْهِ يَسْتَحْقُّ مِنَ الدُّرُكِ
ـ الأَسْفَلُ مِنَ النَّارِ » .

ـ إن الظلم وما يتبعه من كبر وراء يسدّ أن على البشر أبواب المداية على حد
ـ قوله تعالى : « فَآمِنُوا وَاسْتَكْبِرُوْمُ ، اَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ »^(١) .

ـ وهكذا أثر العرش في ابعاد البشر عن الإيمان باليوم المعاش . « وَيَوْمَ
ـ يُعرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ، أَذْهَبْتُمْ طَيَّاتَكُمْ فِي حَيَاةِكُمُ الدُّنْيَا
ـ وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ، فَالْيَوْمَ تَجْزَوُنَ عَذَابَ الْهُوَنِ بِمَا كَنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ
ـ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كَنْتُمْ تَفْسِقُونَ » . (سورة الأحقاف : ٢٠) .

ـ إن هؤلاء المتكبرين^(٢) يصدّون معطيات العقل السليم بالخرافة . والمنطق
ـ بالقديم . ويزعمون أن المنطق البشري قابل للتغيير : فالشيء يـكون
ـ صحيحـاً وخطـأً في وقت واحد ، ويختـمـع الصـدـانـ في وقت واحد وفي صـقـعـ
ـ واحد إلى ما هـنـاكـ من خـرـافـاتـ بل جـنـونـ ما أـنـزلـ اللهـ بـهـاـ من سـلـطـانـ . وـيـعـدـونـ
ـ هـذـاـ منـطـقاـ جـديـداـ ! وـأـمـاـ المنـطـقـ الفـطـرـىـ : هـذـاـ المنـطـقـ الـذـىـ كانـ الـاسـاسـ
ـ فـىـ ماـ اـكـتـشـفـهـ الـبـشـرـ مـنـ مـكـتـشـفـاتـ مـنـذـ تـدوـينـهـ عـلـوـ ماـ شـتـىـ ، أـىـ مـنـذـ ٢٥٠٠ـ سـنـةـ
ـ حـتـىـ الـيـوـمـ ، فـهـوـ فـيـ نـظـرـ هـمـ مـنـطـقـ شـكـلـىـ ! يـاـ لـهـ مـنـ مـغـالـطـةـ خـادـعـةـ اـتـخـدـعـ السـذـاجـ

(٢) وأعني بهم : الشيوخين .

(١) سورة الأحقاف : ١٠

والقلوب المريضة وذوى العاهات . انهم يخدعون **الْسُّدَّاجَ** بكلمة : جدود ! ...
تقدّم ! .. وكلية : قديم ! .. بالِ ، خرافه ، رجعية ! .. تأخر ! ..
ولولا ما دُونَه اليونانيون ومن بعدهم المسلمين من رياضيات وطبيعتيات
وطب وعلوم أخرى ، استناداً على المنطق الطبيعي . (هذا المنطق الذي يموه
فيه الشيوعى الواقع والحق فيسميه منطقاً شكلياً) ، لما وجد هذا الصاروخ
الذى يتندّق به خطيب من خطبائهم حرم موهبة التفكير الرياضي
والتحقيق العلمي ، لما في نفسه من كبر وغور .

« وقال موسى : « إني عذت بربى وربكم من كل متّكِبْر لا يؤمِّن يوم
الحساب ». (سورة المؤمن : ٢٩) . وفي آية أخرى : « كذلك يطبع الله
على كل قلب متّكِبْر جبار ». (سورة المؤمن : ٣٨) .

أسفآ لنفوس تلوّثت بشّي الجرائم . فوجدت الشيوعية وكرآ تستتر
تحتها مما حلّ بها من نقص وضعة في النفس . أسفآ لنفوس أمست محظوظة
عن رؤية الحق والواقع ومطرودة عن مقامات القدس لما اجترحت من
موبقات ومنكرات ، فصارت تتندّق مستكيرة ، مترنة بكلمة : تقدّم ،
ثقافة . كان من لوازם الثقافة والتقدّم : الإنحصار الخلقى ، والتسافل ،
والتفكك عن كل مقياس وانكار الفضائل وبالتالي : انكار المعاد !

لم تقدر هؤلاء ما من . **الله عليهم من سمع وبصر وقلب ، لأنها أمست**
لجرائم لا تعدّ محظوظة عن التطلع إلى ما وراء المادة الصماء . فهم ومع
الأسف مصدق هذه الآية المباركة : « ولقد مكناهم فيها إن مكناكم فيه ،
وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة ، فما أغنّى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا
أفئدتهم من شيء ، إذ كانوا يبحدون . **بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به**
يسهرون »^(١) .

إن الله تعالى جلَّ أن يظلم أحداً . وإنما يصل الفرد إلى نتيجة عمله : إن خيراً خيراً وإن شرًا فشر . وفي الحديث : « إنما أعمالكم ترددُ عليكم » . وقد قال الله تعالى : « فهل يهلك إلا القوم الفاسقون »^(١) .

وقد جاء في الحديث أيضاً : « من لقي الناس بوجهين ولسانين جاء يوم القيمة وله لسان من قفاه وأخر من قدامه يلتهان ناراً » . وفي حديث آخر : « من خاف الناس لسانه فهو من أهل النار » . وفي آخر أيضاً : « إن في الجنة غرفاً يسكنها من أطاب الكلام وأطعم الطعام وأفضى السلام » . إذن ، فطريق الجنة : العمل الصالح مع عبادة مقبولة . وطريق النار هو الفسق والكذب والنعيمة والغيبة وترك العبادة وما إلى ذلك .

★ ★ ★

إن العوالم القدسية ثابتة منذ الأزل ، ولا تتبدل حسب الأهواء : « ولو أتبع الحق أهواهم لفسدت السماوات والأرض » . « وإن تقطع أكثرَ من في الأرض يضلُّوك عن سبيل الله » . « الحق من ربك فلا تكونَ من المحترين » . نعم جل ما عند هؤلاء : كلامات فارغة لا يستطيعون تحديدها تحديداً علنياً ، لا شائبة فيه : الرجعية ، أساطير ، خرافات ، قديم ، بال ، ألفيون الشعوب ، إلى ما هنالك من كلامات مسلالية ! فالصدق عند هؤلاء أسطورة . والفضيلة خرافة والاعتقاد بما وراء الطبيعة رجعية ، والصلة تناقض المادية ! إلى ما هنالك مما يخالف المنطق السليم الذي نجده في قلب سليم . نجده في نفس فيها شيء من الحياة والتواضع والإذعان للحق وفيها شيء من الفضيلة ومرتبة من السمو . انه تعالى يقول : « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتي الله بقلب سليم » . ولقد تبعت هؤلاء المهووسين ، الذين لا يرکنون في أهواهم إلى ركن

ركين ، قبة عتبرهم فأفلايتهم منفلتين عن الفضائل ، منغمرين في أنواع الرذائل ، فأسوا لا يرون ما هم عليه من كثرة النعائص والمحاسد ، فهم حقاً من ذوى العاهات ! « نسو الله فأنساهم أنفسهم ، أولئك هم الفاسقون »^(١) .

انهم عمما قريب مصداق هذه الآية السكرية : « قد مكر الذين من قبلهم ، فأقى الله بنياهم من القواعد ، نفر ، عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون » .

فلكل نفس رشحات تتناسب مع درجة كالمها ، ومرتبة تساافلها ، فتكون فلسفتها في الحياة وفيما بعد الممات تابعة لهذه الدرجة وتلك المرتبة : « ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ». هذه حقيقة الحقائق ، حقيقة ما بعدها حقيقة ، تناكرها النفس المتسافلة وتسلم بها النفس المتكاملة .

فالذى كان دأبه الإفك والإثم وسوء الخلق وجرح الخواطر وإيذاء الناس والكذب ، تكون عاقبة أمره : انكار آيات الله تعالى والاستهزاء بما أمر الله ، على حد قوله تعالى : « ويل لـ كل أفك أثيم ، يسمع آيات الله تقتل عليه ، ثم يصر مستكراً كأن لم يسمعها ، فيبشره بعذاب أليم ، وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً ، أولئك لهم عذاب مهين ، ومن ورائهم جهنم ، ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيئاً ولا ما اخذوا من دون الله أولياء ولم عذاب عظيم »^(٢) . (أفك كذاب) .

* * *

إن الشيطان ليعقب أولئك الذين لم يظهرروا أنفسهم تطهيراً كاملاً قبل نقاد عمرهم إلى آخر ساعة من حياتهم فهو لهم بالمرصاد . فقد قال

(١) سورة الحشر : ١٩

(٢) سورة الجاثية : ٧ — ١٠

أبو عبدالله (ع) : « ما من أحد يحضره الموت إلا وكل به أبليس من شياطينه من يأمره بالكفر ويشكره في دينه حتى تخرج نفسه . فـ كان مؤمنا لا يقدر عليه . فإذا حضرتم موتاكم فلتفوهم : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، حتى يموتون » .

ومما يؤثر كثيراً في أن يوقف الشخص للأقرار بالشهادتين : المواظبة على الصلوات الخمس بإخلاص عند مواعيدها كما جاء في مفad حديث . فـ « الناس هلكى إلا العالمين ، والعالمون هلكى إلا العاملين ، والعاملون هلكى إلا الخالقين ، والخالقون على خطر عظيم ... الحديث » .

قد ذكر لي أحدهم : أنه كان عند صديقه له عندما حضرته الوفاة ، وكان صديقه هذا من يصلى ويصوم ويؤدى ما في ماله من حقوق ، ويتقى الله في أموره ، وكان عنده ساعة موته أصدقاؤه الآخرون . فيُلقن شهادة : أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن عليا ولـ الله ؛ فلم ينطق بها وأبي ، وأخذ يصدق . ولكن الله تعالى لم يشاً أن يموت الرجل على هذه الحالة ، فعادت ، بإذن الله ، إليه روحه ، فصحته . وسئل بعد ذلك عن عدم اقراره بالشهادة ، فأجاب : « أني كنت أسمع ما ألقن به من شهادة ... ولكن أسمىت في تلك الأونة عطشانا إلى حد لا يطاق . فقرب إلى شخص قد حاًملوه آماء ، وأخذ يقول لي : لا تقر بالشهادة ، كـ أروي لك من هذا الماء . فصرت أبصق في القدر كـ لا استسيغه . وأشكر الله على إنجائه إياي من ذلك الموقف الحر ج » .

وهكذا حـدث لـرجل آخر حينما حـضرته الوفاة . فأبـي الأقرار بالشهادتين وصار يرمـق بـبصره إلى رـفـ في غـرفـته فيه إـناه مـرصـع . ثم رـدـت بإـذـن الله إـليـه رـوحـه ، وـسـئـلـ عن عدم اـقرارـه بالـشهـادـتين ، فـقالـ : « أـنـي كـنـتـ شـدـيدـ العلاقةـ بـإـنـاءـ المرـصـعـ ، وـرـأـيـتـ شـخـصـاـ (١) رـافـعاـ إـلـانـاءـ وـهـوـ يـقـولـ لـيـ :

(١) إنـ الشـيـطـانـ ، يـرـاقـ إـلـاـنـسـانـ إـلـىـ آـخـرـ لـحظـةـ مـنـ حـيـاتـهـ .

أياك أن تقر بالشهادتين . فإنى سأرمى به على الأرض إن أنت أقررت بهما .
ولذلك ترددت في الإقرار رغبة في ذلك الإناء المرصع ، وأشكر الله على
إنقاذه أيام » .

وفي الحديث : « حب الدنيا رأس كل خطية » . فطوبى لنفوس تهيات
ليوم : « يجعل الولدان شيئاً ، السماء منفطر به ، كان وعده مفعولاً »^(١) ،
فلم يقو الشيطان على أغواها حين خروج الروح .

وقد جاء في أخبار آل محمد عليهم السلام : « كل عين باكية يوم القيمة
إلا ثلث أعين : عين غضت عن محارم الله وعين سهرت في طاعة الله وعين
بكث في جوف الليل من خشية الله » . وفي خبر آخر ، في ما أوصى به
النبي (ص) علياً (ع) : يا علي ، كل عين باكية يوم القيمة ، إلا ثلث
أعين : عين سهرت في سبيل الله ، وعين غضت عن محارم الله ، وعين
فاضت من خشية الله » .

وفي الكاف : « إذا قبضت الروح فهي مظللة على الجسد » .

★ ★ *

ولابأس بذكر هذه الحادثة ، فهي مقاد الحديث المتقدم . يقال : ان
أحد العظام صاحب المؤلفات العظيمة والخدمات المشكورة تعاهد مع أحد
أصدقائه : أن يأتي كل من مات قبله إلى حلم (طيف) صديقه ، ليخبره
عما شاهده حين موته وبعد الموت . وقد مات هذا العالم الكبير قبلًا ، فلم
يفرَّه صديقه في منامه حتى مضت سنة كاملة . عند ذلك رأه في حلمه . فعاشه
على تأخره هذه المدة . فأجاب قائلاً : « علامَ تعاتنى يا أخي ، كنت
مشغولاً بالحساب ، أحاسب حساباً دقيقاً عسيراً » . فأجابه صديقه :

(١) سورة المزمل : ١٧ ، (يوم يجعل الولدان شيئاً : أي كيف تدفعون شر يوم
تشيب لهوله الولدان ، تنشق فيه السماء ، ويتحقق وعد الله) .

«أو تحاسبَ أنت ، مع مالك من خدمات جمة ، . فأجاب قائلاً :
ـ «كلاها لم تفدي» .

ثم قال : «عندما حضرتني الوفاة ، جاءني ملك الموت ، فسخ على رجلٍ
فذهب ما بهما من وجوه ، وهكذا بقية أعضاء بدنى ، خرجت روحي
وصارت تُشرف وتُتطل على البدن . وأهلل يمكون . فصرت أقول لهم :
ـ ما لكم تيمكون ، وقد ذهب عنى ما كان بي من ألم . ثم أمرت بتعقب
البدن ، فصرت اتبع بدني حتى واروني في رسمي . فبدأ السؤال ، وصار
المكان يستطعاني . فأجبت بطشه تعالى عما سألا . ثم بدأ الحساب ،
ـ وأى حساب !

ـ فصرت أشرح ما قلت به من أعمال ، قلت : أفت كتباً ضخماً ،
ـ وموسوعة إسلامية . فقيل لي : إنك فرحت وسررت عندما مدحوك
ـ لأجل ذلك المؤلف الضخم ومؤلفاتك الأخرى ، فذاك جزاؤك ... إلى
ـ ما هنالك . فأوشكت أن أقفل . فقيل لي ، قد أدخلنا لك عمليين كانوا لوجه
ـ الله تعالى لا شائبة فيها :

ـ إنك عندما ذهبت لمقابلة الملك ، استقبلتك رجال الملك ، وأخذت
ـ الشرطة تتحى الناس بعنف ، قلت : إذا ذاك ، إن كان هذا لي ، فإن لا
ـ أرضي بذلك ، ورفضت الإستقبال .

ـ ثم ان الملك قدم لك تفاحة في غير موسمها . خرجت من عند الملك ،
ـ فيينا أفت سائر في طريقك وإذا بولد ينبع صار ينظر إلى تلك التفاحة ،
ـ فدفعتها إليه لوجه الله^(١) . فهذا عملان لك ، لم تقم بهما إلا لوجه الله ،
ـ قد أدخلناهما لك ، تدخل بهما الجنة » .

★ ★ *

(١) «وما لأحد عندك من نعمة تجزى إلا ابتهاء وجه ربِّ الأعلى ولسوف يرضى» .

(سورة الليل : ٢٠ — ٢٢) .

يقول عدد من الفيزياء والمحدثين : « إن هنالك عالماً آخر وراء العالم الذي تتحصر فيه الفيزياء ، إن العالم الآخر وحدة روحية أو عقلية وما المادة سوى مظهر من مظاهرها ، إن العقل وحده هو الشيء الحقيق ، وإن المادة هي من خلوقات العقل ! ». وصاروا يعلنون هذا الرأى بنفس القوة التي أعلن فيها أسلافهم الماديون قبل ٥٠ سنة ، وذلك : أن المادة وحدها هي الشيء الحقيق ، وأن العقل ما هو إلا انبعاث طفيف من انبعاثات المادة !! ». ويظهر بعد هذا الإعتراف من علماء الفيزياء مع ما فيه من جوانب ضعيفة وخاطئة ، أنهم سوف يؤمنون يوماً ما بالبعث والمعاد ، كما اعترف الكثير منهم بخلود الروح وأنها لا تفنى بعد تفسخ المادة . ولقد أصبحت دراسة الروح والنفس موضوعاً هاماً من مواقف جامعات العالم . وأخذ العالم يلفظ رويداً رويداً الفكرة المادية الخاطئة معتراً بالروح وخلودها ، وأن المادة مسخرة من قبل النفس والنفس تستخدمها لأغراضها .

لقد ثبت في الفيزياء أن المادة تحول إلى قوى وطاقات بنتيجة الإشعاع . أو أن المادة تشع فتحول إلى طاقات . كما أن الطاقات (القوى) تتكدس بإذن الله تعالى فتكون مادة (عنصراً من العناصر) أو جسماً من الأجسام . وهذا النفس الإنسانية هي من أجل مظاهر الطاقة . طاقة تختلف عن الطاقات الناشئة عن إشعاع المادة وتحولها إلى قوى . فإن النفس تبقى خالدة إلى ما شاء الله ، ولا تتشاهي بتلاشى الجسد . لأنها ليست مادة حتى تحول إلى طاقات بالإشعاع ، ولأنها هي التي تدير الجسد وتؤثر فيه .

ولا تناسب بين الروح والجسد تناسباً يؤدى إلى اختلاف كمال النفس بإختلاف الجسد من حيث قوة العضلات وجسامته الأعضاء . والنفس في غنىً عن الجسد في حالات شتى تبرهن ذلك الأحلام (الأطياف) . وحوادث جمة .

وقد ذكر لي صديق لي وهو من يوثق بكلامه : أنه كان لأحد أرحامه خادمة من أمراة فقيرة عمرها ١١ سنة ، اسمها : أنور ، كانت تصدر منها الأعاجيب : كانت تأخذ من الفضاء ما يطلب منها من فواكه نادرة في غير موسمها ، وتأخذ من الفضاء دراهم كثيرة بصورة سريعة دون أن يكون لها تأخذ من الفضاء أثر في البيت . وهكذا تلبى طلب من يطلب إليها أحضار شيء من الخارج بصورة سريعة جداً إلى حد يدهش الألباب .

وفي يوم من الأيام حبسها سيدها في الغرفة كي لا تقوم بما تقوم به من العجب العجاب ، وإذا بها ترى وسط البيت ، فتسأله عن كيفية خروجها من الغرفة والباب مغلق ، فتجيب قائلة : لمنها قد خرجت من بين شقوق الباب !

كان يصدر من (أنور) أنواع الأعاجيب والخوارق ، حتى إذا تزوجت وأصبحت امرأة كغيرها من النساء ذهبت عنها هذه الميزة والملائكة الموهوبة وتلك الخوارق العجيبة .

هل للعلم الحديث أن يفسر لنا ما كانت عليه هذه الخادمة من ملائكة محيرة للعقل وما كانت تأتي به من أعمال خارقة . وكم من حوادث كهذه الحادثة وأعجب منها تحدث من نساء ورجال في الهند وفي غير الهند وليس للعلم الحديث أن يتكلم فيها بكلمة واحدة .

نحن نعيش في أودية من المجاهيل لا سيما في عوالم النفس وما يتعلق بها وراء الطبيعة ، ولكن الغرور لا يدع مجالاً لهؤلاء الماديين للإعتراف بالله وخلق الأشياء ومرتبها وتنظيمها إلى أقصى حد من التنظيم ، تنظيمياً يحيط الألباب ، وللإعتراف بالأخرة وعوالم ما بعد الموت ...

« سنرיהם آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم

يُكَفِّ بِرَبِّكَ أَنْهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ^(١) .

* * *

إن العلم الحديث يوضح لنا بقدر ما اطلع على العالم المادي (وهو ضئيل وضئيل جداً بالنسبة إلى ما أودع الله من حقائق ودساتير لا تنتهي في هذا الكون)^(٢) ما سيقع قبل يوم المعاد ، ويفسر لنا إلى حدٍ ما قوله تعالى : «إذا الشمس كُوَرَت» .

ذلك ، لأن الذرة على ما هو معروف مؤلفة من نواة في الوسط (وهي مجموعة نيوترونات وبروتونات) وألكترونات في المحيط أو الأطراف ، تدور حول النواة .

ومعدل قطر الذرة = $\frac{1}{1.00000}$ من المليمتر ، أي = ١ مم

ومعنى ذلك : لو وضع عشرة ملايين ذرة بعضها جنب بعض (شريطة أن تكون كروية كلها) كان طول هذه الذرات المجموعة بهذا الشكل ميليمتراً واحداً .

وان قطر نواة الذرة : (أي مجموعة البروتونات والنيوترونات)

= $\frac{1}{100000}$ من قطر الذرة . ومعنى ذلك أن

قطر النواة = $\frac{1}{120}$ مم (من المليمتر) .

ولا يمكن أن ترى الذرة وهذه النواة مع أقوى الميكروسكوبات الحديثة . وقد عبأ الله تعالى قوة هائلة في جوف النواة ، تعرف بالطاقة

(١) سورة السجدة : ٥٣

(٢) « ولو أَنْ مَا في الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٍ وَالْبَحْرُ يَمْدُدُ مِنْ هَذِهِ سَبْعَةِ أَبْخَرٍ مَا نَقْدَتْ كَلَامَ اللَّهِ » .

النوية . فإذا حررت هذه الطاقة بوسيلة ما ، هدمت ما حولها ، فلا تبقى ولا تذر .

إن ذرة (أورانيوم) مثلاً تشقق ، فتفرق أجزاؤها ، فتنتج مع هذا الإنشقاق الحرارة والطاقة الهائلة ، أما الأجزاء التي انقسمت إليها الذرة فهي عناصر دون الأورانيوم وزناً ، وإذا فرضنا أنها جمعنا هذه الأجزاء وزنها لكان أقل مما استخدم من (أورانيوم) وزناً . فأين ذهب الشيء النافض ؟ إنه تحول إلى (طاقة) ، إلى (حرارة) وإلى (نور) وإلى (إشعاعات أخرى) . أى أن المادة تحولت إلى طاقة وقوى . إن الغرام الواحد من المادة يتحول إلى طاقة ، فينتج منها ما يعادل ٢٢ مليون مليون سعرة^(١) من السعرات الحرارية .

ذرة (الأورانيوم) تعطى من مادتها ، فتنتج الطاقة بالتقسيم والتبعثر والتفرق . وذرة (الإيدروجين) تعطى من مادتها لا بالتشقق والتفرق ، ولكن بالتجمع ، وهكذا تتحول بعض المادة أو كاها (مع تقدم العلم الحديث) إلى طاقات هائلة جداً .

وقد ثبت أن المادة إنما وجدت من تكثيس طاقات هائلة أو جدها الله تعالى بقوله : (كُن) . فترتبت بأمره عناصر تحت نظام بديع وقانون ثابت ، وإن هذه العناصر تختلف بعضها عن بعض من حيث عدد البروتونات والألكترونات . أى تختلف من حيث بنية النواة وما يدور حولها من ألكترونات . فكانت ، بإذن الله وأمره ، هذه العناصر المختلفة كالإيدروجين والاكسيجين والهيدروجين والراديوم والأورانيوم إلى ما هنالك ، فقد عبَّرَ الله تعالى في ملعقة واحدة من الزئبق : طاقة تكفي لتسير قطار كبير حول الكورة الأرضية سبع مرات .

(١) السعرة : مقدار الحرارة اللازم لرفع درجة حرارة (غرام واحد من الماء) درجة واحدة مئوية ، أي من درجة ١٤ مئوية مثلاً إلى درجة ١٥ مئوية .

وقد جعل الله فضاءً واسعاً بين النواة والالكترونات التي تدور حولها . ومعنى ذلك أن الالكترونات في الذرة تبعد عن النواة مسافة شاسعة (مع حفظ النسبة بين صغر الالكترون والنواة والمسافة التي بينهما وقطر الذرة) . وهذه المسافة (مع مراعاة النسبة) بين النواة والالكترونات هي كالمسافة بين الشمس وبين أبعد كوكب سيار يدور حولها .

إذا انفصلت الالكترونات في يوم من الأيام عن الذرات في الكروة الأرضية ، وذلك بأمر الله تعالى ، واندمجت البروتونات بعضها ببعض ، ستصبح أرضنا هذه كبيرة ثقيلة جداً ، وزنها بقدر وزن أرضنا هذه التي نعيش عليها ولكن حجمها بحجم البرتقالة .

وأن علماء الفلك المحدثين يخبرونا أن الشمس سيكون مصيرها التلاشي وذلك باندماج نواة ذراتها بعضها ببعض . فيتحقق قوله تعالى : « وإذا الشمس كورت ^(١) ، ولذا النجوم انكدرت ، ولذا الجبال سيرت ^(٢) . وذلك من مقدمات يوم المعاد . « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماءات ، وبرزوا الله الواحد القهار » . (سورة إبراهيم ٤٨: ١٥) . وإن قوانين (ديناميكا الحرارية) ، أو علم الحرارة الحركية من أبحاث الفيزياء تدل على أن مكونات هذا الكون تقعد حرارتها تدريجياً ، وإنها سائرة حتى إلى يوم تصير فيه جميع الأجسام تحت درجة من الحرارة بالغة الإنخفاض هي الصفر المطلق ! ويومئذ تنعدم الطاقة وتستحيل الحياة . وهكذا تدل الشمس المستمرة والنجوم المتوجهة على أن لها بداية ... وقد أثبت العلم فوق ذلك أن لهذا الكون بداية وأنه بدأ دفعة واحدة منذ نحو خمسة بلايين سنة .

• • •

(١) سورة التكوير : ١ . ومعنى كورت هنا أي رفت .

(٢) انكدرت : أظلمت . سيرت : أي ذهبت .

وهكذا سيكون مصير (القمر) ، على ما استنبط ذلك بعض علماء العصر الحاضر . فإنهم يقولون : يأتي يوم فيتجزأ القمر بالتأكيد ، فيصبح قرين فأكثـر . ثم تنجـحـر هذه الأجزاء انفـجـارـاً هـائـلاً وـتـسـتـحـيـلـ إلىـ أـلـفـ شـظـيـةـ أوـ أـكـثـرـ ، فـإـذـاـ قـرـبـتـ هـذـهـ الشـظـاـيـاـ منـ الـأـرـضـ تـسـتـحـيـلـ إلىـ آـلـافـ منـ الشـهـبـ الصـغـيرـةـ . وقد قال تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر » . قـيـدـاـ فيـ الـأـرـضـ سـلـسـلـةـ منـ الزـلـازـلـ وـيـشـتـدـ نـشـاطـ البرـاكـينـ وـتـقـدـفـ ماـ فـيـهاـ إـلـىـ الـخـارـجـ وـتـعـمـلـ الـهـزـاتـ فـيـ الـقـشـرـةـ الـأـرـضـيـةـ عـلـمـهـاـ ، فـتـقـسـوـيـ أـعـالـىـ الجـبـالـ وـقـمـهـاـ إـلـىـ سـوـيـةـ قـاعـ الـبـحـارـ . « وـيـسـأـلـنـكـ عـنـ الـجـبـالـ ، فـقـلـ يـنـسـفـهـاـ رـبـ نـسـفـاـ » . فـيـذـرـهـاـ قـاعـ صـفـصـفاـ ، لـاـ تـرـىـ فـيـهاـ عـوـجاـ وـلـاـ أـمـتاـ ، يـوـمـئـذـ يـقـبـعـونـ الدـاعـيـ لـاـ عـوـجـ لـهـ ، وـخـيـعـتـ الـأـصـوـاتـ لـلـرـحـمـانـ ، فـلـاـ تـسـمـعـ إـلـاـ هـمـساـ ، يـوـمـئـذـ لـاـ تـنـفـعـ الشـفـاعـةـ إـلـاـ مـنـ أـذـنـ لـهـ الرـحـمـانـ وـرـضـيـ لـهـ قـوـلاـ » .

★ ★ ★

ولقد توصل ثانية من العلماء ، من رجال الفلك بمرصد : (مولارد) نتيجة بحث استغرق ٨ سنوات : أن هذه الأرض إنما هي شظية من أحدى الشظايا التي طابرت نتيجة لانفجار هائل حدث قبل عشرة آلاف مليون سنة على حد قوله تعالى في (سورة الأنبياء : ٣٠) ، « أَوْلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً (أَيْ كَانَتَا مِرْتَقَيْنِ) : مَضْمُومَتَيْنِ مَلْتَحَمَتَيْنِ ، أَيْ أَنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا جَمِيعاً كَتْلَةً وَاحِدَةً) فَفَتَّقْنَا هُمَا (أَيْ فَفَصَلْنَا بَعْضَهَا عَنْ بَعْضٍ وَجَعَلْنَاهَا شَمْوَسًا وَكَوَاكِبَ وَنَجَومًا وَأَقْلَارًا « تَوَابِعَ النَّجَومِ » وَبَحْرَاتِ الْمَاءِ) .

وقد استعمل هؤلاء في استكشاف الفضاء عدة أجهزة جبارـةـ منـ يـنـهـاـ تـلـسـكـوبـ (مرـقبـ) وجـهاـزـ التـقـاطـ لـلـإـشـارـاتـ ، وـحـكـمـواـ أـنـ الـكـونـ سـوـفـ

ينتهي في يوم من الأيام . « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماءات » .
 (سورة إبراهيم (ع) : ٤٩) .

واعترفوا أن في الكون مسافات هائلة يعجز الذهن عن تخيلها : « والسماء
 بنيناها بأيدينا وانا لموسعون » ^(١) .

كما أثبتوا أن هناك أجساماً شمسية ميتة فوق حافة الكون ، وهذا ما
 يؤكد أن الكون يقترب من نهايته . وهذا هو عين ما درسته عندما كنت
 طالباً في الجامعة في فرع (الفيزياء الرياضية العالية) : من أن الشمس آخذة
 بالأفول والتضليل والإندثار .

« إن الله عنده علم الساعة ! وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام ، وما
 تدرى نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت ، إن
 الله علیم خبير » . (سورة لقمان : ٣٤) .

وان هؤلاء العلماء الثانية توصلوا أيضاً إلى أن كل الأجسام الموجودة
 في الكون من كواكب ونجوم وشموس وغير ذلك تنطلق في الفضاء بسرعة
 خيالية تاركة ثغرة في الوسط .

وانه قد كانت لهذا الكون بداية قطعاً ، كما جاء في القرآن الكريم :
 « أو لم يروا كيف يُبَدِّي الله الخلق ثم يعيده ، ان ذلك على الله يسير .
 قل سيروا في الأرض ، فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشيء النشأة
 الآخرة ، ان الله على كل شيء قادر » ^(٢) . وان الكون لن يدوم الى الأبد
 وانه يتغير مع الزمن حتى تقترب النهاية ، لشروع عالم آخر تتحقق فيه
 عوالم يوم القيمة .

وهكذا ذهب هؤلاء العلماء يعتقدون أن الإنفجار الم亥لي الذي وقع منذ
 ألف مليون من السنين في عدة كتلة من المادة أسفر عن انتشار شظايا

(١) سورة الذاريات : ٤٧

(٢) سورة العنكبوت : ١٨ - ١٩

مادية في مختلف الاتجاهات ، ثم تطورت هذه الشظايا إلى الكواكب والنجوم
التي نراها اليوم .

قرى أن العلم الحديث يقترب من الاعتراف بما جاء في القرآن الكريم
عن البداية والنهاية كلما أتيح له من آلات دقيقة ومعلومات رياضية عميقة .
وان معطيات العلم لم تكن لتخالف ما جاء في كتاب الله المجيد إلا لضآل
ما وصل إليه العلم وعجز الآلات المكتشفة عن الاستقصاء .

* * *

يعترف العلم الحديث : أن الندرات قد استحدثت منذ زمان لا يتجاوز
جملة قليلة من بلايين السنين ، وأن عمر أكثر النجوم ٣ بلايين من السنين ،
كما أن عمر المحيطات عدد قليل من بلايين السنين وأن النظام النجمي كان
موجوداً قبل زمن يتراوح بين بليونين وخمسة بلايين من السنين وأن عمر
الصخور المختلفة - ونعني بذلك الرملان الذى اتقضى منذ أن ت成立了 بعد أن
كانت مائعة - (١٩٨٠) مليون سنة . وقد قدر ذلك بكل دقة بواسطه «الطريقة
الزمنية للنشاط الإشعاعي » (Radioactive - Clock method) .

كما علم بنفس الطريقة أن عمر قشرة الأرض لا يقل عن بليونين من
السنين . ومن هنا نرى أن البحث عن عمر أية ناحية من نواحي الكون
ينتهى إلى جواب تقريري واحد : هو بضعة بلايين من السنين قدماً .

وقد رفض العلم الحديث «فرضية الكون الثابت غير المتغير » ، ويعتقد
اليوم جازماً أن الكون لم يكن فكما ، وأخذ يتطور تحت نظام وحساب
دقيق وتدبير عميق منذ بضعة بلايين من السنين ، وأن الكون كان في
المادنى الصحيح أقل تعقداً مما هو الآن . كما يعترف العلم أن صورة مجموع الفضاء
الكوني وما يأهله به من بلايين (الحجارات) هو في حالة انتشار سريع
وأن كل أعضائه يتبع بعضها عن بعض بسرعة مرهقة . « والسماء

بنیناها بآید وإنما لموسعون «^(١)».

ومن الامور المعروفة عند علماء الطبيعة والفالك أن مادة الكون الصالحة آخذة في الإنحلال والتلاشي أثناء تحولها إلى إشعاع . وأن وزن الشمس يقل كل يوم ٣٦٠ ألف مليون طن . أى أن هذا القدر من مادتها يتلاشى لكي تشع كل ما تشعه يومياً . وهذه الأشعة التي تنطلق منها تسير في الكون ، وستظل سائرة فيه إلى نهاية الدنيا . وتحول المادة إلى إشعاع عمل جار الآن في كل النجوم . وإن الأرض تخسر من وزنها يومياً بالإشعاع تسعاً رطلاً ! والله تعالى يقول : «أَوْلَمْ يَرَوا أَنَّا نَقْصِنُ الْأَرْضَ نَقْصَاصًا مِّنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مَعْدُوبٌ لِّحُكْمِهِ، وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ» . (سورة الرعد : ٤٢) . وفي آية أخرى : «بَلْ مَتَعْنَا هُؤُلَاءِ وَآبَاءِهِمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمَرُ . أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَقْصِنُ الْأَرْضَ نَقْصَاصًا مِّنْ أَطْرَافِهَا ، أَفَهُمْ غَالِبُونَ؟» . (سورة الأنبياء : ٤٦) . فتشير الآياتتان إلى الكونية أن الأرض منذ أن خلقها الله تتناقص من أطرافها وهي ظاهرة كونية لم يلتفت إليها العلماء إلا في السنوات الأخيرة إذ ثبتت الأبحاث العلمية عن شكل الأرض : أن قطرها الواصل بين القطبين يتناقص بكمية ضئيلة جداً ، إلا أن عملية التناقص هذه مستمرة منذ أن خلق الله الأرض ، حتى أن شكلها تطور بمرور الزمن من الشكل الكروي إلى الشكل البيضاوي تطويراً مستمراً لا انقطاع فيه .

وقد علم أنه ليس لهذا التحول الذي ذكرناه ما يقابلها من تحول الإشعاع إلى مادة حسب قواعد الفيزياء . أى ليس ما تفقده الأرض والشمس والنجوم في ناحية من نواحي الكون يعوض في ناحية أخرى : بتحول

الإشعاع (الطاقة) إلى مادة . أى ليست القضية كتحول المياه إلى بخار ثم تحول البخار إلى مياه وهكذا دواليك . ذلك لأن المادة حين الإشعاع تتحول من قوة ذات موجة قصيرة إلى قوة أخرى ذات موجة أطول منها . ويتعذر تحول قوة ذات موجة أطول إلى قوة ذات موجة قصيرة حسب قواعد الفيزياء . وإن هذا الانحطاط - أو التحول - في القوة لا يمكن أن يمضي كذلك إلى الأبد ، إذ لا بد أن يجيء وقت تتحول فيه آخر وحدة من القوة الصالحة للعمل إلى قوة غير صالحة للعمل وعندئذ تجيء نهاية الكون ! ويخبرنا الله تعالى عن ذلك بقوله : « إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ وَإِذَا الْبَحَارُ فَجَرَتْ »^(١) . وبقوله : « إِذَا السَّمَاءُ اشْقَطَتْ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ »^(٢) .

ويعرف العلم الحديث أن الطاقات (الإشعاعات) التي حدثت نتيجة تحول المادة (كل ما في الكون) إلى طاقات لا يمكن أن ترجع إلى مادة من جديد إلا بقوة خارجة عن الكون . ذلك لأن الكون ، حسب قواعد علم الفيزياء ، خاسر يو ما كل القوة الصالحة للإستعمال التي كانت فيه والكون الذي لا توجد فيه قوة صالحة للإستعمال ، كون ميت . فنهاية الكون تخين متى انخل كل جوهر من جواهر المادة وانطلق في الفضاء إشعاعاً قوياً قصيراً للأمواج . ولا بد من قوة خارجية هي : ارادة الله تعالى لإرجاع هذه الطاقات إلى عوالم أخرى من جنات عدن « عرضها السماوات والأرض » وغيرها من عوالم لا يعلمها إلا الله « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ويزروا الله الواحد القهار » . (سورة إبراهيم (ع) : ٤٨) . ويقول الله تعالى في سورة التكوير « وَإِذَا السَّمَاءُ كَشَطَتْ » : أى أزيلت . فكل شيء آهل إلى زوال وفناء ، حتى يبدأ بعد ذلك بإذن الله وإرادته

(١) سورة الانقطار : ١ — ٣

(٢) سورة الانشقاق : ١ — ٢

علم من جديد : « كلَّ مَنْ عَلَيْهَا فَانِّي وَيُبَقِّي وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ » .

★ ★ *

إنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ « فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءَ بِدْخَانٍ مُّبِينٍ »^(١) ، وَفِي
هَذِهِ الْآيَةِ اشارةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَتَخْبِرُنَا بِعَلَامَاتِهَا . فَالْمَعْرُوفُ
عَلَيْنَا أَنَّ كُلَّ نَجْمٍ أَوْ شَمْسٍ كَشَمَسَنَا لَابْدٍ وَأَنْ تَطْرُأْ عَلَيْهِ حَالَةٌ يَتَمَدَّدُ فِيهَا
سَطْحُهُ قَبْلَ أَنْ يَصُلَّ إِلَى حَالَةِ الْاسْتِقْرَارِ . وَشَمَسَنَا بِالذَّاتِ لَمْ تَمُرْ بَعْدَ هَذَا
الدُّورِ وَهِيَ لَا تَزَالُ فِي مُقْتَبِلِ عِمْرِهَا . وَعِنْدَمَا تَمَدَّدَ يَصُلُّ لَهُبَاهَا وَغَازَاتِ
جُوهُهَا الْمُسْتَعِرَةِ إِلَى الْأَرْضِ حَسْبَ قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَجْهُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ .
يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ ؟ ، كَلَّا لَا وزَرَ ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ
الْمُسْتَقْرِ »^(٢) . « فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمَ عَسِيرٍ ، عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرَ يَسِيرٍ »^(٣) .

إِنَّ اللَّهَ يَصْفِحُ حَالَةً هُوَ لِأَهْلِ الْكَافِرِينَ بَعْدَ أَنْ أَدْخُلُوا نَارَ جَهَنَّمْ ، يَصْفِحُهُمْ
بِقَوْلِهِ : « وَهُمْ يَصْطَرُخُونَ فِيهَا : رَبَّنَا أَخْرَجْنَا نَعْمَلُ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي
كَسَنَا نَعْمَلُ »^(٤) ، فَيَجِيئُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ : « أَوَلَمْ نَعْمَلْ كُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ
مِنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ، فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ » . نَسْتَجِيرُ بِاللَّهِ
مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ ! مِنْ « لَظَى ، نَزَاعَةَ لِلشَّوَى ، تَدْعُو مِنْ أَدْبَرٍ وَتَوْلِي
وَجْهَ فَأَوْعِي »^(٥) : جَمْعُ الْأَمْوَالِ ، فَلَمْ يَنْفَقُهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

* * *

إِنَّ اللَّهَ يَصْفِحُ حَالَةَ الْأَرْضِ بَعْدَ أَنْ يَلْغِي أَهْلَهَا ذُرْوَةَ الطَّيْشِ وَالْغَرُورِ
وَكَيْفَ أَنْهَا تَكُونُ هَبَاءً مُّنْثُرًا فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ بِقَوْلِهِ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ : « حَتَّى إِذَا

(١) سورة الدخان : ١٠

(٢) سورة القيامة : ٩ — ١١

(٣) سورة المدثر : ٩ — ١٠

(٤) سورة فاطر : ٣٧

(٥) سورة المارج

أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها ، أثناها أمرنا ليلاً أو نهاراً ، فجعلناها حصيناً كأن لم تغن بالآمس ، كذلك ففصل الآيات لقوم يتفكرن ! ^(١) .

العلم الحديث يخبرنا بالماضي الذري السابع في الفضاء وهو (البروتون) Proton) السابب الذي إذا اصطدم بشيء من الأشياء أرجعه في طرفة عين إلى إشعاعات وطاقات ! بل جعله نسيماً منسياً . وقالوا : إن هذا المارد يفني ما يصطدم به من مادة ، فيتحقق « إفقاء المادة » ^(٢) بهذا الاصطدام ، فلا يبقى شيء .

ثم إن الله تعالى بقوله في الآية المتقدمة : « أثناها أمرنا ليلاً أو نهاراً » يشير إلى حركة الأرض حول نفسها ، وذلك : لأن الليل والنهار يكونان على الكورة الأرضية في وقت واحد . والله تعالى لا يتزدّد في علمه ولا يتزدّد في وقت يريد فيه إفقاء الأرض : هل يكون ذلك ليلاً أم نهاراً ؟ وهو خالق كل شيء والعالم بما سيكون . فيشير قوله تعالى : « ليلاً أو نهاراً ، إلى أن قسماً من الأرض يتلقى أمر الإفقاء من جانب الله تعالى ، ليلاً ، والقسم الآخر في نفس اللحظة ، يتلقى هذا الأمر : نهاراً . وهذا لا يتم إلا بحركة الأرض حول نفسها وحدوث الليل والنهار في نفس الوقت نتيجة لهذا الدوران ... »

* * *

إن الله تعالى يقول : « يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلوله الساعة شيء عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى ، وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد » . (سورة الحج : ٣) .

(١) سورة يونس : ٢٤

(2) Annihilation de la Matière.

وقال تعالى : « وَإِذَا الْبَحَارُ سُجْرَتْ » ، وقد ثبت أنه عندما تنطلق ذرة الإيدروجين المتشحة مع الأوكسجين نتيجة للإنفجار الذري يجعل كافة البحار ناراً في أقل من لمح البصر .

وإذا انضمت ذرات الإيدروجين نتج عندهما (المليوم) وتنج عن ذلك أتون مشتعل يشمل الكون وما فيه ، فتصبح السماء ناراً : « إِذَا اشْقَعْتَ السَّمَاءَ ، فَكَانَتْ وَرَدَةَ كَالْدَهَانِ »^(١) .

يقول الله تبارك وتعالى : « وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلِمَةُ الرَّبِّ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ » . وقد أخبرنا الفلكيون أن نجمة (سيريوس) التي تشاهد كل ليلة باستخدام التلسكوب قد استحالت في طرفة عين أو أقل إلى نجمة صغيرة جداً ، مظلة ، وان نواة ذراها قد اندركت بعضها ببعض .

وهكذا سيكون مصير منظومتنا الشمسية ويتحقق كل ما أخبرنا الله تعالى في كتابه الذي « لَا يُأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ »^(٢) . يوم نطوى السماء كطى السجل للكتاب ، كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنما كنا فاعلين »^(٣) .

* * *

وهكذا يخبرنا الله تعالى في سورة زمر : ٦٧) :

« وَمَا قَدُورَا اللَّهُ حَقْ قَدْرَهُ ، وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ ، سَبِحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَشْرُكُونَ » . ومعنى ذلك : أنه إذا كان يوم القيامة تكون الأرض جميعاً مقبوض عليها في يده تعالى (أي تكون تحت قدرته وطوع إرادته) . ذلك : لأن الله ليس بجسم حتى

(١) سورة الرحمن : ٣٧ . (أي أن السماء صارت حراء مذابة كالدهن) .

(٢) سورة فصلت : ٤٢ .

(٣) سورة الأنبياء : ١٠٤ .

ت تكون له يد ، و تكون السماوات على أبعادها غير المتناهية مطويات بيمينه ، فسبحانه أى فتنزها له عما يشركون . وهذا يدل أن هناك تبديلاً هائلاً في الكون عند حلول يوم القيمة ؛ يخبر عنه ربنا جل جلاله في آيات عدة ، كي نتزود بالقوى ، وتهيا في دنيانا هذه لـ « جنة عرضها السماوات والارض أعدت للمتقين » .

إن الله تبارك وتعالى يبين لنا أيضاً بوضوح ما سيقع في الارض أولاً ثم ما سيقع ثانياً حين تتبدل هذه الارض بأرض أخرى وكذا السماء بسماء أخرى أيضاً وذلك بقوله تعالى في (سورة زمر : ٦٨) . « ونفح في الصور ، فصعق من في السماوات ومن في الارض إلا من شاء الله ، ثم نفح فيه أخرى ، فإذاهم قيام ينظرون ، وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجئ بالنبين والشهداء ، وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون ، ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون »^(١) . ومعنى ذلك : أن (إسرافيل) ينفح في بوق يوم القيمة ، فيموت كل حي ، ثم ينفح مرة أخرى ، فيقومون للبعث . وان النفح في البوق لا يشبه ما نفهمه نحن اليوم من كلتي النفح والبوق ، وإنما علم ذلك عند الله . وهذا إيدان بمجيء يوم القيمة ثم إيدان بالبعث . (ومعنى صعق : أى خر ميتاً أو مغشياً عليه) .

★ ★ *

فلا سبيل لهذا الانسان إذا أراد تصحيح معتقداته إلا التمسك بالعمل الصالح^(٢)

(١) سورة الزمر : ٦٨ — ٧٠

(٢) قال رسول الله (ص) : « ان على كل مسلم في كل يوم صدقة ، قلوا ومن يطريق هذا ؟ قال (ص) : اماطتك الأذى عن الطريق صدقة ، وارشدك على طريق صدقة ، وعيادتك المريض صدقة ، وابتاعك الجنازة صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، ورددك السلام صدقة » . (الأذى في الطريق كالشوكل والحجارة) .

وَبِرُّ الْوَالِدِينَ^(١) وَصَلَةُ الرَّحْمِ^(٢) وَصَدَقَاتُ ، وَإِحْسَانٍ وَقَضَاءَ حُوَاجْنِ النَّاسِ^(٣) .
وَالتَّفَانِي (إِنْ أَمْكَنْ) فِي هَذَا الْمُضَارِ . وَتَطْهِيرِ الْمَأْكُولِ وَالْمَشْرُبِ مَا حَرَمَ
اللَّهُ ، وَارْجَاعُ حُقُوقِ النَّاسِ إِلَيْهِمْ ، وَتَجْنِبُ الْمُحْسَدِ وَالْبَخْلِ وَالْكَبِيرِ وَهُنَّ
أَصْوَلُ الْكُفْرِ كَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ . وَتَجْنِبُ الْغَيْبَةِ^(٤) وَالْنَّيْمَةِ وَالْخَدَاعِ
وَالْكَذْبِ وَكُلِّ مَا يُلْوِثُ هَذِهِ النَّفْسِ مِنْ خَمْرٍ وَمِيسِرٍ (قَارِ) وَفُسْقٍ وَجُنُورٍ
وَغَمْطٍ حُقُوقِ النَّاسِ وَاعْتِيَارِهِ مَكْسِبًا . وَالْقِيَامُ بِصَلَاتِهِ^(٥) فِيهَا خَشْوَعٌ
وَخَضْوَعٌ ، « قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ »^(٦) . وَصُومُ
لِوْجَهِ اللَّهِ (لَا ارْضَاءَ لِلَّوَالِدِينَ أَوْ حَيَاةً مِنَ النَّاسِ) وَحِجَّةُ ادَاءِ الْوَاجِبِ
الْدِينِ^(٧) وَادَاءِ خَمْسِ الْأَرْبَاحِ^(٨) وَادَاءِ الزَّكَةِ الْوَاجِبَةِ^(٩) وَالزَّكَةِ

(١) وَعَنِ النَّبِيِّ (ص) : « وَأَبْوَيْكُ فِيمَا أَطْعَمْتُهَا حَيْنٍ وَمِيتَنِ ، فَإِنْ أَمْرَكَ
أَنْ تَخْرُجَ مِنْ أَهْلَكَ رَمَالِكَ فَأَفْلَمْ ، فَإِنْ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ » .

(٢) فِي الْحَدِيثِ : « صَلَةُ الْأَرْحَامِ تَطْلِيلُ الْأَعْمَارِ وَتَعْمَرُ الدِّيَارِ وَإِنْ كَانُوا كُفَّارًا » .
وَفِي خَبْرٍ : « اتَّقُوا الْحَالَةَ ، فَإِنَّمَا نَمِيتُ الرِّجَالَ » ، قَيْلَلٌ وَمَا الْحَالَةُ يَا ابْنَ
رَسُولِ اللَّهِ ؟ قَالَ : قَطْلِيْمَةُ الرَّحْمِ . وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : « لَا صَدَقَةٌ وَذُو رَحْمٍ مُحْتَاجٌ » .
وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : « إِنَّ اللَّهَ خَاقَ الْجَنَّةَ وَطَيَّبَهَا وَطَيَّبَ رِيحَهَا وَلَا يَجِدُ رِيحَهَا عَاقِلًا وَقَاطِمَ
رَحْمًا » .

(٣) عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (ع) : « لِقَضَاءِ حَاجَةِ أَمْرَىءِ مَؤْمِنٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ عَشْرِينَ
حَجَّةَ كُلِّ حَجَّةٍ يَنْفَقُ فِيهَا صَاحِبُهَا مائِةً أَلْفًا » .

(٤) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) : اجْتَنِبُوا الْغَيْبَةِ ، فَإِنَّمَا أَدَمَ كَلَابَ النَّارِ . وَقَدْ شَتَّلَ
النَّبِيِّ (ص) : مَا كَفَارَةُ الْأَغْتِيَابِ ؟ فَقَالَ : « تَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ أَغْتَبْتَهُ كَلَّا ذَكْرَهُ » .

(٥) عَنِ النَّبِيِّ (ص) : « مَنْ تَرَكَ الصَّلَةَ مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِّمَتْ مِنْهُ مَلَةُ الْإِسْلَامِ » .

(٦) سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ : ١ — ٢

(٧) عَنِ النَّبِيِّ (ص) : مَنْ وَجَدَ إِلَى الْحَجَّ سَبِيلًا ، فَلَمْ يَحْجُّ ، فَلَيْمَتْ إِنْ شَاءَ
يَهُودَيَا أَوْ نَصَارَائِيَا .

(٨) عَنِ النَّبِيِّ (ص) : إِنْ مَانَعَ الْجَنْسَ يَحْمِرُ مَعَ الظَّالِمِينَ لَا لِمَحْدُودِهِمْ .

(٩) عَنِ النَّبِيِّ (ص) : مَنْ ضَيَّعَ قِيرَاطًا مِنَ الزَّكَةِ فَلَيْمَتْ إِنْ شَاءَ يَهُودَيَا وَإِنْ
شَاءَ نَصَارَائِيَا .

الباطنة ، وفي أموالهم حق للسائل والمحروم ،^(١) ، والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٢) ، إلى ما هنالك من واجبات ومستحبات أخرى ، كي يرى كيف تذهب عنه الشكوك رويداً رويداً وتقشع عن نفسه الشبهات شيئاً فشيئاً ، بل يدخل في عوالم القدس ، حيث اليقين والطمأنينة ، « ألا بذكر الله تطمئن القلوب »^(٣) ، فيكون لذاك مصدق هذه الآية المباركة : « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية ، فادخل في عبادي وادخل جنتي »^(٤) .
وهذا غاية التكامل لهذا الإنسان .

* * *

ولكن إذا تمادي الشخص في طيشه واجرامه ومكره وظلمه^(٥) ونكر انه ما عليه من حقوق الناس وواجب الشكر تجاه حالقه ، وارتدى رداء الكبراء وثابر على فسقه وغوره ، كان من البطلين الذين خسروا أنفسهم على حد قوله تعالى : حيث يقول : « يوم تقوم الساعة يومئذ يخسر البطلون ». وترى كل أمة جائحة^(٦) ، كل أمة تدعى إلى كتابها ،

(١) سورة الزاريات : ١٩

(٢) قال رسول الله (ص) : إن الله ليهض المؤمن الضعيف ، قيل يا رسول الله ، من المؤمن الضعيف ؟ قال : الذي لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر . وفي حديث آخر : « ويل لقوم لا يدينون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » .

(٣) سورة الرعد : ٢٨

(٤) سورة الفجر : ٢٨ — ٣٠

(٥) قال رسول الله (ص) : « اجتنبوا دعوة المظلوم ولو كان كافراً . فإنه ليس دونها حجاب ». وفي حديث آخر : « من مثى مع ظالم ليعنجه وهو يعلم أنه ظالم ، فقد خرج من الإسلام » ، وفي حديث آخر أيضاً : « من أغان ظالماً ليهض بيأطله حتفاً فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله ». وفي حديث آخر : « من أرضى سلطاناً بما اسخط الله خرج من دين الإسلام » .

(٦) سورة الجاثية : ٢٦ — ٣٣ . (جائحة : باركة على ركبها) .

اليوم تجزون ما كنتم تعملون ، فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ، ذلك هو الفوز المبين ، وأما الذين كفروا ، أفلم تكن آياتٍ تُتلى عليكم ، واستكثرواكم وكنتم قوماً مجرمين ، وإذا قيل إن وعد الله حق وال الساعة لا ريب فيها ، قلتم ما ندرى ما الساعة ، إن نظن إلا ظنا وما نحن بمسطيقين . وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون . وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا وأموالكم النار وما لكم من ناصرين »^(١) .

* * *

نسأل الله تعالى تطهير نفوسنا وتنكير ذنوبنا ، لنخرج من الظلمات إلى النور بإذنه ، فنتذكر يوم المعاد : « يوم يقوم الناس لرب العالمين » عند كل عمل تقوم به ، فلا يصدق منا إلا ما يرضي الله تعالى ، كي نذهب من هذه الدنيا ، طاهرين ، مطهرين ، زكيين ، نقين ، إلى روح وريحان وخلود في جنان ، دونما قلق وأضطراب وذلك هو الفوز المبين .

« استجيبوا للربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ، ما لكم من ملحاً يومئذ وما لكم من نكير »^(٢) ، ^(٣) .

(١) لا بأس بذكر هذين الحديثين عن رسول الله (ص) : لأهليهما ، لا سيما في مثل هذه الظروف . فإن عاقبة الإنسان منوطه بعمله ودرجة تعاهـير نفسه . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من زوج كريمه بفراق نزل عليه كل يوم ألف لعنة ولا يصعد له عمل إلى السماء ولا يستجيب له دعا . ولا يقبل منه صرف ولا عدل » .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أي أسرأه رضيـت بـترويج فـاسـق فـهي مـناـفـة وجـلـست فيـالـنـار . وـإـذـماـتـفـتـحـ فـيـقـبـرـهاـ سـبـعـوـنـ بـابـاـ مـنـ العـذـاب . وـإـنـ قـاتـ : لـاـ إـلـهـ إـلـهـاـ ، لـعـنـهاـ كـلـ مـلـكـ بـيـنـ السـمـاءـ وـالـأـرـضـ وـغـضـبـ اللـهـ عـلـيـهاـ فـيـ الدـنـيـاـ وـالـآـخـرـةـ وـكـتـبـ اللـهـ عـلـيـهاـ فـيـ كـلـ يـوـمـ وـلـيـلـةـ سـبـعـيـنـ خـطـيـئـةـ » .

(٢) نـكـيرـ : أي ما تستـطـيـعونـ منـ اـسـكـارـ مـاـ اـقـتـفـتـهـ مـنـ الذـنـوبـ .

(٣) سـوـرـةـ الشـورـىـ : ٤٧ .

من آثار الديحانة باليوم الآخر

للايمان باليوم الآخر آثار ثمينة جداً . منها :

(١) أن الإنسان يرافق نفسه في كل عمل يقوم به خوفاً من العقاب الأخرى ، فلا يتصدى إلى ما حرم الله من ظلم وفسق وإجحاف بحقوق الآخرين . وإن أغواه الشيطان يوماً ، فهو يتوب حالاً ويعالج بصورة فعلية وعملية ما كان منه من إجحاف بحقوق الغير أو جرح الخواطر إلى ما هنالك .

(٢) أنه يرى أن الحياة ليست بالشيء الذي ينقطع مع الموت ، بل هي خالدة مستمرة إلى ما بعد الموت بصورة دائمة ، وأن « الدنيا مزرعة الآخرة » ، كما جاء في الحديث ، فيقوم في هذه الدنيا بأعمال صالحة وما يقربه إلى الله من عبادات كي يجني ثمرها الجنين في الحياة الآخرة ، إن هذه العقيدة نفسها خير مؤدب للفرد وعامل قوى لإيجاد حياة اجتماعية سعيدة يعلوها المدح والاطمئنان . فمن تجرد عن عقيدة المعاد لا يردعه شيء عن ارتكاب ما تهواه نفسه الطائشة إلا هذه القوانين الوضعية . وإن هذه القوانين البشرية ! لا أثر لها في تعديل الأمور الشخصية الفردية وأمور أخلاقية عائلية واجتماعية ، لأنها أبعد من أن تستوعب كل ذلك . فالعقيدة بالمعاد خير حافر لإصلاح النفس الإنسانية وقطعها من أحل السκال الإنساني .

(٣) إن المعتقد بالمعاد يقوم بما أوجب عليه الإسلام بالنسبة إلى الوالدين والأرحام والاصدقاء وبقية المؤمنين من بر واحسان وخدمات اجتماعية « من أصبح ولم يتم بأمور المسلمين فليس منهم » وهذا مما يؤدى إلى تساند اجتماعي وتكون المجتمع متكافل هو مصدق هذا الحديث : « مثل

المؤمنين في قوادهم وترابهم وتعاطفهم كمثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو واحد تداعى له سائر الأعضاء بالسرير والجسدي .

* * *

وقد قال بعضهم : إن الاعتقاد بالآخر يعوق الفرد عن السير في أمور الدنيا قدماً بحدة ونشاط . ولكننا نرى أن المسلمين الأوائل قد قاموا بأعمال جبارة في حقول شتى من تجارية وصناعية وزراعية و عمرانية وإن أكثر من ربع المعمورة كانت للMuslimين ، وما كان ليُعيقهم الاعتقاد بالآخرة للعمل في عمارة الدنيا بشكل لا يؤدى إلى فساد الأرض وتساقط النفوس ونسيان الآخرة . فقد قال رسول الله لصحابه : « إن أخوف ما أخافه عليكم اثنان : اتباع الموى وطول الأمل . فاما اتباع الموى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فينسى الآخرة » .

على أن الإنسان بطبيعته ميال إلى الدنيا ، يحرص على عمرانها والتزود منها كلما وجد إلى ذلك سبيلا . لذلك يبحث الدين الإسلامي الإنسان على التفكير في حياة أخرى خالدة والتهيؤ لها كي لا تميل النفس إلى المادة فحسب ، فتساهم . وفي الخبر : « تذكروا هادم اللذات » .

وان للاعتقاد بالمعاد أثراً بالغاً في تهدمة النفوس إذا ما حرموا (حكمة ما) من بعض زخارف الدنيا أو أصيروا ببعض النكبات . فالله تبارك وتعالى سوف يعوضهم عن ذلك جزاءً موفوراً في نعيم خالد لا يُقاس بنعيم الدنيا بحال . وقدر ذلك علماء النفس .

وصفة القول : إن الاعتقاد بالمعاد خير رقيب لهذا الإنسان يصدء عما يؤدى إلى فساد أو إفساد . ويحثه على ما هو خير وصلاح . فتكون الحياة الاجتماعية قد بلغت شأواً فاصياً من تحاب وتوادٍ وتراحم ... « إنما المؤمنون أخوة » .

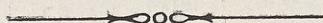
فما على المسلمين في أرجاء البسيطة إلا أن يقوموا بتطبيق تعاليم الإسلام

لتحقيق حياة اجتماعية سعيدة على وجه الأرض وجعل الإسلام دينا عاليا
حالداً كأتناً بذلك كثير من العلماء .

* * *

«ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ . ربنا إنك جامع الناس يوم لا ريب فيه ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ»^(١) .

﴿ اتَّهَى الْجَزْءُ الثَّالِثُ ، وَالْمَحْمَدُ لِلَّهِ . وَسَيِّدُهُ الْجَزْءُ الرَّابِعُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ﴾ .



(١) سورة آل عمران : ٨٠ (الزين : المدول من الحق) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مع العلم أن كل ما عرفناه من مواد، يتكون من واحد أو أكثر من العناصر الآتية :

العنصر	العدد الذري	الوزن الذري المتوسط	العنصر	العدد الذري	الوزن الذري
هيليوم	٢	٤٠٠٠	ليثيوم	٣	٩٥٠٢
كربون	٦	١٢٠١	بورون	٥	١٢٥٠١
أكسجين	٨	١٦٠٠٠	نيتروجين	٧	٢٠١٨
نيون	١٠	٢٠٠١٨	فلور	٩	٣٤٥٣٢
ماغنيسيوم	١٢	٣٤٥٣٢	صوديوم	١١	٢٨٥٠٦
سلیكون	١٤	٢٨٥٠٦	ألومنيوم	١٣	٣٠٥٠٦٤
كبريت	١٦	٣٠٥٠٦٤	فوسفور	١٥	٣٩٥٩١
أرجون	١٨	٣٩٥٩١	كلور	١٧	٤٠٥٧
كالسيوم	٢٠	٤٠٥٧	بوتاسيوم	١٩	٤٧٩٠
تيتانيوم	٢٢	٤٧٩٠	سکانديوم	٢١	٥٢٥٠١
كروم	٢٤	٥٢٥٠١	فاناديوم	٢٣	٥٥٥٨٤
حديد	٢٦	٥٥٥٨٤	منجنيز	٢٥	٦٨٥٦٩
نيكل	٢٨	٦٨٥٦٩	كوبالت	٢٧	٦٥٥٣٨
خارصين	٢٠	٦٥٥٣٨	نحاس	٢٩	٧٢٥٦٠
جرمانيوم	٢٢	٧٢٥٦٠	جاليليوم	٣١	٧٨٥٩٦
سيلينيوم	٣٤	٧٨٥٩٦	زرنيخ	٣٣	

العنصر	العدد الذري	الوزن الذري المتوسط	العنصر	العدد الذري	الوزن الذري المتوسط
بروم	٣٥	٧٩٩٩١٦	كريتون	٣٦	٨٣٨٨
روبيديوم	٣٧	٨٥٤٤٤	سترنشيمون	٣٨	٨٧٦٦٣
بترفيوم	٣٩	٨٨٩٩٢	زركونيوم	٤٠	٩١٢٢٠
نيوبيوم	٤١	٩٢٩٩١	مولبدنوم	٤٢	٩٥٩٩٥
تكتينتيوم	٤٣	٩٩٥٠٠	روتنينيوم	٤٤	١٠١٧
روذيوم	٤٥	١٠١٩٩١	بلاديوم	٤٦	١٠٦٧
فضة	٤٧	١٠٧٨٨٠	كدميوم	٤٨	١١٢٤١
إنديوم	٤٩	١١٤٨	قصدير	٥٠	١١٨٧٠
أنتيمون	٥١	١٢١٧٧	تيليريوم	٥٢	١٢٧٥٩
يود	٥٣	١٢٦٩٣	زينون	٥٤	١٣١٣
سيزيوم	٥٥	١٣٢٩١	باريوم	٥٦	١٣٧٣٧
لانتانوم	٥٧	١٣٨٩٠	سيريوم	٥٨	١٤٠٢٥
براسيودينيوم	٥٩	١٤٠٩٣	نيوديميوم	٦٠	١٤٤٢٧
لينيوم	٦١	١٤٦٠	ساريوم	٦٢	١٥٠٤٣
أوربيوم	٦٣	١٥٢٥٠	جادولينيوم	٦٤	١٥٧٢٦
تيزيوم	٦٥	١٥٩٢	ديسبروزيوم	٦٦	١٦٢٥٢
هولليوم	٦٧	١٦٤٩٤	أريوم	٦٨	١٦٧٧
ثوليوم	٦٩	١٦٩٤	يتريوم	٧٠	١٧٣٦
لوتيسيوم	٧١	١٧٥٠	هفينيوم	٧٢	١٧٨٦
تانتالوم	٧٣	١٨٠٨٨	تنجستون	٧٤	١٨٣٩٢
رينيوم	٧٥	١٨٦٣١	أوزميوم	٧٦	١٩٠٥٢

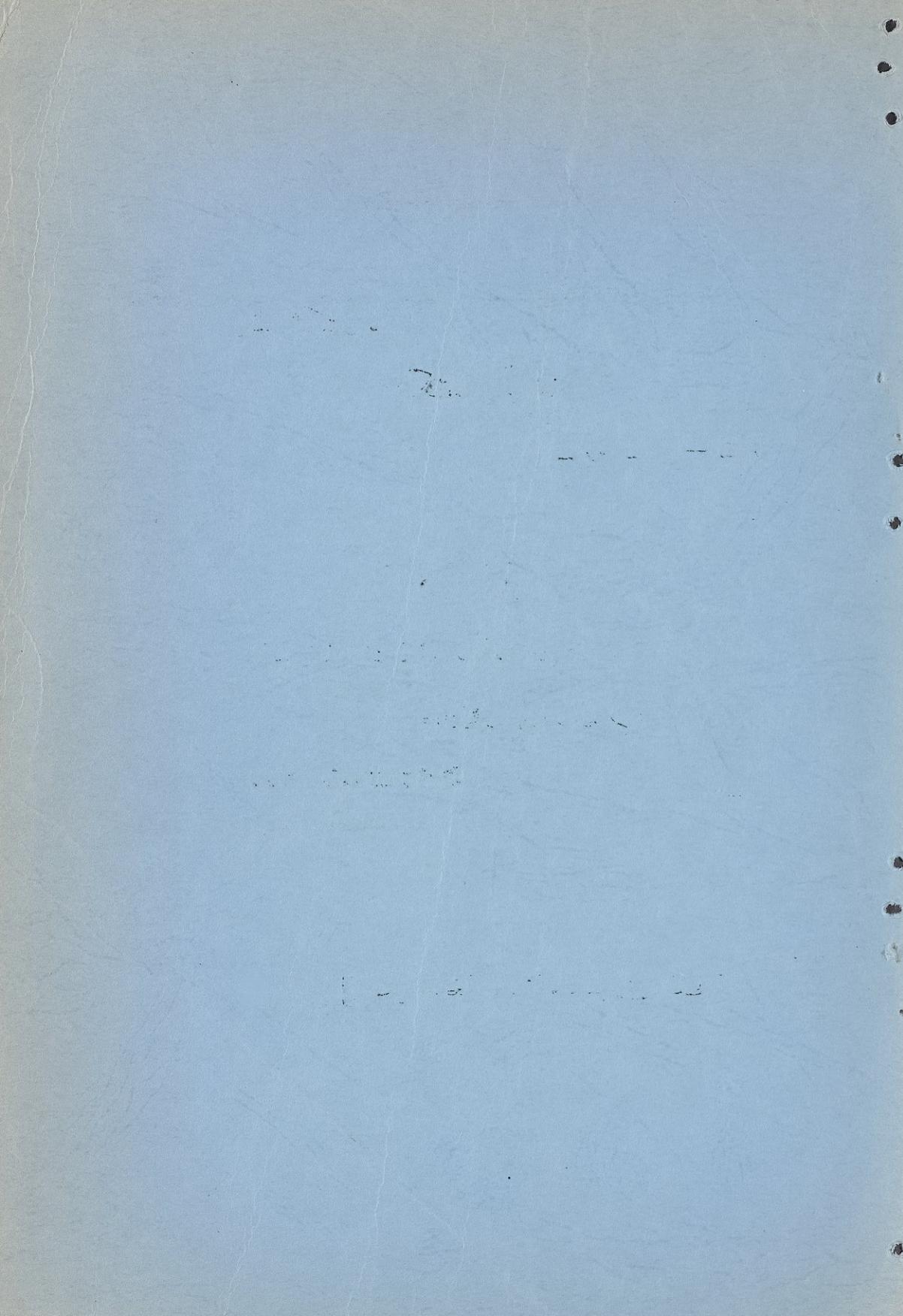
العنصر	العدد الذري	الوزن الذري المتوسط	العنصر	العدد الذري	الوزن الذري المتوسط
بلاتين	٧٨	١٩٥٥٢٣	ليريديوم	٧٧	١٩٣٥١
ذهب	٨٠	٢٠٠٥٦١	ذهب	٧٩	١٩٧٥٢
رصاص	٨٢	٢٠٧٥٢١	ثاليوم	٨١	٢٠٤٥٣٩
بولونيوم	٨٤	٢١٠٥٠٠	بزموت	٨٣	٢٠٩٥٠٠
رادون	٨٦	٢٢٢٥٠٠	استاتين	٨٥	٢١٨٥٠٠
راديوم	٨٨	٢٢٦٥٠٥	فرانسيوم	٨٧	٢٢٣٥٠٠
ثوريوم	٩٠	٢٢٣٥١٢	اكتينيوم	٨٩	٢٢٧٥٠٠
يورانيوم	٩٢	٢٣٨٥٠٧	بروتاكستينيوم	٩١	٢٣١٥٠٠
بلوتونيوم	٩٤	٢٣٩٥٠٠	نيبيتونيوم	٩٣	٢٣٧٥٠٠
كيوريوم	٩٦	٢٤٢٥٠٠	أرسنيوم	٩٥	٢٤١٥٠٠
كالفرنيوم	٩٨	٢٤٤٥٠٠	بركليوم	٩٧	٢٤٣٥٠٠
فرميوم	١٠٠	٢٥٤٥٠٠	لينشتينيوم	٩٩	٢٥٣٥٠٠
نوبليوم	١٠٢	٢٥٧—	مندلفيوم	١٠١	٢٥٦٥٠٠

- الفهرس -

<u>الموضوع</u>		<u>الصفحة</u>
<u>المقدمة</u>	٣	
العلم والإيمان	١٠	
والسماء بنيناها بأيدينا وإنما لموسعون	٦٥	
فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون : ١	٧٤	
٢ : د د د	٧٨	
الروح	١١٣	
حرمة لاحضنار الأرواح	١٣٠	
ومن جملة ما لا تبصرون : الجن	١٢٣	
السلوك الرحماني والسلوك الشيطاني	١٤٢	
فلسفة العاد .	١٥٨	
من آثار الإيمان باليوم الآخر	٢٢٥	
جدول بأسماء العناصر المكتشفة لحد الآن .	٢٢٨	

تصويب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٠	١٤	العلم	هذا العلم
٢٣	١٧	يعيسى	لعيسي
٣٩	١٤	اني	إلي
٨٤	١٣	وزنه	وزن الألكترون =
٨٦	١	الوزن	الترتيب
٩٦	٣	...	لاتحاد
٩٦	١٦	ط	= ط
١٤٠	٩	الملاك	الملأ
١٥١	٢١	بكلتيمها	بكتيبيها
١٦٥	١٣	وان	ران
١٦٦	١٧	ختبر	يختبر
١٩٤	١٤	أفعينيا	أفعينا
١٩٤	١٧	أعزنا	أعجزنا
١٩٤	٢٣	لى	بلى
١٩٥	٢٠	براك	يراك
١٩٨	٧	ثائق	ثنائك
١٩٩	٣	أن	على أن
٢٠١	٢٠	كان	كان هو
٢١٥	٢١	محجرات	مجرات



يطلب الكتاب من :

مكتبة الضا

سوق السراي - بفؤاد

نقدت الطبعة الثانية للجزء الأول من كتاب :

«النهاية في الدسم»

وبوشر بطبعه للمرة الثالثة .

[سعر النسخة : مائة وسبعون فلساً]

الْكِتَابُ الْأَمِلَةُ

بِقَلْمِ

أَحْمَدَ أَمِينَ

الْجَزءُ الرَّابِعُ

الطبعة الأولى

الثمن (١٧٠) فلسماً

دار النعمان في النجف
للطباعة والنشر

صاحبها حسن الشیخ ابراهیم الكتبی



الإكمال في الاستدرايم

الجزء الرابع

بِقْلَم :

أحمد أمين

طبع على نفقة دار النعماان - للطبع والنشر
١٣٨٣ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي انحصرت الاوصاف عن كثنه معرفته ^(١) وردَّ دعَتْ
عظمته العقول فلم تجد مساغاً الى بلوغ غاية ملكته . هو اللهُ الملك الحقُّ
المبين . أحقُّ وأينُ مما تراه العيون . لم تبلغْ العقول بتحديدٍ فيكونَ
مشبيهاً ، ولم تقع عليه الاوهام بتقدير فيكون ممثلاً . خلقَ الخلقَ على
غير تمثيل ولا مشورةٍ مثثير ، ولا معونةٍ معين . فتمَّ خلقُه بأمره . وأذعنَ
لطاعته فأجاب و لم يدفع و اقْناد و لم ينazuع .

(١) من كلام لعلي أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام . انحصرت :
انقطعت وكللت وأعيت .

سُبْرَ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدين أمر فطري

منذ أن وجد الإنسان على وجه الأرض كان يدين بما يميله عليه عقله من أن لهذا الكون موجداً وحالقاً مدبراً ، خلق الإنسان بهذا الشكل الخارق العجيب . وخلق قبلاً الهواء والماء والنبات لاستقرار حياته . فكما أن الله تعالى ألمهم الإنسان أن يستفید من تجاريته لإدامته حياته ، فيأوى إلى الكهف لاتقاء البرد أو يلبس من جلود الحيوانات ويجرب الأمور البسيطة من الزراعة والصناعة ، كذلك ألهمه أن يفكر في تلك القدرة العظيمة ، قدرة الله التي لا تنتهي وعظمته التي لا تحد . وقد قال تعالى : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » ^(١)

وقد أثبتت الحفريات والآثار أن الدين قد رافق الإنسان منذ بدء الخليقة . يقول الأثري الدكتور سليم حسن : « دلت البحوث العلمية البحتة حتى الآن على أن لكل قوم من أقوام العالم عامة مهما كانت ثقافتهم منحطة ديناً يسرون على هديه ويخضعون لتعاليمه » .

يقول الفيلسوف اليوناني الكبير : سocrates : « يشعر الإنسان ب حاجته الماسة إلى الهواء والماء والطعام وكذلك تشعر روحه أنها في حاجة مبرمة أيضاً

(١) سورة الروم آية ٣٠

الى غذاء روحي . وهذا الشعور هو في عرفنا : الدين الذي اهتدى اليه أول إنسان . يدل ذلك على ذلك : أننا اذا تبعنا حياة طفل أتينا به من أقصاصي البلاد المتوضحة وتركناه يتبرعرع بدون أن نلقطه عقيدة دينية مهما كان نوعها ، فإنك لتجده عندما يصبح رجلاً كامل الشعور يتحرى في أعماق تفكيره عن شيء مجهول . ويظل باحثاً منقباً تحت تأثير عامل نفسي وغريزي حتى يعثر على بادرة تكون في أول أمرها مائعة اللون تتمرکز في دماغه ، ثم لا تلبث حتى تتجمّس وتتخذ شكلاً صوفياً بارزاً يأخذ في التطور رويداً رويداً الى الشيء الذي نسميه (عقيدة) أو (ديناً) لأن هنالك ضرورة خفية وقوية تدفعه الى هذا التدرج ، حتى يصل الى النوع الذي يحلو له للعبادة » .

يقول المؤرخ الاغريقي الشهير (بلوتارك) منذ نحو ٢٠٠٠ سنة : « من الممكن أن نجد مدنًا بلا أسوار ولا ملوك ولا ثروة ولا آداب ولا مساحات ولكن لم يرَ الإنسان قط مدينة بلا معبد أو لا يمارس أهلها عبادة » .

فنحن نقرأ في أسفار الهند المعروفة بالكتب الفيدية : إن الإله الأكبر قد خلق الأرض بكلمة ساحرة ، فأمرها بأن توجد ، فبرزت على الفور إلى حيز الوجود » .

ونقرأ في كتب الصين واليابان القديمة جداً : « أن إله السماء هو الذي يصرف الأكون ويدبر أمور الإنسان » .

ونقرأ في كتب الفرس القديمة ما نصه : « هو أقوى القوى في عالم الملائكة وهو واهب الانعام المكين ، الكامل القدس ، الحكيم الخبير ، الغني المتعني ، السيد المنعم ، القهار ، محقق الحق ، البصير ، الشافي ، الخلاق ، العليم بكل شيء » .

ونجد عند الفراعنة من النصوص التي تدل على الابتهاج إلى الله العلي القدير والتي تشير في النفس شعوراً فياضاً بالإيمان والتوحيد . منها :

اقرأوا وصية الملك (آنى) من ملوك مصر القدماء لابنه (خنسو حوتب) :
« لا تأثم ، خفِ الله واتقِ غضبه ، وإذا صليت لله فمن العبث ان تجهر أو
تصيح ، صلِّ بقلب مؤمن يخاطب الله في غير إعلان يقضِ الله حاجتك
• وستتح دعاءك »

ولسائل أن يسأل : كيف عبد الناس الأوثان والهؤام والبقر والشمس
وتسافلوا حتى صاروا تشركون ببول المقر !

فلا يعود حتى تظهر النفس من فسوقها واجرامها .
الإيمان ويعاكسه . فلو تلوثت النفس الانسانية بالفسق فرّ الإيمان من وجهه ،
جعل الله تعالى تقبلاً بين الإيمان والفسق . ومعنى ذلك أن الفسيق يضاد
انه تعالى يقول : «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمْنَ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوِونَ» (١) .

انه تعالى يقول : «أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» (٢)
وفي آية أخرى : « وَمِنْهُمْ مَنْ يَوْمَنْ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَوْمَنْ بِهِ ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِالْمُفْسِدِينَ » (٣) . وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ طَرِيقَ الْإِيمَانِ قَدْ سُدَّ عَلَى الْمُفْسِدِينَ .
وفي آية أخرى : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كاذِبٌ كُفَّارٌ » . فَالْكَذْبُ يُزِيلُ
الْإِيمَانَ . وفي آية أخرى : « وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا
الْفَاسِقُونَ » . فَالْفَاسِقُ يُكْفُرُ بِآيَاتِ اللَّهِ بِصُورَةٍ طَبِيعِيَّةٍ .

١٨) سورة السجدة :

٣٦، ٣٥: سورة القلم

٣) سورة يونس :

كان الناس بالفطرة يؤمنون بالله ويوحدونه ، حتى غلت عليهم شياطينهم ، ففسقوا وفجروا وظلموا وأساؤوا ، فانسحب اليمان وسؤال لهم الأبالسة عبادة الأصنام والحيوان على حد قوله تعالى : « ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوئي أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون » ٠

فالإلحاد أو الوثنية أمر عارض ينافق الفطرة ويعاكسها ٠ إنما تعالى يقول : « وادْأْخُذْ رِبَّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتِهِمْ وَأَشَهَدُهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ ، أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ، قَالُوا بَلِّي شَهَدْنَا ، أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَا كَنَا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ، أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكْنَا بَأْوَانَا مِنْ قَبْلِ وَكَنَا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ ، أَفْتَهَلْكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطَلُونَ » ٠

فالله تبارك وتعالى قد غرس أصول التوحيد والإيمان في النفس الإنسانية في عالم الذر ، في عالم الأرواح إتماماً للحججة « قل فلله الحجة البالغة » (٤) ٠ فهناك رسولان : رسول باطنني ، وهو العقل ، جعل الله الإنسان مسؤولاً تجاهه : فـ « العقل ما عبَدَ به الرَّحْمَانُ وَاكتَسَبَ به الْجَنَانَ » ورسول ظاهري : وهم الأنبياء سلام الله عليهم أجمعين ٠

فالناس كانوا في قديم الزمان ، في وقت لا يحدد التاريخ مؤمنين بالله ، يوحدونه ويقدسونه ، ولكن الشيطان قد سول لهم فأطاعوه بتلويث نفوسهم بالفسق والظلم ، فاظلمت النفوس وزاغت عن الصراط : « فلِمَا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ، وَمَا لَهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ » (١) ، فصاروا يشركون بالله ويعبدون غير الله تعالى أو أمسوا ماديين ٠٠٠ وقد قال تعالى :

« كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ، فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ، وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ، لِيَحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ، وَمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ

(٤) سورة الانعام : ١٤٩ ٠

(١) سورة الصاف : ٥ ٠

إلا الذين أتواه من بعد ما جاءتهم البيانات بغياناً بينهم ، فهذا الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم » .

وإنما لفائدة ذكر هذا الحديث :

عن زرارة عن أبي جعفر (ع) قال : سأله عن قول الله عز وجل : « حنفاء الله غير مشركين به » ؟ قال : « الحنيفة من الفطرة التي فطر الناس عليها ، لا تبدل لخلق الله ، ثم قال : فطرهم على المعرفة به ۰۰۰

نرى أن من (٢٩٠) فيلسوفاً ۹۲٪ منهم مؤمنون و ٥٪ منهم لا أدريون (لا يعلمون) و ٤٪ منهم ملحدة . ذلك لأن العلم وما أودع الله من دقيق الصنع وشتي العادات في تكوين هذا الكون يجرّ الإنسان الباحث إلى الاعتقاد بالله العلي القدير . كان يقول (باستور) : لا تنافي بين العلم والإيمان بالله ، وكلما زاد علم الإنسان زاد إيمانه بالله » . ويقول الكيميائي الشهير الدكتور (وتنر) : « إذا أحسست في حين من الأحيان أن عقيدتي بالله تزعزت وجّهت وجهي إلى أكاديمية العلوم لتشتيتها » .

فلا يلوث النفس الإنسانية ولا يزيل هذا الاتجاه الطبيعي وأعني به : التوجه نحو الخالق المتعال ، الا متابعة هوى النفس على حد قوله تعالى : « كذلك حقّت كلمة ربكم على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون » .

وقد جاء في الحديث : « أغلب الناس من تغلب على هواء » .

ويقول الله تعالى بالنسبة إلى المنحرفين من الناس : « إن يتبعون إلا الشيطان وما تهوى الأنفس . ولقد جاءهم من ربهم الهداي » .

ولقد بلغ العالم في آن واحد إلى الأوج في المعرفة والتكنولوجيا والتحكم في الطبيعة وإلى الحضيض في حياته الأخلاقية والسياسية » . بذلك لتركهم التعاليم الدينية والأخلاقية التي هي من الدين

وانغماسهم في الشهوات وأنواع الترف .

فالعلم المادي يقوى الاعتقاد بالله ان لم تتلوث النفس بفسوقها واجرامها والا فتتخد النفس الملوثة هذا العلم على سبيل التمويه آلة لإثبات صحة ما سلكت من مسالك معوجة ، وهيهات !

فيجدر بدعة الاسلام أينما كانوا ان يستفيدوا من هذه الغريزة التي أودعها الله النفوس البشرية وهي توجهها بصورة فطرية الى الخالق المتعال لنشر الاسلام والتوحيد في أرجاء الأرض وإبعاد الناس عما يلوث نفوسهم من معاصي وآثام ، كي تكون قميضة لحلول معرفة الله فيها ، فتقبل الاسلام كدين عالمي خالد : فيه سعادة الدنيا ونعميم الآخرة . فقد قال علي (ع) معظّماً أمر الدعوة الى الاسلام والارشاد الديني أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : « وما أعمل البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الا كنفثة ^(١) في بحر لجي » ^(٢)

(١) نفثة : (المرة من نفث) . وهي ما تلقىه من فيك من بصاق .

(٢) بحر لجي : واسع اللتج . واللتج معظم الماء .

علة بعث الرسل (ع)

ان نظرة واحدة الى هذا الكون الرحيب تجعلنا ان نجزم ان هناك دقة متناهية واتظاماً رائعاً وقوانين رصينة ودساتير متقنة لا يسكن أن تستقصى : في كل جزء من أجزاء هذا العالم ، دقة يحار فيها أكبر رياضي وأعظم فيزاوي وأفطن كيماوي وأذكى عالم بالطبيعتيات .

كيف لا ، وهو يرى ان الكواكب تسير حول الشمس على شكل اهليجي (قطع ناقص) بحيث تقع الشمس في احدى بؤرتين لهذا المنحني المغلق . ومعلوم ان رسم الشكل الاهليجي من الصعوبة بمكان . ذلك لأنك يجب أن تعين نقاطاً تبعد عن البؤرتين بحيث يكون مجموع البعدين مساوياً للقطر الطويل لهذا الشكل : أي عليك أن ترسم منحنياً يكون محلاً هندسياً لنقطاً يكون بعد كل منها من البؤرتين مساوياً إلى بعد معلوم : (أي الى قطر الشكل) . ومن المعلوم أن موضوع المحل الهندسي من المواضيع الهامة التي يفهمها الطلاب بعد جهد جمید في موضوع المنحنيات . وفي الرياضيات العالية في أبحاث الهندسة التحليلية يصعب على الطالب الجامعي حل مسائل تتعلق بال محل الهندسي إلا اذا كان من الاذكياء . فأي عقل جبار رسم هذا المحل الهندسي وأعني به مدار الأرض حول الشمس بهذا النمط البديع عن حكمة فائقه . ومن الذي وضع هذه الدساتير الرياضية الثابتة في حركات الأرض حول الشمس وحركات القمر حول الأرض ، وفي الوقت نفسه حول الشمس ، حتى تتمكن العالم الفلكي الرياضي من أن يحصل على معادلة الكسوف (وما أصعبها) بعد عناء شديد .

وأصعب من رسم المنحنى الاهليلجي ، رسم المنحنى اللولبي ، وهو مسار الشمس في الفضاء مع كواكبها بسرعة سبعين ألف كيلو متر في الساعة متوجهة نحو نجمة في الفضاء تبعد بعدها الشاسع من الثوابت ! وهي النسر الواقع هذا ما اكتشفه العلم الحديث قبل خمسين عاماً . ليبرهن مرة أخرى على الاعجاز القرآني : وهو قوله تعالى قبل أربعة عشر قرناً : « والشمس تجري مستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » .

كيف لا يحار الإنسان ولا يندهش عندما يشاهد هذا التقان الذي أودعه الله في ما خلق من مخلوقات ، حتى جعل سطح ذرات الثلج المتساقط من السماء مشكلاً من مخمسات منتظمة أو مثلثات متساوية الأضلاع ، بحيث لو وضعتم ذرة من هذا الثلج تحت المجهر (الميكروسكوب) لرأيتم عالماً عجيبة وشكلاً في غاية الانتظام !

ومعلوم أن رسم المخمس المنتظم من الصعوبة بمكان . ذلك ، لأن على من يحاول رسم ذلك أن يرسم أولاً عشرة منتظم ثم يصل بين رأسين غير متباورين من هذا العشر للحصول على مخمس منتظم . وأما رسم العشر فأمر عسير وما أعنجه ! عليه أن يقسم نصف قطر الدائرة إلى قسمين تكون نسبة الكل (نصف القطر) إلى القسم الأكبر كنسبة القسم الأكبر إلى القسم الأصغر أي عليه أن يجعل القسم الأكبر وسطاً هندسياً بين الكل والقسم الأصغر وهذا التقسيم أيضاً من الصعوبة بمكان . وهكذا دوالياً .

فسبحان الذي رسم هذه المخمسات المنتظمة على سطح أجزاء الثلج بحيث كانت الأضلاع متساوية والزوايا كذلك متساوية ، ومقدار كل منها 108° (درجة) .

نرى هذا الكمال المثير للعجب متجلياً في الذرة وفي المعادن وفي شبه المعادن أي في (١٠٢) عنصر حسبما اكتشف لحد الآن وفي النبات والحيوان

على كثرة تنوعهما وتصانيفهما المختلفة ، وفي الانسان . نراه متجلياً كذلك في هذا العقل الانساني الذي منح هذا المنطق الجبار : التعميم ، التجريد ، الاستقراء ، الاستنتاج ، وهذا التقدم في العلوم الرياضية العالية دون استناد إلى تجربة مادية سابقة على حد قول (اينشتاين) أعلم علماء القرن العشرين .
كيف لا يحار الانسان في عظمة خالقه حينما يرى أنه توجد في المادة السنجدية التي في تلافيف الدماغ ٠٠٠٠٠٦ خلية وتتألف كل خلية من ألف الدقائق الظاهرة وكل دقة تتتألف من ملايين الجواهر .
كيف لا يحار الانسان عندما يرى أن دقة الصنع قد بلغت منتهاها في حركة عضو من أعضاء البدن الانساني . فهي تفوق دقة الصنع في القنبلة الذرية التي هي تنتاج العقل الانساني بلطف من الله خلال ٢٥٠٠ سنة .

ان العقل الانساني . هذا العقل الموهوب من جانب الله تعالى ، هذا العقل الذي لا يعلم هذا الانسان كيف من الله به عليه وكيف ركب فيه على حد تعبير دكارت ، يرشد الانسان بصورة فطرية : أن منظم هذا الكون لا يليهو ولا يلعب ^(١) . ذلك لأن التنظيم يخالف اللهو وينافي اللعب . فلا يخلق هذا المنظم العظيم شيئاً عبثاً وان غايته في الخلق تتناسب مع عظمته وان هدفه في الصنع ليتناسب مع كماله المطلق .

يرشد هذا الانسان ان يقول جازماً : لابد لخلقه من غاية ولابد لإيجاده من هدف سام رفيع . فانه بعد تفكير بسيط يجزم قائلاً : بما أن كل ما في هذا الكون المادي قد بلغ الحد الأقصى من الكمال ، إذن وجب ان لا يشذ هذا الانسان ، وهو من مخلوقات الله تعالى – على حد تعبير : دكارت – عن سنّة الكمال ، فعليه أن يتكمّل .

(١) « لو أردنا ان نتخد لهواً لاتخذناه من لدننا ان كنا فاعلين » .

ذلك لأن الكمال على الاطلاق وهو الله تعالى لا يريد أن يرى في ما خلق شيئاً ناقصاً (٢) فهو يريد الكمال لكل ما خلق ولو بصورة تدريجية ، يرى ذلك أمراً طبيعياً

يرى أن الطفل يولد وأن تشكيلات أعضائه من الكمال بحيث لو كتبت آلاف الصفحات في وصف خواصها وقوانينها ودساتيرها لاحتياج أيضاً إلى آلاف الصفحات وأكثر لاستيعاب هذا الكمال الموعظ في النواحي المادية من بدنـه وقد لا يتنهـي إلى نهاية البحث : « ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحـر ما نفدت كلمات الله »

لـكنـه يـرى أنـ هـذا الطـفـل فـيه صـفـةـ البـطـشـ وـالـعـشـ وـالـكـذـبـ وـالـخـيـانـةـ وـالـحـرـصـ وـالـبـخـلـ وـصـفـاتـ كـثـيرـةـ أـخـرـىـ تـضـادـ الـكـمـالـ وـفـيـهـ فـيـ الـوقـتـ نـقـسـهـ بـعـضـ الصـفـاتـ الـطـيـةـ ،ـ فـهـوـ أـشـبـهـ شـئـ بـخـلـيـطـةـ مـنـ الـمـاعـدـنـ :ـ فـيـهـ مـعـادـنـ خـسـيـسـةـ كـ(ـ السـيـلـيـسـيـوـمـ)ـ وـالـكـالـاسـيـوـمـ وـالـحـدـيدـ وـالـنـحـاسـ ..ـ إـلـىـ مـاـ هـنـاكـ ،ـ وـفـيـهـ الـذـهـبـ الـخـالـصـ .ـ فـيـقـولـ فـيـ نـفـسـهـ :ـ إـنـ هـذـهـ الصـفـاتـ الـذـمـيـةـ تـخـالـفـ الـكـمـالـ الـذـيـ يـرـيدـ اللهـ لـمـخـلـوقـاتـهـ .ـ فـيـجـبـ أـنـ تـزـوـلـ وـأـنـ يـدـخـلـ فـيـ دـورـ الـكـمـالـ ..ـ كـمـاـ يـعـمـلـ الـكـيـماـويـ فـيـ تـلـكـ الـخـلـيـطـةـ مـنـ الـمـاعـدـنـ :ـ يـضـعـهـ فـيـ مـحـالـيـلـ مـخـتـلـفـةـ لـإـلـاـلـةـ الـمـاعـدـنـ الـخـسـيـسـةـ وـالـظـفـرـ بـالـذـهـبـ الـخـالـصـ .ـ فـإـذـنـ يـجـبـ أـنـ تـزـوـلـ هـذـهـ الصـفـاتـ الـذـمـيـةـ فـيـ الطـفـلـ وـفـيـ كـلـ اـنـسـانـ كـيـ يـظـهـرـ الـذـهـبـ الـخـالـصـ فـيـهـ

فـمـاـ هوـ هـذـاـ الـذـهـبـ الـخـالـصـ يـاـ تـرـىـ ؟ـ وـمـنـ هوـ ذـلـكـ الـكـيـماـويـ الـذـيـ يـعـرـفـ هـذـاـ الـإـنـسـانـ الـمـخـلـوطـ مـنـ صـفـاتـ خـسـيـسـةـ وـقـابـلـيـاتـ طـيـةـ مـعـرـفـةـ حـقـيـقـيـةـ ،ـ فـعـرـّفـهـ الـحـقـ وـالـوـاقـعـ ،ـ يـعـرـفـهـ إـلـىـ خـالـقـهـ وـبـارـئـهـ ،ـ يـقـربـهـ إـلـيـهـ تـعـالـىـ بـدـسـاتـيرـهـ الـقـيـمـةـ وـتـعـالـيمـهـ إـلـاـهـيـةـ وـيـلـغـ بـهـذـاـ الـإـنـسـانـ مـرـاتـبـ الـكـمـالـ الـإـنـسـانـيـ ،ـ يـوصـلـهـ إـلـىـ درـجـاتـ مـنـ عـوـالـمـ الـقـدـسـ حـتـىـ يـصـبـحـ أـعـلـىـ مـرـتـبـةـ مـنـ الـمـلـائـكـةـ

(٢) « ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » سورة طه : ٥٢

مَنْ هُوَ هَذَا الْكِيمَاوِيُّ الَّذِي يَتَفَضَّلُ عَلَى هَذَا الْإِنْسَانِ بِدَسَاطِيرِ الْكِمالِ دُونَمَا أَجْرَى (إِلَى الْمَوْدَةِ فِي الْقُرْبَى) وَمَنْ أَيْنَ يَجْبُ أَنْ يَسْتَقِي سِنُّ الْكِمالِ الَّتِي يَتَحَقَّقُ بِهَا الْكِمالُ الْإِنْسَانِيُّ .

إِنَّ الْكِيمَاوِيَّ (دُونَمَا تَشْبِيهِ) هُوَ النَّبِيُّ الْمَرْسُلُ وَالَّذِي يُوحِي سِنُّ الْكِمالِ اِنَّمَا هُوَ اللَّهُ جَلَّتْ عَظَمَتْهُ . ذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ خَالِقُ الْأَرْوَاحِ وَمَنْشِئُهَا وَهُوَ الْعَالَمُ بِخَوَاصِهَا وَصَفَاتِهَا وَقَابِلِيَّاتِهَا وَطَرَقُ تَكَامِلِهَا .

فَلَيْسَ لَهُذَا إِنْسَانُ النَّاقْصِ — مِمَّا سُمِّيَّ نَفْسَهُ فِي لِسُوفَاً — أَنْ يَأْتِي بِسِنْ تَكَامِلِ النَّفْسِ ، إِلَّا إِذَا كَانَ مَغْرُورًا بَعِيدًا عَنِ إِلهَامِ الْفَطْرَةِ جَاهِلًا غَرَّاً ، مَلُوثًا بِمَا اجْتَرَحَتْ يَدَاهُ . كَ (كَارْلُ مَارْكَسُ) وَأَضْرَابُهُ . فَقَدْ كَانَ يَقُولُ : مَغْرُورًا بِرَأْيِهِ : « آرَائِي ٠٠ أَفْكَارِي ٠٠ » . وَيَقُولُ لِمَنْ يَخَالِفُهُ فِي الرَّأْيِ : بِرْجُوازِي ٠٠ كَانَ أَنَانِيَا يَخْتَلِقُ التَّهْمَمَ ، حَسُودًا يَعْمَلُ مِنْ يَخَالِفُهُ فِي الرَّأْيِ مَعْاْمَلَةً مُلَوِّهَةً التَّحْقِيرِ وَالْازْدَرَاءِ ، كَانَ فِيهِ شَهْوَةُ الْهَدْمِ وَالتَّخْرِيبِ وَقَدْ اسْتَخَدَمَ الأَسْلَحةَ النَّارِيَّةَ وَسَيِّقَ إِلَى الشَّرْطَةِ لِإِفْرَاطِهِ فِي السَّكَرِ وَالْعَرْبَدَةِ ! كَانَ يَنْقَطِعُ عَنِ الْجَامِعَةِ وَيَذْهَبُ إِلَى السَّكَرِ وَالْمَعَارَةِ ، يَتَرَكُ (بُونَ) مَقْرَبَ الْجَامِعَةِ وَيَذْهَبُ إِلَى (كُولُونَ) فِي جَوَارِهَا وَيَبْتَغِي فِيهَا مَلَاهِي السَّمْرِ .

كَانَ (كَارْلُ مَارْكَسُ) مَسْلُوبَ الْعَاطِفَةِ فَلَمْ يَذْهَبْ إِلَى بَلْدَهُ حِينَ مَاتَ أَبُوهُ وَبَقَى فِي بَرْلِينَ وَهُوَ عَمِيدُ الْأَسْرَةِ بَعْدِ وَالَّدِهِ . وَاسْتَرْسَلَ فِي الْطَّلَبِ حَتَّى نَفَدَ نَصْبِيَّهُ مِنَ الْمِيرَاثِ فَمَالَ إِلَى نَصْبِ أَمَّهُ وَأَخْوَتِهِ . وَكَانَ قَبْلًا قَدْ أَرْهَقَ أَبَاهُ فِي طَلَبِ الْمَالِ . وَقَدْ اتَّهَرَتْ بِنَتَاهُ (لُورَا وَأَخْتَهَا) .

عَقدَ (كَارْلُ مَارْكَسُ) مَقاُولَةً مَعَ الْجَرَائِدِ وَأَخْذَ مَبْلَغاً وَلَمْ يَفِ بِمَنْطَوْقِ الْعَقدِ . وَعَقدَ اِتِّفَاقِيَّةً مَعَ (أَلْكَسِيَّ) عَلَى كِتَابَةِ نَظَريَّاتِهِ الْإِقْتَصَادِيَّةِ هَذِهِ الَّتِي لَمْ تَنَلْ نَصْبِيَّاً مِنَ التَّطْبِيقِ لِكَوْنِهَا بَعِيْدَةً عَنِ وَاقِعِ (الْحَيَاةِ) وَقَبْضِ (١٥٠٠) فَرَنَكَ وَعَقدَ فِي نَفْسِهِ الْمَوْضُوعَ اِتِّفَاقِيَّةً أُخْرَى مَعَ شَخْصٍ آخَرَ وَلَمْ يَفِ بِكُلِّ تَبَيَّهِمَا .

نعم ، إن رجلاً هذا ديدنه وتلك صفاته حقيق أن تترسح منه هذه الأباطيل بأن يقول : « إن الديانات والعقائد جميعاً إنما هي انعكاسات الضرورات الاقتصادية . إن لم يكن قد قصد وراء ذلك الاتتصار للصهيونية عن طريق الهدم والافساد !

وكم رأينا من الفلاسفة جاؤا بنظريات مضلة تبعد البشر عن جادة الصواب فكان بعضهم يقول في مقبل العمر شيئاً ثم اذا بلغ الخمسين قال شيئاً ينافق ما قاله أولاً حتى اذا ناهز السبعين خالفاً ما قاله اولاً وثانياً مع ما هنالك من اختلاف في الآراء فيما بينهم !

(اوگوست كنت) فيلسوف فرنسي ، كان قد بلغ من الذكاء مرتبة مرموقة ، كان اذا طالع كتاباً مرة واحدة استوعب ما فيه . كان يحضر في مجلس درسه (في بيته) علماء من الدرجة الأولى لاستماع محاضراته . وألّف كتاباً ضخماً في ٦ مجلدات في تحقيق الفلسفة . إلا انه مع ذلك كان ناقصاً من نواحي شتى ، كان سيء العشرة لا يختلف بالناس . ثم إنه عشق فتاة في أو اخر أيام حياته وماتت هذه الفتاة قبل الوصال فتأثر وبنى معبداً ورتب له عبادات وأسس ديناً جديداً أسماه : دين الانسانية وتفرق عنه تابعوه وأخذ الناس يسخرون منه .

وكان الفيلسوف الدكتور (جود) ملحداً فأصبح موحداً وكان يقول : إني كنت لا أفهم شيئاً عن الكون عند تخرجي في الجامعة بل كنت حيواناً على شكل انسان .

كما كان الفيلسوف الانكليزي (جيمس چانيس) ملحداً فగداً موحداً . وكم من فلاسفة بنوا النظرية المادية ! لظلمات في نقوسهم وقالوا بأزلية المادة (دون دليل وبرهان) قالوا : إن المادة هي التي تخلق العقل وتنظم العالم أيما تنظيم وتضع قوانين فيزياوية وكيمياوية ودساتير فلكية ومعادلات

رياضية دقيقة الى ما هنالك : و قالوا إن المادة هي العقل الجبار المنظم لهذه العوالم المختلفة بهذه الدقة المتناهية التي لم يصل الى حقائقها العقل البشري ولا يزال يعترف أنه « لا يعلم شيئاً » من هؤلاء الماديين أپيكور ، كارل ماركس ، بوختر ، فورباخ . إنهم خالفوا الفطرة وتجليات العقل البشري ودسوا العالم بترويجهم نبذ الفضائل و سحقها والانحلال الخلقي والإباحية والشنوذ الجنسي كفرويد وغيره .

حتى قال بعضهم : إن الفيلسوف اذا كان فقيراً فإن فقره وعجزه يجعلانه أن يعتقد بإله خلاق . ولكن لو كان ثرياً فإنه لا يؤمن بذلك ويكون مادياً . ذلك لأن فكرة الآلهة انما أتت من النواحي الاقتصادية من الفقر والاضطرار ؟ ! انهم كذبوا في ما قالوا . فإن « دكارت » الفيلسوف الفرنسي كان موحداً وكانت له أملالك في فرنسا وعاش طيلة حياته عيشة هنيةة وكذلك أفلاطون .

أبيكور كان فيلسوفاً مادياً وقد تربى في بيت فقر وبؤس وعاش كذلك ومثله : روسو .

فليس الفقر والغباء والبيئة عوامل تؤثر في توجيه الفرد نحو المادية أو التوحيد كما يدعى الماديون وإنما العامل الحقيقي : عمل الإنسان وما يترشح منه من حسنات وسيئات : « ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون » .

فالله تبارك وتعالى وهو معطي الكمال لا يترك هذا الإنسان سدى « أیحسب الإنسان أن يترك سدى ، ألم يك نطفة من مني ينسى . ثم كان علةة فخلق فسوى . فجعل منه الزوجين الذكر والاثني . أليس ذلك بقدار

على أن يحيي الموتى » ◊

ف والله يهوي لهذا الانسان من يتصدى الى تكميله و تقويه الى ربه و معرفة خالقه وتلك غاية الغايات ◊ فقد جاء في حديث قدسي ، انه تعالى يقول : « كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف » ◊

وان باب المعرفة هو العبادة ◊ وبالعبادة بما فيها من اعمال صالحات وتجنب المحرمات وتطهير النفوس ، تصبح النفس قمينة لمعرفة خالقها ، كي تناول الحب الالهي وذلك أسمى الغايات ◊ لذلك حصر الله تعالى عملة خلق الجن والانس في العبادة ، ذلك لأن العبادة هي سبيل معرفة الخالق ووسيلة التكامل الانساني في الحياة الدنيا ، بقوله جل من قائل : « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » ◊

الانسان مريض نفسياً في هذه الدنيا لما يحمل من صفات ذميمة و خصال مذمومة وبطش وطيش فالأنبياء (ع) هم معدلو هذا الانسان ومانعوه عن طيشه وغوايته لذلك يقول علي (ع) : « ارسل رسولاً ليزيل به علتهم » ويقول (ع) في مقام آخر : أرسل أنبياء ليثروا في الناس دفائن عقوبهم ، ويهدوهم الى معاش تحببهم » ◊

فالأنبياء لم يمنعوا الناس عن تعلم العلوم ! بل أثارروا فيهم دفائن العقول حتى كانت هذه المكتشفات في شتى النواحي العلمية من فلك ورياضيات وطبيعتيات وطب وكيمياء الى ما هنالك في الحضارة الاسلامية ، واصبحت أروبا مدينة في مكتشفاتها للحضارة الاسلامية الزاهرة في القرون الوسطى ◊ وبقوله عليه السلام : « ويهدوهم الى معاش تحببهم » أراد أن الأنبياء (ع) هم منظمو الحياة الاقتصادية بدسائيرهم العادلة وتعاليمهم الخالدة ◊ فالأنبياء هم مطهرو هذا الانسان مما ألم به من دنس ورجس وموصلوه الى أقصى مراتب الكمال ◊ لذلك يقول الله تعالى :

« هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل نفي ضلال مبين » .
وبقوله : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » .
وبقوله : « قد أفلح من ترکي وذكر اسم ربه فصلى » .
وبقوله : « قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » .
وبقوله : « ولكن يريد ليظهركم وليتهم نعمتكم عليكم ولعلكم تشكرون » .
وبقوله : « ان الله يحب التوابين ويحب المتظاهرين » .
وبقوله : « لمسجد اسس على التقوى من أول يوم أحق ان تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتظاهروا ، والله يحب المظاهرين » .
وهكذا سنَّ الله تعالى وهو العارف بحقيقة هذه النفوس التي خلقها وصفاتها وطرق تكاملها ، سنن التزكية والتطهير لهذا الانسان وأوصى بها أنبياءه (ع) ، وأمرهم أن يبلغوا رسالاته حتى جعل الحجر المغصوب في الدار مبب خرابها . فقد جاء في الحديث : (الحجر المغصوب في الدار رهن خرابها) .
وكل ما جاء في الدين الاسلامي من واجبات ومحرمات ومستحبات ومكرهات كلها ترمي الى تطهير النفوس وتزكيتها وابلاغها أسمى مراتب الكمال لتزداد معرفة بالله . ذلك لأن الله قد سخر كل شيء من شمس وقمر وغيرهما لهذا الانسان « وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر » « ألم تر أن الله سخر لكم ما في الارض والفقاك تجري في البحر بأمره . ويمسك السماء ان تقع على الأرض الا بإذنه . ان الله بالناس رؤوف رحيم » .
وخلق الانسان لمعرفته تعالى كما جاء في حديث قدسي : « خلقت الاشياء لأجلك ، وقد خلقتك لأجي » .
ولذلك جعل الله أول من خلق من الأناسي - وهو آدم (ع) - نبياً ، اهتماماً بأمر التكامل الانساني وتحقيقاً لسنة الكمال في الكون .

فطوبى لنفوس عرفت أسرار الخلق فتقررت الى ربها بعبادات يتخللها
خشوع وخضوع^(١) واعمال صالحة وإشار وتفانٍ في هداية الناس الى
الدين الاسلامي الحنيف .

فقد قال تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهديتهم سبلنا وان الله لمع
المحسنين » .

(١) لا يأس بذكر هذا الحديث . فالعمل به مزيل للأدران النفسية
والهواجس الشيطانية في مثل هذه الظروف الحالية :
« اذا جمع الله الاولين والآخرين : نادى مناد : ليقم الذين كانت تتجاهلي
جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمئناً . فيقومون وهم قليل . ثم
يحاسب من بعدهم » .

هل الإسلام سير تقدمي أم رجعي؟

تدور كثيراً على الألسن كلمة (الرجعية) بمناسبة ودون مناسبة . فلو أن رجلاً حمد الله تعالى وشكره تجاه نعمه التي لا تعد ولا تحصى بصلة يصلّيها لربه بخلاص ، قيل إنه رجعي ، يجترئ ما أنتجته العصور الأولى ! حين أن شكر النعم أمر ضروري يحکم به الفطرة والعقل ، ذلك العقل الذي لم يلوث بالذنوب والآثام . فقد جاء في الحديث : « العقل ما عَبَدَ به الرحمن واكتسبَ به الجنان » .

حتى إني لأذكر جيداً عندما كنت أدرس في النجف الأشرف قبل حوالي ٣١ عاماً أبي قسم ” كبير من الطلاب المسلمين من أداء صلاتهم عند الظهور في سفرة مدرسية إلى الكوفة ، خوفاً من أن يوصموا بالرجعية والخرافة . وكم رأيت من مدرسين ومدراء معارف كانوا يخفون صلاتهم عنمن يوصموهم بالرجعية حفظاً لراكزهم وابتعاداً عن هذه الوصمة : وهي عدم مواكبة مفاهيم التقدم في القرن العشرين .

وإني لأذكر أيضاً أن شاباً من أسرة مرموقة كان قد رجع قبل حوالي ٢٧ عاماً من الجامعة الأمريكية بيروت ، (وهي جامعة أسسها قسٌ من القسيسين بعد أن جمع مالاً كثيراً في أمريكا) كان يضم جميع الأعمال الدينية من صلاة وصوم وزكاة ٠٠٠ بالخرافة والرجعية ، وكان يقول بضرس قاطع : « إن بلاءَ الشرق دينه ، فلو أزيح هذا الدين فهناك التقدم وهناك الازدهار ! » . ولكن يقول بعض الشباب من يحضر مجالس ballo ويرقص مع الفتيات ويحتك بهنَّ من طريق غير مشروع إنه تقدمي قد واكب الحضارة الراهنة ،

وإذا قبل فتاة أجنبية في الترام أو في الشارع العام قيل له انه عصري خرج عن المفاهيم البالية . وهذا ما نشاهد في الغرب .

علينا أن نحلل مفهوم الرجعية تحليلًا دقيقاً على ضوء العقل والعلم
الصحيح .

للإنسان جنبتان : جنبة مادية بختة : الأكل والشرب ووسائل النقل والاستضافة ووسائل النسيج والحياكة ووسائل التكلم من بعيد إلى ما هنالك ، ومنها الجنبة العلمية وهي العلم بالعلوم المادية التي تدعمها التجارب والعلوم الرياضية . فهي أيضاً مادية .

وهناك جنبة روحية ، نفسية بعيدة عن عوالم المادة سوف نأتي عليها بعد قليل .

ومما لا مراء فيه أن الإنسان بفضلِ من الله تعالى والهامة صار يتقدم منذ آلاف بل ملايين السنين ، (على ما اكتشافه علم الإشعاع) في العلم المادي أي في تطوير وسائل الزراعة ونوع الزراعة وتطوير وسائل النسيج والحياكة والاضاءة . . . الخ حتى بلغ مرتبة صار يستفيد من تحطيم الذرة وما عبأ الله تعالى فيها من طاقات هائلة والأشعاع الذري . . . إلى ما هنالك .
فلو أن رجلاً أثر أن يستضيء بنور المصباح الزيتي (دون ضرورة طبية) في وقت يتتوفر فيه الكهرباء فهو رجعي في تطبيق هذه الوسيلة المادية .
ولو أن رجلاً أراد أن يسافر في عصرنا هذا إلى بلدٍ ما ، في عصر تتتوفر فيه السيارات والطائرات وأثر أن يركب البغال والخيول فهو رجعي في استعمال وسائلِ أكل عليها الدهر وشرب دون مبرر عقلي .

وهكذا في النواحي العلمية وأعني بها (العلم المادي) . فلو أن رجلاً
يُعتقد بعد إطلاق الصواريخ والأقمار الصناعية وسير رجال الفضاء حول

الكرة الأرضية مرات ومرات ، صار يعتقد : أن الأرض لا تزال تستند على قرن ثور والثور على بطن حوت : هذه الغرافة التي جاءتنا من بين الأساطير اليونانية فهو رجعي في اتجاهه العلمي في النواحي المادية من هذا الكون الرحيب .

ذلك لأن العلم الحديث في النواحي المادية قد خرج عن طريقة الحدس والتخمين والظن إلى الطرق التجريبية والمشاهدة والاستنتاج .

كان العالم اليوناني أو الفيلسوف الإغريقي يعتقد أن أكمل الأشكال دائرة ، ولذلك صار يقول ، (دون أي حساب أو مشاهدة) إن الأفلاك دائيرية ، أي : أن الشمس مثلاً تدور حول الأرض على شكل دائري . وصار يقول : إن أكمل الأشكال المحسنة هو : الكرة ، ولذلك يجب أن تكون الكرة الأرضية على شكل كرة ! حين أن الأرض (على ما ثبت ، بعد اكتشاف التلسكوب وتقديم الرياضيات) ، تدور حول الشمس على شكل اهليجي (قطع ناقص) وإن الشمس هي أحدي بؤرتى هذا المنحنى المقلوب . وإن شكل الأرض ليس بكروي تماماً ، وإنما يقرب من الكرة وبعث ذلك يطول .

واما في عوالم تكامل النفس وأعني بها الناحية النفسية ، فهل اتباع ما أمر الله تعالى به ورسوله من الرجعية في شيء . وهل اتباع ما أمر الله من دساتير أخلاقية في دائرة العفاف وصيانة شرف الأسرة وصيانة المجتمع من الفساد والانحلال الخلقي سير رجعي ، يجب أن تنبذه وتفكر في شيء جديد ؟ . فإذا كان ينهانا رسول الله (ص) عن النظرة الشهوانية الخبيثة إلى المرأة الأجنبية ، هذه النظرة التي تجلب معها الفساد في الأرض ، فتؤدي إلى تلویث النفس ومن ثم إلى تلویث العقل ، فتلويث العقيدة على حد قوله تعالى : « كذلك حقّت كلمة ربكم على الذين فَسَقُوا أَنْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ » اذا كان ينهانا صلوات الله عليه من نظرات السوء بقوله : « الأولى لك والثانية عليك »

فهل اتباع هذا الأمر سير" رجعي ، يجب أن تقوم مقامه مراقص راقية تكون المرأة فيها نصف عارية ، يحتضنها رجل أجنبي عنها ، وتحتكر جميع أجزاء جسمه بجميع أجزاء جسمها ويضمها إلى صدره ويراقصها ، وقد تطفأ الأنوار عمداً من حين لآخر ليتمكن الراقسان مما لا تسمح به الأضواء . وقد تجد زوجها قابعاً في ناحية من المراقص وكله إعجاب بما تؤديه زوجته ويؤديه زميلها من حركات رشيقه ، ولا يفوته أن يهنتهما بعد فراغهما تهنة حارة لنجاهم في رقصتهما .

هذا في المراقص الراقية . واما في المراقص الشعبية ، في مراقص العاملات والخدمات والعمال والمسطرين على النساء ، المتاجرين بأعراضهن ، فحدث عنها ولا حرج . فإنه لا يكاد يكون فيه شيء محظوراً^(١) .

وقد يعلم الزوج أن هناك لزوجته خدناً أو أخذاناً وقد تعلم الزوجة أن لزوجها خليلة أو خليلات ، ولكن يسمح كل منها للأخر بما يرتكبه من فسق وفجور ،

وقد يخرج الرجل من بيته ويدع ضيفه الكريم يفعل ما يشاء !

وقد يكون للزوجة زوج وعشيق ويعيش الثلاثة في بيت واحد دونما اكتراض . وهذا ما يُدعى بالتعايش الثلاثي (Le ménage à trois) . والكاتب الإفرنسي الكبير «أنا تول فرانس» كان عشيقاً من هذا النوع .

وقد بلغ الاستهتمار بالأعراض في أمريكا حتى أنه لا تجد فتاة بلغت سن الرابعة عشرة إلا ولها خدnen يظل يعاشرها معاشرة الزوج لزوجته . حتى بلغ التسافل إلى درجة : أن الفتاة إن لم تكن قد اتخدت قبل الزواج خدناً يذهب بعرضها لا تعدد فتاة اجتماعية قد عرّكت الحياة !!

فلا رجعية عندما ترتكب الفاحشة علينا على الأرصفة في بعض أزقة باريس أو أزقة لندن ، وترتكب أيضاً في حدائق الجزيرة في القاهرة على

(١) من مجلة حضارة الإسلام ، السنة الثالثة ،

الحشائش وخلف الأشجار كما تفعل البهائم ! ولا رجعية في لبس المرأة (المابوه) وأخذ تصويرها من قبل المصورين بشكل مخزيٍ منافٍ للآداب والفضيلة على مرأى من العابرين ! ولا رجعية حين يرتكب وكيل الوزارة الخارجية الانكليزية الفاحشة علنًا مع جندي من جنود الحرس الملكي في أثناء تأدبة هذا الجندي لوظيفته في منتزه عام وعلى قارعة الطريق !

كل ما هو من هذا النوع يمثل الرجعية أجلى تمثيل ، لأنه رجوع إلى الحالة البدائية الأولى قبل بعث الرسل (ع) كما يحدثنا التاريخ وهو رجوع إلى ما يقوم به بعض القبائل المتوحشة في يومنا هذا في آلاسكا وأواسط أفريقيا . مع العلم أن ما نراه في بعض الأمم المتحضرة في هذا اليوم من تقدم مرموق في صنع هتك الأعراض هو تقدم لم تبلغ الأمم البدائية الأولى ولا الأمم المتوحشة في هذا العصر شأوه .

إن اختراع السينما من مفاسخ العصر وكذلك الراديو والتلفزيون . كل ذلك من النواحي العلمية : (العلوم المادية) . ولكن لو استعمل كل أولئك في تعليم الشاب طرقَ المغازلة وهتك الأعراض والانعماس في الشهوات ، فقد استعملت في ارجاع البشر إلى رجعية متهلكة أو (ارتجاع مميت) والى حيوانية بدائية . نعم تتجلّى التقدمية في هذه الآلات وغيرها من الناحية العلمية : (العلم المادي) ، الا ان الرجعية كذلك تتجلّى فيها بأعمق مظاهرها حين تستعمل للافساد في الأرض : « والله لا يحب الفساد » .

انه تعالى يقول : « ألم يجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمقدسين في الأرض ، ألم يجعل المتقين كالفحجار (١) » .

« وإن الفجار لفي جحيم ! » (٢) . « وجوه يومئذ عليها غبرة ، ترهقها

(٢) سورة الانفطار : ١٤ .

(١) سورة : ص : ٢٨ .

قرة ، أولئك هم الكفارة الفجرة » ^(٣) .

فكل ما يؤدي الى الافساد في الأرض وتلوث النفوس وازالة العقائد التي يدعها العقل والمنطق الصحيح عمل رجعي يأخذ بهذا الانسان المسكين الى أسفل السافلين وإن سماه البعض تقدما ! ^{٠٠}

وإن الدساتير الأخلاقية الاسلامية التي بها تكامل النفس الإنسانية هي دساتير ثابتة لا تقبل التجديد والتحريف . حتى تكون في زمن ما من النوع التقديمي وفي زمن آخر من النوع الرجعي . ذلك لأن الله تبارك وتعالى أعرف بحقيقة النفس الإنسانية وطرق تكاملها : « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخير » ^(١) . ذلك لأن النفس من صنع ما وراء الطبيعة ، وليس من المادة في شيء ، والله الذي خلق الأرواح يعلم طرق تكاملها والدساتير التي تؤدي الى تطهيرها وتركيتها « ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا » ^٠

وفيلسوف بصفته فرداً من الأفراد مملوء بالنقائص . فمهما وضع من دساتير في النواحي الأخلاقية والتكمالية لا يأتي شيء كامل لا نقص فيه ، لنقاء في نفسه ولتأثيره بيئته ومحیطه ، وإن تاريخ الفلسفة يؤيد ما أقول . فقد تضاربت آراء الفلسفه ومساربهم ونوازعهم وكلها بشرية بعيدة عن معالجة الأرواح المريضة . وبعد أن كانت نفس الفيلسوف مريضة بأنواع المرض وشتي النقائص ، فأتى له أن يصلح نفوساً أخرى مريضة ، وقد قالوا : « فاقد الشيء لا يعطيه » ^٠

فالإسلام يشجع كل جديد في مجالات العلوم المادية على اختلاف أنواعها

^(٣) سورة عبس : ٤٢ .

^(١) سورة الملك : ١٤ .

سواء في العلوم الرياضية أو الفيزيائية أو الكيميائية أو الفلكية أو الطبيعية أو الطبية أو غيرها . فقد كانت مكتبة (دار الحكمة) ببغداد في العهد العباسى تحوى ٤٠٠٠٠٠ كتاب وان مكتبة أحد الخلفاء الفاطميين بمصر : (العزيز بالله) كانت تحوى مليونا ونصف مليون كتاب . وقد اكتشف المسلمون الفوسفور وطريقة استحضار الأوكسيجين والهيدروجين وحامض الآزوت وحامض الكبريت . وهم مؤسسو اول مرصد فلكي في اشبيلية باسبانيا وهم وضعوا نظام الامتحانات في كليات الطب .

وما فراء من عدم اعتماد بعض المسلمين اليوم بالنظافة لا يدل على أن الاسلام سيرجعي . فقد جاء في الحديث : النظافة من الايمان .

وقد قال الطبيب المؤرخ الامريكي (ويكتور روبنسن) : « إن أروبا كانت في ظلام حالت بعد غروب الشمس ، بينما كانت (قرطبة) تضيئها المصابح العامة ، كانت أوروبا قذرة ، بينما شيدت في قرطبة ألف حمام . كانت أروبا تغطيها الهواء ، بينما كان أهل قرطبة مثال النظافة . كانت أروبا غارقة في الوحل ، بينما كانت قرطبة مرصوفة بالشوارع . كانت سقوف القصور في أروبا مملوءة بشقوب المداخن ، بينما كانت قصور قرطبة (في الاندلس) تزيينها الزخرفة العربية العجيبة . كان أشراف أروبا لا يستطيعون كتابة أسمائهم ، بينما كان أطفال قرطبة يذهبون الى المدارس . وكان رهبان أروبا يلحنون في تلاوة سِرِّ الكنيسة ، بينما كان مسلمو قرطبة قد اسسوا مكتبة تضارع في ضخامتها مكتبة الاسكندرية العظيمة » .

ومن عجائب الرهبان في القرون الوسطى ان البعض منهم كان يعذب جسمه كمثل كامل في الدين والأخلاق ! فالراهب (ماكاريوس) نام ستة أشهر في مستنقع ليقرص جسمه العاري ذباب سام . وكان يحمل دائمًا قنطرةً من حديد وصاحب الراهب (يوسيبيوس) كان يحمل نحو قنطرين من حديد ،

وقد أقام ثلاثة أعوام في بئر

وقد عبد الراهب (يوحنا) ثلاث سنين قائماً على رجل واحدة . وكان بعض الرهبان لا يكتسون دائمًا وإنما يستترون بشعرهم الطويل وييمشون على أيديهم وأرجلهم كالأنعام وكان أكثرهم يسكنون في مغارات السباع والآبار النازحة والمقابر . ويأكل كثير منهم الكلأ والجحشيش . وكانوا يعدون طهارة الجسم منافية لبقاء الروح ويتأمرون عن غسل الأعضاء . وأزهد الناس وأتقاهم أبعدهم عن الطهارة وأوغلهم في النجاسات والدنس .

يقول الراهب (اتهينس) : إن الراهب (اتوني) لم يقترب إثم غسل الرجلين طول عمره . وكان الراهب (ابراهيم) لم يمس وجهه ولا رجله الماء خمسين سنة . وقد قال الراهب الاسكندرى بعد زمن متلهفاً : وأسفاه ! لقد كنا في زمن نعد غسل الوجه حراماً ، فإذا بنا الآن ندخل الحمامات ! وكان الرهبان يتجلبون في البلاد ويختطفون الأطفال ويهربونهم إلى الصحراء والأديار وينتزعون الصبيان من حجور أمهاطهم ويربونهم تربية رهانية والحكومة لا تملك من الأمر شيئاً^(١) .

يقول العلامة (سديو) : « كان المسلمون في القرون الوسطى منفردين في العلم والفلسفة والفنون ، وقد نشروها أينما حلّت أقدامهم ، وتسربت عنهم إلى أروبا ، فكانوا هم سبباً لنهايتها وارتقاءها » .

يقول الاستاذ (بيري) : « لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أروبا عدة قرون » .

فلا بد لهذه النفس الإنسانية بصفتها من عالم المجردات من غذاء يتناسب وواقعها . وغذاؤها الروحي هو توجّهها إلى الحق المتعال بعبادة وأخلاق

(١) من كتاب : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين .

ملكونية وأعمال صالحات . وهذا الغذاء سبب لاحيائها ، على حد قوله تعالى :
« أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله
في الظلمات ليس بخارج منها ، كذلك زَيْنَ لِلْكَافِرِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » (١) .
« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِبُو اللَّهَ وَلِرَسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يَحِييْكُمْ ،
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ » (٢) .

إن الإسلام بصفته دين العقل والمنطق الصحيح يعطينا هذا الغذاء الروحي
الذي عليه يتوقف حياة النفوس وإحياؤها . وإن هذا الغذاء لا يتنافي مع
الغذاء المادي الذي تتحققه المكتشفات الحديثة . بل إن هذه المكتشفات تؤيد
عظمة الله في أرضه وسمائه وكلها على ما فيها من دقة نوع تسبيح الله تعالى .
إذ أن التسبيح إنما هو تنزيه الله تبارك وتعالى عن كل نقص وكل عيب واستناد
كل كمال إليه .

ففي المخترعات تتجلى ما أودع الله من عظيم الصنع وهندسة دقيقة رائعة
في هذا الكون الواسع الأرجاء . ولو لا ذلك لما تمكن المخترع من جمع هذه
الشتات وتركيبها بفكر وتدبر وحسابات رياضية . وما الفكر إلا موهبة
ربانية لا دخل لجسمة المادة وصغرها في تقويته وتضعيفه .
كان يقول (پاستور) الموحد : « لا تناهى بين العلم والإيمان ، وكلما
زاد علم الإنسان زاد إيمانه » .

وانني اضيف على كلام (پاستور) قائلاً : شريطة أن لا تتلوث النفس
الإنسانية بفسوقيها وآثامها . فان الفسوق والآثام تحجب العقل الفطري من
أن يعمل عمله : وهو توجيه الفرد الى الله المتعال . إله تعالى يقول : « ثُمَّ كَانَ
عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَأُوا السَّوْأَى أَنْ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزَئُونَ » (١) .
فالشاب الذي يريد تلویث نفسه إنما يتخذ كلمة (الرجعية) وسيلة

(١) سورة الانعام : ١٢٢ . (٢) سورة الانفال : ٢٤ .

(١) سورة الروم : ١٠ .

للانفلات عن كل فضيلة ، ولكي يدخل نفسه في زمرة المثقفين ، فيبرر موقفه مما هو فيه من انحلال خلقي ! حين أن الفضيلة هي هي لا تتبدل بصياغة كلمات فارغة تابع الانطباق مع واقع الاسلام وما جاء به الدين الاسلامي من قوانين ودستير تكاملية للنفوس البشرية التائهة في شتى الحقول .

ولو رجعنا الى ديننا وما أمرنا بالمتسلك به من أخلاق وفضائل وأعمال صالحات ومن تجدد في العلوم المادية ومواكبة الحضارة الحاضرة وفي المخترعات والمكتشفات ولمظنا ما جاء به الغرب المادي في حقول الفلسفة والأخلاق والمجتمع لعلمنا إذ ذاك أننا تقديمون بأسلوب ايجابي ، غير رجعين الى جاهلية جهلاء .

ولو كان سير التدريس سيراً يقرب الفرد الى الله المتعال ويدركه عظمة الله ويخوفه من عذاب الله ، لرجع العالم الاسلامي الى ما كان عليه من حضارة زاهرة ، لا في عوالم النفس فحسب بل في عالم المادة أيضاً .

« يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » (٢) .
 ولا بأس بذكر هذه الأحاديث ، ليتعلم أن الاسلام سير تقديمي لا في حقل المادة فحسب بل في حقل تكامل النفس أيضاً وذلك لبلاغها اسمى مراتب الكمال والى الهدف الذي أوجدها الله في أرضه .

فقد جاء في الحديث : « ليس من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه » (٢) . وجاء أيضاً : « من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ومن أرادهما معاً فعليه بالعلم » .

وورد عنه (ص) : أنه قبل يداً ورمت من كثرة العمل وقال : « إن هذه يد يحبثها الله ورسوله » .

وعن النبي (ص) : « اتجرروا في مال اليتيم حتى لا تأكله الصدقة » .

(٢) من لا يحضره الفقيه ٩٤/٣

(١) سورة التحرير ٦ :

وعن جعفر بن محمد عليهما السلام^(١) : « إِزْرَعُوا وَأَغْرِسُوا ، فَلَا وَالله
مَا عَمِلَ النَّاسُ عَمَلاً أَحَبَّ لَهُ أَطْيَبَ مِنْهُ » . وأيضاً عنه (ع) : « لَا تَكُسُلْ
عَنْ مَعِيشَتِكَ فَتَكُونُ كَلَّا عَلَى غَيْرِكَ » .

وفي خبر آخر : « ملعون من ألقى كلئه على الناس » .

في الوسائل في الجزء الثاني : ص : ٥٧٤ في حديث عن علي (ع) :
« يَا مُعْشَرَ الْتَّجَارِ ، اتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِلَى أَنْ قَالَ : « تَنَاهُوا عَنِ الْيَمِينِ وَجَانِبُوا
الْكَذَبِ وَتَجَافُوا عَنِ الظُّلْمِ وَأَنْصِفُوا الْمُظْلَومِينَ وَلَا تَقْرُبُوا الرِّبَا وَأَوْفُوا الْكِيلَ
وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ » .
وقد قال علي (ع) كما في نهج البلاغة في كتابه (ع) للأشرتر النخعي :
« فَامْنَعْ مِنَ الْاحْتِكَارِ ، فَإِنْ رَسُولَ اللَّهِ (ص) مَنْعِهِ مِنْهُ . وَلِيَكُنَ الْبَيْعُ بِيَعَا
سَمْحًا بِمَوَازِينِ الْعَدْلِ وَأَسْعَارِ الْجَنْحِفِ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمَبَاعِ » .
وعن علي (ع) : « اعْلَمُوا أَنَّ أَبْوَابَ الرِّزْقِ مَقْفَلَةٌ ، فَافْتَحُوهَا بِالْحَرَكَاتِ
فَإِنَّ فِي الْحَرَكَاتِ الْبَرَكَاتِ » .

وعن رسول الله (ص) : « مَنْ وَلَيَّ لَنَا عَمَلاً وَلَيْسَ لَهُ مَنْزِلٌ فَلِيَتَخَذِّ
مَنْزِلًا ، أَوْ لَيْسَ لَهُ زَوْجَةٌ فَلِيَتَخَذِّ زَوْجَةً ، أَوْ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ فَلِيَتَخَذِّ خَادِمًا ،
أَوْ لَيْسَ لَهُ دَابَّةٌ فَلِيَتَخَذِّ دَابَّةً » .

« مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ فَلِيَعْدُ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَ
لَهُ فَضْلٌ زَادَ فَلِيَعْدُ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ » .

وَلَا بَأْسَ بِذِكْرِ مَا قَالَهُ : (أَرْثُرُ هَامْلَتُونُ) عَنِ الْإِسْلَامِ . إِنَّهُ يَقُولُ :
« لَوْ تَوَحَّى النَّاسُ الْحَقَّ ، لَعْلَمُوا أَنَّ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ هُوَ الْحَلُّ الْوَحِيدُ
لِمُشَاكِلِ الْاشْتَراكِيَّةِ . فَهُوَ الَّذِي يَتَسْعَ لِلْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ وَالْقَوِيِّ وَالْمُنْعِيْفِ جَنْبًا
إِلَى جَنْبٍ » .

(١) فِي الْكَافِيِّ صَ : ٤٠٤ .

لا رجعية في الإسلام

الرجعية هي الرجوع الى الوراء في الوسائل المادية للحضارة والبقاء على النمط القديم في فن الزراعة والصناعة ووسائل النقل والتنوير الى ما هنالك من الوسائل المادية . اما ما يتعلق بتكميل الروح الإنسانية وتهذيبها او توجيهها الى خالقها وصناعها فذلك ما ليس للبشر أن تناهه يده ، ذلك لأن اليد البشرية مهما كانت سليمة ونظيفة ، فهي في واقع الأمر ملوثة بسمول شتى وشهوات ونزوات وغرائز لا مفر منها . ولقد شاهدنا ذلك فيما كتبه الفلاسفة في الأخلاق والمثل العليا وما تبنوا من فلسفات زائفة ، متضاربة ، إن كانت قد أصلحت جانباً فقد أفسدت من جوانب شتى لا تعد .

فوجب بحصر عقلي ان تأتي السنن والنواتميس الكمالية والخلقية من من منبع فياض نمير ، من خالق هذه النقوس ، من الله العلي القدير ، لتهدي الناس الى سبل السلام .

يقول آينشتاين : « العلم يخبرنا بما هو كائن ، ولكن الوحي وحده هو الذي يخبرنا بما ينبغي أن يكون » ، ويريد آينشتاين هنا بالعلم : العلم المادي ٠٠٠

فلا رجعية في الرجوع إلى ما سُنَّ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ قَوَاعِدِ وَنَظَمٍ فِي شَتَى
الحُقُولِ التَّكَامُلِيَّةِ لِهَذَا الْبَشَرِ الَّذِي دَأَبَ أَنْ يَفْسُدَ فِي الْأَرْضِ « وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الْفَسَادَ » (١) . وَهُوَ الْقَائلُ : « وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ اصْلَاحِهَا ، وَادْعُوهُ
خَوْفًا وَطَمْعًا ، إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ » (٢) . فَسِنْ قَوَاعِدِ فِي حَقْلِ
الْكَمَالِ الْبَشَرِيِّ ، فِي الْأَخْلَاقِ وَالشَّؤُونِ الاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْعَائِلِيَّةِ مِنْ قَبْلِ الْفَلَاسِفَةِ
وَغَيْرِهِمْ اِنَّمَا هُوَ مُخَالَفَةً لِمَا أَرَادَهُ اللَّهُ مِنْ كَمَالِ الْمُنْسَكِ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ ، اِنَّمَا
هُوَ إِفْسَادٌ وَعَثُوٌ فِي الْأَرْضِ : وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : « وَلَا تَعْثُوُا فِي الْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ » (٣) . « وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ،
وَيَقْطَعُونَ مَا أَمْرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يَوْصِلَ وَيَفْسُدُونَ فِي الْأَرْضِ ، اُولَئِكَ لَهُمُ الْلَّعْنَةُ
وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ » (٤) . « وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْجِبُ كَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَيَشَهِدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلْدُ الْخَصَامِ . وَإِذَا تَوَلَّ سَعْيَ فِي الْأَرْضِ
لِيَفْسُدَ فِيهَا وَيُهَلِّكَ الْحَرثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ » (٥) .

نَعَمْ ، لِعَلِمَاءِ الدِّينِ أَنْ يَسْنُوُ بَعْضَ الْقَوَاعِدِ عَلَى ضَوْءِ الْقُرْآنِ وَالسُّنْنَةِ
النَّبُوِيَّةِ مُسْتَخْدِمِينَ فِي ذَلِكَ عِلْمِ الْأَصْوَلِ فِيمَا يَسْتَجِدُ مِنْ حَوَادِثَ ، شَرِيطَةً أَنْ
لَا تَعَارِضَ النَّصُوصَ السَّمَاوِيَّةَ الصَّرِيقَةَ فِي شَيْءٍ .

وَلِلْبَشَرِ أَهْوَاءٌ ، تَتَغَيِّرُ مِنْ حِينَ لَآخِرٍ ، فَيَرِي مَا أَمْرَ اللَّهُ بِهِ ، فِي يَوْمٍ ،
صَحِيحًا ، وَفِي يَوْمٍ آخَرٍ ، غَيْرَ صَحِيحٍ ، فَيَتَبَادرُ لَهُ أَنْ لَكُلَّ زَمَانٍ قَانُونًا خَاصًا
بِهِ وَيَجِدُ أَنْ تَتَبَدَّلُ الْقَوَاعِدِ حَسْبَ الْأَرْمَنَةِ .

لَيْتْ شَعْرِي ، هَلْ الْفَضِيلَةُ ، فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ ، يَجِدُ أَنْ تَنْقُلَبَ إِلَى

(١) سورة البقرة : ٢٠٥ .

(٢) سورة البقرة : ٦٠ .

(٤) سورة الرعد : ٢٧ .

(٥) سورة البقرة : ٢٠٥ .

رذيلة ؟ حتى يقوم مقام الزواج الشرعي الزواج الحر^(١) ، كل ذلك لأن هناك تطوراً يجب اتباعه ، والجمود هو الموت بعينه ! أو يقوم مقام الزواج الشرعي ، الزواج الثلاثي :

وهو أن يعيش زوج مع زوجة في بيت ورجل ثالث معهما كما بينا سابقاً . أي تكون الزوجة خليلة لرجل آخر غير الزوج ، وهم يعيشون معاً في دار واحدة .

وهل من التقدم تعاطي الخمور وقد نهى عن ذلك الدين الاسلامي والطب الحديث ، فقد جاء في الحديث : « شارب الخمر كعابد وثن » .

وهل أكل الربا من التقدم في شيء وان درهماً منه يعادل (من حيث الاثم) سبعين زنية مع المحارم في بيت الله الحرام ، كما هو مؤدى حديث نبوى وهل ترك الصلاة من التقدم في شيء ، وهي مناجاة بين العبد والمعبد وشكر تجاه نعم المنعم جل جلاله ، تلك النعم التي لا تعد ولا تحصى : « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار »^(٢) ، وهي خير وسيلة لازالة القلق والاضطراب النفسي ومنع الانتحار^(٣) !

وهل الصوم يعارض التقدم ، وهو اذابة المادية في نفس الانسان كي يشعر بجوع البائس المسكين ، وهو نوع اقتصاد للتوفير على قوت الفقير ، لو طبق تطبيقاً صحيحاً .

وهل الحج رجوع الى الوراء ، وهو مؤتمر اسلامي رفيع لو استفید

(١) الزواج الحر : هو الزواج دون أي عقد أو ميثاق . ويقول المتطرفون : الحب أفضل دافع للزواج ، فموته سبب الطلاق . وقد أخذ يتفشى ، ومع الاسف ، هذا النوع من الزواج في المجتمعات الغربية لا سيما في الولايات المتحدة .

(٢) سورة ابراهيم (ع) : ٣٤ .

(٣) في كل ثانية تقع حادثة انتحار في أميركا . فالغرب مصاب بقلق نفسي وأمراض عصبية وجنون من جراء فقدان الإيمان أو ضعفه .

منه وعروج الى مقامات القدس في تلك المواقف القدسية الرهيبة في بيت الله الحرام ٠

وهل الوضوء أو الغسل خرافة من الخرافات وهي طهارة معنوية يستقبل بها العبد مولاه ، يستقبله بهذه النظافة الظاهرية التي تؤثر في طهارة النفس ، ذلك ، لأن العبد لا يأتي بهما إلا تقرباً الى الله المتعال ٠

وهل الذهاب الى المساجد ينافي التقدم ؟ وهو كسب إضافات ربانية ينشط بها العبد كي يستقبل امور الدنيا استقبلاً لا جشع فيه ولا بغي ولا فساد ٠

وهل قطيعة الرحمة من التقدم في شيء ، حين أن صلة الرحم خير وسيلة للتساند الاجتماعي وهل تحقر الأبناء آباءهم ، لأنهم لا يعلمون شيئاً عن العلم الحديث ، أمر تقدمي ، أم دليل على الخبرة ونكران الحق وعدم الوفاء وتکبر وتجبر على من أولاه أنواع العطف من نفسه وما له ؟

وهكذا نرى ٠ ليس في الاسلام ما يؤدي الى التأخر الخلقي والتسافل النفسي ، بل كل ما فيه تقدم في حقول شتى ، في حقل النفس والأخلاق والتقارب الى الله المتعال وفي حقل الاجتماع والقضاء والسياسة والاقتصاد وفي حقل العلوم المادية ٠

الاسلام دين التقدم والازدهار ، فقد كان للمسلمين الأوائل الفضل الأكبر في التقدم العلمي في مختلف مجالاته ، سواء في ذلك : المجال العقلي والفلسفى والمجال الأدبي والاجتماعي ومجال العلوم الكونية كالطب والكيمياء والفيزياء والعلوم الطبيعية والرياضية ، الى ما هنالك ٠

فقد ظلَّ العالم العربي المحصور ضمن حدود شبه الجزيرة العربية عالماً غفلاً لم يبدِّي أي ازدهار ثقافي أو ما يدل على ذلك إلى أن تم انتشار الإسلام . تشهد بذلك الجامعات في بغداد و (سالرنو) و (القاهرة) بل وفي (قرطبة) من بلاد الأندلس .

فقد أشاد رسول الله (ص) ببنية العلم أيماء اشادة ، وهو القائل : « أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب » . وقد سئل علي (ع) عن مواضيع شتى في شتى العلوم فأجاب بالبديهة وهو المكتشف لقانون (أرخميدس) وقانون الأجسام الطافية . يظهر ذلك مما حل من مسائل (١) ، لذلك كله ، يحق لمؤرخ غير متخصص من مؤرخي فرنسا أن يقول :

« لو لم يكن حادث اغتيال علي لكان العالم الإسلامي قد شهد تحقق تعاليم محمد في المزاوجة بين العقل والشرع وفي تجسيد المبادئ الأولى للفلسفة الحقة والعمل الإيجابي الخلاق » .

لاحظوا الروح التقديمية في كلمات الصادق (ع) (٢) ، فقد قال ما مؤداته :

« إن استنارة القلب هي روح العلم » ، ثم يقول بالنسبة إلى العلم نفسه :

« الصدق هدفه ، والالهام دليله ، والعقل مستقره ، والله موجهه » .

حقاً ، إن المكتشفات الحديثة قد تجلت فيها ما أبانه الصادق سلام الله عليه في بيانه : فإن تاريخ العلوم يذكر لنا انه قد كان للالهام أثر بالغ في الاكتشافات والمخترعات .

ومما لا مراء فيه : أنه قد كان لأهل بيت الرسول (ع) الفضل الأكبر في تدعيم قواعد الفلسفة الحقة وتفهيم الناس حقائق القرآن كما يريد الله تعالى .

نعم ، إن الفلسفه كـ (غالينوس) و (ديموقراطيس) و (ثمستيوس) و (ارسسطوطاليس) و (افلاطون) و (اقليدس) و (بطلميوس) و

(١) راجع كتاب : التكامل في الإسلام ، الجزء الثاني ص ٢١٤ - ٢١٧ .

(٢) هو الإمام السادس : الإمام جعفر بن محمد (ع) .

(ابولونيوس) قد بعثوا بفضل علماء الاسلام من جديد . وان علماء الاسلام قد صححوا أخطاء هؤلاء الفلاسفة بالنسبة الى المبدأ والمعاد على ضوء فلسفة القرآن الحقة وعلم الكلام ، كي لا يتسرّب الإلحاد والفلسفة البشرية الحالكة الى عالم الاسلام .

كان المسيحيون يؤمّون الكليات الاسلامية من أقصاها أوروبا ويرجعون الى بلادهم حاملين مشاعل العلم والمعارف . وكانت المدارس والأكاديميات زهراً زكية الرائحة تنتشر في أكثر المدن الاسلامية ، فتؤتي أكلها كل حين ، وقد كانت مزودة بمكتبات عامرة تضم عدداً كبيراً من الكتب . كانت في مكتبة القاهرة أكثر من مليون مجلد ، ستة آلاف منها تبحث في الرياضيات والفلك .

نعم ، قد سبق المسلمين (روكر بيكون) في الطريقة التجريبية عدة قرون . فقد قال علي (ع) : « في التجارب علم مستأنف » . وقد قال رسول الله (ص) مخاطباً علياً (ع) : « لا فقر أشد من الجهل ، ولا مال أعود من العقل ولا وحدة أو حش من العجب ، ولا عقل كالتدبر ، ولا ورع كالكف عن محارم الله ولا حسب كحسن الخلق ولا عبادة مثل التفكير » . وكانت الطريقة التحليلية والاستقرائية والاستنتاجية معروفة في التحقيقات العلمية لدى المسلمين .

اما في أوروبا ، في القرون الوسطى ، فقد اغلقت معاهد الدراسة الى الأبد من قبل قسطنطين وأحرقت المكتبات العامة التي أسسها الأباطرة الوثنيون ، وكانت العلوم تعتبر نوعاً من السحر ويُعاقب من يتعاطاها بتهمة الخيانة . كانت النزعة الدينية تعارض العلم ، في أوروبا ، كل المعارض ، وكانت هذه النزعة تتمثل في قولهم : « الجهل أبو الاخلاص لله » . حين

أن علياً (ع) كان يقول منذ قرون : « بالعلم يُعرف الله ويُوحد » .
لقد نفت الكنيسة من روما جميع المشتغلين بالدراسات العلمية وأحرقت
مكتبة (بلاتين) وأعدمت عشرات الآلاف من العلماء الكوئين .
ولقد سبق أبو الحسن (غاليلية) في اختراعه التلسکوب أو المربب
واستعمل كل من مرصد القاهرة ومرصد مراغة التلسکوب بنجاح .
إن المسلمين قد نبغوا نبوغاً مرموقاً في الفلك وجاؤوا بجداول هامة وان
نصف أسماء الأنجام لا تزال عربية ، وقد أدخل المسلمون (علم المثلثات) في
الفلك وأخذ علم الفلك طوراً رياضياً دقيقاً .
وقد تمكن المسلمون من حساب حجم الأرض وتصحيح أخطاء
(بطليموس) في الفلك .
وللMuslimين اكتشافات" هامة في انكسار الضوء وتعيين موقع النجم
الصحيح ، وكذلك في علم الميكانيك .
لقد بني العرب المسلمون أول مرصد في أوروبا ، وها هو جابر بن
عافية العالم الرياضي الكبير يضع تصميماً ، فيبني برج اشبيلية لمراقب منه
أفلاك السماء . فيتحول الإسبان بعد طرد المسلمين إلى حظيرة العجلول !
وكذلك كانت حواضر غرب أفريقيا : طنجة ، فاس ومراكش تنافس قرطبة
واشبيلية وغرناطة في كلياتها وتخرج علماء متضلعين .
لقد أقامت أوروبا المسيحية الدنيا وأقعدتها لمجرد اتهام باطل : ذلك أن
المسلمين هم الذين أحرقوا مكتبة الاسكندرية أيام الفتح ، حين أن حرق
هذه المكتبة قد تم زمن (بوليوس القيصر) . الا أن الكتاب الأوروبيين
لا يتلفظون بشيء عما قام به الصليبيون بعد خمسة قرون !
لقد اكتشف المسلمون المثلثات الكروية وطريقة حل المعادلات من الدرجة
الرابعة (في الجبر) وعلم تخطيط البلدان وطريقة تسطيح الأرض . وقد

طبقوا علم الجبر على الهندسة ، وهو فتح جديد للهندسة التحليلية .
وكانت أوروبا تعتقد أن الأرض منبسطة . بينما كان العلماء المسلمين
يعتقدون بكروية الأرض وكروية المدارات الفلكية وعلى هذا الأساس بنوا
علم الفلك .

واما العلوم الطبيعية فقد بذل في ترقيتها جهد كبير وطبقت الطريقة
التجريبية . وكانوا يستعملون حدايق تجريبية (مستنبتات) في كليات الزراعة
وكليات العلوم الطبيعية (فرع النبات) ، فكان الأساتذة يستعينون بها .
اما الكيمياء ، فالمسلمون هم المخترعون لها ، ذلك لأن تلميذ الصادق
عليه السلام وأعني به جابر بن حيان ، هو الأب الأصيل لعلم الكيمياء
الحديثة ولا يزال اسمه خالداً في حقل الكيمياء في دائرة معارف العلوم في
لغات مختلفة ولا تقل أهميته عن (برسلي) و (لارواژیة) ، وقد صنف جابر
ألفي صفحة في الكيمياء من املاء الصادق (ع) على ما ذكره ابن خلkan
في تاريخه .

اما اشتئار المسلمين في علم الطب وعلم الجراحة فحدث ولا حرج ، فقد
بلغوا شاؤاً قاصياً في هذين الفرعين .

لقد ظل المسلمون طوال قرون عديدة يتدارسون الجسم البشري
بموضوعية مثالية وانكباب عظيم . وكانت دراسة المواد الطبية ، تلك الفكرة
التي ارتفاع لها (ایوکریدس) في مدرسة الاسكندرية ابداعاً اسلامياً محضاً .
ان المسلمين هم الذين اخترعوا علم الصيدلة وهم أول من أسسوا مخازن
لتوزيع الأدوية ، فكانت توزع الأدوية مجاناً دونما عوض والموزعون يتلقاون
رواتبهم من الدولة الاسلامية . وان أسعار الأدوية وأصنافها كانت محددة
من قبل الدولة الاسلامية . وكان على من يروم أن يعمل في حقل الصيدلة

أن ينال اجازة رسمية ، تقابل الشهادة الجامعية في يومنا هذا .
كما أن المسلمين أسسوا مستشفيات عامة (دور الشفاء) وكان المرضى
يُعالجون فيها مجاناً .

وها هو أبو جعفر : (أحمد بن محمد الطالب) يؤلف كتاباً في الماء
الأزرق في العين .

واما ابن سينا فكان أربع أطباء عصره ، كان ذا عقل موسوعي ، فهو
فليسوف ورياضي وفلكي وشاعر وطبيب . فليس بمستغرب أن يسميه رجال
ال الفكر في أوروبا (ارسطو طاليس) الشرق .
وكتاب (حياة الحيوان) للدميري مشهور . فهو تاريخ الحيوانات ،
سبق مؤلفه (بوفون) بسبعين قرون .

وكان (الجيولوجيا) ^(١) : علم طبقات الأرض يدرس باسم : (علم
تشريح الأرض) .

وقد نبغ المسلمون في الفن المعماري وان آثارهم تتجلى فيما بنوا من
مساجد وقصور وجسور وما هنالك من زخرفة ونحت جميل في حدود
الشرع الشريف .

وللمسلمين اليد الطولى في البحث والتنقيب التاريخي والجغرافية وكذلك
في الزراعة والتجارة وكثير من الصنائع .

أما العمل فمقدس في الاسلام أيما تقدير . انه تعالى يقول : « هو
الذى خلق لكم ما في الأرض جميعاً » وفي آية أخرى : « ولقد مكناكم في
الارض وجعلنا لكم معاش ، قليلاً ما تشکرون » وفي آية أخرى : « فامشووا
في مناكبها وكلوا من رزقه وعليه الشور » . وهو القائل جل جلاله : « ومن
رحمته جعل لكم الليل والنهر لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم

Géologie (١)

تشكرنون » (١) .

وأقرأ معي أحاديث أهل البيت (ع) في الحث على العمل :
فعن الصادق : جعفر بن محمد (ع) كما في اصول الكافي ص ٣٥١ :
« إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْغُضُ كُثْرَةَ النَّوْمِ وَكُثْرَةَ الْفَرَاغِ » . وَعَنْ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « إِيَّاكَ وَالْكَسْلِ وَالضَّجْرِ ، فَإِنَّهُمَا يَمْنَعُنَّكَ حَظَكَ مِنَ الدِّينِ وَالآخِرَةِ » . وَفِي الْوَسَائِلِ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي ص ٥٣٤ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ (ع) :
« لَا تَكْسِلُوا فِي طَلَبِ مَعَايِشِكُمْ . فَإِنَّ آبَاءَنَا كَانُوا يَرْكَضُونَ فِيهَا وَيَطْلَبُونَهَا » .
وَعَنِ النَّبِيِّ (ص) : « مَلُوْنَ مَنْ أَلْقَى كَلَّهُ عَلَى النَّاسِ » .

وَفِي الْكَافِيِّ ص ٣٥٠ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ (ع) : « اقْرُؤُوا مِنْ لَقِيتِمْ مِنْ أَصْحَابِكُمُ السَّلَامَ ، وَقُولُوا عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبِمَا يَثْنَى بِهِ عَنْهُ اللَّهُ . أَنِّي وَاللَّهِ مَا أَمْرَكُمُ إِلَّا بِمَا نَأْمَرْتُ بِهِ أَنفُسَنَا . فَعُلِّيْكُمْ بِالْجَدِّ وَالاجْتِهَادِ . وَإِذَا صَلَيْتُمُ الصَّبَحَ فَانْصَرِفُمْ فَبَكْرُوا فِي طَلَبِ الرِّزْقِ وَاطْلَبُوا الْحَلَالَ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَيِّرْ قَمْكُمْ وَيَعِنْكُمْ عَلَيْهِ » .

وَفِي الْكَافِيِّ الْجُزْءِ الثَّانِي ص ٤١٥ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ (ع) : « لَا تَدْعُ طَلَبَ الرِّزْقِ مِنْ حَلَّهُ وَاعْقُلْ رَاحْلَتَكَ وَتَوَكِّلْ » .

وَفِي الْوَسَائِلِ ج ٢ ص ٥٣١ عَنْ فَضْلِ بْنِ أَبِي قَرَةَ : قَالَ : دَخَلْنَا عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (ع) وَهُوَ يَعْمَلُ فِي حَائِطٍ لَهُ . فَقُلْنَا : جَعَلْنَا اللَّهَ فَدَاكَ ، دَعَنَا نَعْمَلْ لَكَ أَوْ تَعْمَلْ الْعَلْمَانَ . قَالَ : « لَا ، دَعْوَنِي ، فَإِنِّي أَشْتَهِي أَنْ يَرَانِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعْمَلُ بِيَدِي وَأَطْلَبُ الْحَلَالَ فِي أَذْنِ نَفْسِي » .

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ (٢) . قَالَ : « رَأَيْتُ أَبَا الْحَسْنِ (ع) يَعْمَلُ فِي أَرْضِ لَهُ ، قَدْ اسْتَنْقَعَتْ قَدَمَاهُ فِي الْعَرْقِ . فَقُلْتُ : جَعَلْتَ فَدَاكَ : أَيْنَ الرِّجَالُ؟ . فَقَالَ : « يَا عَلِيُّ ، قَدْ عَمَلْتُ بِالْيَدِ مِنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي وَمِنْ أَبِي فِي أَرْضِهِ . فَقُلْتُ :

(١) سورة القصص : ٧٣ .

(٢) الكافي ، ج ٢ - ص ٥٣١ .

ومن هو ؟ فقال : رسول الله وأمير المؤمنين وآبائي كلهم كانوا قد عملوا بأيديهم وهو من عمل النبئين والمرسلين والأوصياء والصالحين » ٠

بمثل هذه الأحاديث ، وجد نشاط عديم النظير في العالم الإسلامي في حقل التجارة والزراعة ٠ وإن الحكام والقواد ما كانوا ليأنفوا من أن يلقبوا أنفسهم بأسماء المهن التي كان يتعاطاها أجدادهم ٠ كيف لا ، وان الرسول الأمين (ص) يقول : « إن الله يحب عبداً يتخذ المهنة ليستغنى بها عن الناس ٠ وإن الله يحب العبد المحترف » ٠

وفي الوقت الذي يحث الدين الإسلامي الناس على العمل المشر يريد بهم أن لا يشدوا عن طريق الحق والصواب ٠ وان تكون الفضيلة هي الحاكمة في المعاملات ٠

فعن النبي (ص) : « ليس منا من غش مسلماً أو ضره أو ما كره » ٠ وعن أبي عبدالله (ع) : « غبن المؤمن حرام » ٠

وفي حديث عن جعفر بن محمد (ع) : عليك بصدق اللسان في حديثك ولا تكتنم شيئاً يكون في تجارتكم ولا تغبن المسترسل فإن غبنه لا يحل ، ولا ترض للناس إلا ما ترضى لنفسك وأعطي وخذه ولا تحف ... الى أن قال : « التاجر فاجر إلا من أعطى الحق وأخذه » ٠٠٠

وفي الوسائل ج ٢ ص ٥٦٢ : عن النبي (ص) : « من غش مسلماً في شراء أو بيع فليس منا ، ويحشر يوم القيمة مع اليهود ، لأنهم أغشوا الخلق للمسلمين » ٠

وقد حث الاسلام الناس على تشغيل أموالهم وعدم تجميدها ٠ ففي الوسائل ، عن زرارة عن أبي عبدالله (ع) ٠٠٠ قال : « ما يخلف الرجل بعده شيئاً أشد عليه من المال الصامت ٠ قال ٠ قلت له عليه السلام ٠ كيف يصنع به ؟ ٠ قال : يجعله في الحائط والبستان والدار ٠

يقول الراوي سمعت أبا عبدالله يقول : « لا خير في من لا يحب جم
المال من حلال : يكفي به وجهه ويقضى به دينه ويصل به رحمه » .
واسمع ماذا يقول معلى بن خنيس عن أبيه . قال ، سأله أبو عبدالله
عليه السلام عن رجل وإنما عنده . فقيل له : أصابته الحاجة . قال : فما
يصنع اليوم ؟ قيل : في البيت يعبد ربه . قال . فمن أين قوته ؟ قيل : من
عند بعض إخوانه . فقال أبو عبدالله عليه السلام : « والله ، الذي يقوته أشد
منه عبادة » . وعن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام : قال : « من طلب
الرزق في الدنيا استغفاراً من الناس وتوسيعاً على أهله وتعطضاً على جاره لقي
الله عز وجل يوم القيمة ووجهه مثل القمر ليلة البدر » .

وعن جعفر الصادق (ع) : مكتوب في التوراة : « انه من باع أرضاً
أو ماءً ولم يضعه في أرض أو ماء ذهب ثمنه محققاً : (أي بطل ثمنه وذهب
بركته) » . وعن (ع) : « مشترى العقدة مرزوق ، وبائعها ممحوق » : (العقدة
أي العقار) .

لقد انشأ المسلمون كثيراً من قنوات الري في البلاد التي فتحوها ، وخير
دليل على ذلك : آثار القنوات في إسبانيا .

لقد حفَّ المسلمين مناجم النحاس وال الحديد والزئبق والكبريت في
إسبانيا ، كما نشروا هناك صناعة نسيج الحرير واستخلاص الورق وهي
الخزف والفالخار ودبغ الجلد .

ولا تزال الأواني الصينية التي عرفت بها (قرطبة) والمنسوجات الصوفية
التي اشتهرت بها (مرسية) وحرائر (غرناطة) و (المريية) و (أشبيلية)^(١)
والحلى الذهبية من (طليطلة) والكافعنة في (سالبة) مضرب المثل حتى في
أوروبا الحديثة .

وقد كان لحكام إسبانيا اسطول تجاري ينوف على ألف سفينة كما كان

(١) روح الإسلام : للسيد أمير علي

لهم وكلاء ومصانع أقاموها على ضفاف الدانوب .

نعم ، كان لل المسلمين منجزات هامة في حقل الفكر ، ذلك لأن تعاليم نبينا محمد (ص) كانت تعاليم تدعو الناس إلى التفكير والتدبر في أسرار الكون ، كيف لا و أن القرآن الكريم ينادي منذ أربعة عشر قرناً : « قل سيروا في الأرض ، فانظروا كيف بدأ الخلق ، ثم الله ينشيء النشأة الآخرة ، إن الله على كل شيء قادر » ^(١) . « فلينظر الانسان مم خلق » ^(٢) ، « قل انظروا ماذا في السماوات والارض ، وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون » ^(٣) ، « أفلأ ينظرون الى الإبل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبـت والى الارض كيف سطحت » ^(٤) . « أولم يروا الى ما خلق الله من شيء » ^(٥) .

نعم ، خلال قرون الجدب الأدبي والفكري في أوروبا كان الإسلام يحمل مشعل المدينة ويتقدم إلى الأمم ، فهل الإسلام إذن دين رجعي أم تقدمي؟ ومنذ القرن الرابع حتى القرن السابع عشر الميلادي ظلت سحب الضباب تتعقد في سماء أوروبا ببعضها فوق بعض ، وقد سادت طوال هذه العصور العصبية الدينية المقيدة في أوروبا ، وكان الإسلام بثقافته الحرية ينفذ إلى مجاهيل العالم ليثير فيها حب الخالق والمخلوق وليدفع الإنسانية إلى عتبة مرحلة جديدة في مضمون التقدم والارتقاء . وهكذا كانت تظهر معالم التقدم في آكاديميات سالرنو وبغداد ودمشق وقرطبة وغرناطة .

كان الحكام يساعدون على نمو الفكر الحر في الحقل العلمي ولم يتعرضوا إلى بقية الأديان ، بل كان التسامح شعارهم ، فازدهرت العلوم

(١) سورة العنكبوت : ٢٠ .

(٢) سورة الطارق : ٥ .

(٣) سورة يونس : ١٠١ .

(٤) سورة الغاشية : ١٧ - ٢٠ .

(٥) سورة النحل : ٤٨ .

الطبيعية كنتيجة حتمية لحرية الفكر في الاسلام . ولكن الضغط على حرية الفكر في أوروبا كان قد بلغ أقصاه . وبعد أن كان المسلمين قد حولوا إسبانيا إلى حديقة غناء للعلوم والمعارف جاءت المسيحية فجعلتها صحراء مقرفة ، فخلت الحواضر من الكليات والمدارس وتحولت إلى كنائس واحرقـت الكنوز الأدبية والعلمية هناك .

لقد أخطأ (ارنست رنان) في كتابه : « الاسلام والعلم » حيث قال : « إن الاسلام قد حارب العلم والفلسفة » لعله في كلامه هذا أراد أن يقرن الاسلام باليسقية التي حاربت العلم في القرون الوسطى وأبادت كثيراً من العلماء الكوينيين ، حتى أنه ترى أن (لاروس) يستهزئ في قاموسه بالدين حين يريد أن يفسر الكلمة Religion (١) ، ويقول : « الدين إنما هو مجموعة مقررات تناهى العقل والفكر الحر ! » . حين أن الاسلام يقول : « لا دين لمن لا عقل له » . « ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والرؤاـد كل أولئك كانوا عنه مسؤولاً » (٢) . « أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ، إنهم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً » (٣) .

يقول علي (ع) : « إنه أرسل أنبياء ليشرعوا في الناس دفائن عقوبـهم ويهدوـهم إلى معايش تحيـهم » . وهذا دستور يحقق سعادة الدنيا في حقل الفكر والعلم والمخترعات وفي حقل الاقتصاد والاجتماع ويحقق سعادة الآخرة في حقل التوجه إلى الله وتزكية النفوس والفلسفة الحقة .

ان القرآن الكريم قد عظـم أمر العلماء في جملة آيات بقوله : « هل يستويـ الذين يـعلمون والذين لا يـعلمون ، إنـما يتـذكر أولـو الألـباب » .

(١) الدين . (٢) سورة أسرى : ٣٦ :

(٣) سورة الفرقان : ٤٤ :

« يرفع الله الذين آمنوا والذين اتوا العلم درجات » ٠ « شهد الله انه لا إله إلا هو والملائكة واولوا العلم قائمًا بالقسط » ونذهب الى البرهان وأراد بالناس أن لا يتقبلوا مبدئاً أو عقيدة أو مسلكاً من المسالك دونما دليل بقوله : « قل هاتوا برهانكم ان كتتم صادقين » وبقوله : « قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، إن يتبعون الا الظن وان أتتم الا تخرصون » (سورة الأنعام : ١٤٨) ٠

وتحظر عن الظن والعمل به في العقائد والمسالك : بقوله : « وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ، إن يتبعون الا الظن وإن هم لا يخرصون » ، وأراد بالناس اتباع العلم الصحيح لا الظنون والأهواء ٠ فقال ردأ على الدهريين : « وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونجاينا وما يهمكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ، إن هم الا يظنو » ٠ وبقوله : « وما لهم به من علم ، ان يتبعون الا الظن ، وان الظن لا يعني من الحق شيئاً » (سورة النجم : ٢٨) ٠

كان العلم في القرون الوسطى منحصرًا فيما كان قد قاله أرسطو أو أفلاطون أو أحد الفلاسفة القدماء دون تمحیص أو تحقيق في أقوالهم . وإن أكبر برهان عندهم أن يقال : قال ما جسْتِر^(١) كذا وكذا . يقصد بذلك أفلاطون أو أرسطو أو غيرهما من الفلاسفة القدماء . حين ان نظريات فلاسفة اليونان عن الكون كانت تخيلية بحتة ، ومن جملة أقوالهم : ان حركة الشمس حول الأرض يجب أن تكون دائيرية ، لأن الدائرة أكمل الاشكال ! وهكذا . ولكن القرآن كان ينادي قبل ذلك بعدم قبول شيء دونما دليل أو برهان . واسس للناس أساس الفلسفة الوضعية (Positivisme) التي لم

Magister (1) ماجستير .

تعرف في أوروبا الا في القرن التاسع عشر الميلادي ، فلسفة تبني على الحقائق العلمية الثابتة لا الظنون والتخيلات الواهية . لذلك كان يقول (پوانكاره) العالم الرياضي : « نحن الرياضيين انما نعمل لأجل الفيزياء والفلسفة » . كل ذلك لأن الفلسفة في القرن التاسع عشر صارت تستفيد من المكتشفات الحديثة لقول كلمتها عن الكون والوجود .

وها هو (برگسون) صار من كبار الموحدين ، وكان يستند في توحيده تعالى بما أودع الله تعالى من نظام خارق دقيق في بطن الذرة ، نظام محير للعقل لا يتأتى الا عن حكيم خبير . نظام دقيق الصنع ذو دساتير ثابتة وسرع معينة ومنحنيات عجيبة بعيد عن الصدفة كل البعد ، نظام يذيب الشك ويفني كل تردد . انه تعالى دعا الى التوحيد بطريق برهاني بقوله : « ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه ، انه لا يفلح الكافرون » (١) . « ألم اتخذوا من دونه آلهة ، قل هاتوا برهانكم ، هذا ذكر من معي وذكر من قبلـي ، بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون » (٢) . « وفي آية أخرى : « ونزعنا من كل أمة شهيداً ، فقلنا هاتوا برهانكم ، فلعلـوا أنـ الحقـ للـهـ وـضـلـ عـنـهـمـ ماـ كـانـواـ يـفـتـرونـ » (٣) .

وكفى الاسلام فخرا أنه دعا الى حرية الفكر وتقبل أصح الآراء وأسدـها وذلك بقوله : « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنـهـ » (٤) ومنـعـ منـ التقـليـدـ الأـعـمـىـ بـقولـهـ : « وـإـذـاـ قـيلـ لـهـمـ تـعـالـوـاـ إـلـىـ مـاـ أـنـزـلـ اللـهـ وـالـرـسـوـلـ ،ـ قـالـوـاـ حـسـبـنـاـ مـاـ وـجـدـنـاـ عـلـيـهـ آـبـاءـنـاـ ،ـ أـوـلـأـوـاـ كـانـ آـبـاؤـهـمـ لـاـ يـعـقـلـونـ شـيـئـاـ وـلـاـ يـهـتـدـونـ » (٥) .

(٢) سورة الانبياء : ٢٤ .

(١) سورة المؤمنون : ١١٨ .

(٣) سورة القصص : ٧٥ .

(٤) سورة المائدة : ١٠٤ .

(٥) سورة الزمر : ١٨ .

وكم من آيات في القرآن الكريم تحت الناس على التفكير والتعقل : « أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ، أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا » (٣) ، « وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّ خَلْقَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مُوْدَةً وَرَحْمَةً ، أَنَّ فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » (٤) . « إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ النَّهَارِ وَالظَّهَارِ وَالنَّهَارِ وَالظَّهَارِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسْخَرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لِآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقُلُونَ » (٥) . « وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخْيَلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَخَذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لِآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقُلُونَ » (٦) .

ولنذكر ما قاله بعض كبار الغربيين عن الاسلام : يقول (لواندر كودر): « ليس في الاسلام كهنوت ولا سلطة كنيسة ، لكنه يضع للحكومات دستوراً » ويقول : (جيرون) : « الدستور الاسلامي دستور شامل موحد بين الجميع من الرأس المتوج الى أبسط الاشخاص ، لأنّه يقوم على حكمة انتجها أوسع العقول معرفةً وعلماً بهذه الحياة » .

ويقول (دافيد يوو) : « القرآن دستور اجتماعي ، مدني ، تجاري ، حربي ، قضائي .. وهو فوق ذلك كله قانون سماوي عظيم » . ويقول (كارليل) : « من المسلم به أنّ محمداً لم يكتب ولم يقرأ ، ولم يتلق تعليماً مدرسيّاً ، لكنه عُرِفَ منذ نشأته بالرجولة وسموا التفكير والأمانة وإصالة الرأي في كلّ ما يقول وما يعمل .. وتاريخ حياته يثبت أنه كان دائماً رجلاً اجتماعياً وصديقاً صدوقاً ومخلصاً ودوداً » .

ويقول (وليم موير) : « جميع حجج القرآن طبيعية ودلالة على عناية

(٣) سورة محمد (ص) : ٢٤ . (٤) سورة الروم : ٢١ .

(٥) سورة البقرة : ١٦٤ . (٦) سورة النحل : ٦٧ .

الله بالبشر »

ويقول (برناردو) : « لابد ان تعتنق الامبراطورية البريطانية النظم الاسلامية قبل نهاية هذا القرن ، ولو أن محمدًا بعث في هذا العصر وكانت له ديكاتورية على هذا العالم الحديث لنجح تماماً في حل جميع المشكلات العالمية وقاد العالم الى السعادة والسلام » .

فإذا كانت الرجعية معناها : كل عائق عن التقدم أو الرجوع الى الاصول البالية المانعة عن الارتقاء والازدهار فائي أمر من أوامر الاسلام أو أي نهي من نواهيه وأي تعليم من تعاليم القرآن أو السنة النبوية يقف حجر عشرة دون التقدم في تفهم الانسان الحياة والكون والوجود تفهمًا يعوقه عن الارتقاء في حقول التكامل النفسي والاجتماعي . أو حقول المكتشفات والمخترعات ؟

إذن : القضية ليست قضية الرجعية أو التقدمية بالمعنى الصحيح . وإنما مرض في النفس ، يريد صاحبها أن ينفلت من دساتير وآيات بينات أرسلها الله تعالى لتكامل البشر على ألسنة أنبيائه (ع) . إن الله تعالى يصف هؤلاء بمرض في القلب أو النفس . بقوله : « في قلوبهم مرض » ^(١) . وإنما هو مرض النفسي لابد من معالجته ، معالجة روحية . وليس هذا المرض الروحي من النوع الذي يعالجها علماء النفس أو الأطباء النفسيون . وإنما هو مرض روحي عقائدي جاء من جراء الذنوب والآثام : « كذلك حقّت كلمة ربكم على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون » ^(٢) . نعم ، الاجرام هو الذي سد عليهم أبواب الايمان وجعلهم مرضى في النواحي النفسية . « ومن أظلم من ذكر الآيات ربه فأعرض عنها ، إنا من المجرمين منتقمون » ^(٣) .

(١) سورة البقرة : ١٠ . (٢) سورة يونس : ٣٣ .

(٣) سورة الم - السجدة : ٢٢ .

والفسق هو السبب الرئيس للضلال : بقوله تعالى : « فَهُلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ » ^(٤) . وبقوله : « وَمَا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِذَا مثلاً ، يُضْلِلُ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضْلِلُ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ » ^(٥) . وبقوله : « وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ » ^(٦) . إنَّ أَطْبَاءَ هَذَا الْمَرْضِ النُّفْسِيِّ هُمُ الْأَنْبِيَاءُ ^(ع) وَخَاتَمُهُمْ نَبِيُّنَا مُحَمَّدُ ^(ص) فَمَا لَمْ يُعَالِجْ هَذَا النَّوْعُ مِنَ الْمَرْضِ بِوُصُفَاتٍ أَوْ عَلاجَاتٍ قَدْ عَيْنَاهَا نَبِيُّنَا مُحَمَّدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَا يَمْكُنُ أَنْ يُرْجِعَ الْمَرْيِضَ عَنْ غَيْرِهِ ، فَيُرِيَ الْحَقَّ حَقَّاً وَالْبَاطِلَ بَاطِلًا ، يُرِيَ مَا هُوَ رَجُعيًّا حَقَّاً رَجُعيًّا وَمَا هُوَ تَقْدِيمَيْ حَقَّاً تَقْدِيمَيْ « فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَلُ الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ » ^(١) .

فَطَوْبِي لِأَوْلَئِكَ الشَّيَّانَ الَّذِينَ لَمْ تَخْدِعْهُمْ بِهِرْجَةِ الْغَرْبِ بِرَوَاهُنَا وَجَمَالُهَا الْخَدَاعُ ، فَمِيزُوا بَيْنَ الْبَاطِلِ وَالْحَقِّ ، بَيْنَ نَظَامٍ يَدْعُو إِلَى الشَّهَوَاتِ وَنَظَامٍ يَدْعُو إِلَى تَسَانِدِ اجْتِمَاعِيِّ فِي الْكَمالِ الْأَنْسَانِيِّ وَالْفُوزِ بِسَعَادَةِ النَّشَائِتِينِ : أَلَا وَهُوَ نَظَامُ الْإِسْلَامِ ^{٠٠٠} فَتَمْسَكُوا بِهِ تَمْسِكًا مَلْؤِهِ الْإِحْلَاصِ ، وَصَارُوا يُضْحِنُونَ مِنْ ثَوْسِهِمْ وَنَفَائِسِهِمْ لِاعْلَاءِ كَلْمَةِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ، لَا تَأْخُذُهُمْ فِي ذَلِكَ لَوْمَةً لَائِمَّ ، مَحْقِقِينَ مَصْدَاقَ هَذِهِ الْآيَةِ الْشَّرِيفَةِ : « وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِي نَعْيَنَهُمْ ثَبَلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيُّ الْمُحْسِنِينَ » ^(٢) . رَاجِينَ فِي عَمَلِهِمْ رَحْمَةَ اللَّهِ وَمَرْضَاتِهِ تَعَالَى : جَاعِلِينَ هَذِهِ الْآيَةِ الْشَّرِيفَةِ هَدِيَّا لَهُمْ : « وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يُشَرِّي نَفْسَهُ بِابْتِغَاءِ مَرْضَاتِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ رَوُوفٌ بِالْعِبَادِ » ^(٣) .

(٥) سورة البقرة : ٢٦ .

(٢) سورة العنكبوت : ٦٩ .

(٤) سورة الاحقاق : ٣٥ .

(٦) سورة البقرة : ٩٩ .

(١) سورة الحج : ٤٦ .

(٣) سورة البقرة : ٢٠٧ .

الزوجية في الكون

يقول الله تبارك وتعالى : « سُنْرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى
يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ » (١) ٠٠٠

إن هذه الآية تتحقق أكثر من ذي قبل كلما تقدمت العلوم الحديثة
وتعرف العلماء إلى باطن الذرة وما فيها من عالم عجيب : عالم قائم بذاته من
حيث الأنظمة والقوانين ، لا يعترضها أي تغير وانشال ٠

فترى أن الله تعالى قد أودع في الذرة ، (وهي ما لا ترى بالعين المجردة
ولا بالكليرات : المجاهر : ميكروسكوب) ، ألكترونات في الأطراف وهي
كهرباءية سالبة : (—) تدور بصورة اهليجية حول المركز بسرعة فائقة ،
بسريعة ألفي كيلومتر في الثانية ، وهذه أعظم سرعة عرفت لحد الآن على وجه
الأرض ، وترى في مركز الذرة : (النواة) قد تكدرست الپروتونات وهي
كهرباءية موجبة (+) ٠

وقد جعل الله في هذه الذرة خلاً يغير العقول وذلك بين الألكترون
والپروتون ، بحيث لو رفع هذا الخلاً وكانت الأرض بحجم البرتقالة ولكن
وزنها وزن الأرض تماماً ٠

فالبعد بين الألكترون الذي يدور في أطراف الذرة والپروتون المستقر
في مركز الذرة كالبعد بين الأرض والشمس في منظومتنا الشمسيّة تقريباً ٠
فكأن كل ذرة من حيث التشكيلات والأبعاد والمسافات كمنظومة الشمسيّة
مع حفظ النسبة . ذلك لأن نواة الذرة تحتوي على ٩٩٪ في المائة من الوزن

(١) سورة حم — السجدة : ٥٣ ٠

الذري ، كما أن الشمس تحوي ٩٩٩ في المائة من وزن المجموعة الشمسية :
« الذي خلق سبع سماوات طباقاً ، ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » (١) .
فأبسط الذرات ، إنما هي ذرة (الإيدروجين) .

(الإيدروجين) غاز مشتعل (قابل للاشتعال) يشغل قسماً عظيماً من
هذا الكون الرحيب ! . ولذلك سمي : بالغاز الكوني . وهو أهم عنصر في
الماء الذي نشربه . إذ أن دستور الماء في علم الكيمياء : H_2O . أي يوجد
في كل جزيء من الماء حجمان من الإيدروجين وحجم واحد من الأوكسيجين ،
وهو غاز تنفسه ، ولو لاه لاستحالت الحياة .

يوجد في ذرة (الإيدروجين) الكترون واحد (-) يدور حول
پروتون واحد (+) في المركز . وهو أبسط العناصر .
ويأتي في ترتيب العناصر ، بعد الإيدروجين ، العنصر المسمى بـ (هليوم)
وهو غاز غير محترق تملأ به المناطيد (البالون) .

يوجد في أطراف ذرة (الهليوم) الكترونان (-) ، (-) يدوران
حول المركز . أما في مركز الهليوم في يوجد پروتونان : (+) ، (+) .
وبجنبيهما : نيوترونان : (+) ، (-) .

النيوترون ، جسيم صغير جداً مؤلف من شحنة كهربائية موجبة وشحنة
كهربائية سالبة وهما متعادلتان . فالنيوترونات متعادلة من حيث الكهربائية .
واما العنصر الثالث من حيث (العدد الذري) أو ترتيب العناصر .
فهو : (ليثيوم) . وفي نواته : أي في مركزه يوجد ٣ پروتونات (+) ،
(+) ، (+) وبجنبيها ٤ نيوترونات : (+) ، (-) ، (+) ، (-) .
وتدور في الأطراف (أي في أطراف عنصر الليثيوم) ٣ الكترونات :
(+) ، (-) ، (-) .

وأما ذرة الكالسيوم فيها ٢٠ الكتروناً تدور في الأطراف في مدارات مختلفة وبسرع معينة وبنظام دقيق حول النواة : (المركز) وفي المركز : ٢٠ پروتوناً وبجنبها ٢٠ نيوتروناً

ثم ، نحن اذا جمعنا عدد النيوترونات مع عدد الپروتونات في كل ذرة ،
يعطينا هذا المجموع : الوزن الذري (mass number) ان ذرة الایدروجين يختلف بعضها عن بعض حسب عدد النيوترونات
الموجودة في المركز

فإذا كان في المركز : (نيوترون واحد) ، سمي هذا الایدروجين بـ (الایدروجين الثقيل) . ففي نواة الایدروجين الثقيل يوجد نيوترون واحد . وان المعادلة الآتية توضح الوزن الذري للایدروجين الثقيل : ١ پروتون + ١ نيوترون = ٢ . فيقال : الوزن الذري للایدروجين الثقيل = ٢ وعند اتحاد الایدروجين الثقيل بالأوكسجين نحصل على ما يعرف الآن باسم : (الماء الثقيل) .

فدستور الماء الخفيف الكيماوي هو : H_2O حين أن دستور الماء الثقيل :

فالایدروجين تختلف طبيعة ذراته ، منها ما هي خفيفة تبلغ كثافتها نصف كثافة الذرات الثقيلة . فإذا اتحدت الذرات الثقيلة من الایدروجين مع الأوكسجين كونت ماءً يختلف عن الماء العادي . ولهذا الماء تأثير سام على الكائنات الحية ، ويوقف نمو البذور ويميت أجنة الأحياء وهي في مهدها . هذه هي صفات الماء الثقيل .

ثم هناك نوع ثالث من الایدروجين . فيوجد في مركز هذا النوع من الایدروجين : نيوترونان بجانب الپروتون . ويسمى بالایدروجين الثلاثي . وزنه الذري : ٣ ذلك لأن : ١ پروتون + ٢ نيوترون = ٣

إذن هنالك ثلاثة أنواع من الایدروجين . وتسمى هذه بالنظائر العادية . وقد تكون للعنصر الواحد عدة نظائر لاختلاف عدد النيوترونات في النواة لنفس العنصر . ومعنى ذلك : انه قد يكون عنصر واحد : (مثلاً : كاربون) عدة أوزان ذرية ، لاختلاف عدد النيوترونات في النواة في نفس العنصر .

وقد وجدوا (للأورانيوم) ١٢ نظيرًا . واما عدد النظائر التي وجدوها لمختلف العناصر فتتجاوز الألف . وان العلم يعملاليوم لأجل كشف هذه النظائر لمختلف العناصر . ويظفر العلم يوماً بعد يوم بما أودع الله تعالى في بطن الذرة ، (هذه التي لو جمعت عشرة ملايين منها لما تجاوزت رأس الإبرة) من خصائص ونظام . نظام محير للأباب ، نظام يجعل الفيلسوف الافرنسي : (برگسون : Bergson) يؤمن بالله تعالى حينما يرى عالمًا عجيبة في شيء بالغ في الصغر ، بحيث لا يرى بأدق الآلات . عالمًا يستدعي التفكير والبحث أبد الآبدية : « ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يده من بعده سبعة أبحر ما فقدت كلمات الله ، إن الله عزيز حكيم » (١) .

واما النشاط الإشعاعي فهو نشاط ينتج من اضطراب نواة الذرة بسبب اختلال النسبة التي أرادها الله تعالى أن تكون بين عدد النيوترونات وعدد الپروتونات حال الاستقرار .

وان هذا الاضطراب إنما ينتج بدخول بعض الپروتونات أو النيوترونات في النواة . وذلك : بأن تواجه النواة بدخول پروتونات جديدة أو نيوترونات جديدة فيها . فتحتل النسبة التي كانت موجودة في النواة حالة الاستقرار بين الپروتونات ، ولهذا السبب تضطرب النواة وتضطر إلى محاولة لاصدار نوع خاص من الاشعاعات المختلفة حتى تصل إلى حالة الاستقرار .

(١) سورة لقمان : ٢٧ .

هذا هو أساس تحطيم الذرة وتفتيتها . وهذا هو الأساس لتبديل العناصر بعضها إلى بعض ، وهذا هو أساس تحول المادة إلى الطاقة .
فإن الطاقة المتحررة من كتلة : ك تساوي مربع سرعة الضوء في الكتلة أي أن الطاقة أو ط $\text{ط} = \text{ك}^2 \text{س}^2$

وبما أن سرعة الضوء = $300,000$ كيلومتر في الثانية أي : $300,000$ كم / ثانية إذن : الطاقة المتحررة عند تحطيم ذرة كتلتها ك من الغرامات ، أي : $\text{ط} = \text{ك} \times 300,000 \times 300,000 = \text{ك} \times 90,000,000,000 \times 10^{10}$

فالمادة إذن صورة من صور الطاقة . وإن الغرام الواحد من المادة يتحول إلى ألف مليون مليون وحدة من وحدات الطاقة . ووحدة الطاقة تسمى بـ (أرج : Erg) . أو أن الغرام الواحد من المادة يتحول إلى 25 مليون كيلووات / ساعة من القوة الكهربائية . أي ما ثمنه نحو (550) ألف دينار .

وقد علم مما سبق أن النظرية المادية قد فندت من أساسها بعد تحول المادة إلى طاقات هائلة . فيحكم العقل بصورة فطرية : أن الله تبارك وتعالى قد خلق طاقات هائلة في بادئ ذي بدء بقوله : (كثن) ، ثم أمرها أن تتقدس تحت ترتيب خاص ونظام دقيق فتكون بإذنه تعالى سدما (جمع سديم) ، فهذه العناصر ، فال أجسام ، فال مجرّات ، فال مجرّم ، فالشموس ، فالكواكب ، فالأقمار 000 الخ

يلاحظ أن العالم كله مشكل من نوعين من الكهربائية ، كهربائية موجبة : (+) ، وكهربائية سالبة : (-) . وأما النيوترون الذي هو بجنب البروتون في نواة الذرة فهو خليط من كهربائية موجبة وسالبة

متعادلة : (±) ، إذن العالم مشكل من نوعين من الطاقات : كهربائية موجبة : (+) وكهربائية سالبة : (-) وواضح أن السالب غير الموجب ، كما أن الاثنى غير الذكر . وهكذا نرى أن الزوجية متصلة بأمر الله تعالى في أدق الأشياء . فالغاز الكوني : (إيدروجين) وهو من أبسط العناصر مشكل من الكترون واحد (-) وبيروتون واحد (+) . وهذا يفسر قوله تعالى : « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » (١) .

ونرى أن القوى أو الطاقات التي تتالف منها العوالم هي بالمايل اما كهربائية أو مغناطيسية . فبالكهربائية أيضا نحصل على مغناطيسية وذلك بلف سلك حول قطعة من حديد وإمداد تيار كهربائي في هذا السلك . فتستعنى قطعة الحديد ويحدث فيها قطبان : القطب الشمالي والقطب الجنوبي كقطعة من مغناطيس طبيعي . وبتدوير ملف من الأسلك في مجال مغناطيسي (كما في الدائنامو) نحصل على الكهرباء . (التيار الكهربائي) . لذلك كان يقول : (آينشتاين) : إنما العالم مجموعة قوى (كهربائية - مغناطيسية) أو (كهرومagnetية) . فـأين المادة التي كان يتـشدق بها لينين ؟!

نحن نشاهد الزوجية حتى في القوى والطاقات ، وفي الجن أيضا ، كل ذلك ، لتبقى الوحدانية خاصة بالله تعالى لا يشاركه فيها أحد . وإن الزوجية معروفة في النباتات ، ذلك لأن في الزهرة عضو التذكرة (الأعضاء الذكورية) وعضو التأثير (العضو الأنثوي) . وبعد أن تنضج الأعضاء الذكورية والأنثوية في الزهرة ، يحصل التلقيح وتبدأ الشمرة بالتكوين من الجزء الأنثوي .

وان الزوجية متجليـة في الحيوانات وكذلك في الإنسان : انه تعالى يقول : « سبحان الذي خلق الأزواج كلـها مما تنبـت الأرضيـة ومن أنفسـهم ومـا

(١) سورة الداريات : ٤٩ .

لا يعمون» (سورة يس : ٣٦) . فالله تبارك وتعالى أخبرنا قبل ١٤ قرناً أن هناك زوجية في ما لا نعلم من أشياء . وقد اكتشف حديثاً أن الزوجية متأصلة بأمر من الله تعالى حتى في الذرة التي لا ترى بالعين .
ويقول تعالى أيضاً : «فاطر السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه ، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم» (سورة الشورى : ١١) . (يذرؤكم أي : يكثركم) .
لذلك يقول : (موتنبي) الفيلسوف الفرنسي : إن أعظم دليل على وجود الله هو وجود المرأة (الأنتى) للرجل . فهل يعقل أن الرجل خلق لنفسه أنتى لإدامة النسل البشري ؟ .

وان الله تعالى تحقيقاً للزوجية وهذا الانجذاب الجنسي جعل تردد صوت المرأة : (٢٢٠) في الثانية كما هو معروف في الفيزياء وجعل تردد صوت الرجل (١١٠) في الثانية ، ليكون صوت المرأة أرقاً وأجمل من صوت الرجل . فيتتحقق الانجذاب الجنسي ادامةً للنسل البشري .
وبصورة عامة لا يكون التوالي وتوليد المثل الا باختلاط وانضمام خليتين احداهما ذكر وتسمى (اسپرماتوزوئيد) والأخرى أنثى وتسمى : (اوول) .

ان دراسة الطائر المسمى بـ (اكسيكلوب) وما يقوم به من عمل دقيق لإدامة نسله خير دليل على وجود الصانع وايحاء الله تعالى الطائر الطريقة الناجحة لابقاء النسل . ذلك لأن هذا الطائر لا يرى نسله ويموت فور إلقاءه البيض . كما أن الأفراخ لا ترى وجه الأم . ذلك لأن الأفراخ هي كالديدان بعد الخروج من البيض ، لا تقوى على تهيئة غذائهما والدفاع عن نفسها ودفع الطوارئ التي تهدد حياتها . وعليها أن تقضي سنة كاملة في

مكان وادع رصين وأن يكون الغذاء بجنبها وفي متناولها . ولذلك ، فإن الأم حين شعورها بأنه قد قرب أوان بيضها تحصل حالاً على قطعة من خشب وتحدث فيها ثقباً عميقاً . ثم تقوم فتفتش عن غذاء (لأفراخها التي لا تراها بعد موتها) من الأوراق والأوراد ما يكفي لسنة كاملة وتضع هذا الغذاء في منتهى الثقب وتضع فوق هذا الغذاء بيضة واحدة وتبني عليها سقفاً محكمًا من عجين الأخشاب ثم تذهب لتجمع غذاء لسنة كاملة أيضاً ، فتأتي به وتضعه في الثقب على ذلك السقف وتضع عليها بيضة وتبني عليها سقفاً ثانياً ، وهكذا تصنع عدة طبقات وكل طبقة فيها غذاء لسنة كاملة فوقه بيضة وهي تموت بعد اتمام العمل فوراً ولا ترى أفراخها . لا تقع للأم هذه الحادثة إلا مرة واحدة طوال عمرها وفي فصل الربيع فقط .

حقاً ، لو لا إلهام الالهي لما قامت الأم التي تموت حالاً بعد البيض ، (الأم التي لا ترى أفراخها) بهذه العمالة لادامة نسلها ، فإن قلنا أنها تعلمت ، ككيف حدث هذا الحادث لأول مرة ، دون تجربة سابقة .

ثم إن الله تعالى جعل شريكاً للإنسان وهو الجن ، فالإنسان لا يُحشر وحده يوم القيمة وإنما يُحشر معه الجن أيضاً . يقول تعالى : « ويوم يحشرهم جميعاً ، يا معاشر الجن قد استكشترتم من الإنس » . وفي آية أخرى : « يا معاشر الجن والانسان ألم يأتكم رسلاً منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ، قالوا شهدنا على أنفسنا » . وقوله تعالى : « قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانسان في النار ، كلما دخلت أمّة لعنت أختها » . وفي آية أخرى : « ولقد ذرنا الجهنم كثيراً من الجن والانسان » . إلى ما هنالك من آيات أخرى ، كلها تدل على أن الجن محاسبون يوم القيمة كالإنس ، وكلاهما مكلفان في هذه الدنيا بتكميل وبأوامر ونواهي . وإن محمدًا (ص) قد بعث للإنس والجن كافة : « واذ صرنا إليك نفراً من الجن يستمعون

القرآن ، فلما حضروه قالوا أنصتوا ، فلما قضي ولّوا الى قومهم مُشَذِّرين »
وفي سورة الرحمن : « فبأي آلاء ربكم تكذبان » ، فهنا يخاطب الله تعالى
الانس والجن معاً .

وقد عُلم أن الزوجية تحكم حتى في النجوم . فهناك تزاوج ظاهري
في النجوم .

ومع كثرة النجوم في هذه السماء الواسعة غاية الوضع فإن الفواصل بين
النجوم فواصل هائلة وابعاد شاسعة جداً . وان أقرب نجم الى شمسنا هذه
يبعد عنها ٢٦ مليون ميل . إذن يحق لنا أن نقول : ما أفرغ هذه السماء ،
وما أشد وحشة النجم الواحد في هذا الفراغ الهائل ! ولكن شاء الله تعالى ،
أن يجعل الأشياء كلها حتى النجوم مزدوجة ! تحكم فيها الزوجية ليكون
الفرد والوحدة خاصية به تعالى « ليس كمثله شيء » .

فإذا نظرت الى السماء بالمنظار لرأيت نقطتين مضيئتين مقربتين في السماء
أشدّ الاقتراب . واحدة زرقاء والأخرى برتقالية أو حمراء . انهما نجمان
يشهد بعضهما بعضاً ويدور أحدهما على الآخر . أي ينجذب أحدهما من قبل
الآخر تحقيقاً للتزاوج . ونحن حيثما وجهنا المنظار (التنسكوب) الى السماء
وجدنا أزواجاً من النجوم . انها ألف ألف . انها الثنائيات النجمية ،
مداراتها اهليليجية ذات تفريط عظيم . هذه هي هندسة الكون : مدارات
اهليليجية وكم من الصعب رسم منحنٍ اهليليجي في الفضاء ثم جعل النجوم
تدور بموجبه دونما حيد . انها هندسة دقيقة تدل على عظمة واضعها وهو
الله الواحد القهار .

ومن أشهر هذه الأزواج (الشعرى اليمانية) وصاحبتها بل صاحبها .
إذا نظرت الى الشعرى اليمانية في فصل الشتاء في أوسط السماء ، قرب

كوكبة الجبار ، لا ترى منها الا نجماً واحداً لاماً أشد اللمعان ، وهكذا نرى الأزواج من الكواكب رأى العين شيئاً واحداً . حتى اذا واجهنا نحوها المناظير (التلسكوبات) القوية رأيناها نجمين أو عدة نجوم . وقد نظر الى (الشعري اليمانية) صانع مناظير ، يجرب منظاراً قد صنعه : قطره (١٨) إنجا ، فرأى صاحبها أول مرة وقد كان ذلك عام ١٨٦٢ م .

ويدرس العلماء (الشعري) وصاحبها ، فيكشفان عن مدار اهليليجي لهما ، شديد التفطح ، وهما يقطعانه في خمسين عاماً . والفرق بين حجميهما هائل . الشعري أكبر من الشمس ، وصاحبها قزم من أقزام النجوم أبيض أكبر من الأرض ٣ مرات أو أكثر ، ولكنه شديد الكثافة ، فإن كثافته تبلغ ٣٠٠٠٠ مرة مثل كثافة النجوم . فالوزن النوعي (للشعري) يساوي عدة آلاف من الوزن النوعي للذهب الأبيض وهو من أثقل العناصر .

إن الله تعالى يعظم شأن نجمة (الشعري) بقوله جل من قائل : « وإنْهُ
هو أَغْنِيْ وَأَقْنِيْ (١) ، وَإِنْهُ هو ربُّ الشعري ، وَإِنْهُ أَهْلُكَ عَادَ الْأُولَى ،
وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى » (سورة النجم ٠٠) .

وقد علم بأن نجمة (الشعري) تبعد عنا ١٠ سنوات ضوئية ، أي حوالي : مائة مليون كيلومتر . على أن هناك ملايين المجرات في كل منها بلايين من النجوم تبعد عنا آلاف الملايين من السنين الضوئية . مما أعظم ما خلق الله من عوالم وما أكثراها وأوسعها .

فيتحقق للمسلم وكل عبد لم يذهب بعقله الفطري ما اجترحت يداه من آثام أن يستقبل القبلة بأذان أو اقامة قائلاً ، ليل نهار : الله أكبر ، الله أكبر . والجاذبية قد تجمع بين أكثر من نجمين . فالنجمة القطبية هي في الحقيقة ثلاثة نجوم ، زوجان يدوران بعض حول بعض في نحو من ٤ أيام . وهما معًا

(١) أقناه : أغناه واعطاه ما يقتني والقنية ما يؤتى من الاموال .

يدوران حول نجم ثالث في أكثر من ٢٠ عاماً . ونحن لا نرى منها في السماء إلا شيئاً واحداً .

ومجموعة أخرى تتشكل من أربعة نجوم وهي ترى كنجمة واحدة ، إنها (رأس التوأم المؤخر) . وقد عرف انه يتتألف من زوج وزوج ، ثنائيان اثنان في كل منها . ككل ثنائي يدور أحد نجميه حول صاحبه ، ودورة الثنائي الأول ٣ أيام ، ودورة الثنائي الثاني ٩ أيام ، الا أن الزوج الثاني يدور كذلك حول أخيه الزوج الثنائي مرة في حدود ٣٠٠ عام .

وهكذا نرى ان قوله تعالى : « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » متجلية حتى في النجوم على بعدها وكثرتها ٠٠٠ فـ « سبحان الله باريء النسم (٢) ، سبحان الله المصوّر ، سبحان الله خالق الأزواج كلها ، سبحان الله جاعل الظلمات والنور ، سبحان الله فالق الحب والنوى ، سبحان الله خالق كل شيء ، سبحان الله خالق ما يُرى وما لا يُرى ، سبحان الله مداد كلماته ، سبحان الله رب العالمين » ٠٠٠

* * *

ونرى أن الله تعالى قد أودع الزوجية في (العناصر) أيضاً . فهناك نوعان من العناصر . النوع الأول هو هذه العناصر التي نراها في أرضنا هذه : كالماء والزوجين وال الحديد والأورانيوم ٠٠٠ الخ . وكل ذرة منها مؤلفة من الكترونات سالبة تدور حول بروتونات موجبة في النواة .

ولكن علمنا أخيراً ان هنالك : (بروتوناً سالباً) منطلقأً في الفضاء حول الكروة الأرضية ومن شأنه إفشاء جميع أنواع المادة التي تصطدم بها . كما اكتشف أخيراً : (الألكترون الموجب) وهو الكترون يضاد الألكترون الذي نعرفه في أرضنا . وفي الوجود نوعان مختلفان من العناصر تبني منها النجوم

(٢) النسم : جمع النسمة : الإنسان أو كل دابة فيها روح .

والشموس والكواكب وسائر الأجسام . وإذا حدث أن التقى نوع منهما بالآخر أو تصادم معه تحدث عمليات إفقاء ذرية تختفي معها معالم المادة من الوجود ، بينما تنطلق طاقات هائلة منها تلك التي هي الأصل في ربط جسميات نويات وذرات تلك المواد .

وان تحطيم بعض الذرات يؤدي الى تحرير نيوترونات ذات سرعة كبيرة وان النيوترونات المتحركة حين التحطيم النووي تستطيع تحطيم ذرات أخرى . فينتج من هذا تفاعل متسلسل مستمر .

ولنرمز للنوع الأول من المادة ذات الپروتونات الموجبة والألكترونات السالبة بالحرف (م) مثلا ، ولنرمز للنوع الثاني من المادة المضادة للأولى : أي ذات الپروتونات السالبة والألكترونات الموجبة بالحرف (س) . فعندما يتصادم (پروتون موجب) مع (پوتون سالب) ، أو عندما يتصادم (الكترون سالب) مع (الكترون موجب) يعدم أحدهما الآخر من عالم الوجود . بينما تنطلق الطاقة الكلية حسب الدستور الآتي :

الطاقة المنطلقة = الكتلة المادية المختفية \times مربع سرعة الضوء . وهكذا نرى عندما تدخل ذرة من نوع المادة (م) الى عالم المادة (س) أو بالعكس تقني الألكترونات أولا ، ثم تقني الپروتونات .

فأوضح مما ذكر ان الزوجية متصلة بأمر الله تعالى في أصغر موجود في هذا الكون الرحيب وهو الذرة . وفيها الكترون (كهربائية سالبة) وپروتون (كهربائية موجبة) . حتى ان المادة نفسها على نوعين أي ان الزوجية متصلة فيها ، فالبعض منها الكترونها سالب وپروتونها موجب كما في العناصر المكتشفة لحد الآن وعددها (١٠٢) تبدأ بالإيدروجين وتنتهي بـ (نوبليوم) . (Noplium) وفي (نوبليوم) ١٠٢ إلكترون (سالب) يدور حول ١٠٢ پروتون (موجب) وبجنب الپروتونات توجد (١٥٥)

نيوتروناً ويرمز اليه هكذا : No ٢٥٧ — ٢٥٨ — ١٠٢ = ١٥٥

نيوترونا)

والبعض الآخر : الكترونها موجب وپروتونها سالب .
فسبحان من لا تبدي معالمه ، سبحان من لا تنقص خزائنه ، سبحان من
لا اضمحلال لفخره ، سبحان من لا ينفذ ما عنده ، سبحان من لا انقطاع
لمدته ، سبحان من لا يشارك أحداً في أمره ، سبحان من لا إله غيره .
فيري المتبوع أحوال الكون : أن الله قد أودع الزوجية في كل شيء ،
كي يعتبر الإنسان بهذه الزوجية ويعلم ان الله لا يُشبه ما خلق من جماد
ونبات وحيوان وانسان وقوى وطاقات في شيء ، هو الله الذي لا إله الا هو .
ولنختم هذا المقال بهذه الآيات البينات ، ليعلم أن لا متضرف في الكون
الإله تعالى ، وأن ليس هنالك إلا خالق ومخلوق ، والاعتقاد بوحدة الوجود
أو وحدة الموجود بضاعة يوانانية مُضللة جاءت من فلسفة بشرية حالكة تتنافي
مع عظمة الله وقدسيته .

« أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَثْمِنُونَ ، أَلَا تَخْلُقُنَّهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ » (١) . « أَفَرَأَيْتُمْ
مَا تَحْرِثُونَ ، أَلَا تَرْعَوْنَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ » (٢) . « أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي
تَشْرِبُونَ ، أَلَا تَنْزَلُوهُ مِنَ الْمَنَنِ أَمْ نَحْنُ الْمَنْزُولُونَ » (٣) . « أَفَرَأَيْتُمْ
النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ، أَلَا تَأْسِتُمْ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمَنْشَئُونَ » (٤) . صدق
الله العظيم ۰۰۰

(١) سورة الواقعة : ٥٨ ، ٥٨ . (٢) سورة الواقعة : ٦٣ ، ٦٤ .

(٣) سورة الواقعة : ٦٨ ، ٦٩ . — المزن : السحاب .

(٤) سورة الواقعة : ٧١ ، ٧٢ . — تورون : تقدحون .

الكون الرحيب

ان الله تعالى يأمرنا بأن نتبين السماء والأرض وأن ننظر إلى ما خلق من عوالم شتى : من كواكب وشموس و مجرات و سدم ، وكيف تكون الأجرم وكيف تبيد . وذلك بقوله جل من قائل : « أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض » ٠٠٠ (سورة سباء) ٠

« ويتفكرُون في خلق السماوات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلًا ، سبحانك فقنا عذاب النار » ٠ (سورة آل عمران ٠٠٠) ٠

« أفلَيْنِظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقْتُ ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعْتُ ، وَإِلَى

الجَبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ » ٠ (سورة العاشية) ٠

ان الله تبارك وتعالى يريد منا أن تتوجل في عوالم السماء وما خلق من عوالم أخرى ، لكي نزداد يقيناً به تعالى : « الله الذي رفع السماء بغير عمدٍ ترورها ، ثم استوى على العرش ، وسخر الشمس والقمر ، كلٌّ يجري إلى أجل مسمى ، يدبر الأمر ، يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون » ١١٠
حقاً : إن علم الفلك اللاسلكي والمكانيك الرياضي فتحا على الإنسان أبواب المعرفة بالنسبة إلى ما لا يتناهى من شموس و مجرات و سدم و زيارتك ٠٠٠^٠
إلى ما هنالك من عوالم تدهش الألباب .

فإن التلسكوب اللاسلكي يلتقط إشارات عن مسافة قدرها ثمانية آلاف مليون سنة ضوئية . والستة ضوئية هي المسافة التي يقطعها الضوء (بسرعة ٣٠٠ كيلومتر في الثانية) خلال سنة كاملة ، أي هي المسافة التي طولها

(١) سورة الرعد : ٣ .

٠٠٠ ٠٠٠ ٤٦٠ ٠٩ كيلومتر ، أو ٠٠٠ ٠٠٠ ٨٧٩ ٥ ميل
فإن القمر لا يبعد عنا إلا بقدر ثانية وثلث الثانية من السنة الضوئية ،
والشمس تبعد عنا ٨ دقائق و ٢٠ ثانية من السنة الضوئية . والشمس خلال
هذه المدة : (أي ٨ دقائق و ٢٠ ثانية) وهي المدة التي يجب أن تنتهي
لوصول شعاعهالينا تقطع في الفضاء في سيرها الطبيعي المقرر من جانب الله
تعالى : خمسة ملايين كيلومتر ، مع العلم أن الضوء يسير من أقصى الأرض
إلى أقصاها خلال ١٤ / ١ من الثانية .

وإن أقرب نجمة منا وهي (بروكسيما) الواقعة تقريباً بجذاء القطب
الجنوبي من أرضنا تبعد عنا ٤ سنوات من السنين الضوئية .
ونجمة (جيدي) وهي التي تحاذى القطب الشمالي من أرضنا على
وجه التقريب تبعد عنا (٥٠) سنة ضوئية ونجمة (عيوق) تبعد عنا تسعين
سنة ضوئية ونجمة (ثريا) تبعد عنا ١٤٠ سنة ضوئية .

وان قطر المجرة التي تعلومنا عندما ننظر إلى السماء (وكأنها سحابة)
يعادل ما يقطعه الضوء بسرعته الفائقة خلال (٨٠٠ ٠٠) سنة ضوئية .
وإذا أردنا أن نسير من رأس هذه المجرة التي هي فوق رؤوسنا (تقريباً)
إلى متهاها علينا أن نقطع مسافة يقطعها الضوء بسرعتها الهائلة خلال
(٢٠٠ ٠٠٠) سنة ضوئية .

انه تعالى يقسم بـ (الطارق) بقوله : « والسماء والطارق » ، ويتراد
بها نجمة زحل .

ويقول تعالى في آية أخرى : « وأنه هو رب الشعري » ٠٠٠ وهي
نجمة مضيئة تبعد عنا ١٠ سنوات من السنين الضوئية على وجه التقريب .
والوزن النوعي لهذه النجمة : (الشعري) أكبر من الوزن النوعي للذهب
الأبيض عدة آلاف مرة ومعلوم ان الذهب الأبيض عنصر ثقيل جداً . ولنجمة

(الشعري) قمر خاص بها يدور حولها خلال خمسين سنة .

تحتفل النجوم حسب درجات الحرارة ، فمنها الأحمر الداكن ومنها الأحمر القاني ومنها البنفسجي والأصفر والأبيض وتدرج من الداكن إلى الضعيف وترابط درجاتها الحرارية من 1400° م (درجة مئوية) إلى 3900° م وقد قيس وزن النجوم بالنسبة لشمسنا هذه ولم يعثر على نجمة وزنها أقل من $1/10$ من وزن الشمس . وهناك نجوم وزنها 140 مرة بقدر وزن الشمس ولها حركاتها وقوانينها ومعادلاتها .

وقد علم أن سرعة الأمواج اللاسلكية تعادل سرعة الضوء تماماً . ولأجل أن نعلم مقدار معدل أقرب نجمة من هذه النجوم نقول : أن سارت الطائرة النفاثة دونها توقف مدة (6) ملايين من السنين لها أن تصل إلى أقرب نجمة من كرتنا الأرضية .

وإذا نظرنا إلى السماء وتأملنا أحدي هذه النجوم القريبة ، يجب أن نعلم أن الذي نراه في الواقع ليس إلا صورة متخلفة لما كان عليه هذا النجم منذ أربع سنوات . وإذا أردت أن تشاهد حفلة زواج والدك قبل ثلاثة سنون (مثلاً) عليك أن تركب صاروخاً يسبق سرعة الضوء (1) فينكلك إلى نجمة (النسر الواقع) لتشاهد هناك حفلة زواج والدك وبعد سنون كيفية ولادتك أنت .

إن شمسنا هذه ما هي إلا نجم متوسط الحجم من نجوم مجرة : (درب التبانة) التي يبلغ عددها مائة ألف مليون نجم تقريباً . وشمسنا هذه غير

(1) وهذا محال ، إذ ليس هناك شيء أسرع من الضوء حسب النظرية النسبية لـ (البرت آينشتاين) .

وأقيمة في منتصف المجرة وليس بمركز ، ولكنها واقعة قرب الطرف في موقع مدور ليس من العظمة في شيء .

ويوجد في هذا الكون الواسع الرحيب من المجرات بعدد النجوم الموجودة في مجرتنا : (درب التبانة) . فإذاً ما هي قيمة هذا الإنسان بالنسبة لما خلق الله من عوالم لا تنتهي ولا تتحدد ؟ لا سيما بعد أن عرفنا أن أرضنا هي هباءة بسيطة في حافة إحدى المجرات الكثيرة العدد التي لا تعد ولا تحصى . فليدع الإنسان عنه هذا الغرور ولتيوجه إلى عبادة ربه وتقديسه وتبسيحه : إنه تعالى يقول : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرًا كثيراً ، وسبحوه بكلمة وأصيلاً » ^(١) . « وسبّح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ، ومن الليل فسبّحه وأدبأر السجود » ^(٢) .

يقول أحد الماديين : « اني طفت بالصاروخ حول الأرض سبع مرات فلم أرَ الله !

فأجابه الموحد قائلاً : ليس الله من الصغر بحيث تراه أنت حقاً ، أني للمنتاهي والمحدود أن يحيط بالله الذي لا يحده شيء ولا يحيط به شيء .

يقول علي (ع) في وصف الله تعالى : « الأول الذي لم يكن له قبل فيكون شيء قبله ، والآخر الذي ليس له بعد فيكون شيء بعده ، والرادع أناسي الأ بصار عن أن تناهه أو تدركه » .

وإن أعلم علماء القرن العشرين في الفيزياء وأعني به : (آينشتاين) يقول : « يجب أن تتعرف إلى ألفباء عالم الوجود ! » .

ويقول في مقام آخر : « ليس من المقبول أن يقال : يمكن التعرف إلى العالم كله » .

وكان يقول باسكال : (Blaise Pascal) قبل حوالي ٣٤٠ سنة : « ما هو هذا الانسان في هذه الطبيعة ؟ انه عدم "تجاه اللا نهاية" » . قد قال هذا القول في يوم لم يكن قد اتسعت آفاق العلم هذا الاتساع الذي نلمسه اليوم ، انه اتساع علمي موضوعي محير العقول ، فما الذي يجب أن قوله اليوم ؟

ان ما عشر عليه العلم الحديث من النجوم هو بمقدار من الكثرة بحيث يفوق عدد حروف نصف مليون كتاب في مكتبة ما . ولو كنا نعد النجوم كلها بسرعة ١٥٠٠ نجم في الدقيقة لاستغرق عدهنا ٧٠٠ سنة . اما الارض فهي أقل كثيراً جداً من نقطة على حرف في مكتبة تضم نصف مليون من الكتب من الحجم المتوسط . او على الأصح يجب أن تشبهها ببهاءة من التراب بين صفحتين في أي كتاب من كتب هذه المكتبة .

يبلغ حجم الواحدة من معظم الكواكب التي اكتشفت لحد الآن قدر حجم الارض آلاف المرات في بعضها وملايين المرات في البعض الآخر و ملايين الملايين في أكثرها . وان من النجوم أكثرية مطلقة يبلغ حجم الواحدة منها حجم عدة ملايين من الارض وما يزال يتسع ملايين .

ان هذه النجوم على كثرتها لا تصطدم بعضها بالآخر وهي سائرة في أفلاكها ومنحنياتها . و اذا شبها النجوم بالسفون في المحيطات (المحيط الهادئ) فإن بعضها يبعد عن البعض الآخر ما يزيد على مليون من الأميال . وفي سنة ١٠٠٠ الميلادية اقتربت نجمة من المذنبات من الأرض وأيقن الناس أنها ستصطدم بالأرض لا محالة ، وتكون نهاية العالم ويحل اليوم الموعود : يوم القيمة . فاتجه الناس الى الكنائس تائبةً من ذنوبها وآثامها .

ولكن مرت النجمة ذات الذنب بالقرب من الأرض دون أي اصطدام !
ومجرة (درب التبانة) التي شمسنا هذه أحدي نجومها منتقة في الفضاء
كباقي المجرات وتباعد عن أخواتها . وتختلف سرعة تبعد المجرات عنا ما بين
(٦٠٠ - ٤٠٠٠) ميل في الثانية . واذا وصلنا الى هذه المرحلة فمن الصعب
أن نقول : فيما اذا كانت المجرات الاخرى هي تهرب منا وتباعد بهذه السرعة
أو نحن تبعاد ونهرب منها بالسرعة نفسها أو أن كلا منا هارب من الآخر
بنصف السرعة المذكورة . إننا هنا لا نستطيع أن تتكلم عن سرعات كهذه
الا بمعاهيم (النسبية) . وهكذا نرى أن هذا الكون آخذ في الاتساع
اتساعاً هائلاً حسب قوله تعالى :

« والسماءَ بنيناها بِأَيْدٍٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ » .

* * *

ليس هناك شيء ثابت أو ساكن في هذا الكون ، فكل ما في الكون
متحرك اما بحركة واحدة او حركات متعددة . وهذا ما حدأب (آينشتاين)
أن يؤسس معدلات النظرية النسبية .

فإن الإنسان يتحرك مع سطح الأرض حين تدور الأرض حول نفسها .
وسرعة الإنسان وهو على سطح الأرض باتجاه دوران الأرض : ربع الميل
في الثانية ، أو (٩٠٠) ميل في الساعة اذا كان هذا الإنسان على خط
الاستواء . وسرعته تكون أقل كلما قارب القطبين .

والإنسان يتحرك مع هذه الأرض نفسها في دورتها السنوية حول
الشمس . والأرض تسير في حركتها هذه بسرعة ١٨٥ ميلاً في الثانية أو
٣٠ كم / ثانية . والشمس وكواكبها سائرة بالنسبة إلى جاراتها من النجوم
نحو نقطة ما بين مجموعة (هرقل : Hercules) ومجموعة القيثار : Lyra
بسرعة ١٢ ميلاً في الثانية ، ويراد بالجارات هنا : النجوم التي تبعد عنا بضع

مئات من السنين الضوئية •

واما الشمس فهي احدى نجوم مجرة (درب التبانة) ، وهذه المجرة كال مجرات الاخرى تدور حول نفسها بسرعة هائلة ، وشمسنا تدور معها طبعاً وسرعتها في هذا الاتجاه ١٢٠ ميلاً في الثانية ، أي (٤٣٢٠٠٠ ميل / ساعة) . وهكذا نشاهد هذه الحركات المنظمة وفق دساتير معينة ومعادلات رصينة في الأجرام السماوية بحكمة إلهية عالية لذلك يقول الفلكي الكبير : (فاي) : « من الخطأ أن تقول : بأن العلم يفضي بصاحبـه الى نكران وجود الله » .

ذلك لأن نكران وجود الله تعالى إنما هو نتيجة الفسق والفسق على حد قوله تعالى : « كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون » . (سورة يومنس : ٣٣) . وفي آية أخرى : « فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ، أو كذب بأياته ، إنه لا يفلح المجرمون » . (سورة يومنس : ١٧) . فالإسلام يضاد الإجرام وهو القائل : « أفنجعل المسلمين كال مجرمين ، مالكم كيف تحكمون » .

يقول (باستور) : « لا تنافي بين العلم والإيمان ، وكلما زاد علم الإنسان زاد إيمانه بالله » . واني اضيف إلى كلمة (باستور) قائلاً : شريطة أن لا تتلوث النفس بفسوقها ومجونها وآثامها وبغيها وظلمها .

يقول الدكتور (وتز Wetz) الكيميائي وهو عضو أكاديمية العلوم وعميد كلية الطب : « اذا أحسست في حين من الأحيان أن عقيدتي بالله تزعزعت وجهـت وجـهي الى أكـاديمـية العـلـوم لـتشـيـتها » . وكذلك يقول الجيولوجي الدائم الصيت : (ادموند هربـرت) المدرس بجامعة (صوربون) : « العلم لا يمكن أن يؤدي الى الكفر ولا الى المادية ولا يفضي الى التشكيـك » .

وقد قال العلامة في التاريخ الطبيعي (فاير) : « كل عهد له أهواه جنونية ، فإنني اعتبر الكفر بالله من الأهواه الجنونية وهو مرض العهد الحالي ٠ وأيسر عندي أن ينزعوا جلدي من أن ينزعوا مني عقيدتي بالله » ٠ لذلك جاء في احصاءٍ : أن بين (٢٩٠) فيلسوفاً : ٥٪ منهم مؤمنون و ٤٪ منهم لا أدريون و ٤٪ منهم ملحدة !؟

انظروا الى الكلمة نابعة القرن العشرين : آينشتاين حين يقول معتبراً بالوحى انه يقول : « العلم يخبرنا بما هو كائن الا أن الوحى وحده هو الذي يخبرنا بما ينبغي أن يكون » ٠

فالعلم لا ينافي الإيمان بحالٍ وإنما يؤيده ويقويه ما لم تتلوث النفس بما حرم الله وما دامت هذه النفس قائمة بالتزكية والتطهير والانابة والاستغفار ٠ وقد يصل الرجل الأمي بمشاهدة سطحية لما أودع الله من عظيم الصنع في هذا الكون الرحيب إلى إيمان رصين قل ما يصل إليه عالم بالحشرات أو الجراثيم وذلك لقيامه بتزكية نفسه وتصفيتها عن الأدران ورده إلى الناس ما لهم عليه من حقوق ولتخلقه بالأخلاق الفاضلة وصلته رحمه وقيامه بقضاء حوائج الناس ٠ يقول الله تبارك وتعالى في وصفهم : « كانوا قليلاً من الليل ما يهجنون وبالأسحار هم يستغفرون ، وفي أموالهم حق للمسائل والمحروم ، وفي الأرض آيات للموقنين ، وفي أنفسكم أفلأ تبصرون » (١) ٠

فدين الإسلام دين إحياء القلوب بتعاليمه ودستوره التي جاءت من قبل خالق النعم وموجدها : « أَوْمَنَ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مِثْلِهِ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ، كَذَلِكَ زَيْنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » (٢) ٠

حالات النفس مع الله تعالى

حقاً ، إن للنفس الإنسانية غذاءً خاصاً بها تتناسب مع تجردها وبعدها عن المادية الحالكة . وهذا الغذاء روحي بحث ليس من نوع المأكل والمشارب ، وليس من متع الدنيا في شيء . انه غذاء فيه تكامل النفس وبلغها أسمى مراتب القرب الى الله تعالى ، وهو غاية الغايات من وجودنا في هذه الدنيا الموقتة الناقصة في جميع مراحلها الفردية والاجتماعية ، وذلك لنيل حياة أبدية كاملة في جميع مراحلها الاجتماعية والفردية ، ألا وهي الخلود في « جنة عرضها السماوات والارض أعدت للمتقين » .

إن هذا الغذاء روحي بحث لا مجال فيه للشهوات والنزوات وكل ما يتقدس النفس مما حرم الله تعالى على لسان نبيه محمد (ص) . فلا تضاهيه أنواع الموسيقى ومجالس الأنس ، وليس من نوعه أوركسترا وما يترنم فيه من مزمار وعود وطنبور . إنه عروج الى السماوات العلى ، الى عوالم القدس إنه ارتقاء نفسي عن حضيض المادة العمياء الى حيث الصفاء المحسن ، الى حيث الطمأنينة الكاملة : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » .

فطوبى لنفوس وفقت أن تخلو بحالاتها ، وتناجي بكل خشوع وخضوع ربها ، معتبرة بذنبها ، مستغفرة من آثامها ، نادمة على ما كان منها من بغي وظلم ، باكية على خطايها ، راجية رحمة بارئها : « ويخرؤن للأذقان ي يكون ويزيدهم خشوعا » . تالية لأجزاء القرآن : « اذا تسلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبشكيراً » .

وقد قال علي (ع) في وصفهم : « أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن ، يرثلونه ترتيلًا ، يحزنون به أنفسهم ، ويستشرون دواء دائهم ، فإذا مروا بآية فيها تشويق ركعوا إليها طمعاً ، وتطلعت نفوسهم إليها شوفاً ، وظنوا أنها نصب أعينهم ، وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم ، وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آدائهم ، فهم حانون على أوساطتهم ، مفترشون لجبارتهم وأكتفهم وركبهم وأطراف أقدامهم ، يطلبون إلى الله في فكاك رقابهم ، وأما النهار فحملاء علماء أبرار أتقيناء ٠٠٠ »

فإنك لو قمت جوف الليل ، والناس نائم ، وقلت كما كان يقول رسول الله (ص) : « الحمد لله الذي أحياناً بعد ما أماتنا واليه النشور » واستقبلت القبلة وصليت ركعات ، محاسبًا نفسك محاسبة دقيقة : « زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وحاسبوها قبل أن تتحاسبوا »^(١) وعددت ذنوبك وخطيئتك وتوجهت بكلك إلى الله الرحيم المتعال ، لشعرت إذ ذاك بروحانية فائقة ، تفوق أعظم ما في الحياة المادية من ملاذ وشهوات ولأحسست بعروج نفسك هذه إلى عوالم القدس ، حيث الراحة المطلقة والدعة المتناهية والفرح الكبير وارتياح لا يضاهي ما نحن فيه من ارتياح مادي بحال ، وصرت ترى أنك تخف ساعةً بعد ساعةً عما أُثقل كاهلك من ذنوب ذهبت لذاتها وأقامت تبعاتها ، وإنك لترى جلياً في ذلك الوقت : حيث يسود العالم صمت وهدوء ، كيف يُقذف في قلبك من أنوار المعارف الإلهية ما يزيل عنك الشكوك ووساؤس الشيطان ، أنوار توصلك إلى اليقين بل إلى حق اليقين : فـ (العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء) كما جاء في حديث مشهور •

وإنك لو تلوت القرآن في وقت كهذا ، في وقت هجعت فيه العيون ، في وقت فتح الله على العباد أبواب رحمته ، لألهِمت معاني سامية رفيعة •

(١) من كلام علي عليه السلام .

ما كنت لستوصل اليها في غير هذا الوقت ولأحاطت بفلسفة الكون والحياة ، فلسفة لا يصل اليها فيلسوف عاش في أحضان المادة الموجاء ، فلسفة نيرة شرحها الله تعالى في كتاب « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » ، تنزيل من حكيم حميد » ٠ بقوله جل من قائل : « أَمَّنْ هُوَ قَاتَ آنَاءَ الْلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذِرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ، قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابَ » ٠

فهذا العلم هو علم يترشح بإذن الله من نفس قد خضعت لربها وتجزرت عن أدراها ، هذا العلم علم اليقين بالله وملائكته وكتبه ورسله ، انه العلم بالحقيقة التي يبحث عنها الإنسان منذ آلاف السنين ، هذا العلم هو معرفة النفس ، ومعرفة النفس طريق الى معرفة الله تعالى ٠ فقد سأله رسول الله(ص) كيف الطريق الى معرفة الرب ٠ فقال (ص) : « معرفة النفس » وعن الصادق عليه السلام : « لو علم الناس ما في فضل معرفة الله ما مدوا أعينهم الى ما متع الله به الأعداء من زهرة الحياة الدنيا ونعيمها وكانت دنياهم عنده أقل مما يطاؤنه بأرجلهم ٠ فليتعلموا بمعرفة الله تعالى وليتلذذوا بها تلذذ من لم يزل في روضات الجنة مع أولياء الله ٠ ان معرفة الله آنس من كل وحشة وصاحب من كل وحدة ونور من كل ظلمة وقوه من كل ضعف وشفاء من كل سقم » ٠

ان موضوع معرفة الله تبارك وتعالى وحالات النفس مع الله جل جلاله لموضوع هام خطير لا يمكن أن يعبر عنه تعبيراً يجلو غوره وحقيقة ما لم يدخل الإنسان نفسه في هذه الحياة الروحية الرفيعة ٠ ولعله يشبه من يريد أن يتصور للاشياء المادية بعداً رابعاً وهو الزمان ، وهو بعد لم يقطع شوطاً في الرياضيات العالية والنظرية النسبية ، فإن لغة الكلام لا تصلح أبداً لأن تجول في مثل هذه الأمور ٠ وإن موضوعاً عميقاً كهذا فوق متناولها ، ولا

يمكن للكلمات المشحونة بالصور الحسية أن تعبّر عما يعنّى على الحس ويسمو إلى التجريد المحسن .

«أَلَمْ يَأْنَ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشُعْ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ مِنَ الْحَقِّ» (١) .
وكفى بما في القيام جوف الليل والمثول بين يدي رب العباد من تأثير قوي في سير الإنسان التكاملية أمر الله تبارك وتعالى نبيه الكريم (ص) بقوله : «يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ (٢) ، قُمِ الْلَّيلُ إِلَّا قَلِيلًا ، نَصْفَهُ أَوْ أَنْقُصْهُ مِنْهُ قَلِيلًا ، أَوْ زَدْ عَلَيْهِ وَرْتَلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ، إِنَا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ، إِنْ نَاسَةً اللَّيلَ هِيَ أَشَدُ وَطَاءً (وَ طَاءً) وَأَقْوَمُ قَيْلًا » .

وقوله جل من قائل إلى الرسول الأمين (ص) : وَتَهَجَّدُ مِنَ الْلَّيلِ نَافِلَةً لَكَ ، عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا » . فَمَنْ تَوَحَّى مَقَامًا مَحْمُودًا فَلَيُتَسَّبَّسْ بَنْيَ الرَّحْمَةِ مُحَمَّدًا (ص) . وَهَكُذا يَمْتَدِحُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ بِقَوْلِهِ : «إِنَّ الْمُتَقِنِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعَيْوَنٍ ، أَخْذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبِّهِمْ ، أَنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ، كَانُوا قَلِيلًا مِنَ الْلَّيلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقُّ الْمَسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ» (٣) .

وبقوله : «تَتَجَافَى (٤) جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ، يَدْعُونَ رَبِّهِمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يَنْفَقُونَ» (٥) وَبِقَوْلِهِ : «الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَاتِلِينَ وَالْمُنْفَقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ» (٦) .

وقد يستغرب البعض من ذكرى صلاة الليل في ظرف لا يصلى فيه الفرائض كثير من الشبان المثقفين . ولكن هذا الشاب المصلي لو لم يكن له

(١) سورة الحديد : ١٦ .

(٢) سورة المerm .

(٣) سورة الذاريات : ١٥ - ١٩ .

(٤) تتجافى : ترتفع .

(٥) سورة الم - السجدة : ١٦ .

(٦) سورة آل عمران : ١٧ .

رداع في أوساط أوروبا وأمريكا عن الولوج في الشهوات لترك الصلاة شيئاً فشيئاً وضعف ايمانه بصورة تدريجية ولعله يصبح بعد قليل من المستهزئين بالمقدسات . ولكن لو تسلح بسلاح يمنعه عن الولوج في المحرمات وهو القيام جوف الليل بتضرع بين يدي رب العباد لا تؤثر فيه الخلاعة وفسوق الفاسقين ، فيرجع الى وطنه ثابت العقيدة ، متمسساً بالبدأ الاسلامي القويم . ذلك لأن قوة (الإيمان) تتناسب مع درجة ضبط النفس عن المحارم . وقال علي عليه السلام « واغلب الناس من تغلب على هواه » . وان الإيمان ليزول وترد على الانسان الشبهات بقدر ووجه في المحارم . « كذلك حققت الكلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون » ^(١) . يقول علي (ع) : « من قارف ذنباً فارقه عقل لم يعذر اليه أبداً » . وعن رسول الله (ص) : « اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت من قبل النساء » .

وروى ان الشيطان قال لموسى (ع) : « لا تخل بامرأة لا تحل لك ، فإنه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له الا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أفتنه بها » .

وعن رسول الله (ص) : « لكل عضو من أعضاءبني آدم حظ من الزنا . فالعينان تزنيان وزناهما النظر » . وقال أيضاً : « لا تدخلوا على المغيبات التي غاب عنها زوجها ، فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم » . وقال عيسى (ع) : « إياكم والنظرة ، فإنها تزرع في القلب شهوة ، وكفى بها فتنة » . وفي حديث نبوى : « المقيم على الزنا كعابد وثن » . وفي حديث آخر : « اذا زنى الرجل خرج منه الإيمان ، فكان عليه كالظللة . فإذا أقلع رجع اليه الإيمان » .

(١) سورة يونس : ٣٤ .

نعم قد أصبحنا في زمان لا يستطيع الشاب أن يبقى محتفظاً بتوهجه إلا بعصمة من الله تعالى . وما من شيء يعصم الشاب من الانزلاق في بيتات يكشر فيها الفحشاء صباحاً مساء وفي كل حين في شوارعها وأسواقها وغاباتها وعلى ضفاف الأنهار وسواحل البحار ويشجع المنكر في كثير من كتبها ومجلاتها وجرايدها ومناظرها وحدائقها العامة إلا المواظبة على صلاة الليل . ففي حياة الحيوان للدميري : عن الرسول (ص) : « يأتي على أمتى زمان يردون المساجد على المياض (١) . نساوهم كاسيات عاريات . رؤسهن كأسنة الإبل البخت العنونهن فإنهن ملعونات » .

وفي حديث آخر عن علي (ع) : « يظهر في آخر الزمان واقترب الساعة وهو شر الأزمنة نسوة كاشفات عاريات متبرجات ، من الدين خارجات ، داولات في الفتن . مائلات إلى الشهوات ، مسرعات إلى اللذات ، مستحللات للحرمات ، في جهنم داولات » .

وقد شكا لي شاب جامعي قبل حوالي أربعين عاماً ، أنه ابتلى بكبيرة من الكبائر ، ولا يقوى على التخلص منها وقد أثرت في صحته كثيراً . فقلت له عليك بصلوة الليل . فسألني عن كيفيةها . فقلت له : أنها بسيطة جداً . إنما هي ١١ ركعة ، تصلي بعد منتصف الليل . وكلما كان قريباً من السحر كان أفضل . وللشاب أن يصليها قبل النمام إذا علم أنه لا يقوى على النهوض قبيل الفجر . وله أن يقضيها في النهار إذا لم يوفق لأدائها في الليل . وفي ذلك الأجر الكثير . وهذه الصلاة تؤثر كثيراً في كف النفس عن المحرامات وفي جلب الرزق . وكان رسول الله (ص) مأموراً بأدائها طوال حياته .

ينوي : أصلبي ركتعي النافلة قربة إلى الله تعالى . يصليها كصلاة الصبح وهكذا أربع مرات . فيكون قد صلى ٨ ركعات (وله أن لا يقرأ السورة

(١) جمع المياثرة : شيء كالمرفق أو المخدة يجعل على السرج .

اذا شاء)

ثم ينوي ، فيقول : أصلبي ركتي الشفع قربة الى الله تعالى .
ثم ينوي ، فيقول : أصلبي ركعة الوتر قربة الى الله تعالى . فإذا رفع يده
للقنوت قال في قنوطه : ٧٠ مرة : استغفر الله ربِّي وأتوب اليه . ويستحب أن يقول
٧ مرات : هذا مقام العائد بك من النار وأن يستغفر لأربعين مؤمناً . وأن يقول
بعد ذلك ٣٠٠ مرة العفو العفو . وإن يقول بعد ذلك : رب اغفر لي وارحمني
وتب علىَّ ، إنك أنت التواب الغفور الرحيم . ويستحب أن يقول في قنوطه
أيضاً : « رب أساءت وظلمت نفسي وبئس ما صنعت ، وهذه يداي يا رب جراءً
بما كسبت وهذه رقبتي خاضعة لما أتيت ، وهذا أنا ذا بين يديك ، فخذ لنفسك
من نفسِي الرضا حتى ترضى ، لك العقبى ، لا أعود » .
فجاءني الشاب الجامعي بعد أسبوع قائلاً : رأيت شيئاً عجيباً ، فقلت
له : وما الذي رأيت ؟

— قال : رأيت كأن قوة سحرية عجيبة تمنعني عن ارتكاب المحرم . فلم
أرتكبه !

ثم جاءني بعد شهر وشكرني على تعليمي إياه صلاة الليل . وهكذا
صلحت سيرته وتقدمت صحته ونجح في الامتحانات الجامعية .

صلاة الليل ينير القلب ويبعد الشيطان ويقوى الإيمان . فقد سئل
علي بن الحسين (ع) : ما بال المتهجدين بالليل من أحسن الناس وجهاً . قال :
« إنهم خلوا بربِّهم ، فكساهم من نوره » .

وعن أبي عبدالله (ع) : « صلاة الليل تحسن الوجه وتحسن الخلق
وتطيب الريح وتدر الرزق وتقضى الدين وتذهب الهم وتجلو البصر » . وفي
مجمع البيان عن النبي (ص) : قال : « اذا أيقظ الرجل أهله وصلّى من الليل

كتبا من الذاكرين الله والذكريات »

وعن علي (ع) : « صلاة الليل مصححة للبدن ومرضاة للرب عز وجل
وتعرض للرحمة وتمسك بأخلاق النبيين »

وقد قال رسول الله (ص) : « ما اتخد الله ابراهيم (ع) خليلا إلا باطعام
ال الطعام والصلاحة بالليل والناس نiam »

وعن الصادق (ع) : « إن العبد اذا تخلى بسيده في جوف الليل المظلم
وناجاه أثبت الله النور في قلبه ، فاذا قال : يا رب يا رب ناداه الجليل جل
جلاله : ليسك عبدي ، سلني ، أعطك ، توكل على أكفك ۰ ۰ ۰ ثم يقول
جل جلاله لملائكته : « انظروا الى عبدي ، فقد تخلى بي في جوف هذا الليل
المظلم والبطالون لا هون والغافلون نiam ، اشهدوا أنني قد غفرت له »

وعن الصادق (ع) : « إن من روح الله ثلاثة : التهجد بالليل وإفطار
الصائم ولقاء الأخوان »

وقد ورد أدعية عدة عن الأنئمة عليهم السلام ينادي بها العبد ربه ،
مسطورة في كتب الأدعية منها مناجاة التائبين لمولانا واماينا علي بن الحسين
عليهمما السلام وكذلك مناجاة الشاكرين ومناجاة الخائفين ومناجاة الراjin
ومناجاة الراغبين ومناجاة الشاكرين ومناجاة المطيعين ومناجاة العارفين (١)

(١) « إلهي قصرت الألسن عن بلوغ ثنائك كما يليق بجلالك وعجزت
العقل عن إدراك كنه جمالك وانحسرت الأ بصار دون النظر إلى سبعات
وجهك ولم تجعل للخلق طريقا إلى معرفتك إلا بالعجز عن معرفتك . إلهي
فاجعلنا من الذين ترسخت أشجار الشوق إليك في حدائق صدورهم ، وأخذت
لوعة محبتك بمجامع قلوبهم ۰ ۰ ۰ »

ومناجاة الذاكرين ومناجاة المتعصمين ومناجاة الزاهدين ومناجاة المرىدين ومناجاة المتосلين ومناجاة المفترقين . فظوبى لمن وفق أن يناجي بها ربه ليرى كيف يتقرب إلى الله تعالى وذلك الفرح النفسي وتلك الحالات القدسية التي تجل عن الوصف والتعريف .

يقول علي بن الحسين (ع) في مناجاة المختفين : « إلهي مَنْ ذالذِي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلًا ، ومن ذا الذي أنس بقربك فابتغى عنك حولا » . إلى آن يقول : « اللهم اجعلنا ممن دأبهم الارتياح إليك والحنين ودهرهم الزفة والأنين ، جباهم ساجدة لعظمتك وعيونهم ساهرة في خدمتك ودموعهم سائلة من خشيتك وقلوبهم متعلقة بمحبتك

وانظروا كيف يخاطب علي (ع) ربه : « إلهي ، كفى بي عزًّا أن أكون لك عبدًا وكفى بي فخرًا أن تكون لي ربًا ، أنت كما أحب ، فاجعلني كما تحب » .

ومن مناجاة علي (١) :

تباركَتْ تعطِي مَنْ تشاءُ وتمُنْعُ
إِلَهِي وَخَلَاقِي وَحْرَزِي وَمَوْئِلي
إِلَهِي لَئِنْ أُعْطِيْتُ نَفْسِي سُؤَالَهَا
إِلَهِي أَذْقِنِي بَرْدًا عَفْوَكَ يَوْمَ لَا
إِلَهِي إِذَا لَمْ تَعْفُّ عَنِّيْ غَيْرَ مَحْسِنٍ
إِلَهِي يَنْحَى ذَكْرُ طَولِكَ لَوْعَتِي
إِلَهِي حَلِيفُ الْحَبَّ فِي اللَّيلِ سَاهِرٌ
ان هَذِهِ الْمَنَاجَاهُ بِصَوْتِ رَخِيمٍ خَافِتٍ ، بِصَوْتِ مَلْؤِهِ الْحَزَنِ وَالْفَرَحِ ،
حَزَنٌ عَلَى مَا فَرَطَ الْعَبْدُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَقَدِمَ مِنْ ذَنْبِهِ ، وَفَرَحٌ لِهَذَا التَّوْفِيقِ

العظيم وهو المtower بين يدي رب العباد والاستغفار ، لتضفي على النفس الإنسانية من الجبورة والشفاعة والارتياح ما لا يمكن وصفه بهذه المقاييس المادية الحالكة في عالم الناسوت ، انه سرور لا يقاس بما يصيب الإنسان المسكين من سرور تسافلي في مجالس الأنس والطرب بما فيها من موسيقى واوركسترا ، مهما كان هذا الموسيقى ساحراً أخذاداً للنفوس ، ذلك لأن النفس مهما كانت متساغلة تؤنب الفرد بعد الفراغ من هذه المجالس وتوبخه . فإن الله تعالى قد أودع فيها شعوراً يدرك معه أصول المحرمات وأصول الحسنات على حد قوله جل من قائل :

« ونفس وما سواها ، فآلهمها فجورها وتقواها » (١) . وفي آية أخرى :

« وهدinya النجدين » (٢) .

إنها مناجاة يشعر الإنسان معها كأنه يتظاهر ثانية بعد ثانية ويتقرب إلى مقامات القدس آناً بعد آن . لا سيما إذا تخللها شيء من الدموع فقد جاء في الحديث عن النبي (ص) :

« من بكى من ذنب غفر له ، ومن بكى من خوف النار أعاده الله منها ومن بكى شوقاً إلى الجنة أسكنه الله فيها وكتب له أمان من الفزع الأكبر ، ومن بكى من خشية الله حشره الله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً » .

وعن كتاب الغايات عن أبي عبدالله (ع) : قال : قلت له : أخبرني جعلت فدالك ، أي ساعة يكون العبد أقرب إلى الله والله منه قريب . قال : « اذا قام في آخر الليل والعيون هادئة فيمشي إلى وضوئه حتى يتوضأ بأسبغ وضوء . ثم يجيء حتى يقوم في مسجده ، فيوجده وجهه إلى الله . ويصف قدميه ويرفع

(٢) سورة البلد : ١٠ .

(١) سورة الشمس : ٧ - ٨ .

صوته ويكبر ، ويفتح الصلاة ، فيقرأ أجزاءً ، ويصلِّي ركعتين ، ويقوم ليعيد صلاته ، فاداه منادٍ من عنان السماء ، عن يمين العرش : « أيها العبد المنادي ربه ، إن البر لينشر على رأسك من عنان السماء . والملائكة لمحيطة بك من لدن قدميك إلى عنان السماء . والله ينادي عبدي لو تعلم من تناجي إذن ما اقتلت » ..

وقد روي : « أن البيوت التي يصلى فيها بالليل ويتنى فيها القرآن ، تضيء لأهل السماء كما يضيء الكوكب الذي لأهل الأرض » ..
وقال رسول الله (ص) : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَنَادِيَ يَنْادِي فِي السُّحْرِ : هَلْ مَنْ دَاعَ فَأَجِيبْهُ ، هَلْ مَنْ مُسْتَغْفِرَ لَهُ ، هَلْ مَنْ طَالَبَ فَأَعْطِيهِ » ..

فطوبى لنفوس انقطعت الى الله تعالى جوف الليل فنالت من الزلفى والقربى ما يتحقق به العبودية والتخلق بالأخلاق التي يرتضيها الله تعالى لعباده ، فأصبحت أنواراً يستضاء بها ، ونبراساً للحق والواقع .. وطوبى لنفوس وفقت الى المناجاة خاضعة امام عظمة الله التي لا تنتهي ونالت من الفيوضات الإلهية ما لا يمكن وصفه .. وفي المناجاة انجداب نحو المبدأ الاعلى وخروج عن حضيض المادة الى عوالم القدس ..

فقد ذكر لي شاب جامعي انه كان قد ترك صلاته وتسبيحه ، وتأثر بالحضارة المادية البحتة ، حتى اتفق انه بات في ذات ليلة في قرية نائية ، فسمع قبيل الفجر صوتاً رخيمًا من أعلى منارةٍ لجامع قريب ينادي به عبد من عباد الله ربه ، ويعدد ما هو فيه من خطايا وذنب ويرجو رحمة ربه ، تأثر بهذا الصوت الملكوتي ، فرجع الى صلاته وتسبيحه ، وأعمال صالحات ..

ومن المستحب أن يجهد من يصلِّي صلاة الليل نفسه لتخرج من عينيه دمعة هي امارة الحب والخشية والانجداب الى عوالم القدس .. فقد جاء في

الحديث : « البكاء من خشية الله مفتاح الرحمة وعلامة القبول وباب الإجابة » . وقد قال الصادق (ع) : « اذا اتشعر جلدك ودمت عيناك ووجل قلبك فدونك دونك . فقد قصد قصداك » .

وقد روى « ان بين الجنة والنار عقبة لا يجوزها الا البكاؤون من خشية الله » .

وقال الصادق (ع) : « كل عين باكية يوم القيمة الا ثلات أعين : عين غضت عن محارم الله وعين سهرت في طاعة الله وعين بكت في جوف الليل من خشية الله » .

ليس هذا النوع من البكاء بكاءً يورث الذل والمسكنة ، انه سرور محض وعروج الى ساحات القدس وتطهير للنفس من كل رجس وخبث ومن ذمائم الأخلاق . انه تزكية للنفوس وخروج عن الادران ، فإن أقرب ما يكون العبد الى الله المتعال حال كونه ساجداً يبكي . كما جاء في مؤدي حديث .

وقد روى أبو حمزة عن أبي جعفر (ع) : ما من قطرة أحب الى الله من قطرة دمع في سواد الليل مخافةً من الله لا يراد بها غيره .

وقد اوحى الله الى موسى على نبينا وآله وعليه السلام : « إن عبادي لم يتقربوا اليَ بشيء أحب الي من ثلاث خصال : قال موسى ، يا رب وما هن؟ . قال يا موسى : « الزهد في الدنيا والورع عن المعاصي والبكاء من خشتي » . قال موسى : « يا رب ، فما ملئ صنع ذا؟ فأوحى الله عز وجل اليه : « يا موسى ، أما الزاهدون في الدنيا في في الجنة ، وأما البكاؤون من خشتي فهي الرفيع الأعلى لا يشاركون فيه أحد وأما الورعون عن معاصيِّ فإني أفتشر الناس ولا أقتضهم » .

وان البكاء من خوف الله يؤدي الى معرفة الله وكسب مرضاته . فقد خاطب ابراهيم (ع) ربه قائلاً : « إلهي ما لعبد بلَ وجهه من الدموع من

محاشفتك ؟ قال : تعالى : جزاؤه معرفي ورضاواني يوم القيمة »
كما ان البكاء مكفر للذنوب ، فقد قال الباقي (ع) : « ما اغرورت
عين بيمائتها من خشية الله الا حرم الله وجه صاحبها على النار فإن سالت على
الخدرين دموعه لم يرهق وجهه قدر ولا ذلة ، وما من شيء الا وله جزاء الا
الدمعة ، فإن الله تعالى يكفر بها بحور الخطايا »^{٠٠٠} الى آخر الحديث ٠

واني إذ أختتم هذا المقال اسئلته تعالى أن يوفق شبابنا الجامعيين وغيرهم
أينما كانوا في البلاد الإسلامية وغيرها أن يواظبو على صلاة الليل ولو قبل
منامهم أو بقضاءها في النهار وأن يناجوا ربهم فإن دمعة تنسكب على وجوههم
تدفع عنهم مضلات القتن وتعصّمهم عن الانزلاق في أحضان المادة الهوجاء
وتنجيهم عن الانجراف في هذا السهل الجارف من النزعات المضلة وتنقذهم
من الويل والثبور في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب
سليم ٠ فقد ثبت انه لا يحفظ ايمان الفرد شيء في هذا الجو المدّهم
بالشهوات : الجو الجامعي وغير الجامعي الا المواظبة على بعض المستحبات :
صلاة الليل ، وصلاة جعفر الطيار في يوم الجمعة وبعض الزيارات والأدعية
فليجرب المجربون ٠

« وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض
أعدت للمتقين ، الذين ينفقون في السراء والضراء والكاففين العفيف والعافين
عن الناس ، والله يحب المحسنين »^٠

« والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا
لذنبهم ، ومن يغفر الذنوب الا الله ، ولم يصرروا على ما فعلوا وهم يعلمون ،
ولذلك جزاهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهر خالدين فيها ،
ونعم اجر العاملين »^(١) ٠

المدرسة الإسلامية

المدرسة الإسلامية هي مدرسة تجعل هدفها الوحيد توجيه طلابها إلى توحيد الله تعالى وتطبيق تعاليم الإسلام والتربيـة الإسلامية الحقة . فالطالب عندما يدخل هذه المدرسة يرى قطعاً قد كتب عليها : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . « إن الدين عند الله الإسلام » . « ومن يتغير غير الإسلام دينـاً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » . يرى طلاباً متخلفين بأخلاق إسلامية ، فلا كذب ولا خديعة ولا غش ، بل يجدـهم متآخـين ، متراحمـين فيما بينـهم ، عملاً بـهذا الحديث : « الخلق كـلـهم عـيـالـ الله ، فـأـقـرـبـهم إـلـىـ الله أـحـبـهم لـعـيـالـه » . وـهـمـ مـصـدـاقـ هـذـهـ الـآـيـةـ : « اـنـماـ المؤـمـنـونـ أـخـوـةـ » . يـرىـ المـدـرـسـةـ فيـ غـايـةـ النـظـافـةـ وـالـجمـالـ : عمـلاً بالـحدـيـثـ النـبـويـ القـائلـ : « النـظـافـةـ مـنـ الـإـيمـانـ » . وـالـطـلـابـ مـتـعـاـونـونـ فـيـمـاـ بـيـنـهـمـ ، يـعـلـمـ بـعـضـهـمـ الـبعـضـ وـكـلـ يـحـبـ التـقـدـمـ لـصـدـيقـهـ ، عمـلاً بالـحدـيـثـ النـبـويـ : « لـاـ يـؤـمـنـ أحـدـكـمـ حـتـىـ يـحـبـ لـأـخـيـهـ الـمـؤـمـنـ مـاـ يـحـبـ لـنـفـسـهـ » . فـلـاـ حـسـدـ وـلـاـ تـبـاغـضـ وـلـاـ تـطـاحـنـ ، بلـ حـيـاةـ كـلـهـاـ دـعـةـ وـطـمـائـنـيـةـ وـهـنـاءـ . « أـلـاـ بـذـكـرـ اللهـ تـطمـئـنـ الـقـلـوبـ » .

يرـىـ الطـلـابـ جـادـينـ فـيـ درـوـسـهـمـ مجـتهـدينـ ، ذـلـكـ لـأـنـ اللهـ تـعـالـىـ يـقـولـ : « وـأـنـ لـيـسـ لـلـانـسـانـ إـلـاـ مـاـ سـعـىـ ، وـأـنـ سـعـيـهـ سـوـفـ يـرـىـ » . ثـمـ يـرـىـ أـبـدـانـ الطـلـابـ سـالـمـةـ وـهـمـ يـعـمـلـونـ فـيـ تـقـوـيـةـ أـبـدـانـهـمـ بـرـياـضـاتـ خـاصـةـ ، عمـلاً بـهـذـاـ الـحدـيـثـ : « إـنـ لـبـدـنـكـ عـلـيـكـ حـقـاً » . وـتـحـقـيقـاً لـأـمـرـ اللهـ تـعـالـىـ : « وـأـعـدـواـ لـهـمـ مـاـ اـسـتـطـعـتـمـ مـنـ قـوـةـ » .

بما ذهبوا الى بيوتهم ، سلحوه على آباءهم وأمهاتهم ، وقبلوا أيديهم ،
وقاموا بمساعدتهم وخدمتهم في شؤون البيت وما يأمرونهم به ، فهم يطعون
آباءهم وأمهاتهم اطاعةً تامة لعلمهم أن : « الجنة تحت أقدام الامهات » .
يرى أن المعلم كلما شرح موضوعاً عن الحيوان أو النبات أو الكيمياء
أو الفيزياء عزا ذلك الى عظمة الله تعالى ودقيق صنعه ، وجعل الطلاب
يتوجهون بكلهم الى الله العلي القدير ، وتسبحه تعالى وتقديسه ، فهم
يشاهدون عظمة الخالق في العلوم الطبيعية وما أودع الله تعالى من دقيق الصنع
في هذا الكون الرحيب . وهكذا في علم الجغرافية وعلم الهيئة (وحركات
النجوم) ٠٠٠

يرى الطلاب يتهدّون بكل جد ونشاط لحياة سعيدة حرّة ويسلّحون
بسلاح العصر ويتزودون من علوم مادية مفيدة لكي يستغنو بها عن الناس
أجمعين عاملين بهذا الحديث : « ليس من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته
لدنياه » ٠٠٠

يرى أن الطلاب بعد رجوعهم من تناول طعام الظهر ، يتهدّون للصلوة ،
لأداء واجب الشكر تجاه الله تعالى . يراهم يتوضأون ويصطفون ، وإذا
بأحدهم ، يؤذن بصوت عال رخيم ، قائلًا : الله أكبر ٠٠٠ الله أكبر ٠٠٠ والطلاب
كلهم يعلوهم خشوع وخضوع . فيركعون لربهم ويسجدون ، منجددين بكلهم
إلى الخالق العظيم الذي لا تحصى نعمه . « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » .
وبعد الانتهاء من هذه الصلاة المقبولة عند الله من أطفال معصومين
يذهبون إلى الصفوف للتزوّد من علوم يجعلهم مسلحين بسلاح العصر للحصول
على معيشة هنية وللتتمكن من نصرة هذا الدين ، دين الله القويم ، تجاه
تيارات الكفر والالحاد وللقيام بث الدعوة الإسلامية في أرجاء هذا العالم .
فما أحوج هذا العالم إلى دين الفطرة : « الاسلام » . إنهم يستعدون ليكونوا

دعاةً حقاً لدين الله في أرضه ، عملاً بقوله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون » .
ان طلاب هذه المدرسة يترحمون على الطيور وأنواع الحيوانات ، ديدنهم الرفق والاعطف الى كل ما خلق الله تعالى عملاً بالحديث النبوى : فقد قال صلى الله عليه وآله : « إتقوا الله في ما خولكم وفي العجم من أموالكم .
فهل وما العجم ؟ قال (ص) : الشاة والبقر والحمام وأشباه ذلك » .
ان طلاب هذه المدرسة يعملون دوماً في مساعدة الآخرين عملاً بهذا الحديث : « الله في عون المؤمن ما دام المؤمن في عون أخيه » . ويقومون في قضاء حوائج الجيران لأنه قد جاء في الحديث : « ما زال يوصي رسول الله بالجار حتى ظننا أنه سبوره » .

وقد بلغهم هذا الحديث عن رسول الله (ص) : « من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم » . وقد بلغهم قول رسول الله (ص) : « من سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين ولم يجبه فليس بمسلم » . انهم يعطون من فضول أموالهم الى الفقراء والمساكين بصورة سرية ومع احترام وتقدير .
لأن الصادق (ع) يقول : « ان الله فرض للقراء في أموال الأغنياء ما يسعهم .
ولو علم أن ذلك لا يسعهم لزادهم » .

وهكذا نرى أن هذه المدرسة الاسلامية تبدأ في مفتاح أعمالها (عند الاصطفاف) ، بتلاوة أي من الذكر الحكيم وهكذا عند الاتهاء من الدروس : عند الانصراف . وهم يمتازون عن غيرهم باستظهارهم القرآن الكريم ومعاني الكلمات وكثيراً من الاحاديث . وفي أفاسيدهم تحريض لخدمة الغير والتضحية لأجل رفع لواء الاسلام عالياً في أرجاء العالم . حتى يكون الاسلام ديناً عالمياً ، فلا تسع في أرجاء العالم كله الا من ينادي أوقات الصلاة بصوت رفيع : الله أكبر ۰۰۰ أشهد ان لا إله الا الله . أشهد أن محمدأ رسول الله ۰۰۰

وفي المدرسة لجان شتى ، لجنة الارشاد الديني ولجنة العلوم الاجتماعية ولجنة الرياضة البدنية ولجنة النظافة ولجنة تنظيم الحدائق ولجنة البر والاحسان ، الى ما هنالك من لجانٍ مفيدة أخرى .

اما لجنة الارشاد الديني فلها اجتماعاتها الخاصة ، وبرامج معينة ووظائف موزعة على الأعضاء . فكلما اجتمعت اللجنة تقرأ المقررات السابقة ويقدم كل عضو تقريراً عما قام به من أعمال ارشادية داخل المدرسة وخارجها وتوزع الأعمال على الأعضاء من جديد .

واما لجنة البر والاحسان فتقوم كل خميس بعد الظهر بتوزيع ما تمكنت من جمعه من ثياب وأحذية وأفرشة وأواني الى ما هنالك وذلك بالذهاب الى بيوت الأرامل والآيتام والفقراء والمساكين ، فتقدم ما جمعت اليهم بكل توقير واحترام وذلك بعد أداء التحية الاسلامية : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فهنئاً لطلاب مؤمنين يتربون في هذه المدرسة الاسلامية تربية اسلامية حقة ، فيكونون قد جمعوا بين سعادة النشتين . سعادة الدنيا ونعم الآخرة . طوبى لهم وحسن ما بـ .

اعتراف ماركسية بعجزها

يقول علماء الذرة وكبار العلماء في العلوم الطبيعية وغيرها : انه لا يوجد في كل ما اكتشف من قوانين وخصوصيات في عالم الطبيعة شيء يدل على عدم وجود الخالق جل جلاله ، بل كلما نزداد بحثاً وكشفنا للحقائق الكونية والمعادلات والدستير والخصوصيات الموعدة في أجزاء هذا الكون وارتباط هذه الدساتير والخصوصيات بعضها بعض نزداد يقيناً بالخالق جل جلاله ، بإله متناه في إتقانه الخلق بدقة وحكمة فائقتين . وقد قيل قبلاً :

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

وهكذا يخاطبنا الله تعالى بقوله : « أَمَّنْ يَبْدِأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعْيِدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، إِلَّا هُوَ مَعَ اللَّهِ ، قُلْ هَاتُوا بِرَهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » . إِنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : « قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقُ » . إِنَّ الْمَادِيَنِ ، الْيَوْمِ ، قَدْ اتَّخَذُوا : (الْمَادَةَ) إِلَهًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَقَالُوا بِقَدْمِ الْمَادَةِ وَإِنَّهَا تَعْمَلُ بِحِكْمَةٍ فَائِقَةٍ لِأَجْلِ تَنْظِيمِ هَذَا الْعَالَمِ وَتَكْوِينِهِ بِدَسَاتِيرٍ مُتَقْنَةٍ وَمُعَادِلَاتٍ رَصِينَةٍ وَخَصَّاصَاتٍ مُنَاسِبَةٍ وَتَدْرِجٍ وَتَسْلِيلٍ وَتَوَالِدٍ فِي أَوْقَاتٍ مُعْيَنةٍ وَإِيجَادٍ ظَرُوفٍ مُلَائِمَةٍ إِلَى مَا هَنَالِكَ ! وَقَالُوا إِنَّ الْمَادَةَ هِيَ الَّتِي تَخْلُقُ الرُّوحَ وَالنَّفْسَ وَالْعُقْلَ وَهِيَ فَعَالَةٌ لِمَا تَشَاءُ وَلَكُنُّهَا لَا تَحْيِدُ عَنْ حِكْمَةٍ فَائِقَةٍ وَمُنْطِقَ رَصِينَ ! وَهِيَ الَّتِي تَوَدَّعُ فِي مَخِ الْإِنْسَانِ أَسْسَ التَّفْكِيرِ : مِنْ تَعْيِيمٍ وَتَجْرِيدٍ وَاستِنْتِاجٍ وَاسْتِقْرَاءٍ وَحَدْسٍ وَإِلَهَامٍ

فَمَا أَعْظَمُهَا مِنْ مَادَةٍ خَلَقَهُ بِعَقْلٍ جَبَارٍ يَفْوَقُ عَقُولَ مَنْ كَانُوا عَلَى وَجْهِ الْبَسِيْطَةِ مِنْ حَكَمَاءِ وَمَكْتَشِفِينَ ، كَآيَنْشِتاينَ وَنيُوتُونَ وَأَفَلاطُونَ وَدَالَّا مِيرِ

وپون کاره ، وبرگسون وغيرهم ٠٠٠

لذلك يخاطب الله تعالى هؤلاء الذين اتخذوا إلههم من مادة وأصنام وحيوان وشمس الى ما هنالك ، دون الله تعالى ، يخاطبهم قائلا : « أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلهةً ، قُلْ هَاتُوا بِرَهَانَكُمْ ، هَذَا ذَكْرٌ مَّنْ مَعِي وَذَكْرٌ مَّنْ قَبْلِي ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فِيهِمْ مَعْرُضُونَ ، وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نَوْحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَ » (١) .

فالمؤمنون بالفلسفة المادية يطلبون من أتباعهم أن يكفروا بكل شيء غير المادة ، وان يعتقدوا ان الأكونان تنشأ من هذه المادة ، في دورات متسلسلة تتحلل كل دورة منها في نهايتها لتعود الى التركيب في دورة جديدة ، وهكذا دوالياً ، ثم دوالياً الى غير انتهاء ٠٠٠

ويطلبون منهم أن يتظروا النعيم المقيم على هذه الأرض ، متى صحت نبوءتهم عن زوال الطبقات الاجتماعية . فإن زالت الطبقات الاجتماعية في هذه السنة أو بعدها ببعض سنوات فتلક بداية الفردوس الأبدي ، الذي يدوم ما دامت الأرض والسماءات وتنتهي اليه أطوار التاريخ .

ولكن لم تتحقق كل ما أرادوا ، فسرعان ما رجعوا عن طيشهم بعد قليل وغيروا وبدلوا ، رجعوا الى الديانة يستجدونها ويتمسحون بها واجتمع رؤساء القساوسة في حضرة زعماء المذهب الشيعي ، ليعلنوا العودة بمجلس الكنيسة الى نظامه القديم .

رأيت من المناسب أن أنقل صورة كتاب أرسله شاب مسلم عامل بنصوص الدين من المانيا الشرقية ، كان يحضر مع إخوانه الشباب المتدينين في مجلس ديني في الكاظمية تلقى فيه محاضرات دينية ، وكان يعمل مجاهداً لبث حقائق

(١) سورة الأنبياء : ٢٤ ، ٢٥

الاسلام بين الطلاب في مدرسته وخارجها ، لكي تقف على الجمود التي تبذل لغرس المبادىء المادية في تلك البلاد وكيف أن هذا الشاب لتشبعه بالروح الاسلامية الظاهرة ومطالعته بعض الكتب الدينية والفلسفية يحبب ويدافع عن الحق ويعمل لأجل خدمة الدين في تشكيل جمعية اسلامية وهو في أحضان المادية الصماء .

فجدير بشبابنا وهم في بلد اسلامي أن ينهجوا نهجاً يتناسب ومسؤولياتهم تجاه دينهم وقدساتهم وأن يعملوا مجاهدين مخلصين لأجل تشكيل جمعيات ولجان ، لتشريف الشباب تقييفاً اسلامياً على ضوء القرآن والسنة النبوية وتعاليم أهل بيته العصمة عليهم الصلاة والسلام .

فلا يمكن أن نغرس تعاليم الاسلام في النفوس وترهن للعالم ، على أن الاسلام هو دين العصر ودين يستجيب لكل ما يحتاجه البشر من دساتير تؤدي به الى سعادة الدارين في جميع الحقوق ، من اعتقادية وعبادية وقضائية اقتصادية وادارية وسياسية وعمرانية وأخلاقية الى ما هنالك الا بتشكيل لجان وجمعيات طلابية تقوم بتوزيع نشرات دينية والقاء خطب وترتيب دعوات خاصة ودعوات عامة وترتيب نوادي اسلامية للشباب ، فيها مسجد صغير ، تقام فيه الصلاة . ويا حبذا لو بنيت هذه النوادي بحسب الحسينيات التي قد بنيت وتبني من وقت الى آخر . تؤثر هذه النوادي الاسلامية بالأئثار المناسب وما يتحقق راحة الشباب وتوسّس فيها مكتبات اسلامية يقضي الشاب المسلم فيها اوقات فراغه باستماع آىٰ من الذكر الحكيم ومحاضرات دينية ومطالعة كتب ومجلات اسلامية واقامة الصلاة والاشتراك في اجتماعات اللجان والمذاكرة في ما يجب ان يقام به لبث الدعوة الاسلامية ونجاحها بين الشباب في العراق وخارجه وارسال وفود من الشباب وغيرهم الى القرى والأرياف لتعليم الاسلام وتطبيقه في تلك الربوع بصورة عملية وتقديم تقارير مما قاموا

به خلال اسبوع واحد أو شهر واحد ، ثم الاتصال بالمدارس لالقاء محاضرات على الطلاب والعمل لأجل اقامة الصلاة بين جدران المدرسة الى ما هنالك . انه تعالى يقول : «والذين جاهدوا فينا لنهدى نهم سبلنا وان الله لمع المحسنين» .

ان هذا الشاب المسلم الغيور على دينه يقول :

«انا شكلنا جمعية اسلامية في المانيا الشرقية وسنعمل إن شاء الله على دمجها بالجمعية الاسلامية في المانيا الغربية ، ثم تصل بالجمعيتين الاسلاميتين في انكلترا والنمسا ، لنكون من جميع ذلك اتحاداً عاماً . ولا يخفى ما في ذلك من أثر في اطلاع الرأي الأوروبي العام على التعاليم الاسلامية القوية ونظرته الى الكون والحياة خاصة ، لا سيما وان الأوروبيين شديدوا الرغبة في حب الاستطلاع على الاسلام ، ذلك لأن الاسلام يمثل ديناً رئيسياً في العالم أجمع » .

«أدرس كما تعلمون هنا : (التخطيط الاقتصادي) . إلا أن ذلك لا يعني سوى : (الماركسية - الليبية) ، و (المادية الديالكتيكية) ، والاقتصاد السياسي ، ولا يخرج ذلك أبداً عن نطاق : قال : ليدين ، وقال : ماركس ، وانگلن و اذا ناقشت أو طرحت رأياً آخر ، أو سالت سؤالاً يدل على أنك لا تصدق بذلك ، فإن ذلك يعني أنك تحتاج (الى مراقبة أشد) والى اجتماعات معك أكثر » (١)

(١) ان الله تعالى يقول : «لا إكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي» ويقول أيضاً : «أفلا يتذرون القرآن أم على قلوب أفعالها» وفي آية أخرى : «إن السمع والبصر والفؤاد ، كل أولئك كان عنه مسؤولاً» . فالاسلام لا يفرض تعاليمه على البشر فرضاً ولا يجبرهم على القبول جبراً ، وانما يخاطب العقل الفطري على ضوء المنطق الصحيح و يجعل العقل

« المقدمة : إن الدنيا أربعة طرق للدراسة » :

١ - المحاضرات التي يلقبها البروفسور أو الدكتور في قاعات كبيرة تحوي ما لا يقل عن مائتي طالب . وهنا تلقى المحاضرة دون مناقشة أو سؤال أو اعتراض أو شيء آخر . إلا أنها نكتب عن ذلك ملاحظات في دفتر خاص وهذا ما يسمى : بـ (Vorlesung) ، تستغرق هذه عادة ساعتين ، تخللها فرصة واحدة أمدها ١٥ دقيقة » .

٢ - ما يسمى باجتماع الزمار : Seminar وفيه ينبغي أن يسأل الطلبة عن مدى فهمهم للمادة وعن آرائهم بها ، وعما إذا كان لديهم رأي آخر مناقض لذلك . إلا أن هذا لا يحدث بصورة عملية . إذ أن الطلبة الألمان قد اعتادوا على تقبيل المادة دون مناقشة أو تمحیص . ثم إنهم يخافون : إن ناقشو ، لأن يؤثر ذلك على درجاتهم وعلى نظرات الأستاذة إليهم ، وأنا حسب التنظيم الدراسي ، مع گروپ (جماعة) يتكون فقط من طلبة الألمان ، بينما أنا الوحيد أجنبي بينهم » .

« وفي أول اجتماع لنا قدمت الأستاذة مقدمة ، قائلة : إنهم يرثمون تربية الطلبة اشتراكياً كيما يتكون لهم كادر (ملاك) ^(١) في المستقبل يخدم

معياراً للقبول ويفسح المجال للنقاش والجدل والتي هي أحسن . وكم من نقاش حدث بين الزنادقة والأمام الصادق عليه أفضل الصلة والسلام وكذا بين الملاحدة والأمام علي بن موسى الرضا عليهم السلام .

ليس الإسلام بدین يقول : كن أعمى حتى تبصر الحق وكن أصم حتى تسمع الواقع . كما يصنع الماركسيون ومن يدعى النبوة زوراً وبهتاناً . وهذا دين من تعوزه الحجة وينقصه الدليل ، ضغط ومراقبة شديدة وتجسس وسجن وتبعيد وتشريد وقتل وإيادة ! ..

(١) أي دخولهم في ملاك الدولة في عدد الموظفين .

الحكومة عن وعيه . وانهم سوف لا ، ولن يدرسونا أي نظام أو مبدأ آخر لئلا تشوب الفكرة الاشتراكية من ذلك شأنه » .

« أما عن الرأسمالية ، فسوف لا ندرس إلا نقاط النقد التي ضرب ماركس على وترها ٠٠٠ ثم استمرت في شرح الموضوع في المانيا وفي المقارنات بين الدولتين الألمانيتين » .

« وملحوظي على ذلك ، أنتي أتمكن من أن أقول : أن معظم بل جل دراستنا عن ذلك : كيف أن المانيا الغربية رأسمالية وأن الشرقية اشتراكية و تستند الى المعسكر الاشتراكي الجبار وعلى رأسه الاتحاد السوفيتي ، وانها لا تخاف المانيا الغربية التي سلحها حلف شمال الاطلسي والرأسمالي الامريكي » .

« ان كان هذا صحيحاً أو لا ، فأمر لا يهمني كما تهمني الدراسة ، ان هذا لا يعطينا تجارب ومعارف الا في حقل ضيق جداً ، حين انه يشغل أكثر من نصف دراستنا » .

« وهكذا بدأ (السزمانار) الأول ، وببدأنا نناقش المادية الديالكتيكية . فشرحت الاستاذة كيف ان العالم ينقسم الى معاصرتين من المفكرين : ماديين وخياريين : Matérialistes Idéalistes ثم هاجمت الكنيسة ^(١) لأكثر من ربع ساعة وكيف ان كل فكرة غير مادية تستخدمنها

(١) قد تكون الاستاذة محققة في مهاجمتها الكنيسة ، فإن الدكتور (وولتر أوسكار لنبرج) استاذ الفلسفة والكيمياء يقول : « ان جميع المنظمات الدينية المسيحية تبذل محاولات لجعل الناس يعتقدون منذ طفولتهم في إله هو على صورة انسان ! بدلاً من الاعتقاد بأن الانسان قد خلق خليفة الله على الأرض على حد قوله تعالى : « وهو الذي جعلكم خلائق في الأرض

الطبقة المستقلة بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، لتزيد من استغلالها للطبقة

ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليسلوكم في ما آتاكم ، إن ربك سريع الحساب واه لغفور رحيم » (سورة الأنعام : ١٦٥) ٠ وعندما تنمو العقول بعد ذلك وتتدرج على استخدام الطريقة العلمية ، فان تلك الصورة التي تعلموها منذ الصغر لا يمكن أن تنسجم مع أسلوبهم في التفكير أو أي منطق مقبول ، وأخيراً عندما تفشل جميع المحاولات بين تلك الأفكار الدينية القديمة وبين المقتضيات المنطق والتفكير العلمي ، نجد هؤلاء المفكرين يتخلصون من الصراع بنبذ فكرة الله كليّة ، وعندما يصلون إلى هذه المرحلة ويظنون أنهم قد تخلصوا من أوهام الدين وما ترتب عليها من نتائج نفسية ، لا يحبون العودة إلى التفكير في هذه الموضوعات ، بل يقاومون قبول آية فكرة جديدة تتصل بهذا الموضوع وتدور حول وجود الله » ٠

ولكن الدكتور (وولتر) ، قد فاته أن النفس الزكية التي لم تلتج في الموبقات وبقيت نقية طاهرة أو وفقت إلى توبة واستغفار بعد التلوث : « إن الحسنات يذهبن السينيات » تصل بالفطرة إلى معرفة صحيحة عن الله تعالى فتصبح انطباعاته الخرافية بإلهام من الله تعالى وترجع إلى الفطرة من تقديس الله تعالى وتعظيمه واطاعته ، ولا تبذر الدين . إنما ينبذ الدين من ربته المراقص ودور الخمور وتعاطي الربا ولحم الخنزير . وهم الأكثريّة الساحقة في الغرب والشرق ٠

نعم ، علينا أن نقول ، ليس في الإسلام من (الأسرار) كما في المسيحية . تلك الأسرار التي لا يصل أحد من رجال المسيحية أنفسهم أن يدركها ادراكاً عقلياً صحيحاً ، ولهذا يطلبون من أتباعهم الإيمان بها دون محاولة فهمها . كما أن فكرة (الحجاب) في المسيحية بين الله وعباده فكرة لا يستسيغها العقل . فلا حجاب بين الله وبين أحد من خلقه حتى يتحتم توسيط رجل بينه

وين خلقه . فالاسلام يرى أن لكل أحد الحق في أن يتوجه إلى الله ويتسلل به ويرفع حاجته إليه . « اذا سألك عبادي عنِي ، فاني قريب أجيبي دعوة الداع اذا دعاني » .

واما الشفاعة ، فلا يراد منها سد الطريق بين الله وعباده ، بل العبد يدعو ربها ويخلو به جاعلاً أعز خلقه اليه شفيعاً لديه . على أنه تعالى يقول : « ولا يشفعون الا من ارتضى لهم من خشيته مشفقون » ، « مَنْ ذَا الَّذِي يُشْفِعُ عَنْهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ » .

إن الاسلام يمنع أن يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله : « يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا ، فقولوا اشهدوا بأننا مسلمون » . ويقول عن الكتابيين : « إِتَخْذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرَهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمُسِيحَ بْنَ مُرْيَمَ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا يَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَشْرِكُونَ » .

فالمؤمن حينما يجعل أحد الأئمة شفيعاً عند الله تعالى في قضاء حاجته إنما يريد أن تقضي حاجته من جانب الله وحده دون غيره وهو يوحد الله في دعائه توحيداً ما بعده توحيد .

ثم لا يعلم معنى التثليث وسره في المسيحية وكذا القربان وتحوله الى لحم المسيح ودمه ولا يعلم سبب اعتقادهم أن الانسان ولد وجاء الى هذه الحياة مثقلًا بـ (الخطيئة الأصلية) التي لا يستطيع منها فكاكاً . ويعنون بها أن الانسان يولد وعليه وزر خطيئة آدم عليه السلام حين خالف أمر ربه وأكل من الشجرة التي حرمها الله عليه . حين اهـ تعالى يقول : « ولا تزر وازرة

وزر أخرى » . ومن ثم تطلب المسيحية من الإنسان أن يؤمن (بالصلب والفداء) ، أي صلب (المسيح – الإله) تفدية للبشر مما لحقهم من هذه الخطية الأصلية .

هذه الخرافات وأمثالها التي ما أنزل الله بها من سلطان ، لم تكن في الكتب المقدسة حين أوحى الله تعالى ما فيها إلى أنبيائه (ع) ، إلا أن الكنيسة لا بتعادها عن النصوص وانحرافها عما أنزل الله أو جدتها بهذا الشكل . فيأبى الشاب الذي مارس المنطق الصحيح بدراسة نظريات هندسية واستعماله في المختبرات تقبلها ، ويراهما خرافات . فيمقت الدين لما يرى من معتقدات تخالف الواقع اذا كان من اولئك الذين تلوثت نفوسهم بالموبقات . ولذلك من السهل جداً بـث تعاليم الاسلام في اوساط الغرب العلمية لطابقتها مع العلم الصحيح وخلوها من كل ما يخالف المنطق الصحيح ومن كل خرافة .

(٢) اما الاسلام ، فيهتم بالطبقة العاملة الى أبعد حد ، ولا يفرق بين العامل وصاحب العمل الا بالتقوى . فقد قال أبو عبدالله (ع) : « من أراد أن يدخله الله في رحمته ويسكنه جنته ، فليحسن خلقه وليعط النصف من نفسه ، وليرحم اليتيم وليعن الضعيف وليتواضع لله الذي خلقه . (النصف : الانصاف والعدل) » .

وعن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « سيد الأعمال : إنصاف الناس من تقسيك ومواساة الأخ في الله وذكر الله على كل حال » .
وعنه أيضاً : « من واسى الفقير من ماله وأنصف الناس من نفسه فذلكم المؤمن حقاً » .

فعلى صاحب العمل أو المعلم أن يعطي العامل ما يسد به حاجته وحاجة بيته حتى بعض الكماليات منها كي يكون مصداق الحديث المتقدم .

« ثم بدأت تشرح المادة كأساس للمذهب المادي : « إن المادة كانت قبل كل شيء ^(٣) . ثم تطورت خلال ملايين السنين إلى هذا العالم . أما الإنسان فقد تطور عن حيوان ، وقد لعب بذلك العمل البشري دوراً كبيراً » .

(٣) مما لا ريب فيه أن الكيمياء علم يبحث فيه عن التركيب والتغيرات التي تطرأ على المادة ويبحث فيه عن تحول المادة إلى طاقة (قوى) وتحول الطاقة إلى مادة . وإن الكيمياء من العلوم المادية والبحث عن موعد الكون : عن الله تعالى بحث روحي بحث . فلا رابطة بين هذا البحث وبين الكيمياء (العلم المادي) . فليس من شأن الكيمياء أن تبحث في إن هذا العالم بما فيه من نظم ثابتة ودساتير متعددة وتدبر وحكمة فائقة قد وجد بمحض الصادفة وإن جميع ما يحدث فيه يتم بالطريقة العشوائية أو بطريقة أخرى .
ولا يرى المتبع في ما وجد من قوانين عند دراسة المادة والقوة محلًا للصادفة ، بل يعكس ذلك ، يرى أن هنالك نظاماً ثابتاً وقانوناً لا تحدده عنه المادة والطاقة والتفاعلات الكيميائية والحوادث الفيزيائية ويرى أيضاً أن سلوك أي جزء من أجزاء المادة مهما صغر أو تضاءل حجمه ليس بسلوكاً أعمى بل يخضع لقوانين معينة دقيقة مترابطة .

ويرى أن في كثير من الأحيان يتم اكتشاف القانون قبل اكتشاف أسبابه أو فهم طريقة عمله بفترة غير طويلة من الزمن . حتى أنهم تمكناً من العثور على كثير من الخواص الكهربائية نتيجة ما يجري من الأعمال الرياضية على المعادلات التفاضلية (في الرياضيات العالية) . فأنى للصادفة أن تضع دساتير وإن يظفر الإنسان بنتيجة اجراء أعمال رياضية بمكتشفات أخرى في حقل الكهرباء وغيرها .

وإن الترتيب الدوري الذي اكتشفه (مانداليف) وهو الترتيب الذي أودعه الله تعالى في العناصر الكيميائية دليل قطعي على عدم وجود آلية

« وسائلها فائلاً : إنه من الأحسن لنا أن نبدأ من البداية ونتساءل من أي شيء تكون المادة ؟ ومن أي شيء تكونت وخلقت ؟ وكم كان حجمها ؟ وكيف بعثت لها الحياة ؟ »

مصادفة هناك ◦

وان اكتشاف تركيب الذرة (Atome) أثبت أن ما نشاهد من تفاعلات كيميائية وما نلاحظ من خواص تنتظم تحت قوانين خاصة ، وليس هناك مصادفة عمياء ◦ فالمصادفة لا تولد آلاف الدساتير في مختلف الحقول ثم تربط هذه الدساتير بعضها البعض لاتظام الكون المادي ومن ثم الحياة ◦ فالعناصر بما فيها الملون وغير الملون والهش والصلب والخفيف والتقليل والمعناطيس وغير المغناطيس والباقي مدة والفاني بعد فترة محدودة إلى ما هناك تابعة لنفس قانون (مانداليف) الدوري ◦

فمن الذي جعل هذه العناصر في غاية الاختلاف من حيث الخواص لما هناك من حاجة ماسة لوجود وانتظام هذا الكون ثم اخضاعها لنفس القانون ◦ هل للصدفة أن تقوم بهذا العمل المنظم المثير للأبابيل في ما لا يحصى من مراحل وأشياء ◦

ثم لماذا كانت هذه المادة في القديم ؟ هل كانت طاقة ثم تكددست فكانت مادة ؟ وماذا كانت هذه الطاقة ، هل كهربائية موجبة أم سالبة ؟ أم ماذا ؟ ثم لماذا ولأي سبب وكيف تكددست تلك الطاقات الهائلة فكانت مادة ٠٠٠ أي عناصر ٠٠٠ ولماذا هذا الاختلاف في العناصر من حيث التركيب والخواص مع العلم ان كل ذلك لابد من وجوده بهذا الترتيب لانتظام هذا الكون الرحيب ◦ ثم نحن اذا دخلنا في بناء الذرة نشاهد عالماً من الخواص والنظم والقوانين ما يغير العقول ◦

وهذه الذرة (ليست بذرة واحدة وعلى نمط واحد) كيف صارت

فتململت قليلاً ، ثم أجبت : « إن المادة لا ترى ولا تفني ، إذ أنها تتشكل بأشكال مختلفة ، في كل جسم شكل » ، « أما من أي شيء خلقت المادة ، فهذا ما لم يتوصل إليه العلم بعد » !!!! « ومن خواص المادة أنها غير قابلة للتصور ، أي أن الإنسان لا يتمكن أن يتصورها أو يلمسها »

أنواعاً مختلفة تحت قانون دوري ، وكلها موجودة حتى اليوم : هايدروجين :
هليوم ، ٠٠٠ ، أورانيوم ٠٠٠ الخ .

من أين جاءت الكهربائية السالبة (الكترون) وثم الكهربائية الموجبة (البيروتون) وكلتاها موجودتان في بُنية الذرة مع تناقضهما .

فهل الذرة هي الله تعالى ؟! فهي مركبة ومحتجة إلى أجزائها ، ثم من أين جاءت هذه الأجزاء ومن الذي ركبها ، بهذا التركيب المعقول تحت قوانين ثابتة معقولة . ثم لتحقق كلاماً من الأجزاء ، فنراها مركبة أيضاً أم هي طاقات لا نعلم حقيقتها وهكذا دواليك ، فانتسلسل إلى الأخير فلا مناص من الاعتراف بالله الخالق المتعال ، ذلك لأننا لا بد لنا إما أن نعترف بعقل جبار داخل الذرة أو أن نعترف بخالق حكيم ، قد أوجد هذه الأجزاء المختلفة الخاصية والماهية ورتبتها خير ترتيب . وبما أن المادة ليست من العقل في شيء إذن لا بد من الاعتراف بالصانع العظيم وهو الله تعالى .

ثم لا يعقل : أن المادة توجد نفسها ثم تنسى كل هذه الدساتير والقوانين ، ذلك لأن المادة عندما تتحول إلى طاقة أو تتحول الطاقة إلى مادة ، فإن ذلك كله يتم طبقاً لقوانين معينة ، والمادة الناتجة تخضع لنفس القوانين التي تخضع لها المادة المعروفة التي وجدت قبلها .

ومن الثابت علمياً أن الفرق بين ذرة عنصر معين كعنصر الحديد مثلاً وعنصر الرصاص يرجع إلى الفرق في عدد البيروتونات والنيوترونات التي بالنواة وإلى عدد وطريقة تنظيم الالكترونات التي هي خارج النواة والتي

فابتسمت لذلك قائلاً : إنكم (بصيغة الاحترام) تؤمنون بوجود شيء لا يمكن أن يتصوره أو يلمسه الإنسان ، ثم انكم لا تعلمون من أي شيء يتربّك هذا الشيء وكم حجمه . . . إن هذه هي الروحانية التي تسمونها Idéalisme : الخيال . . . إذ أننا نعتقد بوجود الله تبارك وتعالى . وهذه الصفات التي ذكرتموها هي بالضبط صفات الله . أي أنه غير قابل للتصور وغير قابل للمس أو المسك ، لا يحيوه مكان أو فراغ . وليس له شكل وهو خالد لا يفنى . . .

تدور حول النواة بسرعة هائلة وتحت دساتير معينة وأبعاد محددة . إذن كل ما في الكون من مواد مختلفة والتي تعد بالمليين أي كل ما في الكون من عناصر ومركبات ، تتألف من جزئيات كهربية ليست في الواقع إلا مجرد صور (أو مظاهر) من الطاقة أي طاقة الإشعاع المخزونة . إذن ، المادة ليست إلا صورة من صور الإشعاع ولا يزال العلم يعمل لأجل تفهم حقيقة الطاقة والإشعاع وسوف يعمل إلى مئات السنين ولن يصل إلى حقيقة الطاقة أو القوة كما لم يصل لحد اليوم إلى حقيقة (الجاذبية) وحقيقة الروح . « ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربِّي وما أوتينِم من العلم إلا قليلاً » .

لذلك يقول الفيلسوف والعالم الطبيعي الدكتور : (ماريت استانلي) : إننا نحتاج في محاولتنا لوصف الخالق (ومن يقوى على وصفه ، هو كما وصف نفسه) ومعرفة صفاتَه إلى مصطلحات ومعاني تختلف اختلافاً بيناً عن تلك التي نستخدمها عندما نصف عالم الماديَّات . فالصفات الماديَّة والتفسيرات الميكانيكيَّة التي تقوم على نظريات السلوكيَّين تعجز أن تعيننا على تحقيق هذه الغاية ، وبخاصة بعد أن تبين لنا أنَّ هذا الكون الذي نعيش فيه لا يمكن أن يكون مادة صرفاً وإنما هو مادة وروح ، أو مادة وغير مادة . ولا نستطيع

« أما المادة التي تشبهونها (بالفواكه) مثلاً فهي غير موجودة ، إذ إن شيئاً اسمه (الفواكه) لا يوجد . نعم ، يوجد تفاح . فيه بعض خواص الفواكه وليس كلها ، نعم ، يوجد برتقال ، فيه قسم آخر من خواص الفواكه ،

أن نصف الأشياء غير المادية بالأوصاف المادية وحدها » .

ثم يقول الدكتور (ماريت استانلي) : « كثيراً ما طلبت إلى تلاميذي أن يصفوا لي شيئاً غير مادي مثل (الفكر) ، وطلبت إليهم أن يبينوا لي التركيب الكيمي (للفكرة) وطولها بالسانتيمترات وزنها بالغرامات ولو أنها وضغطها وان يصفوا لي شكلها وصورتها ، وقد عجزوا جميعاً عن تحقيق ذلك . وصار من الواضح أنه لكي نصف أمراً غير مادي لابد من استخدام مصطلحات وأوصاف أخرى تختلف اختلافاً كبيراً عن المصطلحات التي نستخدمها في دائرة العلوم » .

انه يقول : « إننا لا نستطيع أن نسخر من هذه المشكلة أو نفر منها ، فلو لم يكن هذا الكون ثنائياً (يعني المادة وغير المادة كال الفكر والروح) لاستطعنا أن نعرف الفكرة تعريفاً مادياً صرفاً ، وهو ما لم يحدث أبداً . والنظريات المادية التي قدمها ديموقريطس وهو بز والسلوكيون ، وكذلك النظريات المثالية الصرفية التي تفسر هذا الكون تفسيراً معنوياً خالصاً مما قدمه (ليستز) و (بيركلي) و (هيغل) ، نقول إن هذه النظريات الأحادية جمياً لا تعدو أن تكون مجرد افتراضات تقوم على التخمين ولا تستند إلى أي أساس من الوجهة التجريبية . ولابد لأية فلسفة تحاول أن تفسر الطبيعة والكون من أن تختبر أولاً لمعروفة مدى قدرتها على تفسير سائر أنواع الحقائق والعوامل والعناصر التي يتالف منها هذا الكون أو تظهر فيه » .

ويقول الفيلسوف (ماريت استانلي) : « ان العلوم حقائق مختبرة ، ولكنها مع ذلك تتأثر بخيال الإنسان وأوهامه ومدى بعده عن الدقة في

وليس كلها • نعم يوجد (كمشري) فيه خواص أخرى من خواص الفواكه وليس كلها • أما شيء حسي فيه كل خواص الفواكه ، فأمر لا يوجد • إلا أنه توجد كلمة (فواكه) في القاموس • على أن ذلك لا يعني وجودها في

ملاحظاته وأوصافه واستنتاجاته • ونتائج العلوم مقبولة داخل هذه الحدود • فهي بذلك مقصورة على الميادين الكمية في الوصف والتنبؤ • وهي تبدأ بالاحتمالات وتنتهي بالاحتمالات كذلك وليس باليقين ونتائج العلوم بذلك تقريرية وعرضة للأخطاء المحتملة في القياس والمقارنات ونتائجها اجتهادية وقابلة للتتعديل بالإضافة والحدف وليس نهائية ، وإننا نرى أن العالم عندما يصل إلى قانون أو نظرية يقول : إن هذا هو ما وصلنا إليه حتى الآن ويترك الباب مفتوحاً لما قد يستجد من التعديلات » (١)

وهناك من يقول بقدم المادة ، لكن التجارب الكيميائية تدلنا على أن بعض المادة تزول وتفنى • وبعضها يسير نحو الفناء بسرعة كبيرة والآخر بسرعة ضئيلة ، فالمادة تفني ، فهي ليست بأبدية ، إذن يجب أن لا تكون قديمة أو أزلية ، فلها إذن بداية •

وتدل التجارب والشواهد من الكيمياء ومن علوم أخرى إن بداية المادة لم تكن بطيئة أو تدريجية ، كما يقول به الماديون ، بل وجدت بصورة فجائية حتى أن العلوم تستطيع أن تحد الوقت الذي نشأت فيه هذه المواد • وقد ثبت علمياً أن هذا الكون المادي لم يكن مخلوقاً ثم خلق وليس بقديم كما يظن الماديون جهلاً منهم أو مكابرة • وهو يسير تحت قوانين معينة ودساتير ثابتة أودعها الله هذا الكون : « إن الله يمسك السموات والأرض أن تنزولاً ، ولئن

(١) قد أسلينا القول في ما ي قوله الدكتور (ماريت استانلي) في الجزء الأول من هذا الكتاب • قبل الظفر بمقاله هذا • فيرجى المراجعة •

الحقيقة الواقعية ٠ إن (مثال الفواكه) ليس مني ولست أنا الذي أتيت به ، إنما الذي أتي به هو أنتم مع قولكم إن (الفواكه) في هذه الحالة تشبه المادة في حالتها ٠ فإذا ثبت لنا عدم وجود (الفواكه) فإن ذلك يعني ، باعترافكم : عدم وجود المادة التي أبنتم خواصها قبل دقائق » ٠

زالتا إن أمسكهما (أي ما أمسكهما) من أحد من بعده ، انه كان حليماً غفوراً » ٠ (سورة الفاطر : ٤٠) ٠

وبعد أن علمنا أن ليس لهذا العالم المادي أن يخلق نفسه ويسن لنفسه هذه القوانين الرياضية الدقيقة وهذه الخواص المتنوعة التي بها تتحقق الحياة ، إذن وجب أن نؤمن أن هناك خالقاً غير مادي وهو الله تعالى ٠ ثم ان ما نلمسه من حكمة فائقة في تنظيم هذا الكون يدلنا على أن خالقه عاقل حكيم ٠ إلا أن العقل لا يوجد هذه الخوارق العظيمة اللا نهاية ولا بد أن تكون هناك ارادة ومشيئة ، إذن ثبت أن موحد هذا الكون عاقل ، حكيم ، مريد ، فعال : « كل يوم هو في شأن » ٠ (سورة الرحمن : ٢٩) ٠

وقد اعترف العلم الحديث الذي يحدد وقت حدوث المادة (أي الوقت الذي خلقها الله تعالى) : أن حدوث الحياة وبدياتها حدث عجيب في تاريخ الكرة الأرضية واعترف بالعجز عن معرفة بداية (الحياة) وكيف كان ظهورها ويقول : العلم عاجز عن معرفة كل ذلك ٠ ويعرف بشيء من التوكيد أن الحياة بدأت في المحيط الدافئ : الماء ٠ وقد قال الله تعالى قبل أربعة عشر قرناً : « أو لَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً (أي متصلة) فَفَتَّقْنَاهُمَا ، وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٌّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ » ٠

قد حسب أحد علماء الفسلجة (Physiologiste) أن المادة السنجدافية التي في تلافيف الدماغ فيها نحو : ٠٠٠٠٦ خلية وكل خلية تتتألف من الوف الدقائق الظاهرة وكل دقيقة تتتألف من ملايين الجواهر ٠ ثم ان هذه

« هذا هو أساس دراستنا . واستمر النقاش مدة نصف ساعة أو أكثر بقليل ، ثم قالت ما نصه : سيد ٠٠٠ ، (ذكرت اسم الطالب) : إن لدينا برنامجاً خاصاً يجب تنفيذه خلال مدة (الزمنار Seminar) ، وإننا لا نريد

الجواهر تتألف مما سيقف عليه العلم في مستقبل قريب وهكذا نرى أن العلم كلما تقدم خطوة أصبح أمام أودية من المجاهيل حتى يضطر بالاعتراف بالله الخالق المدبر القادر المتعال .

ثم نرى أن طبقات العين ، فيها القرنية والعدسية ، وطبقات العين المائية الزجاجية تنتهي في الشبكية وأن الطبقة الشبكية لا تزيد عن ثخن الورقة وتتألف مع ذلك من تسع طبقات ، أبعدها يتتألف من ثلاثة ملايين مخروط ونحو من ثلاثة ملايين اسطوانة .

فكيف يوفق المادي بين الصدفة وهذا النظام البالغ من الدقة أقصى المراحل . وان حساب الاحتمالات ينفي إمكان وجود ملايين من الأجزاء في عضو بصورة مرتبة ومنظمة على سبيل الصدفة لتحقيق غاية معقولة . ولكن المادي لا يوافقه حساب الاحتمالات ، (Probabilité) . وما فيه من دساتير . أو هو أقل من أن يستوعب حساب الاحتمالات أو يكتشف في موضوعه بعض القوانين . « فلينظر الإنسان مم خلق » ٠٠٠

كيف يفسر المادي ما نرى من مظاهر في (الأظافر) وقل من يهتم بها . فقد كان يقول (أبقراط) مرجع الطب والحكمة منذ أكثر من الفي سنة : « إن الأظافر كالمرأة تعكس فيها حالة الإنسان الصحية » . ولحد اليوم نرى أن الطبيب لو استعنى عليه تشخيص مرض فإنه يمسك بأظافر مريضه ومنها يشخص نوع المرض : فالأظافر الباهتة تدل على فقر الدم والمائلة للزرقة توكلد مرض القلب وتقرع الأظافر يدل على اضطراب الدورة الدموية . وقد وجد أن عدد الكائنات الحية في الغرام الواحد من التربة يصل

أن ندخل البibleة الى أفكار طلابنا ! اما اذا كان لديكم شيء من هذا القبيل ، فبامكانكم أن تذهبوا معي الى الپروفسور المختص بالمدية الديالكتيكية ونعمل اجتماعاً ثالثياً نطلع فيه بمعزل عن الطلبة على نظرتكم الجديدة الى الكون ! ٠٠٠ فكان جوابي الموافقة طبعاً

« اما الدراسات الأخرى : فتحضير مؤتمر الأحزاب الشيوعي ، وأحزاب العمال في موسكوف وتطبيقه على الوضع في المانيا ، على سبيل المثال » ◊

« والخلاصة أنا يجب أن ندرس في السنة الدراسية الأولى كتاب (رأس المال) لـ (كارل ماركس) بالألمانية بأجزائه الثلاثة ، ثم كتاب الاقتصاد السياسي ، ثم كتاب أسس الماركسية المينينية ، ثم كتاب (أسس الفلسفة الماركسية) ، ثم كتاب : (التكنولوجيا : Technologie) (١) ثم الرياضيات الاقتصادية » ◊

« اما الشكل الدراسي الثالث : فتؤلف مجتمع من الطلبة ، تدرس كل مجموعة على حدة خارج الوقت الدراسي المشتركة ويعاون افراد المجموعة بعضهم البعض » ◊

« والطريقة الرابعة هي دراسة ذاتية داخل البيت أو المكتبات وقاعات المطالعة » ◊

الى بضعة ملايين ! فما أعظم هذه (المادة) التي خلقت كائناً حياً بالغاً في الصغر فوق تصور الانسان وفيه أعضاء وأجزاء ودقائق ٠٠٠ سيظفر بها العلم في المستقبل ◊ ولكن لن يصل العلم الى حقيقة الحياة ، إلا اذا فوض الأمر الى موحد قادر متعال وهو الله تعالى انه تعالى يقول : « سأريكم آياتي فلا تستعجلون » ◊

١) علم يوضح تاريخ واصول البحث المتبع في الفنون والصناعات ◊

وهكذا نرى ان هذا الشاب المسلم بالهام رباني وإفاضات نفسه الطاهرة يخرج الأستاذة حتى لا تستطيع جواباً ، فتقول وملؤها الشك والارتياح : « المادة لا ترى ولا تفني وتشكل بأشكال مختلفة » ، فإذا كانت المادة لا ترى (كما يقول الأستاذة الماركسية) فكيف علم المادي بوجودها مع أنه لا يعترف إلا بما يقع تحت احدى حواسه الخمس التي لا يعلم كيف تكونت لديه وكيف جهز بها .

ولعله يقول : إن العقل هو الذي دلنا على أن المادة لا ترى ولا تلمس ، فإذا كان العقل هو المدار للاعتراف بما لا يرى بالعين ولا يلمس ، فبالعقل وبارجاع السبب يعترف الإنسان السوي بإله مرتب لهذا العالم أبدع ترتيب ، إله تتجلى حكمته في كل جزء من جزيئات هذا العالم ، المنظور وغير المنظور . إله لا يشبه مخلوقاته في شيء ، لافتقار هذه المخلوقات بما فيها المادة إلى أجزاء مختلفة لم تكن قبلًا (كما ثبت علمياً) رُتبت بتدبير فائق . فالله الذي لا يشبه مخلوقاته في شيء هو واجب الوجود وهو أزلٍ قديم ، لم يسبقه شيء من الأشياء . وبغير هذا المنطق السليم لا يمكن أن تحل مشكلة هذا التنظيم المادي وخلق العقول والأرواح والملائكة والجن والحيوية إلى ما هنالك .

قد ثبت على أن النظور لا يحدث في الجسم عفوأ ومن تلقاء نفسه ، وإن العلم ليعرف أن هناك قصوراً ذاتياً في جميع الأجسام . ولو لا ارادة فاقفة ومشيئة ربانية لما حصل أي تطور وأية طفرة وأي تحول فجائي ، ولما وجدت هذه الحيوية والخوارق التي تلمسها في أعضاء الجسم الإنساني . إن التجارب في شتى العلوم تؤيد ما قلنا . إلا أن النقوس اذا تحررت فرضت إرادتها الديكتاتورية على العلم ، فأبادت العلماء ، أولئك الذين خالفوها في الرأي على ضوء ما قاموا به من تجارب والمنطق الصحيح كما حدث ذلك في الاتحاد

السوفيتى ، مع الأسف الشديد .

تقول الماركسية ! : « واما الانسان فقد تطور عن حيوان لعب بذلك العمل البشرى دوراً كبيراً جداً » ، فهل لها أن تقول : كيف وجد الحيوان وكيف وجد الامميا (الكائن الحي ذي الخلية الواحدة) بأسلوب علمي صحيح دونما مغالطة . لكنها تجيب حالاً : « إن العلم لم يصل بعد الى مرحلة يمكن معها من الاجابة على هذا السؤال » .

فهل من العقول التمسك بنظرية واهية وإزهاق النfos من أجلها وهي بعد لم تتحقق علمياً .

إن العلم يؤكد بصورة قطعية : أن الحيوية إنما وجدت على وجه الأرض بإرادة الله تعالى ومشيئته ، ذلك لأن التجارب تدل أن ليس في امكان المادة أن تؤثر في نفسها وأن تكون من تلقاء نفسها نباتاً ، فحيواناً فانساناً .

ان العلم ليعرف أن الأرض كانت قطعة نارية في درجة عالية من الحرارة ، فهل كان بالامكان أن تعيش على سطحها خلية من الخلايا أو جرثومة من الجراثيم أو نبات أو حيوان ، فماذا الهدىان ؟ فالمادية هراء ما بعده هراء ودس ما بعده دس وتضليل ما بعده تضليل .

تقول الاستاذة الماركسية : « ان من خواص المادة أنها غير قابلة للتصور » . فلسائل أن يسأل : كيف عرفنا : أن عدم امكان التصور من خواص المادة ، فالمادة إذن ليس بشيء متصور ملموس ، فهي إذن ليست بشيء يحس بالحواس الخمس ولا يمكن أن تتصور ، فما هي المادة إذن ؟ لهم يريدون أن يقولوا : إن المادة هي القوة ، أو الطاقة . فإذا كانت المادة على ما يزعمون ! هي القوة نفسها على ما ثبت في الفيزياء إذن : المادة ، كما تؤيد التجارب ، صورة من صور الطاقة : (القوى) ومظهر من مظاهر الإشعاع . فلم تبق المادية كما يفهمها الماديون ، وإنما المادة كانت في الابتداء

طاقاتٍ وقوى تكدرست تحت نظام خاص حتى كافت هذه العناصر : (الحديد راديوم ، أورانيوم ٠٠٠) ٠

فقد قال (آينشتاين : Einstein) : « في الذرة طاقة كبيرة يمكن تسخيرها وإلقاء منها وإن المادة صورة من صور الطاقة ٠ وإن الغرام الواحد من المادة يتحول إلى (الف مليون مليون مليون) وحدة من وحدات الطاقة وهي الارج : (Erg) أو إلى ٢٥ مليون كيلووات / ساعة أي ما ثمنه ٥٥٠ الف دينار كما قلنا سابقاً ٠ فإذا استطاع الإنسان أن يستخدم الذرة لتأثير في الجو فيسقط مطراً حين يريد ، فذلك لما أودع الله تعالى من نظام ودستور في تشكل الأمطار وحدودتها وترامكم السحب أو حدوثها عند انفلاق الذرة ٠ فالسحب ليست إلا طاقة مكدسة في بطن الذرة ، فإذا انفلقت الذرة تحررت ، فأمطرت مطراً غزيراً بإذن الله تعالى على ضوء ما وضع من خواص ودساتير ٠ فماذا الغرور ؟

« يا أيها الإنسان ما غرك ربكم الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك ، في أي صورة ما شاء ركبك كلام بل تكذبون بالدين » ٠ (سورة الانفطار : ٦ - ٩) ٠ ثم لنا أن نسأل ما هذا الاختلاف بين القوة التي تتائف منها المادة :
(١) الكترون : شحنة كهربائية موجبة ٠ (٢) بروتون : شحنة كهربائية سالبة ٠
(٣) نيوترون : كهربائية موجبة وكهربائية سالبة متعادلتان ٠٠

هل وجدت الكهربائية الموجبة قبلًا أم الكهربائية السالبة ؟ وهو عين ما يقال في الأزواج كلها ، ومن نبات وحيوان ٠ وانسان ٠٠٠ هل مجد الذكر قبلًا أم الأنثى ؟

انه تعالى يقول « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالاً كثيراً ونساءً » ٠ وفي آية أخرى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً »

ورحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » . فالله يدعونا إلى التفكير في هذه المرحلة الخطيرة التي ترد النظرية المادية (Matérialisme) في الصييم ولا يدع مجالاً للنقاش .

فالذى جعل بين الذكر والاثنى مودةً ورحمة جعل بين قوتين مخالفتين : الكهربائية الموجبة والكهربائية السالبة بعد خلقهما مودة ورحمة وتوافقاً ووئاماً : « سبحان الذي خلق الازواج كلها مما نبت الأرض ومن أنفسهم وما لا يعلمون » . (سورة يس : ٣٧) . « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » . (سورة الذاريات : ٥٠) .

فإن قلنا إن الكهربائية الموجبة كانت موجودةً قبلًا ، فكيف خلقت نفسها كهربائية سالبة وكيف أحسست بهذه الحاجة لتكوين الذرة وهي أساس الموجودات المادية على اختلاف أنواعها .

فلا مفر من الاعتراف بخالق أوجد قوتين مخالفتين إما في وقت واحد (والله العالم) أو في زمنين متعاقبين . ووفق بينهما . وان هذا التوفيق لهو أعظم دليل على وجود الله جلت عظمته . خلافاً لمنطق نظرية الاصطدام التي يتنددق بها الماديون : كارل ماركس وأتباعه . دونما تعمق أو إلغاء الناس انتصاراً للصهيونية !

« فإنها لا تعني الأ بصار ولكن تعني القلوب التي في الصدور » . (سورة الحج : ٤٦) . « فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ، حنفاء غير مشركين به ، ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتختطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق . ذلك ، ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب » . (سورة الحج : ٣٠ - ٣٢)

مولد الرسول الأعظم (ص)

(علاقة الاسلام بالعلم والحياة ^(١))

ان نظرة بسيطة الى هذا الكون يجعلنا ان نعلم ان ما خلق الله من عوالم ومخلوقات شتى على ضربين منها تابعة الى نظم ثابتة وخصوصاً معينة لا تتعداها ومنها ما هي مختارة ، لها من الارادة في أن تفعل وان لا تفعل ، في ان تتصدى للخير أو لا تتصدى ، في ان تكون مصدراً للشر أو لا تكون

فهذه العجاذبية التي تضرب بطنابها في هذا الكون الرحيب التي لها قوانينها ودساتيرها مؤتمرة بأمر الله تعالى لا تحيد عنها قيد شعرة (ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده)
وهذه الذرة التي تبلغ من الصغر بحيث لا ترى بادق الآلات والتي لو جمع عشرة ملايين منها على شرط الكروية لا تتجاوز مليمتراً واحداً هي عالم في نفسها . فالالكترونات تدور حول المركز أي البروتونات بنظام خاص وبشكل اهليجي بسرعة (٢٠٠٠) كم في الثانية ولا تختلف عما رسم لها من جانب الله تعالى .

وهناك في المركز نيوترونات وآتني نيوترونات يحكم بوجودها العقل الرياضي ، ونظام خاص في عدد الالكترونات والبروتونات ينشأ من ذلك اختلاف هذه العناصر التي شكلت العالم المادي ، وقد عبأ الله تعالى طاقات في هذه الذرة لو تحررت لأففت العالم في بعض دقائق . كل هذه تابعة الى نظم ثابتة ودساتير معينة ليس لها ان تتحول عنها بارادتها الى غيرها . وهكذا في

(١) كلمة القيمة في حفلة ميلاد الرسول (ص) .

عوالم النبات والحيوان ، الا هذا الانسان فقد منَّ الله عليه بارادة جزئية وجعله مسؤولاً بهذه الارادة تجاه الاوامر التي بلغه ايها بواسطة سفرائه وهم الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام دفعاً للفساد والافساد ولكي يأخذ هذا الانسان سيره التكاملية في هذا الكون . ذلك لأن الذي اعطى الكمال لكل شيء مادي في هذا الكون يريد بالانسان أن لا يحيد عن سنن الكمال . وهو القائل (وما خلقنا السماوات والارض وما بينهما لاعبين ، ما خلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون) . فوجب حسب هذا المنطق الطبيعي ان لا يحيد هذا الانسان عن اتباع اوامر الله تعالى في أرضه وان لا يفسد في الارض « والله لا يحب الفساد » كي يقطع سيره التكاملية في هذا الكون . وآخر هؤلاء السفراء بين خالق البشر والبشر وأكملهم هو نبينا نبي الرحمة محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم . فقد بعث في وقت كانت البشرية مضطهدة تحت نير العبودية والرقية والاستبداد وعبادة الاوثان والفحشاء الى حد بعيد ، فالرسول لم يأت نتيجة تكامل اجتماعي – كما يقول بذلك علماء الاجتماع – وانما هو خارق لنوماميس علم الاجتماع . فقد بعث في بيئه بلغت من التسافل أقصاه وهذا خير دليل انه سفير موقد من جانب الله تعالى ليس للتكامل الاجتماعي أثر في وجوده ، فقد خالف منذ صغره ما كان عليه قريش من المجون والتسافل ولم يحضر مجالسهم بل كان يفكر ويتبع بدھاره نفس مرضية وأخلاق ملکوتية حتى سماه قومه بالأمين .

كما ان هذا الانقلاب العظيم الذي قام به نبينا محمد (ص) في حقول شتى من روحية واجتماعية واقتصادية وعسكرية وادارية وأدبية وعلمية والذي تم خلال ثلاثة وعشرين عاماً لا يمكن حدوثه بالقوة البشرية العادلة المحدودة فلابد من تأييد رباني ونصر إلهي حققا هذا الانقلاب بشكل معجز . كانت رسالة محمد (ص) تحظى طاغوت الشرك بالله وطاغوت التعصب

الديني (لا اكره في الدين قد تبين الرشد من الغي) وطاغوت التعصب الجنسي « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » وطاغوت التفرقة الاجتماعية « كلكم لآدم وآدم من تراب » وطاغوت الظلم والبغى والطغيان وطاغوت الرق وطاغوت الرجل طغيانه على المرأة ، فقررت للمرأة حقوقها الانسانية في صورة شريفة لا رجعة فيها ولا نكسة « للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن » ◦

رسالة محمد (ص) رسالة شاملة عامة تجمع بين سعادة الفرد في دنياه وآخرته ، رسالة رويعي فيها الجانب الروحي والجانب المادي على ضوء العقل والمنطق (لا ضرر ولا ضرار) ، فالاسلام في صنيمه حركة تحريرية من براثن الشرك والطبقية والبغى والتفريق العنصري وكل ما يلوث النفس الانسانية من شهوات ونزوات ◦

الا أن أوروبا عارضت هذا الدين عندما أشرق نوره على أوساط الغرب أشد المعارضة وشوهرت سمعة الاسلام ووصمته بالشرك وان محمدًا إله يعبد ، لذلك يقول أحد فلاسفة الغرب : « إن أوروبا قد ارتكبت أعظم الجرائم عندما سدت أبوابها على المسلمين الفاتحين وحرمت العالم من تعاليم هذا الدين القويم دين الاسلام ، ولو لا هذه المعارضة الأئيمة لرأيت العالم اليوم يوحد الله في أرضه ويطبق أوامر الله وتعاليمه التي أوحى بها الى نبيه الكريم ، فلا تطاحن ولا تبغض » ◦

ولم تكتف أوروبا بخلق الاكاذيب فحسب بل أخذت تتهم الاسلام بأنه دين لا يساير العصر في نظمه وتعاليمه ، فأملأوا على شباننا بعد أن ولجوا في أحضان المادة بما فيها من مآثم وشهوات ، شبهاهات واتهامات ما أنزل الله بها من سلطان ◦

قالوا : إن الاسلام لا يساير العلم ، حين أن المسلمين — حسب اعتراف فلاسفة الغرب وكبار علمائهم — هم مؤسسو النهضة العلمية الحاضرة لأوربا ، وهم مكتشفوا الطريقة التجريبية التي تعرف اليوم بالطريقة البيكونية ، وهم وضعوا الهندسة التحليلية والتحليل الرياضي وعلم الجبر والفلك العالي ، وأ لهم مكتشفات هامة في الحجوم والمساحات ، وان نصف أسماء النجوم في علم الفلك اليوم هي أسماء عربية وهم وضعوا الاسطراطيات ، وقد بنوا مراصد هامة في مختلف البلدان ولا سيما في الاندلس ، وعندما اهدى الخليفة العباسى ساعة الى شارلمان حسبوا أن فيها جنباً يحركها .

غاية ما هنالك كان الدين والتقوى يرافقان العلم ولا ينفكان عنه ، فالمكتشف كان لو اشكت عليه مسألة أو عسر عليه اكتشاف ما يريد اكتشافه توسل الى الله وصلى ركعاتٍ وسائل الله عز وجل في حل مشكلته ، وهذا مما أدى ان لا يكون العلم آلة هدم وتخريب للمعتقدات والفضائل ، بخلاف ما نشاهده في جامعات العالم اليوم .

وقالوا ان الاسلام يدعوا الى الكسل والانزواء ، حين ان الاسلام يأمر بالعمل والجهد المتواصل بشكل لا يؤدي الى الافساد في الارض واهمال النواحي الروحية والعبادية . وهو القائل « فامشو في مناكبها وكلوا من رزقه وعليه النشور) . إن رسول الله (ص) قبل ذات يوم يد عامل قائلاً : « إنها يد يحبها الله » تقديراً لمقام العامل في المجتمع . وقد جاء في حديث : « إن ربكم عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ولأهلتك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه » .

وفي حديث قال رسول الله (ص) : « ليس خيراً لكم من ترك دنياه لآخرته أو ترك آخرته لدنياه ، بل خيراً لكم من أخذ من هذه وهذه » .

وقالوا لمَّا أقر الاسلام الرق ، ؟ الاسلام لم يقر الرق وانما نظام الحروب

في العصر الجاهلي كان يحتم ذلك والاسلام قد الغى الرق بصورة تدريجية في جعل أحد وجوه مصروفات بيت المال عتق الرقاب . بقوله تعالى « وفي الرقاب » .

وقالوا إن الاسلام قام بالسيف ، حين أن الاسلام كان مدافعاً عن مبدئه وان مائتي مليون في الصين واندونيسيا والهند اسلموا بمجرد الدعوة ، وهكذا اضافوا أكاذيب أخرى ، الاسلام منها براء ، ولا مجال لذكرها . فما على المسلمين لا سيما الشباب المؤمن الا أن يقوموا بتطبيق قواعد الاسلام وازاحة هذه الرواسب البعيدة عن الحق والواقع وان يرفعوا لواء الاسلام عالياً وبجهاد متواصل ليتحقق ما تنبأ به بعض علماء الغرب من جعل الاسلام ديناً عالمياً فلا تسمع في جميع بقاع الارض الا : لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، محمد رسول الله .

ليلة الميلاد (١)

ما أبهجها من ليلة وما أسعدها ، إنها ليلة حافلة بالخيرات والبركات للناس كافة ، ليلة تضم بين جوانبها رجلاً عظيماً يفوق العظام ومنقذاً للبشرية جموعاً لا كساور المنقذين (٢) .

إنها ليلة يولد في صبيحتها في بيت الله الحرام سيد الوصيين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين عليٌّ أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام .
أني لانسان عادي أن يصف مَنْ بلغ مرتبة النبوة كمحمد (ص) أو مرتبة الامامة كعلي (ع) ، إنها من عوالم القدس ، حيث ليس لمقاييس المادية أن تخطو هنالك خطوة واحدة . إنه عالم تكاملٍ نفسيٍّ ، ولا يمكن تفهم هذا الصُّقُح الشامخ من عوالم النفس بمقاييس متعارفة بشرية . لذلك ، يقول الغزالي ، ليس للطفل أن يتفهم ما يقوم به فيلسوف متبحرٍ من محاكيم واستنتاجات واستقراءات . وذلك أشبه شيء بمن يريد تفهم الرياضيات العالية بمقاييس الرياضيات العادية .

فليس علي (ع) من يمكن وصفه بمقاييس معلومة يفهمها الناس ، وإنما شأنه شأن الأنبياء (ع) . يمكن التعرف إليه بما صدر عنه من آثارٍ وابداع . حقاً أنه لمن الصعوبة بمكان ، بل من المستحيل أن يقوى أحد على وصف رجلٍ يقول فيه رسول الله (ص) مخاطباً إياه :

« لو كانت السماوات قرطاً والأشجار أقلاماً والبحار مداداً والأنس كتاباً والجن حساباً ، لما أحصوا معشار فضائلك ، يا علي » .

(١) القيت ليلة ميلاد الامام علي عليه أفضل الصلاة والسلام .

(٢) عدا نبينا محمد صلى الله عليه وآلـه وسلم .

أَنِّي لرجل أَنْ يُصَفَّ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « لَوْلَا أَنِّي أَخْشَى عَلَى أُمَّتِي أَنْ تَقُولَ فِيكَ مَا قَالَتِ النَّصَارَى فِي الْمَسِيحِ لَقُلْتَ فِيكَ قَوْلًا مَا مَرَرْتُ بِقَوْمٍ إِلَّا وَأَخْدُوا التَّرَابَ مِنْ تَحْتِ قَدَمِيْكَ يَتَبَرَّكُونَ بِهِ » ٠ وَهُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ : « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى آدَمَ فِي عِلْمِهِ وَإِلَى نُوحَ فِي عِبَادَتِهِ وَإِلَى إِبْرَاهِيمَ فِي خِلْتِهِ وَإِلَى مُوسَى فِي هِبَّتِهِ وَإِلَى عِيسَى فِي زَهَدِهِ وَإِلَى يَحْيَى فِي وَرْعَهُ ، فَلَيَنْظُرْ إِلَى عَلِيٍّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَإِنْ فِيهِ سَبْعِينَ خَصْلَةً مِنْ خَصَالِ الْأَنْبِيَاءِ » ٠

كَيْفَ يَوْصِفُ مَنْ يَقُولُ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ (ص) عَلَى مَا يَرْوِي لَنَا عُمْرُ : « لَوْ وَضَعْتُ إِيمَانَ عَلِيٍّ فِي كَفَةٍ وَالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضُونَ فِي كَفَةٍ لَرَجَحَ إِيمَانُ حَلِيٍّ » ٠٠٠

كَيْفَ لَا يَكُونُ عَلِيٌّ كَذَلِكَ وَهُوَ الَّذِي كَانَ يَغْمِي عَلَيْهِ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ تَعَالَى كُلَّ لِيَلَةٍ مَرَاتٍ ٠ وَكَانَ يَكْتَفِي بِالْمَلْحِ أَدَمًا ، وَكَانَ يَحْمِلُ عَلَى ظَهْرِهِ الطَّعَامَ جَوْفَ اللَّيلِ إِلَى بَيْوَاتِ الْأَرَامِلِ وَالْفَقَرَاءِ ٠ وَقَدْ طَلَقَ الدُّنْيَا ثَلَاثًا وَهُوَ مَصْدَاقُ هَذِهِ الْآيَةِ : « الَّذِينَ يَنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ سَرًا وَعَلَانِيةً » ٠ فَإِنْ قُوَّةُ إِيمَانِ الشَّخْصِ لِيَتَنَاسَبَ مَعَ دَرْجَةِ تَطْهِيرِ نَفْسِهِ وَقِيَامِهِ بِأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ وَمَنْ مِثْلُ عَلِيٍّ فِي هَذَا الْمُضْمَارِ؟ فَحَقِيقَ أَنْ يَقُولَ بِشَأنِهِ رَسُولُ اللَّهِ (ص) : بَرَزَ الْإِيمَانُ كَلَهُ إِلَى الشَّرْكِ كَلَهُ ٠

وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : « عَبْدِي أَطْعَنِي ، أَجْعَلْكَ مَثْلِي تَقُولُ لِلشَّيْءِ كَنْ فِيْكُونَ » ٠ وَلَذَلِكَ ظَهَرَ عَلَى يَدِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَثِيرًا مِنَ الْمَكْرَمَاتِ وَالْمَعَاجِزِ مَا يَحِيرُ الْأَلْبَابَ ٠

فَهُجُجُ الْبَلَاغَةِ كَتَابٌ حَوْيَ أَصْوَلَ الْفَلْسُفَةِ الْحَقَّةَ عَنِ الْكَوْنِ وَالْحَيَاةِ وَمَصِيرِ الْإِنْسَانِ وَوَاقِعِهِ وَأَصْوَلِ الْإِقْتِصادِ ، حِيثُ لَا يَضْحِي بِالْفَرْدِ عَلَى حِسَابِ الْمَجَمُومِ وَلَا بِالْمَجَمُومِ عَلَى حِسَابِ الْفَرْدِ ، حَوْيَ أَسْسَ اِدَارَةِ شَؤُونِ الْبَلَادِ وَمَا

يربط الشعب بالهيئة الحاكمة من حقوق ، فهو كتاب فلسفى ، اجتماعى ، عرفانى ، اقتصادى ، ادبى ، وفيه فصل الخطاب في كل حقل يحتاجه الانسان في سيره التكاملى .

فليس لله بعد رسول الله (ص) آية أكبر من على (ع) ، في جميع الحقوق من علمية وفلسفية وغيرهما .

يسأله عليه السلام : عن المسافة بين السماء والأرض ، فيجيب (ع) :
ـ دعاءـ مستجاب ٠٠٠

حقاً ، أن هذا الجواب ، آخر ما يمكن أن يقال بشأن هذا الفضاء الانهائى الرحيب ، فقد اكتشف أخيراً أن هناك مجرات وكواكب تبعد عنا آلاف الملايين من السنين الضوئية وانها تبتعد بعضها عن بعض بسرعة هائلة وان الكون يتسع كل يوم ولا يعلم مدى ذلك وهو قوله تعالى : « والسماء بنيناها بأيديٍ وإنا لموسعون » . ومعلوم أنه لا يخلو مكان منه تعالى وهو القائل : « ونحن أقرب اليه من حبل الوريد » . فقول علي : « دعاء مستجاب » يسري في جميع أنحاء هذا الكون الواسع الأرجاء .

ثم يسأل صلوات الله عليه : كم بين المشرق والمغرب فيجيب : « مسيرة يوم للشمس » . ولم يكن ليعلم ان للشمس حرقة إلا قبل حوالي ٥٠ عاماً حيث تقدمت العلوم الرياضية العالية والميكانيك السماوي والمراقب . فعلموا أن الشمس مع توابعها من عطارد وزهرة وأرض ومريخ ومشتري وزحل وأورانوس ونپتون وپلوتو كلها تسير في الفضاء بسرعة سبعين الف كيلومتر في الساعة بشكل لولبي نحو نجمة تسمى بالنصر الواقع . وهو قوله تعالى : والشمس تجري لستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » .

يسأله عليه السلام عن مسائل رياضية ، فيجيب ارتجالاً دونما حساب وتفكير . يسأل عن عدد يقبل القسمة على ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٠٠٠ الى ١٠ فيقول

وهو يهمز فرساً له : « إضرب أيام سنتك في أيام أسبوعك » .
 يسأل عن مسائل فيزيائية ، فيحلها بشكل عملي وملعون ان علم الفيزياء
 لم يكن معلوماً في الجزيرة العربية في ذلك الوقت .

يُسأَلُ عَنْ قَطْرِ الشَّمْسِ ، فَيَجِيبُ ، ٩٠٠٠ مِيلًا أَيْ : ٩٠٠٠ مِيلٌ وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمِيلَ : ٤٠٠٠ ذِرَاعٌ لِرَجُلٍ مُتَوَسِّطِ الْقَامَةِ ، فَلَوْ حَوْلَنَا الذِرَاعَ إِلَى اِنْجَاتِ فَأَقْدَامٍ ، فَيَارِدَاتٍ ، فَأَمِيلَاتٍ ، لِحَصْلَنَا عَلَى عَيْنِ مَا عَلَيْهِ الْفَلَكُ الْعَالِيِّ الْيَوْمَ مِنْ أَنَّ قَطْرَ الشَّمْسِ ٨٦٥٣٨٠ مِيلًا (الميل = ١٧٦٠ يَارَدَةً) .

وهكذا نرى علياً قد قذق العلم زقاً ، وهو القائل : « هذا لعب رسول الله،
هذا ما زفني رسول الله » علمني رسول الله ألف باب من العلم ينفتح لي من
كل باب ألف باب » هذا هو تعظيم الاسلام للعلم .

يقول علي عليه السلام : « بالعلم يُعرَفُ اللهُ وَيُوَحَّدُ » . ويقول في مقام آخر ، : « كثرة العلم في غير طاعة الله مادة الذنوب » .

لو قارنا بين هذين الحديثين لعلمتنا أن العلم لا يمكن أن يكون موصلاً للحق الواقع وطريقاً للمهادنة ما لم يكن مقروراً بطااعة الله تعالى ، ما لم يكن مماشياً مع التقوى . فإن تباعد العلم عن التقوى وصار في معزل عن تهذيب النفس، أصبح وبالاً على الفرد بل على البشرية جماء ، كما نشاهد ذلك اليوم فضعف العقائد والاستهزاء بال المقدسات أو تسخيف الدين إنما هي نتيجة ثقافة عاريةٍ عن أساليب تكامل النفس وتهذيبها وتطهيرها من الدنس والرجس . ولم يكن شيوخ المذاهب الباطلة من مادية وجودية وغيرهما في أوروبا وغير أوروبا إلا نتيجة انفصال العلم عن تكامل النفس الإنسانية وجعل العلم المادي وحده معبوداً يعبد ، حلالاً لل المشكلات الاجتماعية والنفسية وغيرهما . على أن عدداً يسيراً من رجال الفكر في أوروبا أخذوا ينددون بهذه الحضارة المادية التي لا تنبض إلا بشهوات ونزوات ، ولا تصدر إلا عن مادية

مظلمة حالكة . ولكن تيارات الشهوات الجارفة لم تدع أذناً صاغية لنداءاتهم حتى صرنا نجابه عالماً مسلوب الفضيلة والعاطفة شأنه الطيش والبطش .
فما الذي يرجع العالم الى طمأنينة ودعة ، إنما هو علم يمازجه التقوى ،
يمازجه عبادة الله في أرضه ، إنما هو علم مع إيمان بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

فالعالم بحاجة الى هداة مهديين يهدون الناس سواء السبيل ، فقد قال علي عليه السلام : « أرسل رسولاً ليزيل به علتهم » . فالناس مرضى والأنباء عليهم السلام ومن بعدهم الأوصياء هم المعدلون .

ويقول علي (ع) في موضع آخر : « أرسل أنبياء ليثروا في الناس دفائن عقولهم ويهدوهم الى معايش تحببهم » . فالأنبياء مع اتمامهم مكارم الأخلاق ليحثون الناس على تعلم شتى العلوم ويهدونهم الى طرق اقتصادية تتحقق فيها العدالة الاجتماعية والإيثار . « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » . « والذين يؤمنون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنفسهم الى ربهم راجعون ، أولئك يسأرون في الخيرات وهم لها سابقون » .

فما واجب المسلم تجاه الوضع العالمي الراهن ؟ عالم يسوده الزيف والانحراف . واما في الوطن الإسلامي ، فتيارات مختلفة تجرف عقائد شبابنا وتجعل منهم أعداءً لدينهم ومقدساتهم .

فهنا واجبان خطيران : أولاً : هداية الشباب بطرق عصرية مجدهية من فتح نوادي إسلامية بشكل جذاب وإلقاء محاضرات عليهم وتفهيمهم : أن الإسلام هو دين الحضارة الحقة وتعليمهم آداب دينهم . فالشاب المسلم يقضي أوقات فراغه في هذه النوادي لتهذيب نفسه وأخذها الى مراتب الكمال ويتعلم كيف يرشد الناس الى الدين القويم .

ثانياً : أن ينبري ثلة من رجالات الإسلام لتشكيل جمعية ذات فروع تأخذ على عاتقها تهيئة دعاءٍ للإسلام من الشباب المؤمن . دعاءٌ تسلحوا بسلاح التقوى وسلاح العلم من ديني وعصري ، فيوزعون في أرجاء العالم للدعوة البشر إلى دين الإسلام تحت نظام خاص ومناهج منتظمة ومسؤوليات معينة . وهكذا يستثير العالم بهداهم ويكون الإسلام دين الفطرة ديناً عالمياً كما تنبأ (بر فاردشوا) من قبل .

« والذين جاهدوا فينا لئن هدینهم سبّلنا وأن الله لمع المحسنين » .
فالى العمل ، الى العمل المتواصل أدعوا كل مسلم غيور .



مسألة رياضية يحلها علي عليه السلام

قال السيد الداماد في بعض مؤلفاته في كتاب قبس الأنوار في الأوقاف الحروفية والعددية : كان علي بن أبي طالب عليه السلام يقول بالحروف وكان أحسن الناس ، ثم تقل هذه الرواية : أن يهودياً أتاه ، فقال : يا علي ، أعلمني أي عدد يتصحح منه الكسور التسعة جميعاً من غير كسر وكذلك من كل من كسوره التسعة الا من خمسة ، فيكون له كل من الكسور التسعة مصححاً من غير كسر الا : الشمن لربعه والربع لشمنه والسبعين لسبعينه والتسعه لتسعه والشمن لشمنه ، قال عليه السلام : إن أعلمتك تسليم ؟ قال : نعم . فقال : إضرب أسبوعك في شهرك ، ثم ما حصل لك في أيام سنتك ، تظفر بمطلوبك . فضرب اليهودي سبعة في ثلاثين فكان المرتقى : (٢١٠) ، فضرب ذلك في ثلاثة وستين ، فكان الحاصل : (٧٥٦٠) . فوجد بعنته ، فأسلم . حل^٢ وتوضيح : بما أنه يجب أن يكون للنصف ، نصف وثلث وربع وخمس وسدس وسبعين وثمان وتسع وعشرين . إذن يجب أن يكون للعدد المطلوب $\frac{1}{2} \times \frac{1}{4} = \frac{1}{2}$.

أي يجب أن يقبل العدد القسمة على $2 \times 2 = 2^2$. ويجب أن يقبل القسمة على 2×3 لانه يجب أن يكون للنصف ثلث أي $\frac{1}{2} \times \frac{1}{3} = \frac{1}{6}$. أي يجب أن يكون للعدد سدس .

وهكذا يجب أن يكون لنصف العدد المطلوب ربع أي : $\frac{1}{2} \times \frac{1}{4} = \frac{1}{8}$. فيجب أن يقبل العدد القسمة على : $2 \times 4 = 2^3$ وعلى 2×5 . وعلى $2 \times 6 = 2 \times 2 \times 3$ أو $2^2 \times 3$.

(1)

وعلی ۲ × ۷

$$٤٢ = ٣٢ \times ٢ = ٨ \times ٦$$

$$٢٣ \times ٢ = ٩ \times ٢$$

$$0 \times 2 = 0 \times 2 \times 2 = 10 \times 2$$

وبما انه يجب أن يكون لثلث العدد نصف وثلث وربع ٠٠٠ وعشرون فيجب

ان يقبل القسمة على : $2 \times 3 = 6$ لأن $1/3 \times 2 = 2/3$

(ب)

$$وعلی ۴ \times ۳ = ۲ \times ۶$$

$$0 \times 3 = 0 \times 3$$

$$2 \times 3 = 2 \times 3 \times 3 = 6 \times 3$$

$$٧ \times ٣ = ٧ \times ٣$$

$$٣٢ \times ٣ = ٨ \times ٣ \quad \text{وعلى}$$

$$\text{وعلی } ۳ = ۲ \times ۳ = ۹ \times ۱$$

$$٥ \times ٢ \times ٣ = ١٠ \times ٣$$

بأن تكون لها العدد نصف وثلث و

وبما انه يجب أن يكون لربع العدد نصف وثلث وربع وخمس .٠٠٠٠ الخ

$$\therefore \left(1/\lambda = 1/\gamma \times 1/\varepsilon \right)$$

اذن وجب أن يقبل العدد القسمة على ٤ \times ٢ = ٢ \times ٢٢ = ٤٤

$$وعلی ۴ \times ۳ = ۲ \times ۳$$

$$(ج) ٤٢ = ٢٢ \times ٢ = ٤ \times ٤ \quad \text{وعلى ٤} \times ٤$$

$$0 \times 2 = 0 \times 4$$

$$وعلی ٤ \times ٤ = ٣ \times ٢ \times ٣ = ٣ \times ٣ \times ٣$$

$$٧ \times ٢ = ٧ \times ٤$$

$$٥٢ = ٣٢ \times ٢٢ = ٨ \times ٤$$

$$وعلی ٤ \times ٩ = ٢٣ \times ٢$$

- ١٢٢ -

$$\text{وعلى } ٥ \times ٣ \times ٢ = ١٠ \times ٤$$

وبما انه يجب أن يكون الخمس العدد نصف وكذلك ثلث وربع وخمس

$$\text{٠٠٠ الخ . ولما كان } (١/٥ \times ١/٥ = ١/٢)$$

اذن وجب أن يقبل العدد القسمة على $٥ \times ٣ \times ٢$

$$\text{وعلى } ٥ \times ٣$$

$$\text{وعلى } ٣ \times ٢ \times ٥ = ٤ \times ٥$$

$$\text{وعلى } ٣ \times ٢ = ٥ \times ٥$$

$$(د) \quad \text{وعلى } ٥ \times ٦ = ٣ \times ٢ \times ٥$$

$$\text{وعلى } ٧ \times ٥ = ٧ \times ٥$$

$$\text{وعلى } ٣ \times ٥ = ٨ \times ٥$$

$$\text{وعلى } ٣ \times ٥ = ٩ \times ٥$$

$$\text{وعلى } ٢ \times ٥ = ١٠ \times ٥$$

وبما انه يجب أن يكون لسدس العدد نصف وكذلك ثلث وربع

وخمس . ٠٠٠ الخ

اذن وجب ان يقبل العدد القسمة على $٦ \times ٣ \times ٢ = ٢ \times ٣ \times ٢ = ٢ \times ٣ \times ٢$

$$\text{وعلى } ٦ \times ٣ \times ٢ = ٣ \times ٣ \times ٢$$

$$\text{وعلى } ٦ \times ٣ \times ٢ = ٤ \times ٣ \times ٢$$

$$(هـ) \quad \text{وعلى } ٦ \times ٥ \times ٣ \times ٢ = ٥ \times ٣ \times ٢$$

$$\text{وعلى } ٦ \times ٣ \times ٢ = ٣ \times ٢ \times ٣ \times ٢ = ٦ \times ٣ \times ٢$$

$$\text{وعلى } ٦ \times ٧ \times ٣ \times ٢ = ٧ \times ٣ \times ٢$$

$$\text{وعلى } ٦ \times ٣ \times ٤ = ٣ \times ٣ \times ٢ = ٨ \times ٣ \times ٢$$

$$\text{وعلى } ٦ \times ٣ \times ٢ = ٣ \times ٣ \times ٢ = ٩ \times ٣ \times ٢$$

$$\text{وعلى } ٦ \times ٥ \times ٣ \times ٢ = ٥ \times ٣ \times ٢ \times ٣ \times ٢ = ١٠ \times ٣ \times ٢$$

وبما أنه يجب أن يكون لسبع العدد نصف وكذلك ثلث وربع
وخمس ٠٠٠ الخ

إذن وجب أن يقبل العدد القسمة على 7×2

وعلى 7×3

$2 \times 7 = 4 \times 7$ وعلى 7×4

(و) 5×7 وعلى 7×5

$3 \times 2 \times 7 = 6 \times 7$ وعلى 7×6

وعلى 7×7

$2 \times 3 \times 7 = 8 \times 7$ وعلى 7×8

$3 \times 3 \times 7 = 9 \times 7$ وعلى 7×9

$5 \times 2 \times 7 = 10 \times 7$ وعلى 7×10

وبما أنه يجب أن يكون لثمن العدد نصف" وكذلك ثلث وربع
وخمس ٠٠٠ الخ

إذن وجب أن يقبل العدد القسمة على $8 \times 2 = 2 \times 3 \times 2 = 4 \times 2$

وعلى $8 \times 3 \times 2 = 3 \times 3 \times 2 = 6 \times 2$

وعلى $8 \times 4 \times 2 = 2 \times 3 \times 4 = 8 \times 3$

(ز) $5 \times 3 \times 2 = 5 \times 2 \times 3 = 5 \times 6$ وعلى 8×6

$3 \times 4 \times 2 = 3 \times 2 \times 4 = 3 \times 8$ وعلى 8×3

وعلى $8 \times 7 \times 2 = 7 \times 3 \times 2 = 7 \times 6$

وعلى $8 \times 8 \times 2 = 2 \times 3 \times 4 = 8 \times 6$

وعلى $8 \times 9 \times 2 = 3 \times 3 \times 4 = 9 \times 6$

$5 \times 4 \times 2 = 5 \times 2 \times 4 = 10 \times 8$ وعلى 8×10

وبما أنه يجب أن يكون لتسع العدد نصف وكذلك ثلث وربع ٠٠٠ الخ

دون باقٍ

إذن وجب أن يقبل العدد القسمة على $9 \times 2 = 2 \times 3^2$

وعلى $9 \times 3 = 3 \times 3^2$

وعلى $9 \times 4 = 2 \times 2^3$

(ج) وعلى $9 \times 5 = 5 \times 3^2$

وعلى $9 \times 6 = 3 \times 2 \times 3^2$

وعلى $9 \times 7 = 7 \times 3^2$

وعلى $9 \times 8 = 2 \times 2^3 \times 3^2$

وعلى $9 \times 9 = 3^2 \times 3^2$

وعلى $9 \times 10 = 2 \times 5 \times 3^2$

وبما أنه يجب أن يكون لعشر العدد نصف" وكذلك ثلث وربع

وخمس٠ الخ

إذن وجب أن يقبل العدد القسمة على $10 \times 2 = 2 \times 5 \times 2 = 5 \times 2^2$

وعلى $10 \times 3 = 3 \times 5 \times 2$

وعلى $10 \times 4 = 2 \times 5 \times 2 = 5 \times 2^3$

وعلى $10 \times 5 = 5 \times 5 \times 2 = 5 \times 2^4$ (ط)

وعلى $10 \times 6 = 3 \times 2 \times 5 \times 2 = 3 \times 2 \times 10$

وعلى $10 \times 7 = 7 \times 5 \times 2$

وعلى $10 \times 8 = 2 \times 2 \times 5 \times 2 = 2 \times 2 \times 10$

وعلى $10 \times 9 = 3 \times 5 \times 2$

وعلى $10 \times 10 = 5 \times 2 \times 5 \times 2 = 10 \times 10$

فالمضاعف المشترك البسيط لجميع هذه الأعداد هو :

$62 \times 43 \times 27 \times 25 \times 81 \times 64 = 49 \times 250400 = 6350400$

فلو رجعنا الى حل المسألة كما في المنطوق وقمنا بالعملية الآتية :

$$7 \times 30 \times 360 \text{ (عدد أيام الأسبوع في عدد أيام الشهر في عدد أيام السنة)}$$

$$\cdot \quad \quad \quad 0 \times 3 \times 2 = 30$$

$$0 \times 3 \times 2 = 360$$

$$\text{إذن : } 7 \times 30 \times 360 = 360 \times 2 \times 7 = 360 \times 2 \times 3 \times 2 \times 5 = 360 \times 2 \times 3 \times 2 \times 5 \times 23 \times 32 \times 25$$

$$75600 = 25 \times 33 \times 42 \times 7$$

فلا يوجد في حاصل الضرب الأخير ٦٢ أو ٣٢ × ٨ = ٨ × ٨

فلا يكون له ثمن الشمن (كما هو منطوق المسألة)

ولا يوجد في حاصل الضرب الأخير ٩ × ٩ = ٩ × ٢٣ = ٤٣

إذن لا يكون له ربع الشمن أو ثمن الربع (كما في المنطوق) ولا يوجد

الضرب الأخير ٤ × ٨ = ٨ × ٢٢ = ٣٢ = ٠٢

إذن لا يكون له ربع الشمن أو ثمن الربع (كما في المنطوق) ولا يوجد

في حاصل الضرب الأخير ٧ × ٧ = ٧ = ٠٧

إذن لا يكون له سبع السبع ٠ (كما في المنطوق)

فطريقة الحل : أن يؤخذ المضاعف المشترك البسيط للنتائج الأخيرة ،

(أ) ، (ب) ، (ج) ، (د) ، (ه) ، (و) ، (ز) ، (ح) ، (ط) ، فيكون

هذا المضاعف = ٦٢ × ٤٣ × ٢٥ × ٢٧ = ٠٢٧

وبما أنه يجب أن لا يكون للعدد المطلوب سبع السبع ، $1/7 \times 1/7 = 1/49$

إذن وجب أن يكون أنس ٧ في المضاعف المشترك البسيط واحداً ٠

وبما أنه يجب أن لا يكون للعدد المطلوب تسع التسع أو $1/9 \times 1/9 = 1/81$

أو $1/27 \times 1/27 = 1/729$ ، إذن وجب أن يكون أنس ٣ في المضاعف

المذكور ٣ أي ٣٠

وبما أنه يجب أن لا يكون للعدد المطلوب ربع الشمن أو $1/4 \times 1/4 = 1/16$ أو

$1/2 \times 1/2 = 1/4$ إذن وجب أن ينزل أَسْ ٢ إلى ٤ فيكون ٤ في المضاعف المشتركة البسيط . لأن العدد لا يقبل القسمة على ٠٢ أو لا يكون له ربع الشمن ما لم يكن أحد عوامله ٠٢ وكذا الحال في ثمن الربع =

$$1/8 \times 1/2 \times 1/2 = 1/64$$

وبصورة طبيعية لا يكون للعدد المذكور : أي (٧٥٦٠٠) ثمن الشمن ، ذلك لأننا نزلنا أَسْ ٢ إلى ٤ أي جعلناه ٤ والعدد لا يكون له ثمن الشمن = $1/8 \times 1/2 \times 1/2 = 1/64$ ما لم يكن فيه العامل ٦٢ وقد حذفناه بجعل الأَسْسِ ٢ ، ٤ (أربعة) .

فتكون العوامل للعدد المطلوب ايجاده كما يلي :

$$= 7 \times 5 \times 3 \times 2 \times 3 \times 2 \times 5 \times 7 = 25 \times 210$$

$$75600 = 7 \times 5 \times 3 \times 2 \times 30 \times 8 \times 9 \times 5 = 360 \times 210$$

وهو حاصل ضرب أيام الأسبوع في أيام الشهر ثم في أيام السنة . كما قال به الإمام عليه أفضل الصلاة والسلام .



مِيلاد الزهراء عليها السلام^(١)

ما أبهجها من ليلة ، إنها ليلة يحتفى فيها بذكرى ميلاد سيدة النساء فاطمة الزهراء سلام الله عليها . فإنها كانت قد بلغت من الكمال أوجاً قاصياً . كان يحبها رسول الله (ص) حباً جماً . فإذا دخلت عليه قام لها وأجلسها في مجلسه ، وإذا قصد سفراً كان آخر الناس عهداً به فاطمة وإذا قدم من سفر أتى المسجد فصلى فيه ركعتين ثم ثنى بفاطمة (ع) ثم يأتي أزواجه . وهكذا كانت فاطمة عليها السلام موضع حفاوة رسول الله (ص) . فقد روى كل من البخاري ومسلم والترمذى عن النبي (ص) انه قال : « كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء الا مريم ابنة عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، وخدیجة بنت خویلد ، وفاطمة بنت محمد » .

ذلك لأن النساء من حيث الطاقات أقل من الرجال كما يقول ذلك العالم الاجتماعي (پردون) . إنه يقول : « إن الحياة الاجتماعية تتتألف من طاقات ثلاثة : العلم والعمل والعدالة . وان نسبة طاقات الرجل الى طاقات المرأة كنسبة ٣ الى ٢ أي $\frac{3}{2}$ ، فللعلم $\frac{3}{2}$ ، وللعمل $\frac{3}{2}$ ، وللعدالة $\frac{3}{2}$. إذن $\frac{3}{2} \times \frac{3}{2} \times \frac{3}{2} = \frac{27}{8}$ فتشتمل من هاهنا أن نسبة طاقات الرجل الى المرأة كنسبة ٢٧ الى ٨ أي : $\frac{27}{8}$.

يقول الله تبارك وتعالى : « الرجال قوامون على النساء » وفي آية أخرى : « للرجال عليهن درجة » .

(١) القيت هذه الكلمة في حلقة اقيمت من قبل الطلاب الجامعيين احياءً لذكرى ميلاد سيدة النساء (ع) في ٢٠ ج ١٣٨٢ في الكاظمية .

ومما لا مراء فيه ان التكامل العلمي انما كان من قبل الرجال ، وإن عقول الرجال هي التي جاءت بهذه الكتلة من المكتشفات والمخترعات والنظريات فلم تتبغ امرأة في العلوم العقلية وفي المكتشفات الرياضية والفلكلية والفيزيائية الى ما هنالك الا (مادام كوري) : استاذة الفيزياء في جامعة (صوربون) . فقد جاءت بنظرية الاشعاع حين أخفت في جيبيها قطعة من الراديوم كانت قد علمت وزنها قبلًا . وقد أكمل الفيزياويون هذه النظرية حتى بلغوا الى تحطيم الذرة ودستور اكتشافه (آينشتاين) $\text{ط} = \kappa \text{ع}^2$.

أي أن الطاقة التي ادخلها الله تعالى في بطن الذرة تعادل مربع سرعة الضوء مضروباً في الكتلة . وما أعظم هذه الطاقة . فليتق الانسان رباه عندما يشاهد ما أودع الله في هذا الكون من طاقات هائلة تحرير الأنابيب .

سادتي ، ان العالم بأجمعه عالم كمال في الحياة المادية . فلو أبصرتم ما في بطن الذرة من كمال وما أودع الله من كمال فائق في كل جزء من أجزاء هذا الكون الرحيب ، لعلتم ان ما من شيء في هذا العالم المادي الا وقد بلغ أقصى مراتب الكمال . وان هذا الانسان بغروره وخيلائه لهو شيء ضئيل وضئيل جداً في هذا الكون اللانهائي .

وقد يكون الانسان مغروراً بمركزه في هذا الكون . ولكن شمسنا هذه التي هي أكبر من أرضنا هذه ٣٠٠٠٠٠٠ مرة تقريباً ما هي الا نجم متوسط الحجم من نجوم مجرة (درب التبانة) التي يبلغ عددها مئة الف مليون نجم تقريباً . وليس شمسنا هذه ومع الأسف واقعة في منتصف هذه المجرة الكبيرة جداً ولكنها واقعة قرب الطرف على الحافة تقريباً في موقع مداره ، ليس من العظمة في شيء .

وأعظم من هذا فقد علم الفلكيون أن هناك من (المجرات) في الكون بعد النجوم الموجودة في مجرتنا هذه : (درب التبانة) . إذن ما قيمة هذا

الانسان المغدور بنفسه في هذا الكون الرحيب الذي لا يمكن الوصول الى غوره وأعماقه . هذا الكون الذي كلما كملت آلات الرصد والعلوم الرياضية والفيزيائية والكيميائية عثروا فيه على شموس و مجرات و سديم أخرى تدهش العقول والألباب .

والانسان وهو على سطح الأرض يتحرك بحركات شتى . انه يتحرك مع سطح الأرض حين تدور حول نفسها وسرعتها باتجاه دورانها تبلغ ربع الميل في الثانية أي (٩٠٠ ميل في الساعة) اذا كان على خط الاستواء وأقل من ذلك كلما قارب القطبين .

والشمس وكواكبها تسير في هذا الكون الرحيب بالنسبة الى جاراتها النجوم ، بسرعة هائلة (٧٣٠٠٠) كم / ساعة على شكل لولبي نحو نجمة تسمى بالنسر الواقع : «والشمس تجري لستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم» .
وان الشمس كما قلنا هي نجم من نجوم مجرة «درب التبانة» وهذه كالمجرات الأخرى تدور حول نفسها بسرعة هائلة وشمسنا تدور معها طبعاً ونحن ندور مع أرضنا أيضاً وسرعة مجرتنا هذه حين دورانها حول نفسها مائة وعشرون ميلاً في الثانية أي : ٤٣٢٠٠٠ ميل / ساعة .

وأن المجرات تتباعد بعضها عن بعض بسرعة هائلة ، بسرعة تتراوح بين (٦٠٠ - ٤٠٠٠٠) ميل / ثانية فيتسع هذا الكون يوماً بعد يوم ويتحقق قوله تعالى : « والسماء بنيناها بأيدٍ وإنما ملوسعون » .

فما هي قيمة الانسان في هذا الكون الفسيح ان هو لم يعبد الله تبارك وتعالى ولم يخشع ولم يقم بأعمال صالحات تطهيرًا لنفسه وابلاغها مراتب

الكمال . وهل يحق للإنسان أن يغتر بنفسه لأن الله من^ه عليه فعْرَفَه شيئاً ضئيلاً مما أودع من كمال في هذا الكون . وهل كان للإنسان دخل في سير الشموس وال مجرات وفي صنم الذرة !

« يا أيها الإنسان ما ملأ غرتك بربك الكريم الذي خلقك فرسواه فعدلك ، في أي صورة ما شاء ركبك ، كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين ، كراماً كاتين ، يعلمون ما تفعلون » (١) .

والأوصياء عليهم السلام .

فالأنبياء والأوصياء معصومون من الزلل وهم قدوة للكمال البشري . وقد جعل الله تعالى للنساء قدوةً من النساء الصالحات ، وان فاطمة الزهراء سيدة النساء الكاملات . بل هي قدوة للرجال وللبشر أجمع . كيف لا تكون كذلك وهي التي عبد الله تبارك وتعالى حتى تورمت قدمها . يقول الحسن (ع) رأيت فاطمة (ع) قامت في محرابها ليلة جمعتها ، فلم تزل راكعةً ساجدة حتى اتضحت عمود الصبح وسمعتها تدعوا للمؤمنين والمؤمنات وتسيمهم وتكرش الدعاء لهم ولا تدعوا لنفسها بشيء . فقلت لها ألا تدعين لنفسك . فقالت : يا بُنِي ، الجار ثم الدار . وهي التي أوصت أن توضع في كفنها قارورة كانت قد جمعت فيها بعض ما ذرفت من الدموع خوفاً من الله تعالى . ونراها تبذل ما لديها في سبيل الله تعالى لتحكيم دعائم الإسلام . فقد روى أحمد بن حنبل أن رسول الله (ص) رأى ذات يوم مسحأ (وهو كساء معروف) على باب دار فاطمة ورأى على الحسن والحسين قلبيين (أي سوارين) من فضة فرجع ولم يدخل عليهما . فظنت أنه لأجل ما رأى . فهتك الستر وزرعت القلبيين عن الصبيين فقطعتهما ، فبكى الصبيان ، فقسمته بينهما . فانطلقوا إلى رسول الله (ص) وهما يبكيان ، فأخذنه رسول الله منهمما وقال : « يا ثوبان ، إذهب بهذا إلىبني فلان ، واشتري لفاطمة قلادة من عَصْب (هو سن دابة بحرية) وسوارين من عاج . فإن هؤلاء أهل بيتي ، ولا أحب أن يأكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا » .

وروى الصدوق في الأمامي : قال : كان النبي (ص) اذا قدم من سفره بدأ بفاطمة ، فدخل عليها ، وأطال عندها المكث . فخرج مرة في سفره . فصنعت فاطمة مسكتين من ورق (أي فضة) وقلادة وقرطين وستراً للباب لقدوم أبيها وزوجها . فلما قدم رسول الله (ص) دخل عليها . فوقف أصحابه

على الباب . فخرج عليهم وقد عرف الغضب في وجهه ، حتى جلس عند المنبر . فظننت فاطمة أنه إنما فعل ذلك لمارأى من المسكتين والقلادة والقرطين والستر . فنزعت ذلك وبعثت به إلى رسول الله (ص) وقالت للرسول ، قل له : « تقرأ عليك ابنتك السلام وتقول إجعل هذا في سبيل الله » . فلما أتاه ، قال : « فعلت فداتها أبوها » ثالث مرات ، ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد ، لو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة ما سقى فيها كافراً شربة ماء ، ثم قام ، فدخل عليها ٠٠

يأتي رجل من مهاجرة العرب الى رسول الله وهو في المسجد ، فيقول :
إني جائع الكبد فأطعمني وفقير فأغنني وعاري الجسد فاكسني ٠٠٠ فيقول
له رسول الله (ص) : « ما أجد لك شيئاً . ولكن الدال على الخير كفاعله ٠
انطلق الى ابنتي فاطمة » . وامر بلاه ، فوق به على منزل فاطمة (ع) .
فنادى بأعلى صوته : « السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ومختلف الملائكة ٠
يا بنت محمد » إني عاري الجسد ، جائع الكبد . فارحميني يرحمك الله ٠
وكان علي وفاطمة ثلاثة ما طعموا طعاماً . قتعمد فاطمة الى جلد كبش
مدبوغ كان ينام عليه الحسنان وتعطيه الشیخ قائلةً : « عسى الله أن يتبح
لک ما هو خير منه » . فيقول الشیخ : « أنا شکوت اليك الجوع ، فناولتینی
جلد کبش . فما أنا صانع به مع ما أجد من السعف » قتعمد فاطمة (ع) الى
عِقد في عنقها ، أهدته اليها فاطمة بنت عمها حمزة . فتقطعه من عنقها وتبنذه
الى الأعرابي . وتقول : « خذ وبعه ، فعسى الله أن يعوضك بما هو خير لك
منه » . فتُقضى حاجة الرجل ويرجم الى أهله فوراً .

كيف لا تكون فاطمة امرأة قد بلغت غاية الكمال . فإن رسول الله قد دخل عليها ذات يوم فرأى عليها كساءً من أجلال الإبل وهي تطحن بيديها وترضع ولدها ، فدمعت عيناً رسول الله (ص) ، فقال : « يا بنتاه تعجلى مرارة

الدنيا بحلوة الآخرة » . فقلت : « يا رسول الله ، الحمد لله على نعمائه والشகر على آلامه » . فأنزل الله تعالى : « ولسوف يعطيك ربك فترضي » . انظروا الى هذا الكمال الرائع الذي تشاهده عند فاطمة الزهراء سلام الله عليها . ذلك أن رسول الله (ص) يسأل ذات يوم نساء المدينة : ما هو أفضل شيء للمرأة . فتأنى الأجوية ، وبينها من تقول : « أفضل شيء للمرأة أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل » . فيعلم رسول الله أن هذا الجواب إنما هو من بنته فاطمة الزهراء (ع) . فيقول (ص) : « ذريه بعضها من بعض » . كل ذلك ، لأن اختلاط الجنسين يؤدي الى فساد في الأرض والفساد يزيح الإيمان ! وهو قوله تعالى : « ألمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون » . « ألم يجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض ، ألم يجعل المتقيين كالحجارة » . وقد قال تعالى : « وحقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون » . وهكذا يعمل الفسق في إزاحة الإيمان ، حتى جاء في الحديث : النظرة سهم من سهام إبليس لعنة الله ، فمن تركها خوفاً من الله آتاه الله إيماناً يرى حلاوته في نفسه » . لذلك يكره (كما جاء في الحديث) أن يجلس الرجل حيث جلست المرأة قبل أن يبرد محلها .
Sadati ، إن أوروبا بمجونها وشهواتها ونزاوتها ومجالس الرقص فيها ترجع القهقهى ، إنها ترجع إلى جاهلية جهلاء . وإن هذه الحضارة كما قال بذلك كبار علمائها آلة إلى انهيار عاجل .
فإذا رأينا أن امرأة أمريكية تأتي إلى باريس وتقف في وسط شارع (شاتزيليزه) ، تنزع ما عليها من ثياب وتتصبح عارية وتمشي في الشارع لترى الناس ما بلغت أمريكا من الحرية ، أو إذا رأينا أن البنات يختطفن الشبان في سوئد وإذا رأينا أن لا بأس بما يحدث في السيارة في إيطاليا في

شارع عام بين الرجل والمرأة ما دام هنالك ستار ، وإذا رأينا ان الناس يَنْزِو بعضهم على بعض علانية على سواحل البحار وضفاف الأنهار وخلف الاشجار بل على قارعة الطريق ! وإذا رأينا أن الفتاة لها أن تعمل ما تشاء قبل الزواج ، فإنما نرى ما كان عليه البدائيون قبل بعثة الرسل ، وما عليه الآن القبائل المتتوحشة من تقديم الرجل زوجته الى ضيفه ليلاً ومن أن البنت لها أن تتصل بمن تشاء اذا بلغت الخامسة من عمرها وان تقدم البنت ليلة زفافها الى المدعويين واحداً بعد آخر . أو الى رئيس القبيلة أو الملك حتى يأتي بعد ذلك دور الزوج !!!

فوظيفة الشباب المؤمن أن يقوم بجد بالغ لنشر الدعوة الإسلامية واقناع البشرية بما ألمّ بها من جاهلية جهلاء . وحرى بجميع المؤمنين الآثرياء أن يقوموا بتأسيس أندية للشباب في كل بلد إسلامي ، لكي يجتمع الشباب المؤمن في هذه الأندية في أوقات الفراغ فيتعلم فيها مبادئ الدين الإسلامي ، وتفسير القرآن وشيئاً من الفقه والحديث ، ويجب أن تضم هذه الأندية قاعة كبيرة للصلاة وقاعة للمحاضرات ومكتبة إسلامية وساحة للألعاب المشروعة التي تقوى العضلات وتجعل الشاب المؤمن قوياً في جسده . فقد قال الله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » . وأهمها قوة الأبدان . . . فكم من شبان كانوا سبباً لإسلام كثيرين . فهذه اليابان متعطشة الى مبلغين ودعاة يدعونهم الى الدين الحنيف وهكذا في أواسط إفريقيا وفي أمريكا وأوروبا .

ونحن نرى والحمد لله تقدماً محسوساً بين الشباب في التوجه الى الاسلام والقيام بجهاد ملموس في خدمة الدين .

وهل سمعتم قبل هذا أن شبانا جامعين وغير جامعين يقيمون حفلة كبرى إحياءً لذكرى سيدة النساء فاطمة الزهراء سلام الله عليها . أو

يقومون بإقامة الصلاة في كليات جامعة بغداد . كلية الهندسة والعلوم والآداب والتربيـة . وهل سمعتم شيئاً أخذوا على عواتقهم أن يضـعوا بالنفس والنفـس في سبيل نشر الدعـوة الإسلامية في أصـقاع الأرض ليرفعـوا لواء الإسلام عالـياً ، فيعم الدين الإسلامي الأرض كلـها فيكون الإسلام دينـاً عالـياً كما تـنبأ بذلك (برـناردـشو) قبل سنـين .

فجزـاكم اللهـ أـيـها الشـبـانـ المجـاهـدونـ عنـ الـاسـلامـ خـيراً . فـأـتـمـ الـقـدوـةـ الصـالـحةـ ، يـقـتـدـيـ بـكـمـ فـيـ بـقـاعـ الـأـرـضـ ، فـيـ الجـامـعـاتـ وـغـيـرـهـ مـنـ الـمـعاـهـدـ . فـالـاسـلامـ لـكـمـ وـالـيـكـمـ ، فـهـبـواـ مـضـحـيـنـ . فـلـاـ شـىـءـ أـثـنـ فـيـ هـنـوـ الكـوـنـ مـنـ أـنـ يـأـخـذـ شـابـ بـيـدـ شـابـ آـخـرـ يـهـدـيـهـ إـلـىـ صـرـاطـ اللهـ الـقـوـيـمـ . فـفـيـ هـذـهـ الـهـدـاـيـةـ حـيـاةـ خـالـدـةـ هـنـيـةـ تـهـدـيـهاـ أـنـتـ لـأـخـيـكـ الشـابـ . اـنـهـ تـعـالـىـ يـقـولـ :

« يـاـ أـيـهاـ الـذـينـ آـمـنـواـ اـسـتـجـبـيـوـاـ لـلـهـ وـلـلـرـسـوـلـ اـذـاـ دـعـاـكـمـ لـمـ يـتـحـسـيـكـمـ ، وـاعـلـمـواـ أـنـ اللهـ يـحـوـلـ بـيـنـ الـمـرـءـ وـقـلـبـهـ ، وـأـنـهـ الـيـهـ تـحـشـرـوـنـ » .

كيف ننقد الشباب

لقيت في الليلة الماضية رجلاً فاضلاً، فقلت له : قد قمنا بتنظيم للشباب المؤمن الذي يحضر لسماع المحاضرات الدينية ، ليالي الجمعة وليلالي السبت ، فشكلنا منهم لجنة باسم : لجنة التنظيم ، ولجنة باسم : لجنة الثقافة الدينية ، ولجنة باسم : لجنة الارشاد والتبيشير ، وسوف نشكل لجاناً أخرى ، تعمل كل لجنة في حدود واجباتها بإخلاص ، وتبذل طاقاتها وأوقات فراغها في صنع نافع أمين لخدمة هذا الدين ، تقدم كل لجنة تقريراً شهرياً عن أعمالها وفعالياتها وتقبل الاعتراضات والاقتراحات وتعمل على معالجتها وتحقيقها .
فأجاب قائلاً : ليس هذا بعمل مجدٍ ، وإنما علينا أن لا نرسل أولادنا إلى المدارس الحديثة ، كي لا ينحرفو ، وكان معنا رجل فاضل كان قد عرك الحياة إلى حد ما ووقف على الوضع الراهن ، فقال له : هذا علاج سلبي ، يتنجي بعض الأفراد من الانزلاق . ولكن هل تمكنت أنت أن تمنع ولدك من أن يذهب إلى المدارس الحديثة . قال : كلا . فقال : ففي أي صف هو الآن ؟ أجاب : إنه في الخامس العلمي . قال : إن كنت أنت مع اهتمامك بالموضوع لا تقوى على ردع ولدك من الذهاب إلى المدارس الحديثة ، فكيف بالآخرين ؟ ثم ما هي المعاهد التي نرسل إليها أولادنا لننقذهم من الجهل . هل هناك مدارس تُعنى بشؤون الطلاب الدينية والروحية والعلمية بصورة جدية وبأسلوب حديث كي نرسل أولادنا إليها ؟ وكم مقدار الميزانية (الأموال) التي يجب أن تبذل لفتح عدد كافٍ من هذا النوع من المدارس ؟ ثم من أين نجد المعلمين والمدرسين ؟ ألسنا نستخدم نفس

هؤلاء المدرسين الذين درسوا في المدارس الحديثة حتى انك اذا قمت بتأسيس روضة للأطفال وأردت أن تربىهم مُذ نعومة أظفارهم باسلوب ديني صحيح ، تكاد لا تجد بالمقدار الكافي معلمات غير متبرجات ، مصليات ، متنزفات ، عاملات بالنصوص الدينية ومع ذلك حاملات شهادة تخولهن ليكنَّ معلمات في الروضة . ذلك لأن الأنظمة الحاضرة لا تسمح للمرأة ولا للرجل أن يقوم بمهمة التعليم حتى في الروضة مالم يكن حاملاً شهادة تؤهله للتعليم . فكل شيء أصبح تحت نظام وقانون من قبل الحكومات الحاضرة . ثم إن الإنسان يجب أن لا يخرج عن واقع الحياة وان يستفيد من التجارب الماضية خلال ٥٠ سنة خلت . أي منذ أن تأسست المدارس الحديثة في الأقضية .

ثم لو كان منع الطلاب من الدخول الى المدارس أي لو كانت هذه المقاومة السلبية ناجعة لما بلغ عدد الطلاب هذا المبلغ الضخم ، بحيث ان البنية الواحدة تشغل في اليوم ثلاث مرات من قبل ٣ مدارس مختلفة بشعبها الكثيرة . وان بعض المدرسين ليدرّس في الأسبوع ٤٠ ساعة لعدم كفاية المدرسين .

فأنى لك أن تصدّ هذه الرغبة الملحة التي هي وليدة الحاجة وضرورة الانطباق مع مقتضيات العصر وتحصيل الخبز والراحة الى ما هنالك .

فقال : ان هذه المدارس تذهب بالعقيدة وتولد الإلحاد ولكن الابتعاد عنها قد يؤدي الى عدم تطبيق النصوص الدينية برمتها ولكن لا يؤدي أبداً الى الإلحاد .

فقلت له : ان التجارب قد برهنت أن بعض التيارات الجارفة جرف بعض العوام الذين لم يداوموا في المدارس وتخلوا عن كل ما لديهم من مقدسات وعقائد وتسافلوا الى أسفل سافلين . وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على أن التربية الدينية كانت تربية سطحية غير مستندة الى الدليل والبرهان ولم

تكن راسخة في النفوس الى حد لا تزعزعها التيارات الالحادية الجارفة .
فإن المنحرفين لهم فعالياتهم ومنظماتهم وجهودهم الجباره . فما الواجب اذن
تجاه الوضع الراهن .

فلم يحر جواباً ٠٠٠

وهذا مما حدا بي أن تقدم بهذا المقال :

يدخل الطفل وعمره ثلاث أو أربع سنوات إلى روضة الأطفال ، أو
يدخل ، وقد أكمل السنة السادسة من عمره إلى مدرسة ابتدائية ، وكذلك
البنات ، فيتلقّون دروساً عملية ونظيرية وتربيّة عصرية بعيدة عن روح الاسلام
وقواعده ، يحفظون بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في مدرسة
ابتدائية دون أن تتجاوز الحناجر ، ذلك ، لأن المعلم غير مؤمن بما يُسلّي على
الطلاب في موضوع دروس الدين إيماناً رصيناً لا شائبة فيه ، إنما يقوم بأداء
واجب ملقي على عاتقه ، ولا أنكر أن هناك عدداً قليلاً جداً لا يعادل ١٪
(واحداً بالمائة) جديراً بأن يلقب بتعلم الدين ، إلا أن تأثيره ضئيل وضئيل
جداً في محيط لا يتجاوب مع بقية الأعضاء .

فإذا جاء دور المتوسطة تدخل بقية المدرسين : مدرس الأحياء ، مدرس
الاجتماعيات ، مدرس الرياضيات ٠٠٠ الخ . في الموضوع وأخذ كل يشكك
الطلاب في معتقداتهم ويعزو تكوين هذا الكون المعقّد ودسائطه المتقنة الثابتة
إلى الطبيعة العمياء . أو قال بعشوانية الكون دونما تحقيق !

واما مدرس الدين ، (وهو على الأكثر جاهل بالعلوم الحديثة والنوازع
المستحدثة وردودها) ، فلا يدرس في الأسبوع الا درساً واحداً ، وهو على
الغالب ، من ضعفت عقيدته وتغيّر اتجاهه واختلف عمله بما يُسلّي على
الطلاب في حقل الدين . فأنى لهذا الدرس الواحد على عِلاته (في موضوع
الدين) خلال الأسبوع ، أن يقاوم تزريقات سائر المدرسين المضللة . منها :

«أن الإسلام نظام كان مفيداً لأناس كانوا يعيشون قبل أربعة عشر قرناً ! ، أما الآن ، فنحن بحاجة إلى نظام مدني جديد ! فالظروف تبدلت ! فيجب أن تتبدل النظم ، فلا مجال لتطبيق نظم الإسلام ! » . ومنها : «أن الدين كان يقنع العقول البدائية ، أما الآن وقد تقدم العلم ، هذا العلم المحيي للعقل ، فلا مجال للدين أن يسير البشر ! والعلم هو وحده كفيل بأن يسير البشر نحو الكمال المنشود وضروريات الحياة فلنكن علمانيين » (١) .

ان ضعف الدين في المدارس وفي أوساط أخرى أدى إلى انحلال خلقي وهذا بدوره أدى إلى انحلال فكري ، ثم تبنيّ أفكار جديدة تتصادم مع حقيقة الإسلام .

ولأمراء أن للمجالس الحسينية أثراً هاماً المرموق في التوجيه لو حضرها الشباب ، إلا أن الشباب في وادٍ آخر ، وهم يوجهون من قبل منظمات أخرى توجيهاً يؤكد لهم أن المجالس الحسينية تبث الخرافة والأفكار البالية . وهي بعيدة كلَّ البعد عن واقع الحياة ، ويفكرون لهم ، دليلاً على ذلك ، أنه لا يرى في هذه المجالس الا العجزة والشيوخ ، يتسلّون بالتدخين وشرب الشاي ، وهم ، أنفسهم ، يتقلّلون من مجلس إلى آخر دون غيرهم من الشباب والمتقفين ، وكذا الحال في صلاة الجمعة وفي المساجد وغيرها . على أن نوع الالقاء وتطبيق العلوم الحديثة على الحقائق الإسلامية أثراً خاصاً في جلب الشباب إلى المجالس الحسينية . ولكن قلماً ترى في الخطباء مَن يجمع بين دراسات مختلفة موضوعية ، فيتكلّم بأسلوب علمي رصين ، وباصطلاحات حديثة مستعملاً الدساتير الرياضية وما وصل إليه العلم الحديث من قوانين في الفيزياء والكيمياء والاحياء والفلك والطب إلى

(١) هذه الافكار نتاج استعمار الغرب الفكري وفعاليات الكنيسة في أوروبا وأمريكا والمبدأ الماركسي .

ما هنالك . ثم التعرف الى المنازع الفلسفية الحديثة والقيام بردها على ضوء العلم الحديث .

فما الذي يجب أن تقوم به لسد هذا التيار اللادينى الجارف الذى دب فى الشرق منذ أكثر من ٥٠ سنة والانحلال الخلقي الميت ؟

هنا طریقتان : طریقة غير عملية وبحاجة الى تضحيات مرموقة من قبل الآثرياء من المؤمنين ولا أظنهما تتحقق . وطریقة أخرى ، قليلة النتاج ، ولكن واجبة التطبيق ويجوز أن تؤتىأكلها بالغة موفورة لو طبقت بمقاييس واسع .

* * *

أما الأولى : فهي تأسيس جمعية باسم : جمعية التهذيب الديني ، مهمتها جمع مبالغ طائلة من آثرياء المسلمين وبناء أبنية عصرية تتخد مدارس أهلية للبنين والبنات وفتح دور (مدارس) لتهيئة معلمين ومعلمات باسلوب علمي ، وايفاد قسم من الشباب المؤمن للتحصيل العالى الى الغرب ، وتأسيس مدارس أهلية للبنين والبنات اعتباراً من الروضة الى التحصيل العالى بمقاييس واسع وتحت مناهج لم تتأثر بمناهج المستعمرين والمبشرين (بالكنيسة) أو بمناهج الإلحاد والمادية .

ولا شك ان هذا العمل الجبار سيولد جواً مفعماً بروح الاسلام وشباباً عامللاً بدمستور الاسلام . وتناثر ، دون ريب ، بقية المدارس بهذا النهج القويم ، فلا ترى اذ ذاك الا مؤمناً يقدس الاسلام ويطبقه .

* * *

واما الطریقة الثانية : فهي تنظيم نوادي للشباب في كل مدينة أو قرية أو ناحية ، يداومون فيها أوقات فراغهم . تلقى فيها عليهم محاضرات دينية ، يستمعون القرآن الكريم ويطبقون آياته على واقع حياتهم . فتشكل لجان مختلفة منهم ، وتوزع أعمال وفعاليات على هذه اللجان . فيبذل قسم من

طاقاتهم في العمل المنتج المفيد وهم مسؤولون عن تحقيق ما كلفوا به من أعمال . وان كل لجنة تقدم تقريراً عن فعالياتها . يصلون في هذه النوادي أوقات الصلاة في مصلى كبير ويتعلمون فيها بعض الفروع الفقهية الضرورية . يتلقى الراغبون من الشبان في هذه النوادي الدينية دروساً في التفسير والفقه واصول الفقه وعلم الكلام والفلسفة الاسلامية بأسلوب حديث ويجب على ما يختلجم في صدورهم من شكوك وريب ، وتلقى عليهم دروس أيضاً في الرد على المذاهب المادية والوجودية والنفعية الى ما هنالك من نزعات باطلة جاءت من وراء الشهوات النفسية . ثم هم يتصلون ببقية الشباب في البلد مبشرين ، فيشوقونهم للالتماء الى هذه النوادي الدينية .

وهكذا تنظم نواد من قبل المؤمنات الصالحات من النساء المتعلمات للفتيات طالبات المدارس وغيرهن في كل حارة بنفس الاسلوب وبنفس التنظيم . ولا شك أن هذه الفعاليات والتضحيات من قبل البنين والبنات لتوثّر في تلطيف الجو المكثف بالاتجاهات المضللة بعد تفهم حقيقة الاسلام ودسائس الاستعمار وأذناب الاستعمار وما أعقبت الحروب الصليبية من دسائس لم تنته لحد الآن .

وللشبان أوقات فراغ كثيرة يمكن ان يستفيد منها في توجيههم توجيهاً صحيحاً لو تمكنا من تحقيق راحة الشبان في هذه النوادي راحة تتفق والتربيـة الاسلامية الحقة ، فيبذل قسم من طاقاتهم في صدق مفيد . فانه ان لم تستغل أوقات فراغ الشبان في امور مفيدة موجهة توجيهاً صحيحاً ، فهي تُصرف لا محالة في تحطيم الشباب وتسافلهم الى أسفل سافلين .
وينبغي أن يكون في هذه النوادي :

- ١ - محل خاص للصلوة والمواعظ الدينية وتلاوة القرآن .
- ٢ - مكتبة اسلامية للمطالعة واعارة كتب اسلامية مبسطة ، ومجلات

اسلامية فيها مقالات واضحة دونها تعقيد ونشرات اسلامية بلغة مفهومة .
٣ - صفوف خاصة لدراسات اسلامية من تفسير القرآن الكريم والفقه
واصول الفقه ، وعلم الدرایة والحديث ، وعلم الكلام ، ومقارنته بين حقائق
الاسلام والفلسفات المعاصرة والنوازع الحديثة مع تطبيق آخر ما توصل اليه
العلم الحديث وما أودع الله تعالى من عصارات العلوم في القرآن الكريم
ضمن آياتٍ بيّناتٍ .

٤ - ساحة خاصة لبعض الرياضيات البدنية المفيدة التي تبني الجسم :
«إذ لبندك عليك حقاً»^(١) وعملاً بمنطق هذه الآية الشريفة : «وأعدوا
لهم ما استطعتم من قوة» ، مع العلم أن (السبق والرماية) وتعلمهما باب
من أبواب الفقه الإسلامي .

* * *

لا شك أنه لو نظمت هذه النوادي وأصبحت تدار من قبل هيئة عليا
من كبار علماء الدين وكبار الموجهين المؤمنين وجب إذن فتح دورات (تدريسية
وتدريسية) خاصة لموجهي هذه النادي والقائمين بادارتها في النجف الاشرف
وفي غيرها من بعض المدن الكبيرة ، يتلمون فيها طرق التنظيم والتوجيه
والعلوم التي تؤهلهم للالشراف على هذه النادي الموجهة توجيهاً دينياً يتفق
مع حقيقة الاسلام وواقعه .

* * *

قد فری أن بعض الأثرياء من المؤمنين يشيدون حسينية كبيرة . ونعم
ما يصنعون . فلو أسسوا بجنب هذه الحسينية نادياً دينياً للشباب لقاموا
بخدمة جديرة بكل تقدير وعالجوها هذا الفراغ العقائدي .
فلا بد من توجيه الأثرياء وتقديمهم الوضع الراهن وأساليب

(١) حديث نبوى .

الدعوة حسب مقتضيات العصر الحاضر والأخذ بيد الشبان الى ساحات التقوى والهداية وتنويرهم بنور الاسلام الوضاء . فانهم مؤمنو المستقبل وحافظو بيعة الاسلام وحاملو لوانه الرفيع .

وقد لاحظت ان بعض هؤلاء المؤمنين المخلصين (مع تقديرني لهم ولإيمانهم العميق) بعيدون كل البعد عما يحتمه الوضع الراهن من طرق التوجيه الديني وأساليب الدعوة ولعل البعض منهم يرى التقرب الى الشباب بغية تهذيبهم تهذيبا دينيا مروقا عن الدين وخروجا عما قرره الاسلام وانحرافا عن الصراط السوي . إما لأنهم لم يتدرجو في دراسات حديثة ولم يحتكوا بالشباب ليعلموا مواطن الضعف فيهم وما أصابيو من أمراض نفسية من جراء دعایات الحادیة عنیفة أو لأنهم قليلو التضحيۃ في هذا المضمار لا يهمهم مستقبل الاسلام وال المسلمين . فكنت الالاحظ ان بعض هؤلاء المتدينين الأثرياء ، (مع تقديرني لهم) ، لا يرroc له آن يجهز حسینیة أسسها بالكراسي و (التخوت) ، كمن يستشكل آن يسمع کلامه بالملکرات الى كثير من الناس .

* * *

فالامر بالمعروف والنهي عن المنكر لهم اسلوبهما الخاص في كل زمان حسب الظروف والعوامل المحيطة بالناس .

فإن الاستمرار على اسلوب خاص في الدعوة لا يأتني بالنتيجة المطلوبة وترك أساليب أخرى للدعوة لا تتنافى مع روح الشرع ثم ترك ملايين من الشبان المسلمين دون موجه ، تغزوهم الدعایات المضللة ، فتتحقق منهم أعداء للإسلام ، إنما هو عمل لا يتفق مع منطق هذا الحديث : « من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم » ، عدا انه يخالف امر الله تعالى حين يقول : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة ،

عليها ملائكة غلاظ شداد ، لا يعصون الله ما أمرهم وهم بأمره يعملون » (١) .
فإن الغرب يعمل منذ أكثر من ١٠٠ سنة بجد متواصل لأجل غزو الشباب
المسلم واتزاع عقيدته وجعله عدواً لدينه ومقدساته . فقد سمعت قبل ٢٨
سنة من كان قد أكمل دراسته في الجامعة الأمريكية بيروت ، سمعته يقول :
« إن بلاء الشرق دينه ، وإن هذا الدين (ويقصد به الإسلام) حجر عشرة
دون تقدم الشرق ! ولا سبيل إلى التقدم إلا بنبذ هذا الدين ! ٠٠٠ » .
فيما أيها المسلمين ، إن الوضع الراهن ومعالجته يستدعي شيئاً من
التضحية . فهل من مجيب ؟

فقد قال رسول الله (ص) : « ويل لقوم لا يدينون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » . وقال (ص) أيضاً : « اذا ظهرت البدع ، فليظهر العالم علمه ، والافعلية لعنة الله » . وقال أيضاً : « الساكت عن الحق شيطان اخرس » .

Three decorative floral motifs arranged horizontally, each consisting of a central circle surrounded by eight radiating lines.

٦) سورة التحرير :

غذاء الروح في شهر شعبان

ان الانسان روح " وبدن ، فكما أن للبدن غذاءً كذلك للروح غذاءً أيضاً • فمن تمكن من أن يغذيهما معاً فقد فاز بسعادة الدارين • إن الانسان كثير الهفوات والزلات • فهو يعصي الله في حركاته وسكناته معاصي كثيرة لا يلتفت اليها ، ولا يحاسب نفسه عليها • كل ذلك ، لأن نفسه لم تبلغ مرتبة من الكمال كي تقدر أعمالها وتشخص السيء منها من الحسن تشخيصاً دقيقاً وذلك لتلويتها بذنب سابقة • فهذه المعاصي صغائرها وكبائرها تتراكم على النفس الانسانية ، فتشكل حجاباً كثيفاً يمنع الانسان عن رؤية الحق ، فتتوارد عليه الشكوك والأوهام ، فيستهزئ بال المقدسات ويرى الباطل حقاً والحق باطلاً والرذيلة فضيلة ، والفضيلة رذيلة ! فالله تبارك وتعالى قرر أعملاً (تفضلاً منه) ، تمحي بها الذنوب قبل أن تتراء ، كي لا يكون الانسان مصداق هذه الآية الكريمة : « ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله و كانوا بها يستهزئون » • فالصلوات الخمس والنوافل والأعمال الصالحة والمستحبات كلها تمحي الذنوب وتقرب العبد الى الله تعالى بعد الابتعاد • ومن جملة تلك الاعمال : الأعمال التي وردت في شهر شعبان •

فقد جاء في ثواب الأعمال بسنده عن النبي (ص) ، وقد تذاكر أصحابه عنده فضائل شعبان • فقال (ص) : شهر شريف وهو شهري ، وحملة العرش تعظمه وتعرف حقه ، وهو شهر تزداد فيه أرزاق المؤمنين لشهر رمضان ، وتزين فيه الجنان ، وإنما سمي شعبان : لأنه يتشعب فيه أرزاق المؤمنين لشهر رمضان • وهو شهر العمل ، فيه تضاعف الحسنة سبعين والسيئة

محظوظة والذنب مغفور والحسنة مقبولة والجبار جل جلاله يباهي فيه بعباده ،
ينظر من فوق عرشه الى صوّاته وقوامه ، فيباهي بهم حملة عرشه » .
وبسنده عن الصادق عليه السلام ، كان أبي عليه السلام يفصل بين
شعبان وشهر رمضان يوم ، وكان علي بن الحسين عليهما السلام ، يصل
ما بينهما ويقول : « صوم شهرين متتابعين توبة من الله » .
وعن الرضا (ع) : « مَنْ صَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِّنْ آخِرِ شَعْبَانَ وَوَصَّلَهَا بِشَهْرِ
رَمَضَانَ ، كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ صَوْمَ شَهْرَيْنَ مِنْ تَابَعِيْنَ » .

وقد قال رسول الله (ص) كما في كتاب الإقبال : « شعبان شهر ي
ورمضان شهر الله عز وجل . فمن صام يوما من شهري كنت شفيعه يوم
القيمة . ومن صام يومين غفر الله له ما تقدم من ذنبه ومن صام ثلاثة أيام
قيل له : استأنف العمل » .

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ،
قال : « تزيين السماوات في كل خميس من شعبان ، فتقول الملائكة : إلهنا ،
اغفر لصائميه ، وأجب دعاءهم . فمن صلى فيه ركعتين : يقرأ في كل ركعة
فاتحة الكتاب مرة ، وقل هو الله أحد ، مائة مرة ، فإذا سلم صلى على النبي
صلى الله عليه وآله وسلم مائة مرة ، قضى الله له كل حاجة من أمر دينه
ودنياه . ومن صام فيه يوما واحدا حرم الله جسده على النار » .

وفي كتاب الإقبال بسنده عن الصادق عليه السلام : في حديث ، أنه
سئل : « ما أفضل ما يفعل في شعبان . قال : الصدقة والاستغفار ، ومن
تصدق بصدقة في شعبان ربها الله تعالى كما يربى أحدكم فصيله حتى يوافيها
يوم القيمة وقد صارت مثل أحد » .

ويستحب له أن يقول في كل يوم من هذا الشهر سبعين مرة : « استغفر الله
وأسألة التوبة » . وأن يقول في كل يوم سبعين مرة : « استغفر الله الذي

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْقَيُومُ وَأَنْتُوْبُ إِلَيْهِ »
وَعَنِ النَّبِيِّ (ص) : مَنْ قَالَ فِي شَعْبَانَ الْفَرْمَةَ : « لَا إِلَهَ إِلَّا إِلَهُ وَلَا
نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ مُخْلِصِينَ لِهِ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ » كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عِبَادَةَ الْفَرْمَةِ
سَنَةً وَيَخْرُجُ مِنْ قَبْرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَوَجْهُهُ يَتَلَاءَّ مِثْلَ الْقَمَرِ لِيَلَةَ الْبَدْرِ وَكَتَبَ
عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا »
•

وَيُسْتَحْبِطُ أَنْ يَصْلِي عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ فِي هَذَا الشَّهْرِ كَثِيرًا ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ
عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ تَزِيدُ فِي وَزْنِ الْأَعْمَالِ وَثَقْلَهَا : « فَأَمَّا مَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ
فِي عِيشَةِ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَتْ مَوَازِينُهُ فَأَمَّا هَاوِيَةٌ ، وَمَا أَدْرَاكُ مَا هِيَ ،
نَارٌ حَامِيَةٌ » (١)
•

هَذِهِ وَصْفَاتُ رُوحِيَّةٍ يَثْلَبُ إِلَيْهَا النَّبِيُّ (ص) لِمُعَالَجَةِ أَرْوَاحِ الْبَشَرِ الْمَرِيضَةِ
وَتَسْبِيرِهَا نَحْوَ الْكَمَالِ الْمُنْشُودِ • فَإِنَّ النَّفْسَ الْأَنْسَانِيَّةَ إِنْ لَمْ تَتَصلِّ بِالْمُلْكَوَتِ
الْأَعُلَى وَتَسْتَقِي مِنِ الْأَفَاضَاتِ إِلَيْهَا وَتَسْتَنِيرِ بِالْأَنْوَارِ الْقَدِيسَيَّةِ تَسْقَهُرُ شَيْئًا
فَشَيْئًا فَتَكُونُ مِنْ « الَّذِينَ خَسَرُوا أَنْفُسَهُمْ » فَتَتَسَافَلُ إِلَى أَسْفَلِ السَّافَلِينِ •
فَلِيَجْرِبَ هَذِهِ الْوَصْفَاتُ الرُّوحِيَّةُ مِنْ كَانَ يَشْكُ فِي تَأْثِيرِهَا ، لِيَرَى كَيْفَ
يَتَنَورُ يَوْمًا بَعْدِ يَوْمٍ ، فَيُصْبِحَ اِنْسَانًا لَا كَسَائِرَ الْأَنْسَابِ ، اِنْسَانًا يَشْعُرُ بِآلامِ
الآخَرِينَ وَيَقْدِرُ نَعْمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، تَلْطِيفَ نَفْسِهِ ، وَتَزْدَادُ إِحْسَاسًا وَشَعُورًا ، فَلَا
تَتَصْدِي لِأَيْذَاءِ النَّاسِ وَارْتِكَابِ الْمُنْكَرَاتِ •

إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا قَامَ يَعْبُدُ رَبَّهُ بِالْخَلَاصِ عَمِيقًا دُونَمَا رِيَاءً يَشْعُرُ عَقِيبَ ذَلِكَ
بِفَرْحٍ يَفْوَقُ جَمِيعَ الْأَفْرَاحِ ، بِفَرْحٍ دَاخِلٍ لَا كَدْرٌ فِيهِ ، وَسُرُورٌ مَا بَعْدِهِ حَزْنٌ
إِلَّا عَلَى ذَنْبٍ أَدْبَرَتْ لِذَاتِهَا وَأَقَامَتْ تَبَعَاتِهَا ، وَهُوَ دَلِيلُ التَّكَامُلِ النُّفُسيِّ
وَأَمَارَةُ التَّقْدِمِ الرُّوحِيِّ • نَعْمَ ، إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا دَأَبَ عَلَى الْإِسْتَغْفَارِ شَعَرَ بِخَفْفَةِ
فِي رُوحِهِ وَطَمَآنِيَّةِ فِي نَفْسِهِ وَانْجذَابِ لِأَهْوَاهِيِّ •

ان الانسان لم يخلق ليسلمه وليلعب ، بل خلق ليتكامل فيكون انساناً قد اجتمعت فيه المعاني الانسانية السامية ، كي يفوز بالحياة الخلدة السعيدة ، حياة لا مشاكل فيها ولا أحزان جراءً لما قام به في دنياه من عبادة وطاعة وأعمال صالحات . ان الله تعالى يقول : « أفحسبتم انما خلقناكم عثثاً وانكم اليها لا ترجعون » .

ما أحلى المناجاة في هذا الشهر والاعتراف بالذنوب بين يدي الغفور
الرحيم . فقد علمنا الأئمة الأطهار وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي عليه السلام
مناجاة تقنطر لها الجلود .

يقول علي عليه السلام في مناجاة له في شهر شعبان : « إِلَهِي إِنْ كُنْتَ
غَيْرَ مُسْتَأْهَلَ لِرَحْمَتِكَ فَأَنْتَ أَهْلُ أَنْ تَجُودَ عَلَيَّ بِفَضْلِ سَعْتِكَ ۝ إِلَهِي ، كَائِنِي
بِنَفْسِي وَاقِفَةً بَيْنَ يَدِيكَ ، وَقَدْ أَخْلَلَهَا حَسْنٌ تَوْكِلِي عَلَيْكَ ۝ فَفَعَلْتَ مَا أَنْتَ
أَهْلُهُ وَتَعْمَدْتَنِي بِعَفْوِكَ ۝ إِلَهِي اذْعُفُوتَ فَمِنْ أَوْلَى مِنْكَ بِذَلِكَ ۝ وَإِنْ كَانَ
قَدْ دَنَا أَجْلِي وَلَمْ يَثْدِنِي مِنْكَ عَمْلِي ، فَقَدْ جَعَلْتَ الْإِقْرَارَ بِالذَّنبِ إِلَيْكَ
وَسِيلَتِي ۝ إِلَهِي قَدْ جَرَتْ عَلَى نَفْسِي فِي النَّظَرِ لَهَا ، فَلَمَّا وَلَيْلَتِي إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَهَا » ۝
وَقَدْ بَيْنَ النَّبِيِّ (ص) صَلَاتُهُ مُسْتَجْبَةً خَاصَّةً لِكُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ لِيَالِي شَعْبَانَ
يَحْتَاجُ الْقِيَامُ بِهَا إِلَى تَوْفِيقِ رَبِّانِي وَصَفَاءِ فِي النَّفْسِ ۝ وَقَدْ يَقْضِي الْأَنْسَانُ
سَاعَاتٍ فِي الْمَقْهَى تَخْلُلُهَا الغَيْبَةُ وَالنَّسِيَّةُ ۝ فَلَوْ صَرَفَ زَمْنًا يَسِيرًا مِنْهَا فِي
عِبَادَةِ رَبِّهِ لَسَارَ فِي مَدَارِجِ الْكَمَالِ وَنَحَى عَنْ نَفْسِهِ وَسَاوَسَهَا الشَّيْطَانِيَّةُ ۝
وَتَقْشَعَتْ عَنْهَا غِيَابُ الشَّكُوكِ ۝

وقد وردت عن علي بن الحسين (ع) : صلوات خاصة وقت الزوال من كل يوم من شهر شعبان نذكر شطراً منها : « اللهم صلّ على محمد وآل محمد شجرة النبوة وموضع الرسالة ومحظوظ الملائكة ومعدن العلم وأهل بيته الوفي . اللهم صلّ على محمد وآل محمد الفلك الجارية في اللرج

الغامرة ، يؤمن من ركبها ويغرق من تركها ، المتقدم لهم مارق ، والمتأخر
عنهم زاهق ، واللازم لهم لاحق » ٠٠٠ الى أن يقول : « اللهم صل على
محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين الأبرار الأخيار الذين أوجبت حقوthem
ومودتهم وفرضت طاعتهم ولولاتهم » ٠٠٠

وان ليلة النصف من شهر شعبان من الليالي الشريفة العظيمة ٠ وعن
النبي (ص) : « اذا كان نصف شعبان ، فقم ليه وصم نهاره ، فانه يجيء
نداء من قبل الله تعالى من أول هذه الليلة الى آخرها : « هل من مستغفر
فاغفر له ، هل من مسترزق فأرزقه » ٠

وقد سئل الباقر عليه السلام ، عن فضل ليلة النصف من شعبان ،
فقال : « هي أفضل ليلة بعد ليلة القدر ، فيها يمنح الله العباد فضله ، ويفجر
لهم بمنه ٠ فاجتهدوا في القربة الى الله فيها فإنها ليلة آلى الله عز وجل على
نفسه أن لا يرد سائلًا فيها ما لم يسأل معصية ٠ وانها الليلة التي جعلها الله
لنا أهل البيت بإزاء ما جعل ليلة القدر لنبينا » ٠

فيستحب ليلة النصف من شعبان : الغسل ، فانه يخفف من الذنوب
ويوجب الرحمة ٠ ويستحب فيها : زيارة الحسين عليه السلام تخليداً لذكرى
محبي الشريعة بعد الاندثار وتقديرًا لأعماله الخالدة ٠ وعن الصادق (ع)
قال : « اذا كان النصف من شعبان نادى مناد من الأفق الأعلى : زائرى
الحسين ، إرجعوا مغفوراً لكم ، ثوابكم على ربكم ومحمد نبيكم » ٠

وروى ابن قولويه في (كامل الزيارة) ، بأسانيد عديدة معتبرة عن
علي بن الحسين وعن الصادق عليهم السلام ، قالا : « من أراد أن يصافحه مائة
الفنبي وأربعة وعشرون ألفنبي فليزر قبر أبي عبدالله الحسين عليه السلام ،
في النصف من شعبان ، فإن أرواح النبيين يستأذنون الله في زيارته ، فيؤذن
لهم ، منهم خمسة أولوا العزم من الرسل ، قلنا من هم ٠ قال : نوح وابراهيم

وموسى وعيسى ومحمد (ص) . قلنا : ما معنى أولو العزم ؟ قال : بعنوا الى
شرق الأرض وغربها جنها وإنسها ... الحديث » .

وقد وردت أعمال وصلوات خاصة بليلة النصف من شعبان ، مسطورة في
الكتب المفصلة . نسأله تعالى التوفيق للقيام بتطبيقاتها ، باخلاص دونما رباء
كي تظهر هذه النقوس مما علق بها من أدران وأوساخ . فـ « إن الحسنات
يذهبن السينات ، ذلك ذكرى للمذاكرين » .



مِيلَادُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(١)

يولد في صبيحة هذه الليلة المثلث الكامل ريحانة رسول الله ، سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي عليه أفضل الصلاة والسلام . ويجدر بالعالم الإسلامي أن يحتفل بموالده الكريم احتفالاً رائعاً لأنه هو الذي أنقذ العالم من الجاهلية الجهلاء والمادية العمياء ولو لا تلك التضحية الغالية التي لا مثيل لها في عالم الوجود لأن درست معالم الدين ولما بقى للإسلام الحقيقي من أثر . أني للناقص ان يصف الكامل وإن الإمامة لمرتبة“ رفيعة لا يمكن لأحد أن يتعرف حقيقتها وانما تعرف اليها بالآثار . وهل لطالب في الدراسة المتوسطة أن يعرف ماحقيقة الرياضيات العالية . كيف أصف من يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وآله : « من أحب أن ينظر إلى أحب أهل الأرض إلى أهل السماء فلينظر إلى الحسين » . كيف لا يكون كذلك وهو المثل الكامل في العبادة والشجاعة والتضحية والإيثار والبسخاء . فقد وجد على ظهره يوم الطف أثر ، فسئل زين العابدين (ع) عن ذلك ، فقال : مما كان ينقل الجراب على ظهره إلى منازل الأرامل واليتامى والمساكين . لقد مر الحسين عليه السلام بمساكين يأكلون في الصفة ، فقالوا الغذاء فنزل وقال : إن الله لا يحب المتكبرين ، فتغذى ثم قال لهم : « قد أجبتكم ، فأجيبوني » . قالوا : نعم ، فمضى بهم إلى منزله . هذه صفة مثالية ليس للبشر العادي أن يصل إليها . وقد حج سلام الله عليه خمساً وعشرين حجة ملبياً ماشياً .

(١) كلمة القيمة في ليلة الثالث من شعبان ١٣٧٨ في الروضة الحسينية

جاءه رجل من الأنصار يسأله حاجة ، فقال : يا أخا الأنصار ، صن
وجهك عن بذلة المسألة وارفع حاجتك في رقعة ، فكتب : « إن لفلان علي
خمسمائة دينار ، وقد الح بي ، فكلمه ان ينظرني الى ميسرة » . فلما قرأ
الحسين الرقعة أعطاه : ألف دينار . وقال له : « اما خمسمائة دينار ، فاقض
بها دينك ، وأما خمسمائة : فاستعن بها على دهرك ولا ترفع حاجتك الا الى
ذى دين أو مروءة أو حسب » . انظروا الى هذا الأدب الرفيع فإنه درس
أخلاقي عظيم . لو أخذ به المسلمون .

ففي الإسلام من النظم الاجتماعية وال تعاليم الأخلاقية المثالية والقواعد
الاقتصادية ما يريح البشر في الدنيا ويسعده في الآخرة . وأنى لهذا البشر
أن يسن نظاماً كاملاً يؤدي إلى سعادة النشأتين .

فإن ما يترشح من الإنسان من أفكار يتناسب مع طهارة نفسه ، فرشحات
النفس الزكية رشحات ظاهرة ، تزكي النفوس وتقربها إلى الله تعالى وتعمل
في سعادة الإنسان في دنياه وعقباه . لذلك جاء في الحديث : « من أخلص
له أربعين صباحاً جرت من قلبه على لسانه ينابيع الحكمة » . وإن رشحات
النفس الخبيثة الملوثة بالذنوب والآثام مظلمة حالكة ، تبعد الفرد عن الله
تعالى . لأن هذا الفرد المذنب وإن عذر نفسه فيلسوفاً فقد فقد عقله الفطري
ال الطبيعي : ذلك العقل الذي يوحد الله ويقدسه بالفطرة . « فالعقل ما عبد
به الرحمن واكتسب به الجنان » كما في الحديث . وقد قال عليه السلام :
« من قارف ذنب فارقه عقل لم يعد اليه أبداً » .

وما أكثر الذنوب والفسق والفحotor في الغرب . وما وجود أبيقور
(Epicure) المادي في اليونان قبل ميلاد المسيح (ع) بثلاثمائة سنة
وظهور أمثال : بوختر ، فورباخ ، نيتشه ، في أوروبا إلا لنفوس تلوثت بأنواع
الاجرام وضرر العصيان ، فجاءت بهذه الفلسفة المادية في القرن التاسع

عشر الميلادي ! • إن الله تعالى يقول : « ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى
أن كذبوا بآيات الله و كانوا بها يستهزئون » • وقال البارق عليه السلام :
« ما من شيء أفسد للقلب من خطيبته ، إن القلب لي الواقع الخطيئة ، فما يزال
به حتى يغلب عليه ، فصيير أعلاه أسفله » •

ولذلك فإن المستنصر أول ما يقوم به من أعمال لافساد العقائد وتلويث
النفوس ، هو : فتح دور للخمور والفحور و اشاعة الفاحشة بطرق شتى •
في الصحف ودور السينما والملاهي والراديو والتلفزيون •

ومن المصادفات العجيبة أن يكون (فرويد) صاحب نظرية الجنسية
يهودياً • وأن الحركة اليهودية قد استعملت نظرياته لصالحها الخاصة ، فقد
جاء في كتاب : « پرتوکولات حكماء صهيون » الذي يرسم السياسة
اليهودية العالمية ما يأتي : « يجب أن نعمل لتهار الأخلاق في كل مكان ،
فتسهل سيطرتنا • إن ، فرويد ، منا • وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في
ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس • ويصبح همه الأكبر
هو إرواء غرائزه الجنسية وعنده تنهار أخلاقه » • كما جاء في الكتاب
إشارة مماثلة عن وجوب استغلال مبادئ الفلسفه الماديين ! لتحطيم العقائد
الدينية ونشر المبادئ المادية التي تسهل لليهود السيطرة على العالم • ويقول
الكتاب : « لقد رتبنا نجاح دارون و نيته بالترويج لآرائهم • وإن الأثر
المهدم للأخلاق الذي تنشئه علومهم في الفكر غير اليهودي واضح لنا بكل
تأكيد » •

لقد بلغ بالفيلسوف المادي : « ومن بؤس الفلسفه أن يسمى الهراء
فلسفه ! » الابتعاد عن المقدسات مرتبة جعله يعتقد أن الحقيقة الواحدة
الأزلية هي الاقتصاد ! • ولا شيء وراء ذلك • فإذا تغيرت علاقات الاتصال
تغيرت معها القيم الأخلاقية • والدين افيون الشعوب ، ومخدّر الأمم • ابتدعه

البشر لاستغلال الضعفاء وليس أمراً سماوياً !
حين أن الدين ركن من أركان الحياة . بل هو الحياة بعينها ، إذ لا حياة
بلا نفس ولا نفس بلا تكامل ولا تكامل الا بالدين .

لقد طبق بعض البلدان بعض النظم الاقتصادية الحديثة التي لا تتفق
مع النظم الاقتصادية الإسلامية في شيء ! فمنعوا البيع والشراء والملكية
الخاصة وساواوا بين أجور العمال مع اختلاف الكفاءات ، ثم سرعان ما
عدلوا عن كل ذلك .

ليس هناك نظام اقتصادي كالنظام الاقتصادي الذي أمر به القرآن .
ولكن قل من يعمل به . فلو اتبعنا جميعاً القرآن وعملنا بما فيه وبما جاء في
السنة ، فلا فقر ولا مرض ولا جهل .

فبيت المال معد لإعطاء الفقير ما يغطيه . ذلك لأن ، دين الإسلام دين
الحياة ، وليس بأعمال عبادية فحسب لتطهير النفس الإنسانية مما علق بها
من أدران وتقويمها إلى ربها . مع العلم : أن فلسفة الإسلام لا ترمي إلى
اشبع البطون فحسب ، أيضاً ، وإنما ترمي في الوقت نفسه إلى فلسفة أبعد ،
ألا وهي تزكية النفوس وتطهيرها وتزويدها بما يسعدها في الآخرة في حياة
حقيقية تستمر ملايين السنين .

إن الإسلام ليعظم أمر الإنفاق تعظيماً لا مزيد عليه ، حتى ورد ما مؤداته :
يستحب للعبد أن يقبل يده حينما يتصدق بشيء ، فكأنه يصافح الله . كل
ذلك على سبيل المجاز وإفهام العبد أنه يقترب بتصدقه هذا إلى ربه . وليس
الله بمن يصافح . « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » .
هذا دين يقول : « من أتاهم أخوه المؤمن فأكرمه فإنما أكرم الله عز وجل »
والله هو الغني .

ولكن قد يكون المال الكثير وبالآخرة يؤدي بالفرد إلى التسافل والولوج

في الموبقات ٠ يقول الله تعالى : « ولو بسط الله الرزق للناس لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إِنَّهُ بِعِبادِهِ بَصِيرٌ » ٠ وفي آية أخرى : « ولا تتمنوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ، لِرَجُلٍ نَصِيبٌ مِمَّا اكتسبوا ، وَلِنِسَاءٍ نَصِيبٌ مِمَّا أَكتسبْنَا ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَيْهِ » ٠

إن الإسلام في الوقت الذي يهتم في رفع حاجة القراء إلى أبعد حدٍّ، بقوله : « وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » وقوله : « والذين يكتنون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » ٠ وبقوله كما جاء في الحديث : « اذا أملقتم (١) فتصدقوا » ، « صدقة السرطان غضب الرب » ، « من كفارات الذنوب العظام إِغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب » ، يُسلِّمُ على الفقير دستوره الاصلاحي ، لعدم إمكان التساوي بين العباد في الرزق لحكمة هناك ، بقوله : كما جاء في حديث قدسي : « وإن

من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ولو صرفته الى غيره لھلک » ٠

ان الله تعالى وسعت رحمته كل شيء ، فهو يعطي المؤمن والكافر على السواء ٠ ولكنه قد يضيق على المؤمن في رزقه في هذه الدنيا ليوجهه إليه تعالى : « انَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغِي أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى » ٠ ذلك لأنَّ الفِنى كثيرة ما يؤدي إلى الطغيان ٠ فما على المؤمن المضيق عليه في رزقه الا أن يصبر ويشكر ربِّه على تهذيبه وإياه ، وعدم جعله نسياناً ، ومصداقاً لهذه الآية : « نسوا الله فنسيهم » ٠ وأن لا يتقاuss عن العمل في حدود طاقته ٠ إِنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : « مَنْ كَانَ يَرِيدُ العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لِمَنْ نَرِيدُ ، ثُمَّ جعلنا له جهنم يصelaها مذموماً ملحوظاً (٢) ٠ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن ،

(١) وهو قول علي عليه السلام .

(٢) مطروداً عن رحمة الله .

فأولئك كان سعيهم مشكورا ، كلاماً نيد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا^(٣) انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق والآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا »

فحسب الآيات المذكورة : من قصر جميع همه على الدنيا فإنه يُعجل له في ما يشاء ، ثم يدفع به إلى جهنم . ولكن من عمل لآخرته مشكور سعيه ، ثم إن الله تعالى لا يدخل لا على مثريدي الآخرة ولا على مريدي الدنيا فحسب ، فإنه تعالى يعطي هؤلاء وهؤلاء ولا يمنعهم رزقه مع تفضيل بعضهم على الآخر لحكمة هناك . ولكن درجات الآخرة ونعمتها لا تفاس بما في الدنيا من درجات ونعمها زائل .

يقول الله تعالى في آية أخرى أيضاً : « إِنَّ رَبَّكَ يَسِّطِ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ، إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا » ، أي إن الله إنما يسيطر الرزق ويقدر لحكمة ومصلحة تعود على العبد بنفع قد لا يقف عليه في الدنيا . وهو (أي العبد) كمريض يشرب الدواء المر مع كراهيته . ولكن عاقبته الشفاء .

إن الله تعالى هو الذي قسم بين العباد رحمته ، فشخص بالنبوة المخلصين من عباده ، الشاكرين له . كما أنه تعالى خص كلاماً من عباده بنوع من المعيشة يصلح بها حالهم . على حد قوله تعالى : « أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكُمْ ، نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ، لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيَا ، وَرَحْمَةَ رَبِّكَ خَيْرٌ مَا يَجْمِعُونَ » . ومعنى ذلك : أن رحمة الله تعالى خير مما يجمع من الأموال ويدخر من حطام الدنيا . ثم لا ينبغي للمؤمن أن يتمنى ما للبعض من أموال وأولاد وجاه ، فالله تعالى يقول : « فَلَا تَعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ، إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَعِذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَتَرْهَقُ أَنفُسَهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ » .

فليست للدنيا قيمة عند الله تعالى . لأنها للمؤمن دار عمل واختبار واجتياز . « الدنيا مزرعة الآخرة » . وقد جاء في الحديث : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة لما سقى الكافر منها شربة ماء » . وفي حديث آخر : « الدنيا دار من لا دار له ، ولها يعمل من لا عقل له » . وفي حديث آخر : « الدنيا ساعة ، فلا تجعلها إلا طاعة » . لذلك ، لا يهم الله كما في الآية الآتية : كفرُ الكافرين . فيعطيهم في هذه الدنيا الفانية من الأموال الطائلة و يجعل لبيوتهم سقفاً من فضة ٠٠٠ الخ . ولكن قد حدد نعمته و لطفه على هؤلاء الكفار في الدنيا لثلا يرغب المؤمن في الكفر اذا ما رأى : أن كل كافر في سعة ودعة ورغد من العيش . وكل مؤمن في ضيق ، فمنَّ على بعض المؤمنين المطعين بشيء من حطام الدنيا ونعيدها انه تعالى يقول : « ولو لا أن يكون الناس أمةً واحدةً لجعلنا من يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة و معراج عليها يظهرون . ولبيوتهم أبواباً و سروراً عليها يتکئون . وزخرفاً ، وإن كل ذلك لما مات من الحياة الدنيا والآخرة عند ربكم للمتقين » (١) .

إن الاسلام يريد أن يتنمي في الفرد قابلية العطاء لوجه الله وتقرباً إلى الله . ولذلك يفضل العطاء السري ، « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهر سراً وعلانية » . ويحرض الاسلام المسلمين على الانفاق غاية التحرير ولا يريد بالانفاق أن يكون حكومياً فحسب ، يؤخذ كل ما يؤخذ بصورة جبرية . لأن هذا النوع من العطاء لا ينمّي في الفرد سجية السخاء والعطاء لوجه الله تعالى ولا يجعل صلة متينة بين العبد والعبود لذلك جعل الاسلام الإنفاق على ضربين من إلزامي و اختياري .
وبديهي أن لا سلامً للعالم أجمع ولا اطمئنان الا بتزكية النفوس .

ولا ترکو النفوس إلا باتباع أوامر الاسلام : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » (٢)

فبحري بالمسلم أن يفهم الاسلام وأن يعمل في نشر الاسلام وتطبيق نظمه الاقتصادية في أصقاع العالم وأن لا ينخدع بكلمات هؤلاء الذين أسموا أنفسهم فلاسفة وعززوا نظرياتهم زوراً الى العلم والعلم من كل ذلك براء . فلتتخد من الحسين عليه السلام دروساً في التضحية ونكران الذات لخدمة هذا الدين . فان دين الاسلام دين المستقبل كما صرخ بذلك كبار الفلاسفة الالهوتين . انه تعالى يقول : « والذين جاهدوا فينا نهدينهم سبلنا وان الله مع المحسنين » (٣)

ولاحياة لهذه البشرية الفضالة ، بالمعنى الصحيح ، حياة تجعله يشعر بمركزه في هذا الكون ، حياة توصله الى معرفة الخالق جل وعلا والقيام بواجب الشكر والتطهير والتكامل الا بالعمل بهذه الآية الشريفة : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا الله والرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وانكم اليه ترجعون » (٤)

(٢) سورة الرعد : ٣٠ .

(٣) سورة العنكبوت : ٦٩ .

(٤) سورة الانفال : ٢٤ .

الإمام أمير المؤمنين (ع) ومسألة رياضية

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أقضاكم علي » وقال أيضاً : « ليهنتك العلم يا أبا الحسن ، لقد شربت العلم شرباً ونهلته نهلاً » .
 في كتاب (مشكلات العلوم) للنراقي أن : ١٧ جملة كانت مشتركة بين ثلاثة أشخاص ، فجاؤوا علياً عليه السلام وقالوا : إن نصف هذه الجمال لأحدنا وثلثها الآخر وتسعها لثالثنا ، ونريد أن نقسمها بيننا على أن لا يبقى باقٍ .
 فدعا علي (ع) بجمل له وأضافه إلى الجمال . فكانت ١٨ جملة .
 فأعطى نصف الجمال : (أي ١٨ جملة) إلى من له النصف ، أي أعطاه : (٩)
 جمال . وأعطى ثلث الـ (١٨) إلى من كان له الثالث ، أي أعطاه (٦) جمال .
 وأعطى تسع الـ (١٨) إلى من كان له التسع ، أي أعطاه جملين .
 ١٧ = ٢ + ٦ + ٩ ثم أرجع الجمل الذي أضافه إلى بيته .

* * *

قد يستغرب الشخص لأول وهلة عندما يلاحظ هذا الحل . ذلك ، لأن
 من كان له النصف يستحق $\frac{1}{2}$ من الجمال . ومن كان له الثالث يستحق
 $\frac{2}{3}$ من الجمال . ومن كان له التسع يستحق $\frac{1}{9}$ من الجمال . وان

$$\frac{1}{2} + \frac{2}{3} + \frac{1}{9} = \frac{16}{18}$$

 فالمجموع ١٦ جملة وجزء من ثمانية عشر جزءاً من جمل . فبقى إذن
 $\frac{17}{18}$ من جمل واحد لم يوزع بعد بين الشركاء . ولا يخفى أن الباقي وهو
 $\frac{17}{18}$ من جمل واحد يجب أن يوزع بين الشركاء أيضاً : على أن يأخذ الأول
 نصف هذا المقدار وان يأخذ الثاني ثلث هذا المقدار وان يأخذ الثالث تسع

هذا المقدار . مع العلم انه لا يراد نحر جمل أو تعويض بالقيمة في هذا التقسيم . فالتقسيم السابق على علاقته غير مطلوب ، لما يؤدي الى تجزئة الجمل الواحد الى كسور !

فلنأت بمثال حسابي بسيط بُعْنَية التوضيح :

مثال : لو أن رجلين أرادا أن قسم بينهما مبلغاً بنسبة : $\frac{1}{2}$ ، $\frac{1}{6}$. فنحن نقسم المبلغ بينهما بنسبة $\frac{1}{6}$ ، $\frac{1}{6}$ أي بنسبة : $\frac{3}{6}$ ، $\frac{1}{6}$ أي بنسبة $\frac{1}{6}$ (بنسبة البساط أو الصور) . فالمبلغ يقسم الى أربعة أقسام : ٣ منها تكون للشخص الأول ، وقسم واحد أو حصة واحدة تكون للشخص الثاني . ذلك لأن نسبة $\frac{1}{2}$ الى $\frac{1}{6}$ أي :

$$\frac{1}{2} = \frac{1}{6} + \frac{1}{6} + \frac{1}{6}$$

$$= \frac{1}{6} + \frac{1}{6}$$

$$= \frac{1}{6}$$

٣ حصة

فاذن : قسم المبلغ بين الشخصين بنفس النسبة المطلوبة . فاذا كان المبلغ ٤٠ ديناراً فللشخص الأول ٣٠ ديناراً وللشخص الثاني ١٠ دينار . ولكن لو اقترح علينا الشخصان : أن قسم بينهما المبلغ على ان يكون نصيب أحدهما النصف ونصيب الآخر السادس دون أن يبقى شيء يعطى لغيرهما . أي انهما قالا هكذا :

قسم بيننا المبلغ ٤٠ ديناراً على أن يكون لأحدنا النصف وللآخر السادس . فعلينا أن نقسم المبلغ بشكل لا يؤدي الى بقاء شيء من المبلغ . لأن المبلغ كله لهما .

فاذا قمنا بحل هذه المسألة حسب منطوق المسألة رقم (١) . يكون الجواب هكذا :

$$\frac{1}{2} + \frac{1}{6} = \frac{1}{6} + \frac{3}{6} = \frac{4}{6} = \frac{2}{3}$$

- ١٦١ -

فيقي $\frac{1}{3}$ المبلغ دون مالك ، حين أنه لهما .

فيجب اذن :أخذ نصف الثلث (الباقي) واعطاوه للأول وأخذ سدس
الثلث (الباقي) واعطاوه للثاني .

أي $\frac{1}{2} \times \frac{1}{3} = \frac{1}{6}$ يكون للأول

و $\frac{1}{6} \times \frac{1}{3} = \frac{1}{18}$ يكون للثاني ٠٠٠ أو

$(\frac{1}{2} + \frac{1}{6}) \times \frac{1}{3} = \frac{2}{3} \times \frac{1}{3} = \frac{1}{9}$

أي يجب اعطاء $\frac{1}{9}$ المبلغ لهما . فيقي أيضاً :

$\frac{1}{3} \times \frac{1}{3} = \frac{1}{9}$ دون مالك . ومعنى ذلك : أذن في كل تقسيم
يبقى $\frac{1}{3}$ الموجود دون مالك . حينئذ يبقى في التقسيم الثالث أيضاً ثلث

الباقي قبلًا ، أي $\frac{1}{3} \times \frac{1}{9} = \frac{1}{27}$

وفي التقسيم الرابع يبقى : $\frac{1}{3} \times \frac{1}{27} = \frac{1}{81}$ وهذا دوايلك .

اذن يكون نصيب الأول : المبلغ الأصلي $\times \frac{1}{2} (\frac{1}{2} + \frac{1}{3} +$

$\frac{1}{9} + \frac{1}{27} + \frac{1}{81} + \dots + \frac{1}{81} + \dots)$

أو نصيب الأول = المبلغ الأصلي $\times (\frac{1}{2} + \frac{1}{3} + \frac{1}{9} + \frac{1}{27} + \dots + \frac{1}{81} + \dots)$

نرى داخل القوس متواالية هندسية تنازلية أساسها : $\frac{1}{3}$

ومعلوم ان مجموع حدود متواالية هندسية أساسها أقل من الواحد :

$$r = \frac{1}{1 - r} \quad (\text{فيمما اذا كانت الحدود لا تنتهي اي } r \in \mathbb{R})$$

ويراد ب r = المجموع

ا = الحد الأول

ر = الأساس

$$\text{وبعد التطبيق: } h = \frac{\frac{3}{2}}{\frac{2}{3} - \frac{1}{3}}$$

نسبة الأول = المبلغ الأصلي $\times \frac{1}{2} \times \frac{3}{2} = \frac{3}{4}$ من المبلغ الأصلي
 ونسبة الثاني = المبلغ الأصلي $\times \frac{1}{6} \times \frac{3}{2} = \frac{1}{4}$ من المبلغ الأصلي
 وهذه النتيجة تطابق تماماً ما نحصل عليه فيما إذا قسمينا المبالغ بنسبة

كما بينا آنفاً

توضيح: لا يخفى أن مجموع حدود متواالية هندسية:

$$h = \frac{(1 - r^n)}{r - 1} = \frac{\text{عدد الحدود}}{\text{أر - ١}}$$

لنضرب صورة الكسر ومخرجه في (- ١) فتكون النتيجة:

$$h = \frac{1 - 1}{1 - r} = \frac{1(1 - r)}{1 - r} = 1$$

ولما كانت $r = \frac{1}{3}$ (إذا كانت $n = \infty$)

$$h = \frac{1}{1 - \frac{1}{3}} = \frac{1}{\frac{2}{3}} = \frac{3}{2}$$

$$h = \frac{1}{1 - r} = \frac{1}{1 - \frac{1}{3}} = \frac{3}{2}$$

لنعم الموضع ولنؤسس (نظيرية حسابية) . فنقول : لو أريد اعطاء $\frac{1}{1} + \frac{1}{1} > 1$ (أي مجموع $\frac{1}{1}$ و $\frac{1}{1}$ أقل من الواحد) ، فإن تقسيمباقي بصورة متسلسلة على نفس النسق يؤدي بالنتيجة إلى تقسيم المبلغ المذكور بنسبة الكسرتين $\frac{1}{1}$ ، $\frac{1}{1}$ دون أي فرق .

البرهان : بديهي انه في التقسيم الأول كان نصيب الشخص الأول : $\frac{1}{1}$ ، ونصيب الشخص الثاني : $\frac{1}{1}$ وما سبق هو كسر من المبلغ الأصلي ، يساوي :

$$1 - \left(\frac{1}{1} + \frac{1}{1} \right) = \frac{1 - 1 - 1}{1}$$

وقد فرضنا المبلغ الأصلي = 1

$$\text{ولنفرض: } \frac{1 - 1 - 1}{1} = k$$

وبحسب توضيحنا السابق ، سيكون مجموع سهام الشخص الأول بعد تقسيمات متواالية ، تقسيمات لا تنتهي متساوياً إلى كسر من المبلغ الأصلي يعادل :

$$\text{نصيب الشخص الأول} = \frac{1}{1} + \frac{k}{1} + \frac{k^2}{1} + \frac{k^3}{1} + \dots + \frac{k^n}{1}$$

ويكون مجموع سهام الشخص الثاني كسرأ من المبلغ الأصلي يعادل :

$$= \frac{1}{1} + \frac{k}{1} + \frac{k^2}{1} + \frac{k^3}{1} + \dots + \frac{k^n}{1}$$

وان ما في القوس من متواالية هندسية عدد حدودها = 50 وأساسها k ، مجموعها يساوي :

$$\frac{1}{1+b} = \frac{1}{1-k} = \frac{1}{1-b} = \frac{1}{1+k}$$

٠٠ يكون نصيب الشخص الاول كسرأ من المبلغ الاصلی يعادل :

$$\frac{1}{1+b} = \frac{1}{1+k} \times \frac{1}{1-b}$$

ونصيب الشخص الثاني كسرأ من المبلغ الاصلی يعادل :

$$\frac{1}{1+b} = \frac{1}{1+k} \times \frac{1}{1-b}$$

وإذا فرضنا المبلغ : م ، سيكون :

$$\text{نصيب الشخص الاول} = \frac{m}{1+b}$$

$$\text{ونصيب الشخص الثاني} = \frac{m}{1+b}$$

ومن المعلوم انه اذا أردنا تقسيم المبلغ م بين شخصين بنسبة $1/1$ ، $b/1$
يجب ان تقسمه حسب قواعد التقسيم المناسب بنسبة الكسور كما يلي :

$$\frac{م ب}{ن} = \frac{1/1}{1/1 + ب/1}$$

$$\frac{م ب}{ن} = \frac{1/1}{1/1 + ب/1}$$

ويلاحظ أن العمليتين أي تقسيم المبلغ حسبما قسمه على عليه السلام وحسب قواعد التقسيم المناسب بنسبة الكسور تعطيان نفس النتيجة . وهكذا يمكن أن نبرهن على صحة التقسيم فيما لو كان عدد الأشخاص أكثر من اثنين :

فإذا كان عدد الأشخاص ٣ وكسر الشخص الثالث $\frac{ح}{1}$ فان $\frac{1}{1}$ من المبلغ (في التقسيم الأول) يكون للشخص الأول و $\frac{ب}{1}$ من المبلغ يكون للثاني و $\frac{ح}{1}$ من المبلغ للثالث . وببقى من المبلغ الأصلي كسر يعادل : $أبـح - بـح - أـح$

$$1 - \left(\frac{1}{1} + \frac{ب}{1} + \frac{ح}{1} \right) = \frac{أـبـح}{1}$$

وبعد القيام بتقسيمات متواالية بمقدار لا ينتهي يكون نصيب الشخص الأول $= \frac{أـبـح}{1} + ك + ك^2 + ك^3 + ... + ك^n$ ، ونصيب الشخص الثاني $= ب \left(\frac{1}{1} + ك + ك^2 + ك^3 + ... + ك^n \right)$ ، ونصيب الشخص الثالث $= ح \left(\frac{1}{1} + ك + ك^2 + ك^3 + ... + ك^n \right)$. وأما مجموع المتواالية الهندسية داخل القوس عندما تكون $n = \infty$

يساوي :

$$\frac{1}{ا ب ح - ب ح - ا ح - ا ب} = \frac{1}{1 - ك}$$

$$\frac{ا ب ح}{ب ح + ا ح + ا ب}$$

وإذا عوضنا عما في الأقواس : (للأول وللثاني وللثالث) ، نحصل على ما يلي : (مع العلم ان المبلغ الاصلي = م)

$$\frac{م ب ح}{ب ح + ا ح + ا ب} \cdot نصيب الشخص الاول =$$

$$\frac{م ا ح}{ب ح + ا ح + ا ب} \cdot نصيب الشخص الثاني =$$

$$\frac{م ا ب}{ب ح + ا ح + ا ب} \cdot نصيب الشخص الثالث =$$

وهكذا إذا أردنا أن نقسم المبلغ : م بين ثلاثة أشخاص بنسبة ١/١ ، ٢/١ ، ٣/١ (أي تقسيماً متناسباً بنسبة الكسور) يكون :

$$\frac{م ب ح}{ب ح + ا ح + ا ب} = \frac{م \times ١/١}{ب ح + ا ح + ا ب} = نصيب الأول = \frac{١/١}{١/١ + ب/١ + ح/١}$$

- ١٦٧ -

$$\frac{م \times ب / ١}{ب ح + ا ح + ا ب} = \frac{م \times ب / ١}{ب / ١ + ب / ٢ + ب / ٣} = \text{نصيب الثاني}$$

$$\frac{م \times ح / ١}{ب ح + ا ح + ا ب} = \frac{م \times ح / ١}{ب / ١ + ب / ٢ + ب / ٣} = \text{نصيب الثالث}$$

والآن نأتي لحل المسألة حسبما وضعناه من نظرية برهنا على صحتها :
 والمسألة هي : ثلاثة أشخاص طلبوا أن تقسم بينهم ١٧ جملاء ، على أن يكون سهم الشخص الأول $\frac{1}{2}$ ونصيب الشخص الثاني $\frac{1}{3}$ وحصة الشخص الثالث $\frac{1}{9}$ ولا يبقى شيء .

ولما كان $\frac{1}{2} + \frac{1}{3} + \frac{1}{9} = \frac{17}{18}$ إذن يبقى من الجمال $\frac{1}{18}$ منها .
 وهذا يوجب أن نقسم الباقي وأعني به : $(\frac{1}{18})$ بصورة متسلسلة حسب منطوق المسألة حتى لا يبقى شيء . وقد برهنا على أن نتيجة هذه التقسيمات المتسلسلة التي لا تنتهي من حيث العمل الحسابي تطابق تقسيم ١٧ جملاء بنسبة الكسور :

$\frac{1}{2}, \frac{1}{3}, \frac{1}{9}$ فعليه يكون :

$$\frac{1}{2} \times ١٧$$

$$\text{نصيب الشخص الأول} = \frac{\frac{1}{2} \times ١٨}{\frac{17}{18}} = \frac{٩}{١٨}$$

$$\frac{1}{3} \times ١٧$$

$$\text{نصيب الشخص الثاني} = \frac{\frac{1}{3} \times ١٨}{\frac{17}{18}} = \frac{٦}{١٨}$$

- ١٦٨ -

$$\frac{1}{9} \times 17$$

$$\text{نصيب الشخص الثالث} = \frac{\frac{1}{9} \times 18}{\frac{17}{18}} = 2$$

ويرى ان العمل حسب التقسيم المناسب في ايجاد نصيب الشخص

$$\frac{1}{2} \times 17$$

$$\text{الأول أي : } \frac{\frac{1}{2} \times 17}{18} \text{ يطابق العمل حسبما أمر به علي عليه السلام}$$

$$\text{وهو ضرب 18 في } \frac{1}{2} \text{ أو : } \left(\frac{1}{2} + 1 \right) \times 17 = 0$$

أي يضاف على ١٧ جملاء ، جمل واحد . فيضرب المجموع في $\frac{1}{2}$ فيكون
نصيب الشخص الأول ، (أو يؤخذ نصفه) . وهكذا بالنسبة الى الثاني
والثالث :

$$0.0 \quad 0 + 6 + 2 = 17 \text{ جملاء (يطابق الأصل)}$$

ان قيام علي عليه أفضل الصلة والسلام بهذا النوع من التقسيم أي
اضافة ١ على ١٧ وأخذ نصف المجموع واعطاه الى الشخص الاول ، وأخذ
ثلث المجموع واعطاه الى الشخص الثاني وأخذ تسع المجموع واعطاه الى
الشخص الثالث أقرب الى أذهان العوام الذين لا يمكنهم أن يتوصلا الى
حقيقة تقسيم عدد بنسبة كسور اعتيادية : على أن يكون نسبة ما للأول الى
الثاني كنسبة النصف الى الثالث :

$$\frac{1}{2} \quad \text{الأول} \\ \frac{3}{2} = \frac{1}{3} \quad \text{الثاني}$$

ونسبة ما للثاني الى الثالث كنسبة الثالث الى التسع . أي :

$$\frac{1}{3} \text{ الثاني} = \frac{3}{9} \text{ وهو عدد مجرد} = \frac{1}{9} \text{ الثالث}$$

ونسبة ما للأول إلى الثالث كنسبة النصف إلى التسع ٠ أي :

$$\frac{1}{2} \text{ الأول} = \frac{1}{2} \text{ } 4 = \frac{1}{9} \text{ الثالث}$$

وهكذا نرى أن بعد تقسيم المبلغ حسب قواعد التقسيم المناسب بنسبة الكسور (أو تقسيم المبلغ بنسبة الصور بعد توحيد المخارج) ، تتحقق نفس النسب :

نصيب الأول

$$\frac{3}{2} = \frac{9}{6}$$

نصيب الثاني

نصيب الثاني

$$3 = \frac{6}{2}$$

نصيب الثالث

نصيب الأول

$$4 \frac{1}{2} = \frac{9}{2}$$

نصيب الثالث

وهكذا نرى أن علم الإمام علي عليه السلام يتجلّى في حل المسألة المذكورة بشكل مفهوم لدى العوام في ذلك الوقت ، حيث لم تكن العلوم الرياضية معروفة في الجزيرة العربية ، حالاً يطابق ما نص عليه علم الحساب الاستدلالي . وقد علمنا أن لا فرق بين المنطوقين : (١) تقسيم المبلغ بين ثلاثة

أشخاص على أن يأخذ الأول $\frac{1}{2}$ والثاني $\frac{1}{3}$ والثالث $\frac{1}{9}$ ولا يبقى شيء وبين : (٢) تقسيم المبلغ بين ثلاثة بنسبة الكسور الاعتيادية $\frac{1}{2}, \frac{1}{3}, \frac{1}{9}$ من حيث المال . وفي السؤال حالة خاصة ، أي ان المضاعف المشترك البسيط للمقامات = عدد الجمال $+ 1 = 17 + 1 = 18$. فاستفاد عليه السلام من هذه الحالة الخاصة وحل المسألة باضافة جمل على عدد الجمال فكان المضاعف المشترك البسيط : ١٨ ، ولو ضربت الكسور في ١٨ (المضاعف) لما تغيرت النسب ، ولكن كحالة خاصة يكون المجموع : $17 + 6 + 9 = 2 + 6 + 9 = 17$ مساوياً لعدد الجمال .

* * *

وقد رويت هذه المسألة بشكل آخر ولعلها هي مسألة أخرى ، ذلك : أن ثلاثة أشخاص أنوا علياً عليه أفضل الصلاة والسلام ومعهم ١٩ جيلاً وأرادوا أن تقسم كلها بينهم على أن يكون للأول $\frac{1}{2}$ وللثاني $\frac{1}{4}$ وللثالث $\frac{1}{1}$ ولا يبقى شيء . فقال علي عليه السلام : أضيفوا على ١٩ جيلاً ، جيلاً واحداً . فيكون (٢٠) . خذوا النصف وأعطوه الشخص الأول . وخذوا الربع وأعطوه الشخص الثاني وخذوا الخمس وأعطوه الشخص الثالث :

$$10 + 5 + 4 = 19 \text{ جيلاً}$$

فالحل حسبما أمر به علي (ع) : $1 + 19 = 20$ المضاعف المشترك البسيط (كحالة خاصة) .

نصيب الشخص الأول $= 20 \times \frac{1}{2} = 10$) (لا تتبدل النسبة لو

نصيب الشخص الثاني $= 20 \times \frac{1}{4} = 5$) ضربت كلها في نفس

نصيب الشخص الثالث $= 20 \times \frac{1}{5} = 4$) (المقدار)

$10 + 5 + 4 = 19$ (عدد الجمال ، كحالة خاصة أيضاً) .

فالحل حسب قواعد التقسيم المناسب :

$$\frac{1}{2} \times 19$$

$$\text{نصيب الشخص الأول} = \frac{1}{20} = \frac{19}{20}$$

$$\frac{1}{4} \times 19$$

$$\text{نصيب الشخص الثاني} = \frac{5}{20} = \frac{19}{20}$$

$$\frac{1}{5} \times 19$$

$$\text{نصيب الشخص الثالث} = \frac{4}{20} = \frac{19}{20}$$

فلا فرق بين النتيجتين ، اذ المنطوقان يؤديان الى نفس النتيجة ٠

سلام الله عليك يا علي ، من إمام مطاع للمنتقين وقاضٍ قدير ورياضي عظيم ، وعالم بطرق السماء أكثر منه بطرق الأرض ، ومخبر عن حركة الشمس قبل اكتشاف علم الميكانيك السماوي والتلسكوبات والمراقب للجسام ، وعالم بطول قطر الشمس قبل تقدم علم الفيزياء والفلك العالي ٠

سلام الله عليك يا أمير المؤمنين ، يا ميزان الاعمال وسيف ذي الجلال وساقي السلسيل الزلال ، وحجة الله البالغة ونعمته السابقة والصراط الواضح والنجم الائج ورحمة الله وبركاته ٠

المثل الكامل في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرعان مهمان من فروع الدين وواجب على كل مسلم أن يقوم بهما وجوب الصلاة ، وهما ركناً مهمان ، بهما تسعد الأمم وتبلغ أعلى مرتبة من الرقي والكمال . وقد قام على دعامتيهما الاسلام ، بلغ حيث بلغ .

ان الله تعالى يقول : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » . (سورة آل عمران : ١٠٠) وقد قال رسول الله (ص) : « اذا ظهرت البدع في امتی فليظهور العالم علمکه . فمن لم يفعل فعله لعنة الله » . وقال أيضاً : « لا تزال امتی بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر ، فإذا لم يفعلا ذلك نزعت منهم البركات وسلط بعضهم على بعض ولم يكن لهم ناصر في الارض ولا في السماء » .

وقال أيضاً : « ان الله ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له ، فقيل وما المؤمن الضعيف الذي لا دين له ، قال : الذي لا ينهى عن المنكر » . وجاء في حديث : « ويل لقوم لا يدينون الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » . ولا شك ان ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي الى تفسخ الأخلاق وهو علة العلل في تدهور الامم وسقوطها عدا ما هنالك من عذاب آخر يحيى . فعن أبي الحسن الرضا عليه السلام « لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليستعملن عليكم شراركم فيدعو خياركم ، فلا يستجاب لهم » . و « إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصالحة ، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض وتومن المذاهب وتحل المكاسب وترد المظالم » .

وتعمر الأرض وينتصف من الأعداء ويستقيم الأمر » كما جاء في الحديث .
هذا حسين عليه السلام قد أنكر على معاوية استخلاف يزيد ونهى عن
المنكر لأن يزيد ، لاستحلاله ما حرم الله وتهتكه حرمات الله ، ما كان أهلاً
ليتصدى خلافة العالم الإسلامي ، وهو في عنفوان نهوضه وازدهاره . يخاطب
حسين (ع) معاوية في كتاب له : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ لَا يُغَادِرْ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً
إِلَّا أَحْصَاهَا . وَلَيْسَ اللَّهُ بِنَاسٍ لِأَخْذِكَ بِالظَّنِّ وَقَتْلِكَ أَوْلِيَاءُ عَلَى التَّهْمَمِ
وَنَفِيكَ أَوْلِيَاءُ مِنْ دُورِهِمْ إِلَى دَارِ الْغَرْبَةِ ، وَأَخْذِكَ لِلنَّاسِ بِيَبْعَةِ ابْنِكَ غَلامَ
حَدَثٍ يُشَرِّبُ الشَّرَابَ وَيُلْعِبُ بِالْكَلَابِ . مَا أَرَاكَ إِلَّا قَدْ خَسِرْتَ نَفْسَكَ وَبَرْتَ
دِينَكَ وَغَشِشتَ رِعْيَتَكَ وَأَخْزَيْتَ أَمْتَكَ ۰۰۰ الْخَ » .

وان معاوية ليعرف بفضل الحسين (ع) ، فهو يقول لابنه يزيد : « وما
عسيت أذ أغيب حسيناً ، فوالله ما أرى للغيب فيه موضعًا » . وقد نصح
حسين عليه السلام معاوية أيضاً حين كان يزيد أخذ البيعة ليزيد بقوله : « تريد
أن توهם الناس في يزيد ، كأنك تصف محجوباً أو تنعت غائباً ، أو تخبر عما
كان مما احتويته بعلم خاص . وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه ، فخذ
лизيد مما أخذ به من استقراره الكلاب المهاشرة عند التحארش ، والحمام
السبق لأترابهن والقينات ذوات المعافر وضروب الملاهي تجده ناصراً ، ودع
عنك ما تحاول ، فما أغناك أن تلقى الله بوذر هذا الخلق بأكثـر مما أنت فيه » .
كيف لا يقوم حسين (ع) بهذه النهضة الخالدة . وقد سمع رسول
الله (ص) يقول : « من أرضى سلطاناً جائراً بسخط الله خرج عن دين الله » .
فإنه « لا طاعة لخلوق في معصية الخالق » . كيف لا يضحي سلام الله عليه
بنفسه وتقيسه وقد حفظ عن رسول الله (ص) : « لا تحل لعين مؤمنة ترى
الله يعصى وتطرف حتى تغيره » .

وعن أبي جعفر عليه السلام ، قال : أوحى الله إلى شعيب النبي : أني

معدّب من قومك مائة الف ، أربعين ألفاً من شرارهم وستين ألفاً من خيارهم
قال (ع) : « يا رب ، هؤلاء الأشرار ، فما بال الأخيار ؟ » فأوحى الله عز
وجل اليه : « داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبو الغضبي » .

فالمؤمن حقاً هو ذلك المؤمن الذي يغضب عند اتهام حرمات الله ويضحى
بما لديه إعلاه لكلمة الله العليا ، ففي حديث : « إن موسى بن عمران قال :
« يا رب من أهلك الذين تظلّهم في ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك ؟ ،
فأوحى الله إليه : الطاهرة قلوبهم والبريئة أيديهم ، الذين يذكرون جلالي ذكر
آبائهم إلى أن قال : والذين يغضبون لمحاري إذا استحلت » .

وإن الصحابة الموجدين في عصر الحسين (ع) كانوا يعلمون فسق يزيد
وظلمه فمنهم من رأى الخروج عليه كابن الزبير ومنهم من امتنع عن مبايعته
كعبد الله بن عمرو بن العاص حتى دعا نائب أمير مصر بالنار ليحرق عليه بابه .
ولولا خروج الحسين عليه السلام لأندرست معالم الدين وتمركت
البدع وضاعت السنن . كيف لا يكون ذلك ويزيد يقول متمثلاً بقول ابن
الزبير : « لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل » .

إن للحسين (ع) وذويه وأصحابه آياتٌ باهرات من الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر منذ خروجه من مكة حتى رجوع الأسرة النبوية بعد التضحية
الغالية إلى مدينة جدهم ثانية . وقد خطب الحسين عليه السلام حين عزم على
الخروج من مكة إلى العراق فقال : « بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله
ما شاء الله ولا قوة إلا بالله ، وصلى الله على رسوله ، خطط الموت على ولد
آدم مخط القلادة على جيد الفتاة وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى
يوسف وخير لي مصرع أنا لاقيه ، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوان
بين النواويس وكريلا ، فيما لأن مني أكرasha جوفا وأجربة سغبا ، لا محيسن
عن يوم خطط بالقلم ، رضا الله رضانا أهل البيت ، نصبر على بلائه ويوفينا

أجور الصابرين ، لن تشتد عن رسول الله (ص) لحمته وهي مجموعة له في حظيرة القدس تقر بهم عينه وينجز بهم وعده ، ألا ومن كان باذلاً فينا مهجهته وموطننا على لقاء الله نفسه ، فليرحل معنا ، فاني راحل مصباحاً انساء الله » . وقد حمل معه النسوة والأطفال كي يظهر للناس مبلغ الجور ومدى الظلم إثلاً يرکنوا إلى الظالم ولا يعرضوا عليه دينهم ولا يتبعوه في عالم دينهم .

يصل الحسين عليه السلام إلى كربلا مع أفلاذ كبده وأرحامه الأقربين ، فيقول : « ما اسم هذه الأرض » فيقال : كربلاء . فيقول سلام الله عليه : « اللهم اني أعوذ بك من الكرب والبلاء » ثم أقبل على أصحابه ، فقال كلمته الخالدة التي يجب أن تكتب بأحرف من نور .

« الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معايشهم ، فإذا محسوا بالباء قلَّ الديانون » . ما أعظم هذه الكلمة أنها تفسر الطابع الذي طبع عليه الجنس البشري في كل زمان ومكان ، ولا يشذ عن ذلك إلا الفد الأوحدي . « وقليل ما هم » . فطالما كان الدين سلعة تجارية تستترى بها الراحة والسلامة والمنافع الخسيسة الدنيوية . وطالما كان الدين وسيلة للبلوغ إلى مناصب زائلة فحرّف وغيره تبعاً للسياسة المستحكمة . انظروا كيف يخاطب الحسين (ع) جيش ابن سعد حين ركب فرس رسول الله (ص) يوم عاشوراء انه يقول :

« تباً لكم أيتها الجماعة وترحاه . أحين استصرختمونا والهين ، فأصرخناكم موجفين . سللتكم علينا سيفاً لنا في ايما لكم وحششتكم علينا ثاراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم ، فأصبحتم إلباً لأعدائكم على أوليائهم . بغير عدل أفسحوه فيكم ولا أمل أصبح لكم . فهلاً لكم الويلاط ، تركتمونا والسيف مشيم والجأش طامن والرأي لما يستحصف ، ولكن أسرعتم إليها كتهافت الفراش .

فسحقاً لكم يا عبيد الأمة وشذاذ الأحزاب ٠ ونبذة الكتاب ومحررٌ في الكلم
وعصبة الآثام ونفثة الشيطان ومطفيء السنن ٠ هؤلاء تعضدون وعنتا تخاذلون،
أجل والله غدر فيكم قديم وشحت عليه أصولكم وتأزرت عليه فروعكم ٠
فكنتم أخبث شر ، شجعى للناظر وآكلة للغاصب ، ألا وإن الدعى ابن الدعى ٠
قد ركز بين اثنين ، بين السلطة والذلة وهيئات منا الذلة ، يأبى الله لنا ذلك
ورسوله والمؤمنون ، حجور طابت وظهرت وأنوف حمية ونفوس أبية من أن
تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام ، ألا ترون أن الحق لا يتعمل به وبالباطل
لا يتناهى عنه فلا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا بربما ، ألا
وانني زاحف بهذه الأسرة وقلة العدد وخذلان الناصر ॥

ففي هذه الخطبة المنيفة عبر لا تتناهى ودروس محكمة لا تستقصى ،
تتفهمها نفوس زكية وأرواح نقية ٠

فقد تمَّ نهي الحسين عن المنكر بتقديم نفسه الزكية ونفوس أبنائه
الأبراء حتى ولده الرضيع وآخرته وأبناء أخيه وأبناء عمه للقتل وأمواله
للنهب وخباطه للحرق وعياله للأسر - ليُفدي بكل ذلك دين جده ويستنقذه من
أن يقضى عليه الخمور والفحوج ٠

لا يمكن أن تستقصى مراحل هذا النهي عن المنكر في هذه العاجلة
ونختم ذلك بنبذة يسيرة عن خطاب من توكلت هذه المهمة بعد قتل الحسين
عليه السلام ألا وهي شقيقته الكبرى زينب عليها السلام في مجلس يزيد :
« الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله وأله أجمعين صدق الله
كذلك حيث يقول : « ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بأيات
الله وكانوا بها يستهزئون » ٠

« أظننت يا يزيد ، حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء ،
 فأصبحنا نساق كما تساق الإماء : أنْ بنا هوانا على الله ولک عليه كرامة ،

وأن ذلك لعظم خطرك عنده ، فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك جدلاً مسروراً ، حيث رأيت الدنيا لك مشتوسقة والأمور متتسقة ، وحين صفا لك ملكتنا وسلطاناً ، فمهلاً مهلاً ، أنسىت قول الله تعالى : ولا تحسينَ الذين كفروا إنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا أثماً ولهم عذاب أليم » . « أَرِّمن العدل يابن الطلقاء تخديرك حراائرك وإماءك ، وسوقك بنات رسول الله (ص) سبايا ، قد هتك ستورهن وأبديت وجوههن ٠٠٠ إلى آخر ما قالت سلام الله عليها .

فليتinx; المسلمين من هذه التضحية الغالية دروساً بليغة لخدمة هذا الدين وقمع البدع وما جاءنا من وحشية وجاهلية في الأخلاق وتدليس النفوس من جراء إتباع نوازع الغرب الأئية ، التي هي خلاصة الشهوات الحيوانية الممتدة ..

وينبغي أن لا يبهرنا هذا التقدم الصناعي في عالم المادة فالإنسان ليس بمادة فحسب ، الإنسان إنسان بروحه ونفسه وملكتاته المعنوية . وإن اتباع الغرب في حضارته الشهوانية مما يؤدي إلى إماتة النفس الإنسانية وتسافلها إلى أسفل السافلين . والاسلام إذ يأمر بالعمل في شتى الحقوق من زراعية وصناعية وتجارية و عمرانية لا يحمل النفس الإنسانية تردى في دياجير الشهوات والآثام بل يجعل رائده الاسمي تكامل هذه النفس الإنسانية وإخراجها من حضيض البهيمية إلى أوج الملكوت . يعترف بذلك كبار فلاسفة الغرب المتصفون الذين لم يتبعوا الغرب في هذيانه وطريقه ومحونه ومادته الساحقة ، وكثيراً ما كتبوا أن هذه المدينة المادية الطائشة مآلها الزوال والانقراض .

فطوبى لنفوس إتعظت بكلمات أهل بيت العصمة (ع) فاتخذت منها
مناراً للعروج الى حيث الطمأنينة والخلود والكمال المنشود .

حسين هني وأنا من حسين

روى الحاكم في المستدرك بسنده عن بعلى العامري وصححه : أنه خرج مع رسول الله (ص) إلى طعام دعوا له . فاستقبل رسول الله (ص) أمام القوم وحسين مع الغلمان يلعب ، فأراد رسول الله (ص) أن يأخذه فطفق الصبي يفرّ هاهنا مرة وهاهنا مرة ، فجعل رسول الله (ص) يضاحكه حتى أخذه : قال فوضع إحدى يديه تحت قفاه والأخرى تحت ذقنه ، فوضع فاه على فيه يقبله ، فقال : « حسين مني وأنا من حسين ، أحب الله من أحب حسين » ، حسين سبط من الأسباط » .

وروى الحاكم في المستدرك أيضاً بسنده عن أبي هريرة ، قال رأيت رسول الله (ص) وهو حامل الحسين بن علي ، وهو يقول : « اللهم إني أحبك ، فأحببْه » ، وقال رسول الله (ص) : « من أحب أن ينظر إلى أحب أهل الأرض إلى أهل السماء فلينظر إلى الحسين » وعن صحيح الترمذى عن أنس بن مالك قال : « سئل رسول الله (ص) : أي أهل بيتك أحب إليك ، قال : الحسن والحسين » وكان يقول لفاطمة ، أدعى لي ابني فيشمها ويضمها إليه . وفي الإصابة عن أبي هريرة ، قال : خرج علينا رسول الله (ص) ومعه الحسن والحسين ، هذا على عاتقه وهذا على عاتقه وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة ، حتى اتهى علينا ، فقال : من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أغضبني . وكان النبي (ص) يصلّي فإذا سجد وثبت الحستان عليهما السلام على ظهره . فإذا أرادوا أن يمنعوهما ، وأشار إليهم أن دعوهما ، فلما قضى الصلاة وضعهما في حجره وقال : من أحبني فليحب هذين .

وكان (ص) يجثو للحسينين عليهما السلام فيركان على ظهره ، ويقول

لهم أجمل جملكما ونعم العدلان أنتما

وحملهما (ص) مرة على عاتقه ، فقال رجل : نعم الفرس لكما ، فقال
صلى الله عليهما وآله وسلم : ونعم الفارسان هما

وعن صحح الترمذى والنسائى كان رسول الله (ص) يخطب ، فجاء
الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان أحمران ، يمشيان ويعشان ،
نزل رسول الله (ص) من المنبر ، فحملهما ووضعهما بين يديه وقال : صدق
الله ، (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) ، نظرت الى هذين الصبيين يمشيان
ويعشان ، فلم أصبر حتى قطعت حادثي ورفعتهما

وخرج رسول الله (ص) ليلة في احدى صلاتي العشاء وهو حامل حسيناً ،
فوضعه ثم كبر للصلاة . فأطال سجدة الصلاة . قال راوي الحديث ، فرفعت
رأسى وإذا الصبي على ظهر رسول الله (ص) وهو ساجد ، فرجعت الى سجودي
فلما قضى الصلاة . قيل يا رسول الله : إنك سجدت بين ظهري صلاتك
سجدة أطلتها ، حتى ظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى اليك . قال (ص) :
كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أتعجله .
ومر (ص) على بيت فاطمة ، فسمع الحسين يبكي ، فقال : « ألم تعلمي
أن بكاءه يؤذيني » .

وهناك حوادث وأحاديث أخرى تدل على شدة حب النبي للحسين (ع)
لا مجال لذكرها مما يدل على عظمة منزلته عند الله وعند رسوله . وبديهي
أن رسول الله (ص) وهو سيد المرسلين لا يحب إلا عن دليل وهو أجل من
أن تؤثر فيه العواطف .

وإن الحسن والحسين سيداً شباباً أهل الجنة وهم إمامان قاماً أو
قعداً ، كما جاء في حديث صحيح .
وقد قال (ص) مرات عدة وبعبارات متنوعة كما روتة كافة كتب الحديث :

« إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربى ° فأجيب ، وإنى تارك فيكم ما ان
تمسكتم به لن تضلوا بعدي : الثقلين : كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيته °
فلا تتقدوهم فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا ، ولا تعلموهم فانهم
أعلم منكم ، وان اللطيف الخير نبأني أنهم لن يفترقا حتى يردا على الحوض »
وقد قال (ص) أيضا : « مثل أهل بيته فيكم مثل باب حطة من دخله كان آمنا
وقال أيضا : « مثل أهل بيته فيكم مثل سفينته نوح » °

كيف لا يحب رسول الله (ص) حسيناً وهو الذي سماه حسيناً وأذن
في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى وحنكه بريقه وعقّ عنه بكبس وأمر أمه
أن تحلق رأسه وتتصدق بوزن شعره فضة ° وهو الذي قام بتغذيته أربعين
يوماً وليلة ، لأن لبن فاطمة سلام الله عليها قد جف بعد أن ولدت حسيناً °
فطلب رسول الله (ص) مرضعة ، فلم يجد ، فكان يأتيه فيلقمه إيهامه ، فيمتصه °
ويجعل الله في إيهام رسول الله (ص) رزقاً يغذيه ° فأنبت الله لحمه من لحم رسول
الله (ص) ° وهذا ليس بشيء ينكره العقل السليم ، اذا صدقاً معاجز رسول
الله (ص) تلك المعاجز التي تفوق هذه المعجزة بدرجات ° فكيف لا يقوم
الحسين (ع) بعد الاطلاع على ما قدمناه بهذه النهضة المباركة وكيف لا نشارك
أهل البيت في الحزن والأسى في هذه الأيام المحزنة ، فان أهل البيت كانوا
اذا اهل شهر محرم الحرام اغتموا وحزنوا وأقاموا المأتم تخلidiaً لذكرى محبي
الشريعة بعد الاندثار ، أعني حسيناً عليه الصلاة والسلام °

نعم ، إن رسول الله (ص) لحزين في هذه الأيام ، بالك على ولده ،
كيف وقد بكى وحزن لهذه الفاجعة الأليمة قبل وقوعها وأقام المأتم لأجلها
في مجمع أصحابه فأخبرهم بها وبكى وبكوا البكائه ، فكان هو الذاكر وأصحابه
المستمعين وقد روى الشيخ أبو الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي في
كتابه أعلام النبوة ° فقال ما لفظه :

ومن انذاره (ص) ما رواه عروة عن عائشة (رض) قالت دخل الحسين ابن علي رضي الله تعالى عنهمَا على رسول الله (ص) وهو يوحى اليه فبرك على ظهره وهو منكب ولعب على ظهره ، فقال جبرئيل (ع) ، يا محمد إن امتك ستفتن بعده ويقتل ابنك هذا من بعده ومد يده فأناه بتربةٍ بيضاء وقال في هذه الأرض يقتل ابنك ، اسمها الطف . فلما ذهب جبرئيل خرج رسول الله (ص) والتربة في يده وفيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وحديفة وعمار وأبو ذر وهو يبكي ، فقالوا ، ما يبكيك يا رسول الله . فقال : أخبرني جبرئيل : إن ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف ، وجاءني بهذه التربة فأخبرني أن فيها مضجعه .

وفي العقد الفريد ، قال ومن حديث أم سلمة زوج النبي (ص) ، قالت : كان عندي النبي (ص) ومعي الحسين . فدنا من النبي (ص) ، فأخذته ، فبكى ، فتركته ، فدنا منه ، فأخذته ، فبكى ، فتركته . فقال له جبرئيل : أتجبه يا محمد . قال نعم . قال : أما إن امتك ستقتله ، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها ، فبسط جناحه فأراه منها ، فبكى النبي (ص) . وفي الصواعق المحرقة ، أن علياً مر بكربلاء عند مسيرة إلى صفين وحاذى نينوى قرية على الفرات ، فوقف وسأل عن اسم الأرض ، فقيل كربلاء . فبكى حتى بل الأرض من دموعه . ثم قال : دخلت على رسول الله (ص) وهو يبكي . فقلت ما يبكيك ؟ قال : كان عندي جبرئيل آنفاً وأخبرني أن ولدي الحسين يقتل بشاطئ الفرات بموضع يقال له كربلاء ، ثم قبض جبرئيل قبضةً من تراب أشمني آياه ، فلم أملك عيني ان فاضتا .

وقد قال الحسين (ع) : أنا قتيل العبرة ، لا يذكرني مؤمن الا استعبر . فالحسين عَبْرَةٌ كل مؤمن كما جاء في حديث صحيح . وكيف لا تفيض عينا المؤمن عندما يسمع أن حسيناً يتناول طفله الرضيع بعد أن جفت المراضع ،

فيشرف على الأعداء ، قائلًا : « إن كنا في زعمكم مذنبين ، فما ذنب هذا الرضيع ، وقد ترونـه يتلظى عطشاً ، وهو طفل لا يعرف الغاية ولم يأت بجنائية . ويلكم اسقوه شربة ماء ، فقد جفت محالب أمه وإن كنتم غير مصدقين خذوه مني واسقوه أنت » . فاختلف القوم فيما بينهم ، منهم من قال : اسقوا الرضيع ، ومنهم من قال : إن الحسين قد بلغ الغاية من الظمآن لو صبرتم قليلاً أسلم أمره اليكم . فجحشى ابن سعد العاقبة وأشار إلى حرمـلة قائلـاً : إقطع نزاع القوم ، فرمـى الرضيع بـسـهمـهـ لـهـ فيـ نـحـرـهـ ، فذبحـهـ منـ الـورـيدـ إلى الـورـيدـ ، وصارـ الطـفـلـ يـرـفـرـفـ عـلـىـ يـدـيـ والـدـهـ كـالـطـيـرـ المـذـبـوحـ ، فـأـخـذـهـ إـلـىـ الـخـيـمـ ، اـسـتـقـبـلـتـهـ اـخـتـهـ ، قـائـلـةـ : « ياـ أـبـهـ ، لـعـلـكـ سـقـيـتـ أـخـيـ مـاءـ » . فـأـجـابـهـاـ : « هـاـكـ أـخـالـكـ مـذـبـوحـاـ » . ثـمـ حـفـرـ الـأـرـضـ بـسـيـفـهـ وـدـفـنـ الرـضـيـعـ وـآـمـالـهـ

الحسين (ع) يعلم الناس الصلاة في أخرج ساعة

يقول الله تبارك وتعالى : « حافظوا على الصلوات والصلاوة الوسطى وقوموا الله قاتلين » . وفي موضع آخر : « ما سلّكتم في سقر قالوا لم ناك من المصليين » وفي مكان آخر : « ويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون » . فلم يهتم الدين الإسلامي بشيء اهتمامه بالصلاوة وقد جعلها أساساً لقبول بقية الأعمال بقوله : « الصلاة عمود الدين ، إن قبلت قبل ما سواها وإن ردت رد ما سواها » . « الصلاة قربان كل تقىي » . « أول ما يحاسب عليه الصلاة » . « وإن أول ما فرض الله تعالى الصلاة وآخر ما يبقى عند الموت الصلاة . وآخر ما يحاسب به يوم القيمة الصلاة ، فمن أجاب فقد سهل عليه ما بعده ، ومن لم يجب فقد اشتد عليه ما بعده » . وقال : « بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة » . وفي هذه الأحاديث كفاية لبيان أهمية الصلاة .

ان النبي (ص) كان كثير الصلاة حتى تورمت قدماه . وأما علي (ع) فكان يصلّي كل يوم وليلة الف ركعة . وقد قال فيه ابن أبي الحديد : « كان علي أعبد الناس وأكثرهم صلاةً وصوماً ومنه تعلم الناس صلاة الليل وملازمة الأوراد وقيام النافلة وما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطع بين الصفين ليلة الهرير فيصلّي عليه والسيّام تقع بين يديه وتمر على صهاليخه يميناً وشمالاً فلا يرتاع لذلك ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته » . وأما الحسين (ع) فكما روى ابن عبد البر في الاستيعاب حج خمساً وعشرين حجةً مashiya ونواباته تقاد معه وكان يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة . وقد صلّى الحسين (ع) صلواتٍ عدّة مشهورات منذ خروجه من مكة

فأرأ ، بُعْنَيْةُ الْاسْتِشَهَادِ فِي مَوْضِعٍ أَخْرَى ، صِيَانَةً لِحَرْمَةِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ٠
الأُولَى : أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ أَنْ سَارَ مِنْ بَطْنِ الْعَقْبَةِ وَنَزَلَ شَرَافَ ،
أَمْ عِنْدَ السِّحْرِ فَتِيَانَهُ فَاسْتَقْوَى المَاءُ وَأَكْثَرُوا ثُمَّ سَارُوا مِنْهَا حَتَّى اتَّصَفَ النَّهَارُ ٠
فَلَاقَاهُمُ الْحَرُّ وَمَعَهُ الْفَارَسُ وَكَانَ قَدْ أَثْرَ فِيهِمُ الْعَطْشُ ٠ فَأَمَرَ الْحَسَنُ (ع) ٠
فَتِيَانَهُ أَنْ اسْقُوا الْقَوْمَ وَارْوَوْهُمْ مِنَ الْمَاءِ وَرَشَفُوا الْخَيْلَ تَرْشِيفًا ، فَفَعَلُوا ٠
وَقَدْ حَضَرَ وَقْتُ صَلَاةِ الظَّهِيرَةِ ٠ فَأَمَرَ الْحَسَنَ عَلَيْهِ السَّلَامَ الْحَجَاجَ بْنَ مَسْرُوقَ
أَنْ يَؤْذِنَ ٠ فَلَمَّا حَضَرَتِ الإِقَامَةُ ، خَرَجَ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى
عَلَيْهِ ، وَقَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي لَمْ آتَكُمْ حَتَّى أَتَتْنِي كِتْبَكُمْ وَقَدَمْتُ عَلَيَّ ٠
رَسَائِلَكُمْ : أَنْ أَقْدَمَ عَلَيْنَا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَنَا إِمَامٌ ، لَعِلَّ اللَّهُ أَنْ يَجْمِعَنَا وَإِيَّاكُمْ عَلَى
الْهُدَىِ وَالْحَقِّ ٠ فَإِنْ كَنْتُمْ عَلَى ذَلِكَ فَقَدْ جَئْتُكُمْ فَاعْطُوْنِي مَا أَطْمَئِنُ إِلَيْهِ مِنْ
عَهُودِكُمْ وَمَوَاثِيقِكُمْ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَكَنْتُمْ لِمَقْدِمِي كَارِهِينَ ، انْصَرَفْتُ عَنْكُمْ
إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي جَئْتُ مِنْهُ إِلَيْكُمْ » ٠ ثُمَّ قَالَ لِلْمَؤْذِنِ : أَقِمِ الصَّلَاةَ ، فَأَقَامَ
الصَّلَاةَ ٠ فَقَالَ لِلْحَرِّ : أَتَرِيدُ أَنْ تَصْلِي بِاصْحَابِكَ ؟ فَقَالَ لَا ، بَلْ تَصْلِي أَنْتَ
وَنَصْلِي بِصَلَاتِكَ ٠ فَصَلَى بِهِمُ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَلَّ دُخْلُ خِيمَتِهِ ٠ فَلَمَّا
كَانَ وَقْتُ الْعَصْرِ أَمَرَ الْحَسَنَ عَلَيْهِ السَّلَامَ أَنْ يَتَهَيَّأَ لِلرُّحِيلِ ٠ ثُمَّ أَمَرَ مَنَادِيهِ ،
فَنَادَى بِالْعَصْرِ ، وَأَقَامَ ، وَاسْتَقْدَمَ الْحَسَنَ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَصَلَى بِالْقَوْمِ ٠ ثُمَّ
سَلَمَ وَانْصَرَفَ إِلَيْهِمْ بِوجْهِهِ ٠ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ٠ وَقَالَ : « أَمَا بَعْدُ ،
أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ تَتَقَوَّلُ اللَّهُ وَتَعْرِفُوا الْحَقَّ لِأَهْلِهِ ، يَكْنَ أَرْضَى اللَّهِ عَنْكُمْ ٠ وَنَحْنُ
أَهْلُ بَيْتِ مُحَمَّدٍ ، أَوْلَى بِوَلَايَةِ هَذَا الْأَمْرِ عَلَيْكُمْ ، مِنْ هُؤُلَاءِ الْمُدْعَينَ مَا لَيْسَ
لَهُمْ ، وَالسَّائِرِينَ فِيْكُمْ بِالْجُورِ وَالْعُدُوانِ ٠ فَإِنْ أَبْيَتُمُ الْكَرَاهَةَ لَنَا وَالْجُهْلُ
بِحَقْنَا وَكَانَ رَأِيْكُمُ الْآنَ غَيْرُ مَا أَتَتْنِي بِهِ كِتْبَكُمْ وَقَدَمْتُ عَلَيْهِ بِهِ رَسْلَكُمْ ،
انْصَرَفْتُ عَنْكُمْ » ٠ فَامْتَنَعَ الْحَرُّ وَأَصْحَابُهُ وَجَعَجَعُوهُ بِهِ حَتَّى أُورَدُوهُ كَرْبَلَاءَ ٠
وَإِنْ اتَّمَامُ الْحَرِّ بِأَيْمَانِ عَبْدَ اللَّهِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صَلَاتِهِ يَعْرَفُنَا قِبْلَةً

ان نفسه كانت قمينة لقبول الحق والفوز بالشهادة وحسن السمعة . لذلك يأتي حسيناً يوم العاشر نادماً تائباً فارأ من ابن سعد وأصحابه ، قائلاً : « هل لي من توبة » . فيتوب على يد الامام عليه السلام ، ويستشهد بين يديه وينفوز بالخلود الأبدي في نعيم أبيدي . وقد أتم الحر بهذا الرشاد الحجة على ابن سعد ومن والاه .

ونادى عمر بن سعد عشيّة يوم الخميس لتسع ماضين من المحرم قائلاً : « يا خيل الله اركبي وبالجنة ابشرني » . فركب الناس وزحفوا بعد العصر ، والحسين عليه السلام جالس أمام بيته محتب بسيفه فجاءه العباس عليه السلام قائلاً : يا أخي أتاك القوم . فقال : يا عباس ، « اركب بنفسك أنت حتى تلقاهم ، وتقول لهم : ما بالكم وما بدا لكم ، وتسألهم عما جاء بهم » . فأتاهم العباس (ع) في نحو عشرين فارساً ، فسألهم فقالوا : « قد جاء أمر الأمير أن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو نناجزكم » . قال : « لا تعجلوا حتى أرجع إلى أبي عبدالله فأعرض عليه » . فلما أخبره العباس بقولهم ، قال له : « إرجع إليهم . فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غدوة وتدفعهم عن العشيّة لعلنا نصلّي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره ، فهو يعلم أنني كنت أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار » . فرجع العباس عليه السلام ، وسائلهم ذلك . فتوقف ابن سعد . فقال له عمر بن الحاجاج الزبيدي . سبحانه الله . والله لو أنهم من الترك أو الدليم وسائلونا مثل ذلك ، لأجبناهم . فكيف وهم آل محمد . فجمع الحسين عليه السلام أصحابه قرب المساء فقال : « اثنى على الله أحسن الثناء وأحمده على السراء والضراء ، اللهم إني أحمدك على أن اكرمنا بالنبوة ، وعلمنا القرآن وفهمنا في الدين وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة ، فاجعلنا لك من الشاكرين » . ثم طلب إلى أصحابه أن يتفرقوا عنه چوف الليل ، وقال لهم : أتم في حلٍّ مني ، فلم يقبلوا وقابلوه بكلمات

تدل على عظمة اليمان فيهم فقام الحسين (ع) وأصحابه الليل كله ، يصلون ويستغرون ويدعون ويضرعون . باتوا ولهم دوي كدوى النحل ما بين قائم وقاعد وراكع وساجد .

سِمَةُ الْعَبِيدِ مِنَ الْخُشُوعِ عَلَيْهِمْ اللَّهُ أَذْنَ صَمَّتْهُمُ الْأَسْحَارُ
فَإِذَا تَرْجَلَتِ الْضَّحْيَ شَهَدَتِ لَهُمْ يَسِّرُ الْقَوَاضِبُ أَنَّهُمْ أَحْرَارٌ
وَلَمْ يَشْغُلُهُمْ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الشَّدَادِ وَاتِّصَارِ الْقَتْلِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ فَعَبَرُ
إِلَيْهِمْ فِي تِلْكَ الْلَّيْلَةِ مِنْ عَسْكَرِ ابْنِ سَعْدٍ اثْنَانَ وَثَلَاثَوْنَ رَجُلًاً . وَلَا أَعْلَمُ
كَيْفَ أَصْفَ هَذَا التَّهْجِيدُ . فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَرَوْنَ الْحَقَّ عَلَيْهِ وَقَدْ رَفَعُتْ عَنْهُمُ الْحَوَاجِبُ
وَكَشَفُ لَهُمُ الْغَطَاءُ . لَذِكْرِ تَرَاهُمْ مَأْنُوسِينَ فَرَحِينَ مُسْتَبْشِرِينَ . فَهَذَا بَرِيرُ ،
يَدَاعِبُ عَبْدَ الرَّحْمَنَ الْأَنْصَارِيَ وَيَضَاهِكُهُ . فَيَقُولُ لَهُ عَبْدَ الرَّحْمَنَ ، يَا بَرِيرُ ،
مَا هَذِهِ سَاعَةٌ بَاطِلٌ . فَيَجِيبُ بَرِيرٌ : « لَقَدْ عَلِمْ قَوْمِي أَنِّي مَا أَحْبَبْتُ الْبَاطِلَ
كَهْلًاً وَلَا شَابًاً ، وَإِنَّمَا أَفْعَلْ ذَلِكَ إِسْتِبْشَارًا بِمَا نَصِيرُ إِلَيْهِ . فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا
أَنْ نَلْقَى هُؤُلَاءِ الْقَوْمَ بِأَسِيافِنَا وَنَعَالِجُهُمْ بِهَا سَاعَةً ثُمَّ نَعَانِقُ الْحُورَ الْعَيْنَ » .
وَأَعْظَمُ صَلَاةً يَصْلِيْهَا الحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هِيَ صَلَاةُ ظَهَرِ الْعَاشِرَاءِ .
فِي بَحْبُوحَةِ الْوَغْيِ يَأْتِي أَبُو ثَمَامَةَ الصِّدَّاوِيَ حَسَنِيَاً قَائِلًاً : « يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ،
نَفْسِي لِنَفْسِكَ الْفَدَاءُ ، هُؤُلَاءِ قَدْ اقْتَرَبُوا مِنِّكَ . لَا وَاللَّهُ ، لَا يُقْتَلُ حَتَّىٰ أُقْتَلَ
دُونِكَ ، وَأَحَبُّ أَنْ تَقْرِيَ اللَّهَ رَبِّي وَقَدْ صَلَيْتُ هَذِهِ الصَّلَاةَ » . فَرَفَعَ الْحَسَنُ
عَلَيْهِ السَّلَامَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، وَقَالَ : « ذَكَرْتُ الصَّلَاةَ ، جَعَلَكَ اللَّهُ مِنَ الْمُصْلِينَ
الْذَّاكِرِينَ . نَعَمْ هَذَا أَوْلَ وَقْتُهَا » . فَالْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْعُ أَبَيِ ثَمَامَةَ أَنْ
يَجْعَلَهُ اللَّهُ مِنَ الْمُصْلِينَ . كُلُّ ذَلِكَ ، لِأَنَّهُ لَا فَضْيَلَةَ وَلَا مَقَامٌ أَعْلَى مِنْ أَنْ يَعْدَ
الْإِنْسَانُ مِنَ الْمُصْلِينَ . وَهَذَا تَقْسِيرٌ قَوْلُهُ تَعَالَى : « إِنَّ إِنْسَانًا خَلَقْ هَلْوَعًا ،
إِذَا مَسَهُ الشَّرُّ جَزَوْعًا وَإِذَا مَسَهُ الْخَيْرَ مُنْوِعًا إِلَّا الْمُصْلِينَ » . فَاسْتَشَنَى اللَّهُ
تَعَالَى الْمُصْلِينَ الْذَّاكِرِينَ . فَهُؤُلَاءِ بِصَلَوَاتِهِمُ الْمُقْبُولَاتِ تَطَهَّرُ نَفْسُهُمْ فَتَأْخُذُ

بالكمال ويكونون إذ ذلك فوق البشر العادي ، فلا يجزعون عند الشر ولا يمنعون اذا مسهم الخير .

ثم قال الحسين عليه السلام سلواهم ان يكفوا عننا . ففعلوا . فقال لهم الحسين بن تميم انها لا تقبل . فقال له حبيب بن مظاير : زعمت لا تقبل الصلاة من آل رسول الله (ص) وتقبل منكم يا خمار . فحمل عليه الحسين وحمل عليه حبيب رضوان الله عليه فقتل بديل بن صريم ثم قتل . فقال الحسين عليه السلام : « عند الله أحتسب نفسى وحماة أصحابى . الله درك يا حبيب ، لقد كت فاضلا ، تختم القرآن في ليلة واحدة » . وقال الحسين عليه السلام لزهير بن القين وسعيد بن عبد الله : تقدما أمامي حتى أصلى الظهر . فتقديما أمامه في نحو من نصف أصحابه حتى صلى بهم صلاة الخوف . فوصل إلى الحسين عليه السلام سهم ، فتقديم سعيد بن عبد الله ووقف يقيه النبال بنفسه ، ما زال ولا تخطى ، فما زال يرمى بالنبل حتى سقط إلى الأرض وهو يقول : « اللهم انهم لعن عاد وثمود . اللهم ، أبلغ بيتك عنى السلام وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح . فاني أردت ثوابك في نصرة ذريتك » . ثم قضى نحبه رضوان الله عليه ، فوجد فيه ثلاثة عشر سهما سوى ما به من ضرب السيوف وطعن الرماح ، وقد خطب الحسين في أصحابه بعد الصلاة ، فقال : « يا أصحابي ، إن هذه الجنة قد فتحت أبوابها واتصلت أنهارها وأينعت ثمارها وتولفت ولدانها وحورها وهذا رسول الله (ص) والشهداء الذين قتلوا معه ، أبي وامي يتوقعون قدومكم ويتباشرون بكم وهم مشتاقون اليكم ، فحاصموا عن دين الله وذبوا عن حرم رسول الله » .

هذه صلاة يصلحها الحسين (ع) في أخرج ساعة بين السيوف والرماح ، فيعلم الناس عظمة الواجب وأنه لا يترك بحال ، وأن أمر الله فوق جميع الاعتبارات . وأن الحرب والنضال انما هما لتقويم دين الله واحياء شعائر

الله ° يعلم الناس أن مبدأ الفضائل إنما هو في صلاة يؤديها الإنسان شكرًا لخالقه ° وأن لا فضيلة دون صلاة وخشوع الله تبارك وتعالى ° يقدم درسًا عملياً : إن الشواغل الدنيوية من تجارة ومرض ولعب وسباق وجهاد وغيرها محكومة تجاه عظمة الصلاة ، ولا عمل لمن لا صلاة له مهما عظم العمل في نظره أو في نظر الناس ° وهو صلوات الله عليه يختتم هذه الصلاة التي لا تشبيهاً أية صلاة بمناجاة ينادي بها ربه حين يقى وحيداً فريداً قائلاً :

تركت الخلق طرأ في هواكما وأيتمت العيال لكي أراكما
فلو قطعتني في الحب إربأ لما مال الفؤاد الى سواكما
فالى الاستفاضة من الدروس الحسينية والاستفادة من عظمته وآثاره
الخالدة أدعوا إخوانى المسلمين °

لماذا أبكي حسيناً (ع) ^(١)

ما هذا الحزن الذي يحيط بالعالم الإسلامي عند هلال محرم الحرام؟
ما هذا الأسى الذي يتداخل كل مسلم في هذه الأيام؟ ما هذا الوجوم
الذي يعم الآفاق؟ لماذا هذه المآتم وهذه المجالس المتعددات في شرق العالم
وغربه؟ لماذا تغلق المjosوس حوانيتها ثلاثة أيام في هذا الشهر؟ لماذا أتباع
براهما پوترا في الهند يقيمون المآتم ويدللون وينفقون؟ لماذا تصرف آلاف
الدنانير لاطعام الفقراء والمساكين في هذه الأيام؟ ذلك لأن حادثاً عظيماً يهز
العالم هزاً، ذلك لأن الفضيلة تصطدم بالرذيلة فيكون من نصيتها الخفوق
أولاً ثم الفتح والانتصار. ذلك لأن الضلال يريد أن يعود فيأتيه الحسين
عليه السلام بنفسه وتقيسه فيقمعه قمعاً. ذلك لأن الجاهلية الجهلاء تريد أن
تبرز من جديد فتقابها السبط بما عز لديه: بطفله ووالده وسيبي رحله وذراريه،
ذلك لأن الشرك يريد أن يخرج من قرن الشيطان فتتداركه رحمة الله الواسعة:
حسين عليه السلام فيتحققه محققاً بأخيبة تحرق وستور تهتك وثغور تقعع.
كيف لا يهتز العالم لهذا الحادث العظيم وإن حياته فيه: ألا وهي الخلود في
نعيim أبدى بتطهير النفس من الدنس والرجس وبعبادة الرحمن: ذلك الذي
خلق الإنسان لأجله. كيف لا يضطرب العالم شakraً وتقديراً، فإنه لو لا
هذا الحادث الجلل لكان مستغرقاً في عبادة الشمس واللات والعزي. فلو
بذل العالم كل ما فيه من مال وذاب حزناً وأسى وكآبةً وسال دموعاً لما وفي
حقاً من حقوق محبي الشريعة ومجددها أعني حسيناً عليه الصلاة السلام.
ما هذا البكاء؟ إنما هو زفرات يزفرها الإنسان مصحوبة بالدموع

(١) كلمة ألقيت في العشرة الأولى من شهر محرم الحرام.

بصورة غير اختيارية اعترافاً بعظمة الحسين عليه السلام وتقديرأ لأعماله الجباره الخالدة . انما هو مظهر من مظاهر الحب والولاء . انما هو امارة من امارات العشق والوداد . وقد جاء في الحديث : « هل الدين الا الحب والبغض ؟ » ٠٠٠

نسمع كثيراً أن كبار الرجال من سياسيين عظام الذين لم يسمعوا أنهم بكتوا لحادثة ، يذكرون في تاريخ حياتهم أنهم بكتوا مرتين أو ثلاثاً طيلة حياتهم أما على أم لهم توفيت أو أب خطفه ريب المنون . كل ذلك لحب يتجلى في سبيل دموعاً ساخنات . وحسين والله قد خدم البشرية أضعاف ما يخدم الوالد ولده والوالدة ولدتها . لأنه أحيا نقوس العالم الضالة وأخرجها من الحيرة الى نور الهدایة وهداهم سواء السبيل ٠

لقد حضرت في احدى العواسم حفلة رائعة لتخليد ذكرى الكيمياوي الشهير : برثلو (Berthelot) وإن أكثر مدن العالم قد احتفلت في نفس اليوم بذكرى هذا الكيمياوي الذي خدم العالم خدماتٍ ماديةً تفيد البدن خاصةً . وما هي نسبة احياء النفس الانسانية بصورة أبدية الى خدمة بدنية يقدمها الكيمياوي مع تقديرنا لخدمته ٠

ان الشرع الاسلامي قد نهى عن البكاء لأمور تافهة دنيوية وأمر بالصبر وجعل البكاء مبطلاً للصلوة واستثنى البكاء أثناء الصلاة خوفاً من الله تعالى أو حباً للحسين السبط ، ولذلك يقول صلوات الله عليه : « أنا قتيل العبرة ، لا يذكرني مؤمن الا استعتبر » . فالبكاء على الحسين عليه السلام من علامات الايمان الواقعي الحقيقي . كان الصادق عليه السلام يقول : « الحسين عبرة كل مؤمن » ٠

ليس البكاء على امحاء الفضيلة يبعث على الذل والمسكنة كما يظنه البعض . فان النقوس لتصدأ كما يصدأ النحاس ، ولا يزيل هذا الصدأ الا

البكاء من خشية الخالق والبكاء على ملتقى الفضائل ومجمع التضحيات
الحسين عليه الصلاة والسلام ٠

كان صديق لي من الافضل في النجف الاشرف يقول لي : « اني أشعر
أن نفسي تصدأ إن لم أحضر مجلس الحسين عليه السلام في كل أسبوع مرة
فأبكي ، فإذا بكيت أشعر بعد البكاء بارتياح وفرح وسرور واطمئنان وترفع
عن العالم المادي » ٠ فالمizza الفارقة بين البكاء الباعث على الذل والهوان
هو ذلك البكاء الذي يتعقبه حزن وكآبة وظلمات ، ولكن البكاء من عقاب
الخالق أو البكاء للندم الحصول للانسان من جراء ما اقترفت يداه من الذنوب
يريح النفس ويبعث على السرور والفرح وكل من جرب ذلك يصدقني
فيما أقول ٠

ولقد شاهدت أناساً كثيرين ي يكونون حسيناً بأخلاق لا تأخذهم في الله
لومة لأنهم جربتهم وسبّر لهم فرأيهم من خيار الناس وأبرارهم ٠ فكأنّ هذا
البكاء الخالص لو كان عن معرفة يؤثر في النفس فيهديها سواء السبيل ،
فتبدو آثار هذه الهدایة في الافعال والمعاملات ٠ أليست التجربة مدار البحث
في علم النفس الحديث أو بالأحرى في علم مظاهر النفس ٠ أليس أكثر مقتبسات
علم النفس الحديث تتم بطريقة آنكت (Enquête) أي السؤال والتتبع
والفحص عن تقسيمات ثلاثة من الناس ٠ وقد وجدت الذين لا يرتكبون البكاء
على الحسين عليه السلام أقل عطفاً وحناناً من الطبقة الأولى المارة الذكر ٠
فاني أرى أن من علائم الانسان الكامل أن يحزن وي بكى لهذا الحادث العظيم
الذي به تجلى الدين وبه عرف الله وبه عبد ٠ كيف لا ويزيد يقول ممثلاً
بقول ابن الزبعري :

« لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندف ان لم أنتقم منبني أحمد ما كان فعل »

فهذا بكاء بكاء للدين والله تعالى وهذه الدموع يتجلّى فيها التقدير والشكر والثناء ، ومن تبع أدوار هذا البكاء الحسيني علم كيف يأخذ بالأسباب فيجعله في وادٍ كله صفاء وَكَلَهُ نُورٌ ۝ ولا يسع المجال أن نقل مقالاً ضافياً طالعته في مجلة الكلية التي تصدر بيروت عن فوائد البكاء المادية وكيف يفيد العين وكيف يكون سبباً لقتل كثير من الجرائم التي تصاب بها العين . ذلك لأن كل ما جاء في الشرع الحمدي من أعمال لها فوائد روحية تؤدي إلى كمال النفس الإنسانية وفوائد مادية تقييد الحياة المادية والاجتماعية .

ثم أليس عظماء الدين كانوا غزيري الدمعة مع بسالتهم وشجاعتهم وقيامهم بأعمال خارقة . هذا علي عليه السلام ، يصفه ضرار بن ضمرة قائلاً : « كان والله غزير الدمعة ۝ إلى أن قال ۝۝۝ لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخي الليل سدوله وغارت نجومه ، قابضاً على لحيته الشريفة يتململ تململ السليم ويبكي بكاءحزين ۝۝۝ الخ » .

ليس البكاء على الفقيد ببدعة والادلة على ذلك كثيرة : منها الأصل العملي يقتضي إباحة البكاء على الفقيد ورثاءه بالقريرض وتلاوة مناقبه ومصائبها والجلوس حزناً عليه والاتفاق عنه في وجوه البر .

ويستفاد من الأدلة اللفظية والসيرة القطعية والأصل العملي استحباب البكاء ، اذا كان الفقيد مستجماً لصفات الفضل أو مضحياً نفسه في سبيل احياء الفضيلة ، كي يتأنس به الآخرون ويقتدى به الباقيون فتنمو الفضيلة و تستأصل الرذيلة . ان النبي صلى الله عليه وآلله وسلم قد بكى يوم احمد على عمه حمزة حتى قال ابن عبد البر في ترجمته : « لما رأى النبي (ص) حمزة قتيلاً بكى ، فلما رأى ما مثل به شهق (وذكر الواقدي أن النبي (ص) كان يومئذ اذا بكت صفية يبكي و اذا نشجت ينسج قال : وجعلت فاطمة تبكي فلما بكت بكت رسول الله (ص)) .

وقد أخرج البخاري أن النبي (ص) بكى على جعفر وزيد وقال : « اخواي مؤنساي ومحدثاي » ٠٠ وقد بكى رسول الله (ص) يوم مات ولده ابراهيم كما في الجزء الاول من صحيح البخاري صفحة : ١٤٨ ٠ فقال له عبد الرحمن ابن عوف : وأنت يا رسول الله ؟ قال « يابن عوف : أنها رحمة ، ثم اتبعها يعني عبرته) بآخرى ٠ فقال : « ان العين تدمع والقلب يحزن ولا تقول ما يرضي ربنا وانا بفارقك يا ابراهيم لحزونون » ٠

ومنها يوم ماتت احدى بناته (ص) فجلس على قبرها كما في صحيح البخاري وعيناه تدمعنان ٠ ومنها يوم مات صبي لاحدى بناته إذ فاضت عيناه يومئذ — كما في صحيح البخاري وصحيح مسلم فقال له سعد : ما هذا يا رسول الله ٠ قال : « هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وانما يرحم الله من عباده الرحماء » ٠

وقد ذكر ابن عبد البر في استيعابه ما لفظه : دخلت فاطمة وهي تبكي وتقول واعماله ٠ فقال رسول الله (ص) : « على مثل جعفر فلتبك البواكي » ٠ وان أهل المدينة الطيبة لا يزالون الى الان اذا ناحوا على ميت بدأوا بالنياحة على حمزة ٠ وما ذاك الا مواساة لرسول الله (ص) بمصيبته في عممه ، وأداء لحق تلك الكلمة التي قالها في البعث على البكاء عليه وهو قوله (ص) : « لكن حمزة لا بواكي له » ٠

وأخرج ابن سعد كما في الفصل الثالث من الباب الحادي عشر من الصواعق المحرقة لابن حجر عن الشعبي قال : مر علي (عليه السلام) بكرباء عند مسيرة الى صفين وحاذى نينوى فوقف وسائل عن اسم الارض ، فقيل كربلاء ٠ فبكى حتى بل الارض من دموعه ٠ ثم قال عليه السلام : « دخلت على رسول الله (ص) وهو يبكي فقلت ما يبكيك : (بأبي أنت وأمي) ٠ قال : « كان عندي جبرائيل آنفا ، وأخبرني أن ولدي الحسين يقتل بشاطئ

الفرات بموضع يقال له كربلاء »

وأخرج الملا (كما في الصواعق أيضا) أذ عليا عليه السلام مر بموضع قبر الحسين (عليه السلام) ، فقال : « هاهنا مناخ ركبهم وهاهنا موضع رحالهم وهاهنا مهراق دمائهم ٠ فتية من آل محمد يقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض » ٠

ومن حديث أم سلمة كما نص عليه ابن عبد ربہ المالکی حيث ذكر مقتل الحسين عليه السلام في الجزء الثاني من العِقد الفريد ٠ قالت : « كان عندي النبي (ص) ومعي الحسين ، فدنا من النبي (ص) ، فأخذته فبكى ، فتركته فدنا منه ، فأخذته فبكى ، فتركته ٠ فقال له جبرائيل اتحبه يا محمد ٠ قال : نعم ٠ قال ان امتك ستقتلها وان شئت أريتك الارض التي يقتل بها فبكى النبي صلی الله علیه وآلہ وسلم ٠

فالى تعظيم الشعائر والى احياء وتقوية الدين بخليل اسم من خلد الدين وأحياته وأعني به حسين الفضيلة وحسين الاباء أدعوا اخواني المسلمين ٠

كيف نجلب الشباب الى حظيرة الاسلام

كل منا يعلم أن الأكثريّة الساحقة من شبابنا اليوم بعيدون عن الاسلام كل البعد ، فهم بين مؤمن بمبادئ الاسلام غير مؤدٍ للفرائض ومنفلت عن الاخلاق الاسلامية الا القليل وبين مستهزيء بال المقدسات وال تعاليم الاسلامية وناظر الى ما أوجبه الله من واجبات نظرة سخرية واذراء وبين عدوٍ للإسلام وبمبادئه . كل ذلك ، لأن الصهيونية والمسيحية والاستعمار قاموا منذ مائتي سنة بأساليب شتى عن طريق التعليم وتأسيس نوادي للشباب وغيرها يأتزاع العقيدة الاسلامية عن الشباب وعرض الاسلام كمبده بال خافي لا يماشي الترقى والتقدم ، كمبدأ معارض لمفاهيم العصر والحضارة الغربية التي يجب أن تعتنق مواكبة السير التقدمي بين الأمم والا فالموت والفناء !

فقد خسرنا نتيجة جهود بذلها الغرب ٨٠٪ من شبابنا . وان العدد ليتفاقم يوماً بعد يوم . مع العلم ان الشباب طاقة لا يستهان بها بل هو الثقل الوزين الذي يجب أن يتحمل مسؤولية الاحتفاظ بالرسالة المحمدية ونشرها بين الأصقاع .

فما الذي يجب أن تقوم به لارجاع الشباب المخدوع الى حظيرة الاسلام والى تفهم الاسلام كمبدأ يفي بجميع ما يحتاجه الانسان من دساتير لتكامله في جميع الحقوق من اجتماعي واقتصادي وقضائي وعسكري وسياسي وعلمي وما يحتاجه من تعاليم لتحقيق آخرة سعيدة .

هذا ما يجب أن يفكر فيه المفكرون وان يكون شغفهم الشاغل . لا شك : ان النشرات الدينية تؤثر الى حد ما في ردع الشباب عن غوايتم وتحبيهم الاسلام . ولكن قل من يحمله حب الاطلاع على اقتناء نشرات دينية ومطالعتها

وان المجالات الخلاعية لا تدع مجالاً للتفكير في نواحي اخرى تهذيبية .
ومن الواضح أن التدريس في المدارس من ابتدائية وثانوية وعالية
لا يتنى على توحيد الله تبارك وتعالى وعز وجل نظام وقانون في هذا الكون
إلى الله المبدع الحكيم . بل تدور على الالسنة : أن الطبيعة هي التي صنعت
كذا وجهزت بکذا وان الطبيعة عالجت وتداركت ! . إلى ما هنالك . فينشأ
الطالب بعيداً عن توحيد الله تبارك وتعالى في أرضه وسمائه ، بعيداً عن
تقديسه وعز وجل كمال اليه (١) . وقد يقول أمره إلى الاحاد !
لا سمح الله .

هذا هو الواقع المرير الذي نلمسه اليوم في شبابنا . فهل تكفي الموعظ
فحسب ومن يرى الشباب حتى يعظهم ؟ وفي أي محل يعظهم ؟ فهل هناك
من مشوقات لاجتماعهم في محل خاص ؟!
فأساليب الدعوة إلى حظيرة الاسلام يجب أن تتطور حسب مقتضيات
العصر . شريطة أن لا تتنافى مع ما قرره الشرع الشريف .

فلا بد أن ينير الأثرياء من المسلمين مقدرين الوضع المبكي باذلين من
نقوسهم ونفائسهم لتأسيس نوادي للشباب يرأسها من يعتمد عليه في دينه
وتقواه وعلمه ، فيطبق ل التربية الشباب في أوقات فراغهم مناهج اسلامية رصينة .
إن هذه النوادي هي مدارس اسلامية تجذب الشباب إليها بالأسلوب
شيق ، وفيها قاعة لالقاء المحاضرات ، وفيها مصلى كبير لإقامة الفرائض ،
و فيها مكتبة اسلامية وفيها ساحات لرياضات بدنية وما يقوى الأجسام وهناك
صفوف لالقاء دروس في الدين والأخلاق وعلم التجويد والتفسير وتاريخ
الاسلام . وهناك امتحانات تعين مقدار أهلية الشاب للقيام بالدعوة الاسلامية

(١) قد يصرف أحدهم عشرين سنة من العمر للوقوف على حياة النملة
بالتفصيل . أفالا يجدر به أن يصرف شيئاً من العمر لمعرفة خالق النملة !

فهذه النوادي أو المدارس الإسلامية لها مناهجها وساعات للعمل وفعاليات
شتى ، وتعلم في الوقت نفسه بعض الصناع لاستعين بها البشر بالدين
الإسلامي : (الداعية) في بعض الأحيان وعند الضرورة .

إن في الشباب طاقات وقوى لابد وأن تتجه بصورة طبيعية لتبذل
في ناحية من النواحي بشكل سلبي أو ايجابي ، ف علينا أن تستغل هذه الطاقات
وأن تستفيد منها ل التربية الشاب تربية سليمة ، تربية إسلامية رصينة ، تربية
فيها مرغبات مشروعة ومشروقات يقرها الدين الإسلامي : جمال المحل ، النظافة
المتناهية ، تلاوة القرآن بصوت رخيم ، أخلاق فاضلة وتحاب وتواد أمر
بهم الإسلام .

الشاب يريد أن يعمل ، يريد أن ينتج ، يريد الحركة والفعالية ، وهذه
النوادي تحقق رغبات الشباب وذلك بتقسيم واجبات وفعاليات شتى على
الشباب المنتجين إلى هذه النوادي : من إدارة مكتبة أو تطبيق منهج أو القاء كلمة
أو هداية شاب أو المساعدة فيما يقوى الجسم من رياضة بدنية وألعاب
رياضية مشروعة أو القيام بأعمال نجارية لترتيب قاعة المحاضرات إلى ما هنالك
من فعاليات لا تدع مجالاً لأن تصرف أوقات فراغ الشاب في ما يفسد
دينه ودنياه .

وقد شاهدت في استانبول قبل حوالي أربعين عاماً نادياً هاماً أسسه
قس أمريكي يرتدي الألبسة العادية ، إن هذا النادي كان يتميّز إلى جمعية
الشبان المسيحيين (Y. M. C. A) . كنت ترى في هذا النادي ما يتحقق راحة
الشاب من مناضد وكراسي ووسائل للمطالعة وساحات للعب ، وقد لاحظت
أنه قد وضعت في القاعة الكبرى قطعة مكتوب عليها سورة الفاتحة من
القرآن الكريم وبجنبها قطعة أخرى مكتوب عليها عبارات من الانجيل المتداول .
وكانت تلقى محاضرات على الطلاب في كل أسبوع في أوقات معينة

لتوجيههم الى هدف معين ، وكانت تقوم الجمعية في الصيف بأخذ الشبان الى سواحل البحر ونصب الخيم لتدريبهم تحت مناهج معينة واستعمالتهم نحو الهدف المنشود !

يقول الاستاذ محمد مهدي الاصفي في كتابه : (من حديث الدعوة والدعاة) :

دعيت في طهران الى الكنيسة الانجيلية من قبل الدكتور (جان آلدري) زعيم الحركة المسيحية في ايران لتحدث عن شؤون الاسلام وال المسيحية فأدهشني نشاط الحركة وتوسعتها وقوتها وإيمان أصحابها بها واهتمام المسيحيين بتجهيزها وتمويلها . وأشجانى أكثر من أي شيء آخر : أنني رأيت ثلاثة من الشباب المسلم المتضرر يعملون في تسخير هذه الحركة وتجهيزها . فكان ينادي أحدهم الآخر : مصطفى ، محمد ، حسن ، علي ، فسألت عن حالهم . فقالوا : « نحن من المسلمين المتنصرين ، راقتنا الدعوة فاستجبنا لها » . فسألتهم عما إذا كانوا يعرفون شيئاً عن الاسلام ، فكان الجواب بالنفي . وكانوا لا يحسنون قراءة شيء من القرآن . مع العلم أنهم كانوا يحفظون جملة طويلة من العهد الجديد والعهد القديم من الكتاب المدعوه بـ (المقدس) .

يقول الاستاذ الاصفي : « تعتمد المسيحية في التبشير على الأساليب العاطفية أكثر من أي جانب آخر وتستغل العاطفة قبل أن تستغل العقل أو من غير أن تستغل العقل . فطقوس العبادة تجري في جو متکهرب بموسيقى عذبة وألحان شجية مثيرة والنشيد الديني يسبح على فضاء الكنيسة ممتزجاً بالأغمام الموسيقية في جو ممعطر ساحر . والنشيد حقل من حقول الشعر العاطفي الرقيق ، يلعب بأفكار الحاضرين وعواطفهم ، فتسد عليهم منافذ العقل والتفكير . ثم هناك ضروب الاغراء والوعود الكاذبة . فالمؤمن الخاطئ اذا اغتنسل بماء التعميد واعترف للقسسين بكل شيء فقد وهب الله له ما تقدم

من ذنبه ، وما أدرك ما لمشهد التعميد من روعة وسحر » ٠

ما لا شك فيه أن الغزو التبشيري كان يعتمد منذ أمد بعيد على فتح مدارس ابتدائية وثانوية وسلسلة من النشرات بورق جيد وطباعة آنية لمحظوظ الطبقات : للأطفال والشبان وغيرهم ٠

واما التبشير المسيحي في إفريقيا فحدث عنه ولا حرج ، فإنه يجري بمقاييس واسع جداً ، فهناك مبشرون يوفدون مع تعليمات خاصة للمستعمرات ، وتفتح للأهلين معاهد للتدرис ثم يؤتى بطبعه وتطبع فيها النشرات المسيحية ، فإذا حاولت هذه المستعمرة أن تتحرر ، رجع هؤلاء المبشرون وحل محلهم مبشرون آخرون من طراز آخر وتعليمات خاصة ، فإذا تحرر البلد نهائياً واستقل استقلالاً تماماً حل محل هؤلاء القسيسين قسيسين آخرون وهكذا ٠٠٠ ولكن الأفريقيين يميلون مع كل ذلك إلى الإسلام أكثر من أي دين آخر ويدخلون في دين الإسلام أفواجاً وأفواجاً ، لعلهم أن الإسلام يأمر بالتحرر والاستقلال ويأبى الذل والاستعمار ٠

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » (١) ٠

وقد قرأت في احدى المجالس أن عدداً كبيراً من الشبان المسلمين في (ويته) عاصمة أطريش قد تقدموا بطلب إلى المراجع الدينية يرجون فيه أن يرسل إليهم عالم ديني يعلمهم مبادئ الدين القويم ٠

وقد تأسس مركز إسلامي في جنو (Génève) في سويسرا باسم (Islamic center) لنشر تعاليم الإسلام والاتصال بالجمعيات الإسلامية في أرجاء العالم ٠

وهناك جمعيات إسلامية مهمة تأسست في الهند تعمل لأجل نشر الإسلام في أنحاء العالم ولها نشرات بلغات شتى ، وهناك نداءات تأتي من اليابان

(١) سورة المنافقين : ٨

يطلبون بالحاج أن يرسل لهم دعاء يدعون الناس إلى الاسلام ° واما افريقيا فخير بقعة لنشر الاسلام في الوقت الراهن فان عدد المسلمين يزداد في افريقيا (٤٠٠٠٥٠٠) نسمة في كل سنة ، وقد كان في بداية القرن العشرين (٤٠٠٠٠) مسلم في كوناكو واليوم عددهم (٣٦٠٠٠) وان (لومومبا) كان يميل إلى الاسلام ، وكان يقول : « اني اتعجب أن المسيحيين كانوا يعلمنا في المدارس أن نحترم الأسس المسيحية و كانوا يقولون يجب أن يسود الحب والودام بين أفراد البشر ، ولكن المسيحيين أنفسهم كانوا يخالفون ما يقولون ، وكانوا يتحققون أسس المدينة والانسانية تحت أقدامهم وان التعليمات المدرسية تخالف مخالفة صريحة مع معاملتهم السود : الملونين » ° كما أن في أمريكا مجالاً واسعاً لتشييت دعائم الاسلام °

فالاسلام دين الفطرة ، دين العقل والمنطق ، تتقبله النفوس بكل ارتياح ، لذلك فواه ينتشر في استراليا من قبل جمالين ، وذلك أن القاطنين في استراليا احتاجوا إلى وسائل النقل بعد المدن بعضها عن بعض بمسافات شاسعة ، وأرسل لهم من الأفغان عدد من الجمال مع أصحابها المسلمين ، فشر هؤلاء الجمّالون الدين الاسلامي مع كونهم من عوام الناس في تلك الاصقاع ، وبني المسلمون هناك مساجد فخمة ينتلي فيها كتاب الله وتقام فيها الصلوات ° فليعلم شبابنا ان الغرب لا يزال متمسكاً بدينه ، وهو يحارب الاسلام بشتى الوسائل ، ففي أمريكا (٢١٢٠٠٠) داعية للتبرير بدين المسيح (ع) ، وعشرات الالوف من الكنائس والأديرة والمؤسسات التبشرية وما الى ذلك من المعاهد والمستشفيات ° والحكومة الامريكية تبذل الدولارات في هذا السبيل ، وللكنيسة سلطتها في أمريكا ° ولقد ترجم الكتاب المقدس : (الانجيل) المتداول الى ٦٣٠ لغة ° وفي بعض الجامعات توضع صورة المسيح (ع) على شهادة التخرج °

فجدير بشبابنا أن لا تأخذهم في الله لومة لائم وأن يعملوا مجدين لنشر الاسلام في أصقاع الأرض ، أينما حلوا ، بعد دراسة الاسلام دراسة متقدمة ودراسة القرآن الكريم دراسة وافية وعلم الحديث وشيء من الفقه . ففي ذلك نجاتهم ونجاة العالم مما تنتابه من ويلات ولهم بذلك عند الله أجر عظيم . « ومن أحسن قوله » من دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال ابني من المسلمين » (١) .

شهر الغفران

ان الله تبارك وتعالى لعلمه بما ستجنيه هذه النفس الأمارة بالسوء من الموبقات والمدنسات والخبائث ، هيأ لها شتى الوسائل لتنوب الى ربها وتكتفّ عن سيّتها وتحظى بغفران الله وجليل رحمته . ومن أهم تلك الوسائل المطهرة للنفس الإنسانية من الدنس والرجس هو شهر رمضان المبارك بما فيه من امساك وتسبيح وتهليل وتحميد ومناجاة وتلاوة قرآن وصدقة وإطعام وكفّ النفس والجوارح عن الأذى وكل ما يؤدي الى التسافل والتدعس . فالصوم نعم المربّي وإن شهر رمضان المبارك شهر تربية وتركيّة ، شهر تهذيب وتشقّيف دينيين . فكما أن بعض الأمم تخصص أسبوعاً لشؤون التربية فتسمى هذا الأسبوع أسبوع التربية أو أسبوع المعرف ، كذلك فإن الله تبارك وتعالى رحمة بعباده قد خصص شهراً للنابة والاستغفار وكفّ النفس عن مشتبهاتها كي تكمل بالصبر والعزم على اقتحام الأذى . فان النفوس تقاس بدرجة تحملها التواب وصبرها على المكاره . لذلك قد جاء في الحديث القدسي أن الله يقول : « الصوم لي وأنا أجزي عليه » وفي حديث آخر : « عمل ابن آدم هو له إلا الصيام فهو لي وأنا أجزي به » . نعم أن الله يمتحن عباده بالصبر على البلاء والمكاره لأمررين : أولهما : أن البلاء والمكاره مهدّبة للنفس آخذة إياها الى أرفع مراتب الكمال ، ثانيهما : ليكون الجزاء عن جدارة وليةاقة . وهو القائل : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفي » . ولا شيء أعلى مرتبة عند الله من الصبر . والصوم تمرين ورياضة على الصبر . فقد قال الله تعالى كما جاء في الحديث : « كل أعمال ابن آدم بعشرة أضعافها الى سبعينياته ضعف الا الصبر فانه لي وأنا أجزي به » . فشوّاب الصبر مخزون عند الله الصبر هو الصوم . وقد

روي في قوله تعالى : « واستعينوا بالصبر » أي بالصيام . ولما كان الصوم في الحر أشد لذلك جاء عن الصادق عليه السلام : « مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي الْحَرِّ فَأَصَابَهُ ظَلْمٌ وَكُلَّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ أَلْفُ مَلَكٍ يَسْحُونَ وَجْهَهُ وَيُشَرُّونَهُ حَتَّى يَفْطُرَ وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : مَا أَطْبَ رِيحُكَ وَرُوحُكَ ، مَلَائِكَتِي اشْهَدُوا أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ » .

ومن كلام رسول الله (ص) : الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر . وإنما سمي هذا الشهر بشهر رمضان ، لأنَّه يرمض الذنوب (أي يحرقها) كما جاء في الحديث . وفي الأقبال عن كتاب العجفريات عن الكاظم عن الصادق عن زين العابدين عن الحسين بن علي عن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال : لا تقولوا رمضان ، فإنكم لا تدرؤون ما رمضان ، فمن قاله فليتصدق ولি�صم كفارة لقوله ، ولكن قولوا كما قال الله تعالى : شهر رمضان . كل ذلك تنويهاً بعظمة هذا الشهر حتى سماه الله تعالى باسمه . ولكن قد ورد في بعض الأخبار لفظ رمضان مجردًا عن لفظ الشهر ولذلك حمل على الكراهة .

الصوم زكاة الابدان ومظهر ايها من الخبائث . فقد جاء في الحديث : ان لكل شيء زكاة و Zakat of the body الصيام . وما أعظم الخطاب الذي خطبه رسول الله (ص) الناس قبيل شهر رمضان المبارك ، فإنه مستجمع لجميع الخصال التي يكون بها الإنسان إنساناً كاملاً ، انه خلاصة جميع الفضائل ودستور جامع لجميع الكلمات . فأين هذا البشر المادي المسكين من التمسك بهذه الفضائل وتتبع هذه المكرمات ، ليست الوسائل المادية من النفس الإنسانية وكمالها في شيء . ولا أعلم ماذا ينتظر البشر بعد هذا الدستور الإلهي . فلا دستور بعد دستور محمد (ص) وهل تجدون معشار ما في هذا الحديث النبوبي من دساتير تكامل البشر في نظريات : دكارت أو اسپينوزا

أو مالبرانش أو برگسون (Bergson) أو اسپنسر أو روسو .

فقد روى الصدوق في الأمالى بسنده عن الرضا عن أبيه عن آبائه عن علي عليهم السلام عن النبي (ص) انه خطب الناس ذات يوم فقال : « أيها الناس ، إله قد أقبل اليكم شهر الله تعالى بالبركة والرحمة والمغفرة . شهر هو عند الله أفضل الشهور وأيامه أفضل الأيام وليلاته أفضل الليلات و ساعاته أفضل الساعات . وهو شهر قد دعيت فيه الى ضيافة الله وجعلتم فيه من أهل كرامة الله ، أنفاسكم فيه تسبيح ونومكم فيه عبادة وعملكم فيه مقبول ودعاؤكم فيه مستجاب . فاسأموا الله ربكم بنيات صادقة وقلوب طاهرة أن يوفقكم لصيامه وتلاوة كتابه ، فان الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم . واذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيمة وعطشه . وتصدقوا على فقرائكم ومساكينكم ، ووقرروا كباركم وارحموا صغاركم وصلوا ارحاماكم واحفظوا ألسنتكم وغضوا عما لا يحل النظر اليه أبصاركم وعما لا يحل اليه الاستماع أسماعكم وتحنوا على أيتام الناس يتخحن على أيتامكم ، وتوبوا الى الله من ذنوبكم ، وارفعوا اليه أيديكم بالدعاء في أوقات صلواتكم ، فانها أفضل الساعات ، ينظر الله عز وجل فيها بالرحمة الى عباده ويحييهم اذا ناجوه ويلبيهم اذا نادوه . ويستجيب لهم اذا دعوه » .

« أيها الناس إن أنفسكم مرهونة ب أعمالكم ففكوها باستغفاركم ، وظهوركم ثقيلة من أوزاركم ، فخففوا عنها بطول سجودكم ، واعلموا أن الله جل ذكره أقسم بعزته أن لا يعبد المصلين والمساجدين ، وان لا يروعهم بالنار يوم يقوم الناس لرب العالمين » .

« أيها الناس من فطر منكم صائمًا مؤمناً في هذا الشهر كان له بذلك عند الله عتق رقبة ومغفرة لما مضى من ذنبه . فقيل يا رسول الله وليس كلنا يقدر على ذلك . فقال (ص) اتقوا النار ولو بشق تمرة . اتقوا النار ولو

بشربة من ماء » .

« أيها الناس من حسن مشكم في هذا الشهـر خلقـه كان له جواز على الصراط يوم تزل فيه الأقدام . ومن خفـ فيـه منكم عـما ملـكت يـمينـه خـفـ الله عليه حـسابـه وـمن كـفـ فيـه شـره كـفـ الله غـضـبـه عـنـه يـوم يـلاقـاه ، وـمن أـكـرمـ فيـه يـتـيمـاً أـكـرمـه الله يـوم يـلاقـاه . ومن قـطـعـ فيـه رـحـمـه قـطـعـ الله عـنـه رـحـمـته يـوم يـلاقـاه . ومن تـطـوعـ فيـه بـصـلـاة كـتبـ الله لـه بـرـاءـة من النـار ، وـمن أـدـىـ فيـه فـرـضاً كـانـ له ثـوـابـ من أـدـىـ سـبـعينـ فـرـيـضـةـ فيما سـواـهـ من الشـهـورـ . وـمن أـكـثـرـ فيـه من الصـلاـةـ عـلـيـ شـفـقـةـ الله مـيـزـانـهـ يـوم تـخـفـ المـواـزـينـ . وـمن تـلاـ فيـه آـيـةـ من الـقـرـآنـ كـانـ له أـجـرـ من خـتـمـ الـقـرـآنـ فيـ عـيـرـهـ من الشـهـورـ » .

« أيها الناس إـنـ أـبـوـابـ الجـنـانـ فيـ هـذـاـ الشـهـرـ مـفـتـحةـ ، فـاسـأـلـواـ اللهـ ربـكـمـ أـنـ لـاـ يـعـلـقـهاـ عـنـكـمـ ، وـأـبـوـابـ النـيـرـانـ مـغـلـقـةـ ، فـاسـأـلـواـ اللهـ ربـكـمـ أـنـ لـاـ يـفـتـحـهاـ عـلـيـكـمـ ، وـالـشـيـاطـينـ مـغـلـولـةـ ، فـاسـأـلـواـ اللهـ ربـكـمـ أـنـ لـاـ يـسـلـطـهـاـ عـلـيـكـمـ » .

قال أمير المؤمنين عليه السلام ، فقمت وقلت يا رسول الله ، ما أفضـلـ الأـعـمـالـ فيـ هـذـاـ الشـهـرـ ؟ فقال يا أـباـ الـحـسـنـ ، أـفـضـلـ الـاعـمـالـ فيـ هـذـاـ الشـهـرـ : الـورـعـ عنـ محـارـمـ اللهـ عـزـ وـجـلـ . ثمـ بـكـىـ . فـقـلتـ ياـ رسـولـ اللهـ ، ماـ يـبـكـيـكـ ؟ فقالـ ياـ عـلـيـ ، لـمـ يـسـتـحلـ مـكـ فيـ هـذـاـ الشـهـرـ . كـأـنـيـ بـكـ ، أـنـتـ تـصـليـ لـربـكـ وـقـدـ اـنـبـعـثـ أـشـقـىـ الـأـوـلـيـنـ وـالـآـخـرـيـنـ : شـقـيقـ عـاقـرـ نـاقـةـ ثـمـودـ ، فـيـضـرـبـكـ ضـرـبةـ عـلـىـ قـرـنـكـ تـخـضـبـ بـهـاـ لـحـيـتـكـ ، قالـ أمـيرـ المـؤـمـنـيـنـ عـلـيـهـ السـلـامـ ، فـقـلتـ : ياـ رسـولـ اللهـ وـذـلـكـ فيـ سـلـامـةـ مـنـ دـيـنـيـ ؟ فقالـ (صـ)ـ : فيـ سـلـامـةـ مـنـ دـيـنـكـ . ثمـ قـالـ ياـ عـلـيـ ، مـنـ قـتـلـكـ فـقـدـ قـتـلـنـيـ وـمـنـ أـبـعـضـكـ فـقـدـ أـبـعـضـنـيـ ، لـأـنـكـ مـنـيـ كـنـفـسيـ وـطـيـنـتـكـ مـنـ طـيـنـتـيـ الـآـخـرـ الـحـدـيـثـ .

ساعات هذا الشهر المبارك

قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في أول خطبته المشهورة : «أيها الناس ، إنك قد أقبل عليكم شهر الله تعالى بالبركة والرحمة والمغفرة ». حقاً ، إن هذا الشهر شهر الرحمة وشهر المغفرة . فقد جاء في الإقبال بسنده عن أبي عبدالله (ع) ، قال : « اذا كان أول ليلة من شهر رمضان غفر الله لمن شاء من الخلق ، فإذا كانت الليلة التي تليها ضاغفهم ، فإذا كانت الليلة التي تليها ضاغف كلما اعتق إلى آخر ليلة في شهر رمضان يضاغف مثل ما اعتق في كل ليلة ». وبسنده عن سعيد بن جبير ، سألت ابن عباس : ما لمن صام شهر رمضان وعرف حقه ؟ قال تهيا يا ابن جبير حتى أحذثك بما لم تسمع أذناك ولم يمر على قلبك .. (إلى أن قال) : سمعت رسول الله (ص) يقول : « لو علمتم ما لكم في شهر رمضان لزدتم الله شكرأ . اذا كان أول ليلة منه غفر الله لأمتى الذنوب كلها سرها وعلانيتها . ورفع لكم ألفي ألف درجة وبنى لكم خمسين مدينة ، ثم ذكر لكل يوم من أيامه فضلاً عظيماً ، (إلى أن قال) : فإذا تم ثلاثون يوماً كتب الله عز وجل لكم بكل يوم مر عليكم ثواب ألف شهيد وألف صديق وكتب الله عز وجل لكم عبادة خمسين سنة وكتب الله لكم بكل يوم صوم ألفي يوم ورفع لكم بعدد ما أنبت النيل درجات وكتب الله عز وجل لكم براءة من النار وجوازاً على الصراط وأماناً من العذاب . وللجنة باب : يقال له الريان ، لا يفتح إلى يوم القيمة . ثم يفتح للصائمين والصائمات من أمة محمد (ص) . ثم ينادي رضوان خازن الجنة يا أمة محمد ، هلموا إلى الريان . فتدخل أمتى من ذلك الباب . فمن لم يغفر له في شهر رمضان ففي أي شهر يغفر له » . وفي حديث آخر : « إن الله ملائكته موكلين بالصائمين يستغفرون لهم في كل يوم من شهر رمضان إلى آخره ،

وينادون الصائمين كل ليلة عند افطارهم : ابشروا عباد الله ، فقد جعتم قليلاً
وستتبعون كثيراً بوركتم وبورك فيكم . حتى اذا كان آخر ليلة من شهر
رمضان : ناداهم ابشروا عباد الله ، فقد غفر الله لكم ذنوبكم وقبل توبتكم ،
فانظروا كيف تكونون فيما تستأنفون » .

كيف لا يكون كذلك ، وإن الصائم يعتزم ترك النسمة والغيبة والفحش
والسباب وأكل أموال الناس بالباطل والكذب على الله ورسوله والنظر إلى
ما حرم الله والجدل والمراء والخمر والميسر والربا وكل ما حرم الله ورسوله
صلى الله عليه وآله . فإنه بتركه هذه الموبقات يوشك أن تحصل له طبيعة
ثانية ظاهرة وأن يصبح إنساناً كاملاً سوياً مقرباً إلى الله وموضعاً لرحمته
وجزيل سبيه .

كم رأينا أناساً كانوا قد توغلوا في الشهوات والمدنسيات ، فتظهرروا عنها
بغضل شهر رمضان المبارك ، فإنه كما قال رسول الله (ص) في خطبته المشهورة :
« أيامه أفضل الأيام وليلاته أفضل الليالي وساعاته أفضل الساعات » . وذلك
لأن الإنسان يشعر وهو صائم أنه يتقرب إلى ربه في كل لحظة وهو يذكر
الله في كل آن ، فكلما عطش أو جاع تذكر أنه يطيع الله ويمثل أوامرها بتحمله
هذا العطش وذلك الجوع ، فيتوجه بكله إلى خالقه وتقوى هذه الرابطة
بين العبد والعبود . وإن النفس الإنسانية لتتپئر بدرجات قوة هذه الرابطة .
ما أحلى الصوم ، فإنه ذكر عملي لله تعالى ، ويلي هذا التذكر ما يقوم
به الصائم من أعمال خيرية مؤكدة في هذا الشهر : أدعية خاصة بالنهار ، دعاء
عند الافطار وغسل في ليالي الأفراد وأدعية بعد الافطار وصلوات مستحبة
في كل ليلة وتلاوة القرآن وحضور مجالس الوعظ والارشاد والقيام بصلوة
الليل عند السحر ومناجاة الله تعالى في الأحس哈尔 وقراءة أدعية السحر .
حقاً ، إن هذه الأعمال توصل الإنسان إلى يقين كامل وإلى اطمئنان

تفسى يكون العبد فيه كأنه يرى الله تعالى ويناجيه .
ما أحلى الاستغفار والبكاء من خوف الباري عند السحر . وهو القائل :
« وبالاسحاق هم يستغفرون » .

أتذكر تلك الساعات الشديدة التي كنت أقضيها في حرم مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام . فقد كنت أرى بجنبي رجالاً مؤمنين غمرهم حب إلهي ، يقرؤون دعاء أبي حمزة الشمالي المروي عن زين العابدين علي بن الحسين (ع) ، وهم يبكون بكاء الشكلي . تنهمل دموعهم على خدودهم خوفاً من الله تعالى وشوقاً إليه . وقد تمنعهم هذه الدموع الملوءة بفرح عظيم الاستمرار في القراءة . قد علاهم من الخشوع والخضوع والخلو بالله تعالى حالة لا يشعر بها إلا ذو حظ عظيم .

وها إني اذكر من هذا الدعاء بعض فقراته . ليعلم هذا الانسان المادي أنه لم يخلق للدنيا فحسب ، وإنما خلق لحياة خالدة ، لـ (جنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين) . فـ « الدنيا مزرعة الآخرة » .

يقول زين العابدين (ع) في دعائه : « إلهي لا تؤدبني بعقوبتك ، ولا تمكر بي في حيلتك ، من أين لي الخير يا رب ولا يوجد إلا من عندك ، ومن أين لي النجاة ولا تستطاع إلا بك . . . (الى أن يقول) : الحمد لله الذي أنا ذيه كلما شئت لحاجتي وأخلو به حيث شئت لسري ، بغير شفيع فيقضي لي حاجتي . . . (الى أن يقول) : معرفتي يا مولاي دلتني عليك ، وحبي لك شفيعي إليك ، وإنني واثق من دليلي بدلانتك ، وساكن من شفيعي إلى شفاعتك ، أدعوك يا سيدني بلسان قد أخرسه ذنبه . رب ، أنا جيك بقلب قد أوبقه جرمـه . . . (الى أن يقول) : وما أخـا يا رب وما خطـري ، هبني بفضلـك وتصدقـ على بعفوـك ، أي رب جلـني بـستركـ واعـف عن توـسيـ بيـ بـكرمـ وجهـك . . . (الى أن يقول) فـوزـتكـ يا سـيدـي ، لو اـتـهـرـتـيـ ماـ بـرـحتـ منـ

بابك ، ولا كففت عن تملقك لما انتهى إلية من المعرفة بجودك وكرمك ٠٠٠ (الى آن يقول) : سيدتي لعلك عن بابك طردتني ، وعن خدمتك نحيتي ، أو لعلك رأيتني مُستخفًا بحقك فاقصيتي ، أو لعلك رأيتني مُعرضًا عنك فقلتني ، أو لعلك وجدتني في مقام الكاذبين فرفضتني ، أو لعلك رأيتني غير شاكر لنعماك فحرمتني ، أو لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني ، أو لعلك رأيتني في العاقلين فمن رحمتك آيستني ، أو لعلك رأيتني آلف مجالس البطالين فبیني وبينهم خليتي ٠٠٠ (الى آن يقول) : وأعني بالبكاء على نفسي ، فقد أفننت بالتسويف والآمال عمرى ، وقد نزلت منزلة الآيسين من خيري ، فمن يكون أسوأ حالاً مني إن أنا نقلت إلى مثل حالي إلى قبر لم أمهد لرقدتي ولم أفرشه بالعمل الصالح لضجعتي . ومالي لا أبكي ولا أدرى إلى ما يكون مصيري . وأرى نفسي تخادعني وأيامي تخاتلني وقد خفقت عند رأسي أجنحة الموت . فمالي لا أبكي . أبكي لخروج نفسي، أبكي لظلمة قبري ، أبكي لضيق لحدى ، أبكي لسؤال منكرٍ ونكير إياي ، أبكي لخروجى من قبلى عرياناً ذليلًا حاملاً ثقلي على ظهري : أنظر مرة عن يميني وآخر عن شمالي ، اذ الخلاق في شأنٍ غير شأنى ٠٠٠ (الى آن يقول) : إلهي ، إن عفوت فمن أولى منك بالعفو ، وإن عذبت فمن أعدل منك في الحكم . إرحم في هذه الدنيا غربتي ، وفي اللحد وحشتي ، وإذا نشرت للحساب بين يديك ذلٌّ موقفي . واغفر لي ما خفى على الأدرين من عملي ، وأدِم لي ما به سترتني . وارحمني صریعاً على الفراش تلبنی أیدی أحبتی وتفضل على ممدوداً على المغسل يغسلني صالح جيرتي وتحنن علي محمولاً قد تناول الأقرباء أطراف جنائزتي وجذ علي منقولاً قد نزلت بك وحيداً في حفترى ، وارحم في ذلك البيت الجديد غربتي ، حتى لا أستأنس بغیرك يا سيدى » .

شهادة المثل الكامل على عليه السلام

يفارق علي عليه السلام الدنيا الفانية في مثل هذا اليوم ^(١) بعد أن ألقى على الأمة الإسلامية دروساً خالدة ما بعدها دروس : دروساً فيها عز الدنيا وسعادة الآخرة ، فيها راحة الفرد وراحة المجتمع ، فيها طمأنينة النفس وراحة الضمير ، فيها الوصول إلى الحق والخلف إلى الله تعالى ، فيها غنى الفقير وفلاح الغني ، فيها العدل الاجتماعي المطلق وكل ما يؤدي بالفرد والمجتمع إلى ذروة الكمال .

ولكن البشر لسوء سريرته وفساد باطنها وتغلب الهوى والأطماع لم يكن جديراً ^{أليستفيد} من هذه الدروس . بل أراد البعض في كل فرصة إخماد قبسات هذا النور اللامع حتى ضرب عليه السلام بسيف ابن ملجم المرادي فجر اليوم التاسع عشر من هذا الشهر المبارك وهو في محرابه ينادي ربه .

وقد أخبر بذلك رسول الله (ص) في آخر خطبته المشهورة التي خطب بها الناس قبيل شهر رمضان المبارك ، يقول أمير المؤمنين عليه السلام فقامت وقلت : يا رسول الله ما أفضل الأعمال في هذا الشهر ؟ فقال : يا أبا الحسن ، أفضل الأعمال في هذا الشهر : الورع عن محaram الله عز وجل . ثم بكى . فقلت : يا رسول الله ، ما يبكيك ؟ فقال : يا علي ، أبكي لما يستحل منك في هذا الشهر ، كأني بك وأنت تصلي لربك وقد انبعث أشقي الأولين والآخرين شقيق عاقر ناقة ثمود ، فضررك ضربة على قرنك . فخضب منها لحيتك . قال أمير المؤمنين عليه السلام : فقلت يا رسول الله ، وذلك في سلامة من ديني ؟ فقال : في سلامة من دينك . ثم قال : يا علي ، من قتلك فقد قتلني ، ومن

(١) القيت هذه الكلمة في الـ (٢١) من شهر رمضان المبارك .

أبغضك فقد أبغضني ، ومن سبك فقد سبني ٠ لأنك مني كنفسي وروحك
من روحي وطينتك من طينتي ٠٠٠ » إلى آخر الحديث ٠

وقد روى النسائي في الخصائص بسنده عن عمار بن ياسر في حديث :
قال : كنت أنا وعلي بن أبي طالب رفيقين في غزوة العشيرة ، إلى أن قال :
قال رسول الله (ص) : ألا أحدثكم بأشقي الناس : رجلين ، قلنا : بل
يا رسول الله ، قال : أحيمر ثمود الذي عقر الناقة ، والذي يضررك على هذه ،
— ووضع يده على قرنه — حتى يُبل منها هذه وأخذ بلحنته ٠

وقد قدِّم على علي وفد من أهل البصرة ، فيهم رجل من الخوارج ٠
يقال له : الجعد بن نعجة ، فقال اتق الله يا علي ، فاتك ميت ٠ فقال علي :
« ولكنني مقتول بضربة على هذا تخضب هذه — وأشار إلى رأسه ولحيته
بيده — قضاء مقضى وعهد معهود وقد خاب من افترى » ٠ ثم عاب علياً في
لباسه ٠ فقال : « لو لبست لباساً خيراً من هذا » ؟ فقال : « إن لباسي هذا
أبعد لي من الكبر وأجرد أني يقتدى بي المسلمين » ٠

وكان علي(ع) في الشهر الذي استشهد فيه ينطر ليلةً عند الحسن(ع) وليلةً عند
الحسين(ع) وليلةً عند ابن جعفر، لا يزيد على ثلاثة لقمان يقول: « أحب أن يأتيني
أمر الله وأنا خميس » ٠ كيف لا يكون كذلك وهو القائل : « هيئات هيئات
أن يغلبني هواي ويقودني جشعياً إلى تخثير الأطعمة ، ولعل بالحجاز واليامنة
مَن لا طمع له بالقرص ولا عهد له بالشبع ، أَأَقْعُنْ من نفسى بآن يقال أمير
المؤمنين ولا اشاركتهم في مكاره الدهر وجشوبة العيش ؟ ٠ وأيم الله يميناً ،
استثنى فيها بمشيئة الله لأروضنَّ نفسي رياضة تهش معها إلى القرص مطعوماً ،
وتقنع بالملح مأدوماً » ٠

نعم ، إن صلوات الله عليه كان أزهد الناس ، لم يشبع من طعام قط ،
وكان يلبس الخشن ويأكل جريش الشعير ٠ فإذا انتدم فبالملح ، فان ترقى

فبنبات الأرض •

روى عن سويد بن غفلة : قال : دخلت على علي عليه السلام ، فوجده
جالساً وبين يديه إِناء فيه لبن ، أَجَدْ ريح حموسته وفي يده رغيف ، أَرَى
قشار الشعير في وجهه وهو يكسره بيده ويطرحه فيه . فقال : « ادْنْ » ،
فأَصَبَ من طعامنا » . فقلت : إِنِّي صائم . فقال (ع) : « سمعت رسول الله
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : مِنْ مَنْعِهِ الصِّيَامُ مِنْ طَعَامٍ يَشْتَهِيهِ ، كَانَ حَقًا عَلَى
اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَطْعُمَهُ مِنْ طَعَامِ الْجَنَّةِ وَيُسْقِيهِ مِنْ شَرَابِهَا » . قال : فقلت لفضة
— وهي تقرب منه قائمة — ويحك يا فضة ، أَلَا تقين اللَّهُ فِي هَذَا الشَّيْخِ ،
أَلَا تخلين هذا الطعام من النخالة التي فيه ؟ قالت : تقدَّمْ إلينا أَنْ لا ندخل
له طعاماً •

وكان عليه السلام يجعل جريش الشعير في وعاءٍ ويختتم عليه . فقيل له
في ذلك . فقال (ع) : « أَخَافُ هَذِينَ الْوَلَدَيْنَ أَنْ يَجْعَلَا فِيهِ شَيْئاً مِنْ زَيْتٍ
أَوْ سَمَّنَ » .

وإِنْ عَلِيًّا (ع) قد سهر تلك الليلة التي ضُرب فيها وأكثر الخروج والنظر
إِلَى السَّمَاءِ ، وَهُوَ يَقُولُ : وَاللَّهُ ، مَا كَذَبْتُ وَلَا كَذَبْتُ . وَإِنَّ اللَّيْلَةَ الَّتِي
وَعِدْتُ فِيهَا ، ثُمَّ يَعُودُ مُضْجِعَهُ . فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ ، شَدَ إِزارَهُ وَخَرَجَ وَهُوَ
يَقُولُ : أَشَدُ حِيَايَيْكَ لِلْمَوْتِ فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا يُقْبِلُ
وَلَا تَجْزُعُ مِنَ الْمَوْتِ إِذَا حَلَّ بِوَادِيكَا

ذلك لأنَّ أَوْلَيَاءَ اللَّهِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِمَا سَيَكُونُ لَا يَعْمَلُونَ إِلَّا حِسْبُ الْأَمْرِ
الْعَادِيَةِ . « لِيَهُكَّ مِنْ هَلْكَ عَنْ بَيْنَةٍ ، وَيَحْيَى مِنْ حَيٍّ عَنْ بَيْنَةٍ » .

يخرج على (ع) ، فجر اليوم التاسع عشر من هذا الشهـر المبارك إلى
المسجد لصلاة الفجر وينادي الصلاة الصلاة ، فيضربه ابن ملجم على رأسه
وهو ساجد فلما أحس (ع) بالضربة ، لم يتأنه وصبر واحتسب ووقع على

وجهه ، قائلًا : « بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله . هذا ما وعد الله ورسوله
وصدق الله ورسوله ، ثم صاح وقال . قتلني ابن الملجم ، قتلني اللعين ابن
اليهودية ، فزت ورب الكعبة » .

وانما قال : فزت ورب الكعبة ، لأن رسول الله (ص) قد أخبره :
أنه سيضرب هذه الضربة وهو في سلام من دينه ، فكانت هذه الضربة علامة
ختام أعماله الجبار في سلام من دينه صلوات الله عليه ، وهذا درس عملي
للناس أجمعين في أن يبذلوا أقصى جهودهم لتنتهي أعمالهم مع حسن العاقبة
وفي سلام من دينهم . فقد يزعم الإنسان أنه صالح فتنتهي أعماله مع سوء
العاقبة ، وقد يتهم نفسه أنه غير صالح ، فتنتهي أعماله مع حسن العاقبة ،
ونستعيد بالله من الاغترار بأعمالنا والرکون إليها ونرجو منه التوفيق
وحسن العاقبة .

نعم إن هذا الإنسان يقول حين يرى ما يرى من آثار الموت وهول
المطلع وعداب البرزخ والحساب الدقيق والعذاب الشديد : « رب ارجعون
لعلّي أعمل صالحة فيما تركت »^(١) . « اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا
ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب . وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرمة
فتبرأ منها كما تبرأوا منها ، كذلك يريهم الله أعمالهم حسراتٍ عليهم وما هم
بخارجين من النار »^(٢) . وفي مكان آخر : « وما اضلنا الا المجرمون ، فما لنا
من شافعين ولا صديق حمييم ، فلو ان لنا كرمة فنكرون من المؤمنين »^(٣) .
وفي مكان آخر : « واتبعوا احسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم
العذاب وأنتم لا تشعرون ، آن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في
جنب الله وإن كنت من الساخرين ، أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين

(١) سورة المؤمنون : ١٠٠ . (٢) سورة البقرة : ١٦٦ - ١٦٧ .

(٣) سورة الشعراء : ٩٩ - ١٠٢ .

أو تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فأكون من المحسنين ، بلى قد جاءتك
آياتي فكذبت بها واستكبرت و كنت من الكافرين » (١) وفي مكان آخر :
« و ترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل » (٢)

وروى الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في أماليه بسنده
إلى الأصبغ بن نباتة ، قال : لما ضرب ابن ملجم أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب (ع) . غدونا عليه ثغر من أصحابنا : أنا والحارث وسويد بن غفلة
وجماعة معنا ، فقعدنا على الباب ، فسمعنا البكاء من الدار . فبكينا . فخرج
لينا الحسن بن علي عليهما السلام ، فقال : يقول لكم أمير المؤمنين انصرفوا
إلى منازلكم . فانصرف القوم غيري واشتتد البكاء في منزله ، فبكيت .
فخرج الحسن . فقال : ألم أقل لكم انصرفوا ؟ فقلت : لا والله ، يا بن رسول
الله ، ما تتبعني نفسي ولا تحملني رجلاي أن انصرف حتى أرى أمير المؤمنين
وبكيت . فدخل الدار ولم يلبث أن خرج . فقال لي : ادخل . فدخلت على
أمير المؤمنين عليه السلام . فإذا هو مستند ، مغضوب الرأس بعمامة صفراء
قد نزف دمه وأصفر وجهه . فما أدرى وجهه أشد صفرةً أم العمامة ، فأكبت
عليه ، فقبلته وبكيت . فقال لي : « لا تبك يا أصبغ ، فانها ، والله ، الجنة ».
فقلت له : جعلت فداك . اني أعلم والله انك تصير إلى الجنة ، وإنما أبكي
لقداني اياك ، يا أمير المؤمنين .

نعم ، يقول علي لأم كلثوم وهي تبكي ، « أسكتي ، فلو ترين ما أرى
لما بكيت ، هذه الملائكة وفود النبيون ، وهذا محمد (ص) يقول : يا علي ،
أبشر ، فما تصير اليه خير اليه مما أنت فيه » .

ثم إنه صلوات الله عليه يوصي لابن ملجم ، فيقول : « ابصروا ضاربي ،
أطعموه من طعامي ، واسقوه من شرابي ، النفس بالنفس ، إن هلكت ،

(١) سورة الزمر : ٥٥ - ٥٩ . (٢) سورة الشورى : ٤٤ .

فاقتلوه كما قتلني • وان بقيت رأيت فيه رأيي » •

ثم تزايد ولوح السم في جسده الشريف حتى احررت قدماه وامتنع عن الاكل والشرب وشفاته تختلجان بذكر الله وجبينه يرشح عرقاً وهو يمسحه فقال له ابن الحنفية : أراك تمصح جبينك ؟ فقال : « يا بُشّي » اني سمعت رسول الله (ص) يقول : « إن المؤمن اذا نزل به الموت عرق جبينه وسكن أئمه » • ثم نادى أولاده كلهم بأسمائهم صغيراً وكبيراً وجعل يودعهم وينقول : « الله خليفتى عليكم ، أستودعكم الله » •

وهكذا يفارق الدنيا هذا الامام العظيم الذي لن يأتي الدهر بمثله أبداً، وهكذا تنتهي حياته الشريفة التي ملؤها فضائل ومكرمات وكرامات ومعجزات وبطولات وبلاهة وزهد وورع وقوى الى حد بعيد لن يصل اليها البشر العادي .

ان اكروكم عنده اتقاكم

إن الله تبارك وتعالى وهو الكامل على الإطلاق لا يريد بالناس بل بما خلق إلا الكمال . ذلك لأن الكامل لا يترشح منه إلا الكمال . ألا نرى ما أودع الله تعالى من ثسنهن الكمال في الجماد والنبات والحيثارات والهوام والحيوان في تشكيلاتها الداخلية وفي وسائل الدفاع لتحقيق وسائل العيش والحياة .

فهذه المعادلات الفيزيائية والخواص الكيمائية ودساتير الفلك والميكانيك السماوي والأرضي وما أودع الله من خواص وقابليات ومعادلات ودساتير في الذرة : كلها تشير إلى الكمال الذي أودعه الله هذا الكون الرحيب ، وارتباط بعضها ببعض ، وذلك بقوله تعالى : « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ، فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ، ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسيراً » (١) .

فجميع العالم من مادية ونباتية وحيوانية تنادي بهذا الكمال الذي أودعه الله فيها . فكيف يسوغ للإنسان وهو ، على ما يزعم أشرف المخلوقات، أن يستثنى من ذلك ، وأن يخالف سنة الله تعالى في مخلوقاته : أن يفجر ويفسق ، أن يبطش ويزني ، أن يرائي ويغتاب ، أن يقطع الرحم وياكل الحرام ، أن ينكرا نعم الله تعالى عليه وهي التي لا تعد ولا تحصى : « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار » (٢) . فلا يصلى لإداء واجب الشكر ، ولا يصوم كذلك ، ولا يزكي ولا يخمس ولا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ، فيرجع إلى جاهلية جهلاء ، يعيش كالبهائم والأنعام بل أضل سبيلاً ،

(١) سورة الملك : ٣ - ٤ .

(٢) سورة إبراهيم (ع) : ٣٤ .

فيكون راجعاً أو (رجعيًا) نحو البهيمية والجاهلية بكل ما في الرجعية من معنى صحيح . وهذا ما يتنافى وسنة الكمال الآلهية التي نشاهد مظاهرها وآثارها في العالم أجمع .

إذن ، يحكم العقل الفطري الذي لم يلوث بفسق وفجور ورقص وخمور ، أن المقياس الذي يجب أن يفضل به بين إنسان وإنسان ، إنما هو الشيء الذي يؤدي إلى كماله وإلى تحقيق سنة الله في أرضه : ألا وهو التقوى . ذلك لأن التقوى هي تلك الحالة التي بها تزكي النفس من أدراها وأوساخها ، فتسرير بدرجة تطهيرها نحو الكمال المنشود . لذلك سن الله تعالى قانوناً للمفاضلة وجعل التقوى الأساس الذي تثبتت عليه المفاضلة بين خلقه ، ولم يقل : إن أكرمكم عند الله أعلمكم أو أثراكم أو أكثركم جسامته أو أعلىكم نفوذاً أو أحسنكم وجهاً . ذلك لأن من العلماء الماديين من هم في الدرجات الواطئة من التكامل النفسي ، كما نرى ذلك في الغرب . وإن من الفلاسفة والرياضيين والكمياءين والاجتماعيين من هم ملحوظة وفي الدرجة السفلية من المراتب الأخلاقية . ومنهم إباحيون يستسيغون كل محرم ولا يتناهون عن منكر فعلوه ، شملهم تقوتهم ، مظلمة أرواحهم ، متجردة قلوبهم . سلبوا العاطفة وعدموا الفضيلة . فليس هؤلاء الذين خالفوا التقوى بقاده ، بل هم في الدرك الأسفلي من مراتب التسافل . ولذلك كله لم يختار الله تعالى أنبياءه وأوصياء أنبيائه إلا من عباده الذين اتخذوا التقوى شعاراً والفضيلة دثاراً . وإن أعلىهم شأنها في مراتب التقوى إنما هو خاتم الرسل نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم . إذ يقول فيه ربنا تبارك وتعالى : « وإنك لعلى خلق عظيم » .

ثم إن الله تبارك وتعالى يصف أهل التقوى بقوله : « إن المتقيين في جنات وعيون . آخذين ما آتاهم ربهم ، إنهم كانوا قبل ذلك محسنين ،

كانوا قليلاً من الليل ما يهجنون ، وبالأسحار هم يستغفرون ، وفي أموالهم
حق معلوم ، للسائل والمحروم . وفي الأرض آيات للموقين . وفي أنفسكم
أفلا تبصرون » (١) .

فعِرَّفَ الله تعالى : التقوى : أنها ملزمة ذكر الله تعالى ليلاً ونهاراً
ومراقبة هذه النفس الأمارة بالسوء وإطعام الفقراء والمساكين .
وكان رسول الله (ص) والأئمة من بعده سلام الله عليهم أجمعين ملزمين
للعبادة والإيثار والخشوع والخضوع والقيام بحوارج الناس (٢) ملزمة
لا يضاهيهم فيها أحد ، ممحضين في عبادته تعالى بجميع ما في العبادة من
معنى سام رفيع . فهم حقاً قادة البشر أجمع . إذ هم بكتابهم النفسي
يوجّهون النفوس البشرية نحو الكمال المنشود . ومن سواهم لا يقوى على
ذلك ، لأن فاقد الشيء لا يعطيه .

لينستمع إلى كلام علي عليه السلام في هذا المقام :
 « إعلموا عباد الله ، أن التقوى دار حصن عزيز ، والفحور دار حصن
ذليل ، لا يمنع أهله ولا يحرز من لجأ إليه . ألا وبالتقوى تقطع حمة (٣)
الخطايا وباليقين تدرك الغاية القصوى . »

« عباد الله ، الله الله في أعز الأنفس عليكم ، وأحبها اليكم » إلى أن يقول:
 « عباد الله ، انه ليس لما وعد الله من الخير مترك ، ولا فيما نهى عنه من
الشر من مرغب . عباد الله ، احذروا يوماً تفحص فيه الأعمال ويكثر فيه

(١) سورة الذاريات : ١٥ - ٢١ .

(٢) قال الإمام الكاظم (ع) : « إن الله عرضاً لا يسكن تحت ظله إلا من أسدى
لأخيه معرفة أو نفس عنه كربلة أو قضى له حاجة ، أو دخل إلى قلبه سروراً »
وقال الإمام زين العابدين (ع) : « من قضى لأخيه حاجة فبحاجة الله بدأ » .

(٣) الحمة ، بضم ففتح : في الاصل : ابرة الزنبور والعقرب ونحوها تلسع
بها المراد هنا : سطوة الخطايا على النفس .

الزلزال وتشييب فيه الأطفال » .

انظروا كيف يؤدب الامام محمد الباقر عليه السلام شيعته ويأمرهم بالتقوى ويحذرهم مخالفة أمر الله تعالى .

فقد جاء في أصول الكافي عن جابر بن يزيد الجعفي عن الباقر عليه السلام أنه قال :

« يا جابر ، أيكتفي من ينتحل التشيع أن يقول بمحبتنا أهل البيت .
فو والله ما شيعتنا إلا من اتقى الله واطاعه ، وما كانوا يعرفون ، يا جابر ، إلا
بالتواضع والتخشع والأمانة والإباتة وكثرة ذكر الله والصوم والصلوة والبر
بالوالدين والتعاهد للجيران من القراء وأهل المسكنة والغارمين (١) وصدق
ال الحديث وتلاوة القرآن وكف الألسن عن الناس إلا من خير و كانوا أمناء
عشائرهم في الأشياء » .

فقال جابر : قلت : يا ابن رسول الله ، ما نعرف اليوم أحداً بهذه
الأوصاف .

فقال عليه السلام : « يا جابر ، لا تذهبن بك المذاهب » : حسب الرجل
أن يقول : أحب علياً وأتولاه . فو والله ، لو قال اني أحب رسول الله (ص) ،
فرسول الله خير من علي صلی الله علیہمَا وآلہمَا ولا يتبع سيرته ولا يعمل
بسنته ما تقعه حبه شيئاً . ليس بين الله وبين أحد قرابة إلا بالتقوى ! » .

هذا دستور الكمال الانساني ، دستور ما بعده دستور . دستور
لا يقوى على عرضه من تربى في أحضان المادية المهووّة ، دستور يتحقق
بتطبيقه ما يريد الله لخلوقاته في أرضه من كمال . دستور يتجلّى في تطبيقه
كمال لهذا الإنسان يشاهدي ما نشاهد من كمال في بطن الذرة وفي السماوات
العلى ، في المجرات والسماء وفي مسافات تبعد عنا آلاف الملايين من السنين

(١) الغارمين : أهل الدين : المدينون .

الضوئية ، في مسافات شاسعة جداً محيرة للألباب .
 حاش لله ، أن يخلق كل ما خلق في غاية الكمال ويدع الانسان لينسد
 في الأرض « والله لا يحب الفساد » (١) فلابد لهذا الانسان من كمال على
 لسان أنبيائه وأوصياء أنبيائه عليهم السلام : كمال نفسي ليس من المادة في
 شيء ، كمال تتجلى فيه راحة الضمير « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » (٢)
 وارياح نفسى الى أبعد الحدود ، وتقرب الى الحق المتعال ، ومراقبة لأعمال
 النفس مراقبة شديدة . فيكون هذا المتكامل مصداق قول علي عليه أفضل
 الصلاة والسلام :

« فمن علامة أحدهم : أنك ترى له قوة في دين ، وجزماً في لين ،
 وإيماناً في يقين ، وحرضاً في علم ، وعلماً في حلم ، وقصدأً في غنى (٣) ،
 وخشوعاً في عبادة ، وتجملاً في فاقة (٤) ، وصبراً في شدة ، وطلبأً في حلال ،
 ونشاطاً في هدى ، وتحرجاً عن طمع (٥) . يعمل الأعمال الصالحة وهو على
 وجل ، يمسى وهمه الشكر ، ويصبح وهمه الذكر . بيت حَذْرَا ، ويصبح
 فرحاً . حذراً لما حذر من الغفلة ، وفرحاً بما أصاب من الفضل والرحمة .
 إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره ، لم يعطها سؤالها فيما تحب » (٦) (الى
 أن يقول ٠٠) : « يمزج الحلم بالعلم ، والقول بالعمل . تراه قريباً أمله ،
 قليلاً زلة ، خاشعاً قلبه ، قانعة نفسه ، منزوراً أكله ، سهلاً أمره ، حريراً
 دينه ، ميتة شهوته ، مكتظوماً غيظه . التّحِير منه مأمول ، والشر منه مأمون » ٠٠
 (الى أن يقول) : « يغفو عن ظلمه ، ويعطي من حرمه ، ويصل من قطعه .
 بعيداً فحشه ، ليناً قوله ، غائباً منكره ، حاضراً معروفة ، مقبلاً خيره ، مدبراً

(١) سورة البقرة : ٢٠٥ . (٢) سورة الرعد : ٣٠ .

(٣) قصدأً أي : اقتصاداً .

(٤) التجمل : التظاهر باليسر عند الفاقة : أي الفقر .

(٥) أي تباعدأً عن طمع .

شره ٠ في الزلازل وقور ، وفي المكاره صبور ، وفي الرخاء شكور ॥ ٠ (الى
أن يقول) : « نفسه منه في عناء ، والناس منه في راحة ٠ أتعب نفسه لآخرته ،
وأراح الناس من نفسه ॥ ٠

أنظروا الى ما يقوله علي عليه السلام عن صفات المؤمن الحقيقية ، ذلك
الذي يجمع بين الجهاد والدعوة الى الاسلام وبين العبادة والخضوع لله المتعال ٠
انه (ع) يقول :

« أين القوم الذين دعوا الى الاسلام فقبلوه ^(١) ، وقرأوا القرآن
فأحكموه ، وهيجروا للقتال فولهوا وله اللقاح ^(٢) الى أولادها وسلبوا
السيوف أغمادها ، وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً وصفاً ٠ بعض
هلك وبعض نجا ٠ لا يبشرون بالأحياء ^(٣) ولا يعزون بالموتى ، « مره ^(٤)
العيون من البكاء خمس البطون من الصيام ^(٥) ، ذيل الشفاه من الدعاء ^(٦) ،
صفر الألوان من السهر ، على وجوههم غبرة الخاشعين ٠ أولئك إخوانى
الذاهبون ، فحقٌ لنا أن نظمأ اليهم ، ونعرض الأيدي على فرائضهم » ٠
 فهو لاء الذين وصفهم علي عليه السلام ، قد جسموا التقوى خير تجسيم
وهم الكرماء على الله وهم أتقى الناس ومصداق هذه الآية المباركة : « إن

(١) من نهج البلاغة . الجزء الاول ص : ٢٣٤ .

(٢) اللقاح : جمع لقوح ، وهي الناقة . و « ولهم الى أولادها » فزعها اليها
اذا فارقتها .

(٣) اذا قيل لهم : نجا فلان فبقى حيا لا يفرحون . لأن أفضل الحياة
عندهم الموت في سبيل الحق . ولا يحزنون اذا قيل لهم : مات فلان ، فان الموت
عندهم حياة السعادة الأبدية .

(٤) مره - بضم فسكون - جمع أمره ، من « مرهت عينه » اذا فسدت ،
او ابيست حماليقها .

(٥) خمس البطون : ضوامرها .

(٦) ذيل شفته : جفت ويبست لذهب الريق .

(٧) سورة الحجرات : ١٣ .

أَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ » (٧)

فطوبى لمن طبق هذه الدساتير التي تنالأً نوراً وبهاءاً ، كي يتنالأً نوراً
وكمالاً . وطوبى لمن فكر في عقباه كما يفكر لدنياه ولم يكن من الغافلين .
فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « حفت الجنة بالكاره ، وحفت
النار بالشهوات » .

« طوبى لنفس أدت الى ربها فرضها (١) وعركت بجنبها بؤسها (٢)
وهجرت في الليل غمضها ، حتى اذا غالب الكرى (٣) عليها افترشت أرضها
وتوسدت كفها ، في عشرأسهر عيونهم خوف معادهم ، وتجافت عن مضاجعهم
جنوبهم ، وهمهمت بذكر ربهم شفاههم وتقشعنت بطول استغفارهم ذنوبيهم
« أولئك حزب الله ، إلا ان حزب الله هم المفلحون » .
وأختم هذا الجزء باية هي : دستور الكمال الإنساني وغاية وجوده
في هذا الكون :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقًّا تَقَاتِهِ ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » (٤) .

إنهى الجزء الرابع من هذا الكتاب ، والحمد لله ، ويليه الجزء الأخير :
الخامس ، إن شاء الله تعالى .

(١) من كلام لعلي أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام .

(٢) عركه بالجنب : أي صبر عليه كأنه شوك فيسحقه بجنبه .

(٣) الكرى : النوم .

(٤) سورة آل عمران : ١٠٢ .

الفهرس

الصفحة

١ - الدين أمر فطري

٢ - علة بعث الرسل

٣ - هل الاسلام سير تقدمي أم رجعي

٤ - لا رجعية في الاسلام

٥ - الزوجية في الكون

٦ - الكون الرحيب

٧ - حالات النفس مع الله تعالى

٨ - مدرسة اسلامية

٩ - اعتراف ماركسية بعجزها

١٠ - في مولد الرسول الاعظم (ص)

١١ - ليلة الميلاد

١٢ - مسألة رياضية يحلثها علي عليه السلام

١٣ - ميلاد الزهراء عليها السلام

١٤ - كيف نقد الشباب

١٥ - غذاء الروح في شهر شعبان

١٦ - ميلاد الحسين عليه السلام

١٧ - الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومسألة رياضية

١٨ - المثل الكامل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الفهرس

الصفحة

- ١٩ - حين مني وأنا من حسين
٢٠ - الحسين (ع) يعلم الناس الصلاة في أخرج ساعة
٢١ - لماذا أبكي حسيناً (ع)
٢٢ - كيف نجلب الشباب الى حظيرة الاسلام؟
٢٣ - شهر الغفران
٢٤ - ساعات هذا الشهر المبارك
٢٥ - شهادة المثل الكامل علي عليه السلام
٢٦ - «إن أكرمكم عند الله أتقاكم»

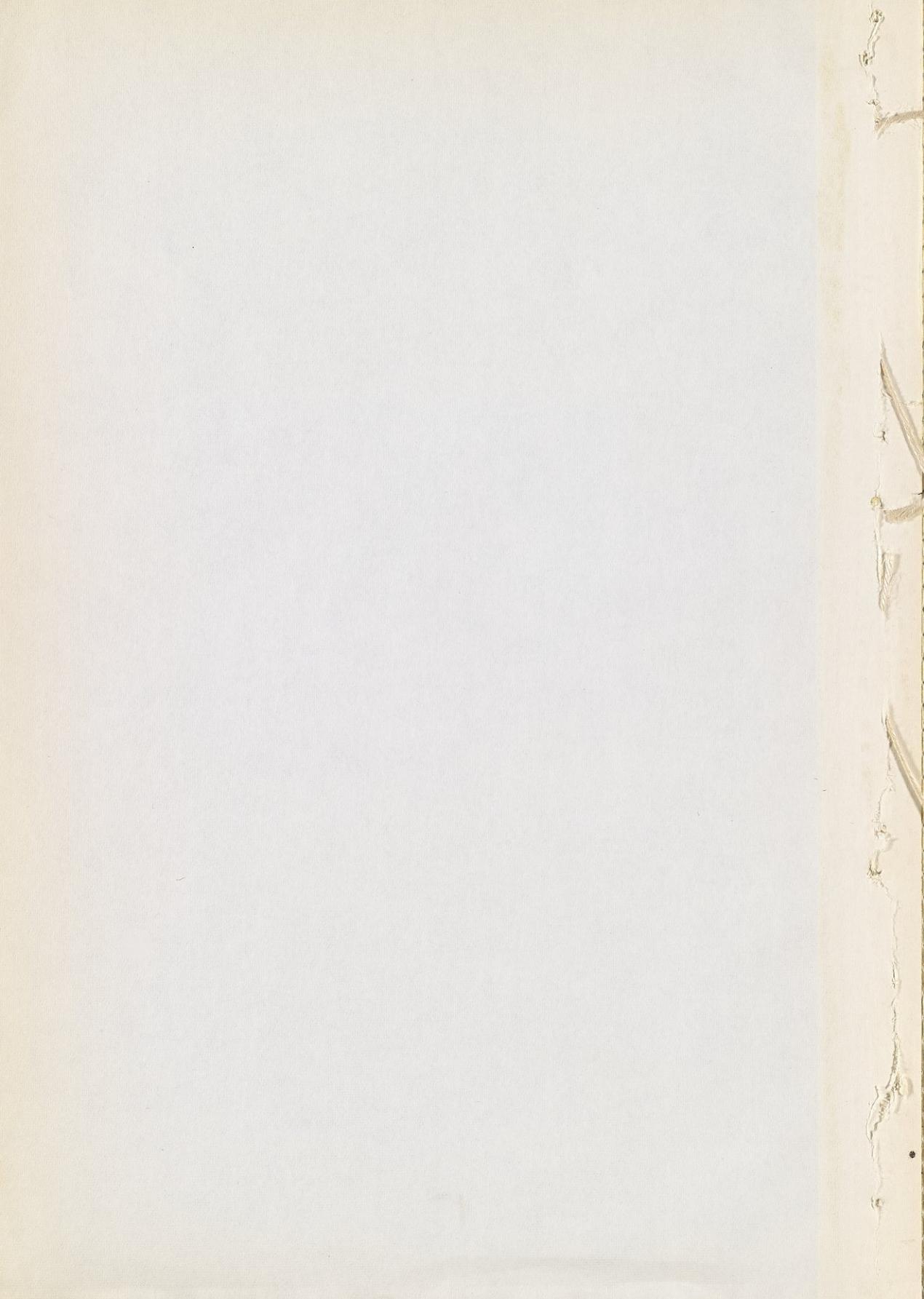
**من منشورات دار النعeman في النجف
خلال شهرين**

المراجعات للامام السيد عبد الحسين شرف الدين
التكامل في الاسلام - الجزء الرابع للأستاذ احمد أمين
شبهات حول الاسلام محمد قطب
الفصول المهمة في تاليف الامة للامام شرف الدين
المختصر النافع للحلي
شبهات الاستعمار حول الاسلام للقزويني
لواجع الاشجان وكتاب الايقاد
وتحت الطبع كتب عديدة سوف يعلن عنها قربا مختلقة
الأنواع والعلوم منها كتاب عن حياة الطفل مفصل ومصور

التكامل في الاسلام

باشرنا بطبع الجزء الثاني من هذا الكتاب : للمرة الثالثة
وسنبasher بطبع الجزء الثالث للمرة الثانية ان شاء الله

يطلب من محمد جواد الكتبى الكاظمى
بغداد - شارع المتيني - تلفون : ٨٧٨٦٤



LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 073838342